الذكوات البيض

اسم مشتق من الذكوة

وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها من الدراري المضيئة (در النجف) فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض. وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها. وكلمة بيض لبروزها عن الأرض. وفي رواية أنها موضع خلوته أو أنها موضع عبادته في رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قلت: يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال: يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

مجلة الذكوات البيض
١٤٤٣هـ-٢٠٢١م

المجلد الثاني

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٠) السنة الثالثة شعبان ١٤٤٥ هـ -آذار ٢٠٢٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

الرقم: ب ت ٥٧٤٤
التاريخ: ٢٠٢٢/١/١٦

No.:
Date:

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ٢٠٢١/١٢/٢٨ والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وإنشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوليات.
- الصادرة.

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القصر الأبيض – المجمع التربوي – الطابق السادس

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٠) السنة الثالثة شعبان ١٤٤٥ هـ –آذار ٢٠٢٤ م

المشرف العام
علاء عبد الحسين جواد القسّام
مدير عام دائرة البحوث والدراسات
رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع
مدير التحرير
حسين علي محمد الحسني
هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د. فاضل محمد رضا الشرع
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

الرقم المعياري الدولي
ISSN 2786-1763

الذكوات البيض

التدقيق اللغوي
أ.م.د. علي عبدالوهاب
الترجمة إلى اللغة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٠) السنة الثالثة شعبان ١٤٤٥ هـ –آذار ٢٠٢٤ م

مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١
الرقم المعياري الدولي
ISSN 2786-1763
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١
البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

رقم الإيداع
في دار الكتب والو ثائق
١١٢٥

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢ .

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكترونيّ:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد العاشر مجلد٢

ت	اسم المؤلف واللقب العلمي	عنوان البحث	ص
١	أ. د. فلاح حسن كاطع	التّشبيه في البلاغة العربيّة،سماته وقضاياه	٨
٢	أ. د. أنس عصام إسماعيل	أثر المذهبية في تفسير النص (دراسة فكرية)	٢٠
٣	أ. د. بثينة جبار زاجي الغزي م. م. ضياء شاكر حميد	دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين	٣٤
٤	أ.م. د. أحمد شكر محمد	الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب	٥٠
٥	أ.م. د. إيمان صالح مهدي	العدول في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية)	٦٢
٦	أ.د. خليل حسن الزركاني أ.م. د. خمائل شاكر الجمالي	القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)	٧٢
٧	أ.م.د. علي جودة صبيح المالكي	الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠-١٩٩١)	٨٨
٨	م. أفراح مكي عباس الجبوري	أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنيةلدى طالبات المرحلة الإعدادية	١١٠
٩	م.د. أروى مؤيد محمود العاني	آثر العقيدة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد الاداري	١٣٦
١٠	م.د. قيس عداي شرامه طاهر	التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة	١٤٨
١١	م. د. امتثال كاظم النقيب	السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة	١٦٦
١٢	م.د. ميلاد ابراهيم محمد الأورفلي	الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية.	١٧٨
١٣	م.د. عمر سعدون حمود	أشجار الخشب والنباتات والعوامل المؤثرةفي الإنتاج الزراعي عند الفراهيدي (١٧٠هـ)	١٩٦
١٤	م. شهد أحمد كاظم	الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً	٢١٠
١٥	م. م.أكرم حسن محسن أ.د.إياد عبد الحسين صيهود	سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي	٢٢٢
١٦	م.م . رنا خزعل ناجي مبارك	ابن فارس في المقاييس "دراسة في المنهج"	٢٣٦
١٧	م.م إيمان عبد الجبار جمال	بنية العنوان والمفارقة في مجموعة مثل نبيٍ يتوسَّلُ معجزةً	٢٤٦
١٨	م. م شهلاء رمزي كاظم	المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)	٢٥٨
١٩	م.م. عبير حسن خزعل البدري أ.م.د. أركان رحيم جبر العتابي	فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"	٢٧٠
٢٠	م.م. باسم محمد ناصر	المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي	٢٨٤
٢١	م.م نور فوزي كاظم	مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون	٣٠٢
٢٢	م. م. هيثم نعمة زغير	دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي	٣١٦

التّشبيه في البلاغة العربيّة، سماته وقضاياه

أ. د. فلاح حسن كاطع
الجامعة المستنصريّة/كليّة التّربية/ قسم اللّغة العربيّة

المستخلص:

يُعنى علم البيان بطرائق التّصوير الفنّيّ ووسائله وفنونه، وقد استقلّ كلٌّ منها بحدود منطقيّة لا يذعن لها الخيال المنتج والجوهريّ للتّصوير الفنّيّ إذعانًا تامًّا؛ لأنّ التّصوير الفنّيّ إيجادُ جديدٍ، وتعبيرٌ علاماتيّ إشاريّ ينجزه المبدع ويخرق به المعتاد ويتّخذ فيه مِن مجانبةِ الواقع مسوّغًا، بل ركيزةً أو قاعدة بنائيّة، وهذا ما نجده في التّشبيه البلاغيّ الفنّيّ، الّذي هو منجز فنّيّ من عمل المخيّلة؛ لذا يتّشح بحلّة من الجمال فضلًا عن أنّه تعالقٌ بديعٌ بين الأشياء، وجمعٌ رائعٌ للمتباعدات، على سبيل أداء الغايات والمعاني المرومة، وكان شأنه شأنَ أترابه من فنون البيان، إذ عُرّف بتعريفاتٍ تعدُّ قرائنَ على تطوّر الفكر البلاغيّ على وفق سياقاته العامّة. كما كانت له قضاياه الّتي شغلت البلاغيّين والنّقدة، الّتي كانت مهماز هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: التّشبيه، السّمات، القضايا

Abstract:

The science of rhetoric is concerned with the methods, means, and arts of artistic photography, each of which is independent of logical limits to which the productive and essential imagination of artistic photography does not fully submit. Because artistic photography is a new creation and a symbolic, indicative expression achieved by the creator, which violates the usual and takes avoiding reality as a justification, but rather a foundation or constructive rule, and this is what we find in the artistic rhetorical simile, which is an artistic achievement from the work of the imagination. Therefore, it is clothed with a suit of beauty, in addition to being a wonderful interrelationship between things, and a wonderful gathering of disparate things, by way of fulfilling intended goals and meanings. It was like its peers in the arts of rhetoric, as it was known for definitions that are evidence of the development of rhetorical thought according to its general contexts. It also had its own issues that occupied rhetoricians and critics, and which were the focus of this research.

Keywords: simile, features, issues

المقدّمة:

يُعنى علم البيان بطرائق التّصوير الفنّيّ ووسائله وفنونه، وقد استقلّ كلٌّ منها بحدود منطقيّة لا يذعن لها الخيال المنتج والجوهريّ للتّصوير الفنّيّ إذعانًا تامًّا، ولعلّ لبعضًا يرى تناقضًا في هذا، بيد أنّ هذا التّناقض ينقشع إذا ما فهمناه بوصفه عقلانيّة تخييليّة – على تسامح في التّسمية– لأنّ خيال المبدع جامح متّصف بالتّجوال؛ لأنّ التّصوير الفنّيّ إيجادُ جديدٍ، وتعبيرٌ علاماتيّ إشاريّ ينجزه المبدع ويخرق به المعتاد ويتّخذ فيه مِن مجانبةِ الواقع مسوّغًا، بل ركيزةً أو قاعدة بنائيّة، وهذا ما نجده في التّشبيه البلاغيّ الفنّيّ.

المنطلق البلاغيّ والنّقديّ :

إخترت هذا المطلب لمَا نال التّشبيه من النّظر العقليّ المنطقيّ، بل الجدل الفكريّ الّذي تكلّم عليه بعض البلاغيّين وعُنوا

التّشبيه في البلاغة العربيّة، سماته وقضاياه

به عنايةً مستجادةً محمودةً(١)، فرأيت اجتناب ما بسطوا القول فيه أحجى، والبحث في المنطلق البلاغيّ والنّقديّ أجدى. الغاية من دراسة منطلقات التّشبيه البلاغيّة والنّقديّة، الظّفرُ بمفهومِه الجوهريّ؛ لأنّ التّشبيه من موضوعات علم البيان، فهو بهذا المُنتمَى من وسائل التّصوير الفنّيّ، له محدِّداته الخاصّة الّتي يمتاز بها كالفنون الأخرى ولاسيّما الاستعارة والكناية.

ولا ريب في أنّ هذه المزايا وهاتيك الخصائص ذات هويّة عقليّة منطقيّة ؛ لأنّها من نظام التّصوير ووسائله، وهي جزءٌ من قوانين الدّلائل والرّموز والوسائل بيد أنّ هذه العقلنة لا تتجاوز حدودها فتنال الخيال الّذي ينحازُ عنها من دون مشاكسةٍ أو تقاطع في سيرورة الإبداع الفنّيّ والخلق التّصويريّ، وهذا الفهم قائم على الإيمان بأنّ التّصوير لا يقوم على أيٍّ منهما منفردًا بل على الطّاقة الخلّاقة من الاثنين، فالخيال مشغَلٌ لتركيب الأشياء، وهنا أجد من المفيد أن أذكر رأي أحد الباحثين في قوله عن الصّورة التّشبيهيّة أنّها (تذوب في سياق الفواصل الّتي تلوح بين ما نسميه مشبهًا ومشبهًا به)(٢).

هذا الرّأي القائل بالإذابة لا نتفق معه؛ لأنّ نكران استقلال طرفي التّشبيه إجراء تعسّفيّ يغدو به الخلْق التّشبيهيّ ضربًا من الإنتاج غير الواعي بميزان النّقد البلاغيّ؛ لأنّ المشبّه والمشبّه به ليسا طرفينِ جامدينِ وقيدين صدئين، بل هما عنصران فنيّان تصويريّان يديران أثر الصّورة وقوّة التّخييل والتّأويل، وكلّما زادت الفجوة زاد الأثر، فأحسب الاستقلال يحفظ بالبُعدَ بين الطّرفين.

خليق بالذّكر أنّ الموروث البلاغيّ تضمّن الإشارة إلى دعوى الاتّحاد وعموم الاشتراك على نحو الادّعاء(٣)، ولاسيّما الدّعوى المذكورة آتية بالحذف الّذي هو إجراء يزيد البعدُ زيادةً فنيّة؛ لأنّ تأمّلَ المحذوفِ وإدراكه، زيادةٌ في النّظر والتّخيّل والتّأويل، فهو شكلٌ من التّعقيد الفنّيّ البلاغيّ المستطابِ الّذي يُعَدّ براعةً جناها التّأثيرُ.

فالتّشبيه (علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والاحوال. هذه العلاقة تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم والمقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المقارنين، دون ان يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية، او في كثير من الصفات المحسوسة...وسواء أكانت المشابهة بين الطرفين تقوم على أساس من الحس، أو أساس من العقل، فإن العلاقة التي تربط بينهما هي علاقة مقارنة أساسا، وليست علاقة اتحاد أو تفاعل. بمعنى أنه لا يحدث – داخل التشبيه – تجاوز مفرط في دلالة الكلمات، بحيث يصبح هذا الطرف ذاك الآخر، ولو على سبيل الايهام...كما قد يحدث في الاستعارة. إن التشبيه هو محض مقارنة بين طرفين متمايزين)(٤).

لعلّ من عيون القضايا في هذا المقام أنّ أسلافنا من النّقدة والبلاغيّين القدامى ما غفلوا الخيال في التّشبيه، قال ابن الأثير(ت٦٣٧هـ): (وأَمّا فائدةُ التّشبيهِ من الكلام فهي أَنّك إذا مثّلْتَ الشّيءَ بالشيءِ فإنما تقصدُ به إثْبَات الخيالِ في النّفس بصورة المشبّه به أو بمعناهُ)(٥).

قال يحيى بن حمزة العلويّ (ت٧٣٩هـ): (إعلم أنّك إذا أردت تشبيهَ الشيء بغيرِهِ فإنما تقصد بهِ تقريرَ المشبه في النفس بصورة المشبهِ بهِ أو بمعناهُ فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد بهِ التشبيه على جميع وجوههِ من مدحٍ أو ذمٍّ أو ترغيب أو ترهيب...وتُراد للإيجاز أيضًا... وتُراد للبيان والإيضاح)(٦).

التّشبيه إذن منجزٌ فنّيٌّ من عمل المخيّلة؛ لذا يتّشح بحلّة من الجمال فضلًا عن أنّه تعالقٌ بديعٌ بين الأشياء، وجمعٌ رائعٌ للمتباعدات، على سبيل أداء الغايات والمعاني المرومة، هذا جوهر التّشبيه، وهو بعدُ به حاجة إلى مكث في محطّة التّأويل، وكذا الذّائقة لتتجلّى أغراضه وطاقته الفنيّة، وهذا مشغل النّقد الشّامل وليس النّقد الأحاديّ. وحريّ بالذّكر ههنا أنّ عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ) قال:(وهل تشكُّ في أنّه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشئِمِ والمُعْرق، وهو يُريك للمعاني الممثَّلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة)(٧).

تعريفات التّشبيه

شأنُ التّشبيه شأنَ أترابه من فنون البيان، إذ عُرّف بتعريفات تعدُّ قرائنَ على تطوّر الفكر البلاغيّ على وفق سياقاته العامّة(٨). منها تعريف الرّمّانيّ (ت٣٨٦هـ) بقوله:(العَقد على أَنَّ أَحد الشّيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أَو عقل)(٩).

وعرّفه أبو هلال العسكريّ(ت٣٩٥هـ): بأنّه (الوصفُ بأنّ أحدَ الموصوفين ينوبُ مناب الآخر بأداة التّشبيه)(١٠).
يبدو هذا التّعريف قريبًا ممّا ذكره الرّمّانيّ(١١).
فضلًا عن أنّ التّعريفين يصدران عن المواضعة اللّغويّة المعجميّة ويغدو بهما التّشبيه استبدالًا لغويًّا أو ترادفًا، ويلوح لي أنّ تعريف أبي هلال أكثر ضبطًا بنصّه على أداة التّشبيه، على الرّغم من أنّه لم يذكر أنّها قد تُذكر وقد تُقدّر، وربّما ترك هذا لتبادره، ويلحظ أنّ كليهما رأى النّيابة وسدَّ المسدِّ، الّتي هي فكرة دونها نظر؛ لأنّ التّشبيه ليس ترادفًا، وهو بَعدُ يتعدّد القصد منه بتعدّد الأحوال والمقامات، فضلًا عن أنّ النّيابة وسدَّ المسدّ لا تصمد بوجه حقيقة استقلال الأشياء، ومن نافلة القول:انّ مصطلح سدّ المسدّ نحويّ من لدن الخليل(ت١٧٥هـ)(١٢) وسيبويه(ت١٨٠هـ)(١٣).
وكأنّ القائلين بهذا من النّقدة والبلاغيّين حذو حذو النّحاة وجعلوا لكلّ طرفٍ من أطراف التّشبيه رتبة محفوظة مسكوكة، سالكين بذلك جادّة المنهج التّعليميّ، وخليقٌ بالذّكر أنّ فكرة سدّ المسدّ* ترقى إلى جذرٍ نقديّ يتمثّل بابن طباطبا العلوي(ت٣٢٢هـ) الّذي قال:(فأحْسَنُ التَّشبيهات مَا إذا عُكِسَ لم يَنْتَقِضْ بل يكونُ كلُّ مُشبَّهٍ بصاحبِهِ مثلَ صَاحِبِهِ، ويكون صاحِبُه مثلَهُ مُشَبَّهاً به صُورةً ومَعْنَىً)(١٤).
وعرّفة عبد القاهر الجرجانيّ بقوله: (أن تُثبت لهذا معنًى من معاني ذاك أو حُكمًا من أحكامه)(١٥).
قال الدّكتور بدويّ طبانه: (وللتشبيه تعريفات كثيرة لا تخرج في جوهرها عن مثل ما مرّ ومنها تعريف عبد القاهر في أسرار البلاغة)(١٦).
أراد الدّكتور بدويّ تعريف الجرجانيّ المذكور آنفًا، وقال أيضًا: (وهذا التّعريف يبين وظيفة التّشبيه وعمله أكثر مما يدل على حقيقته وحدّه)(١٧).
أتّفق معه على أنّ قول الجرجانيّ ليس تعريفًا، وأزيدُ عليه: أنّه ليس وصفًا لوظيفة التّشبيه حسب، بل هو يشمل الاستعارة كذلك، وإخال أنّ الّذي ذكره عبد القاهر هو الادّعاء التّأويليّ.
يظهر لي أنّ هذه التّعريفات لا تصمد في وجه النّقد ما خلا تعريف عبد القاهر الجرجانيّ؛ لأنّه يحتمل التّأويل.
وقال التّنوخيّ(ت٧٤٨هـ) معرّفًا التّشبيه:(اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر ولا يستوعب جميع الصفات)(١٨). يُعنى هذا التّعريف بالتّشبيه الّذي يمكن أن نسمّيه التّعليميّ أو الأصل؛ لأنّ التّشبيه لا يُقيّد بوجود صفة حقيقيّة مشتركة بين طرفيه على نحو الدّوام، وربّما لا توجد صلة حقيقيّة بينهما، وثمّة أمر يستوقف الباحث في مثل هذا التّعريف، ذاك أنّ النّقدة والبلاغيّين أولي بصر، لا ريب في أنّهم أدركوا هذا في كثير ممّا وقعت أيدهم عليه من تشبيهات في أثناء الجمع والاستقراء، أنّها لا تتعالق أطرافها بصفة حقيقيّة، فلا مناص من حمل الصّفة الّتي أثبتوها في التّعريفات على أنّها الصّفة الحقيقيّة أو المتخيَّلة. قال ابن رشيق القيروانيّ(ت٤٥٦هـ): (وزعم قُدَامَةُ أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشترَاكُهُمَا في الصفات أكثر من انفرادهما، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد...والأمر كما قال في قرب التشبيه، إلا أن فَضْلَ الشاعر فيه غير كبير حينئذ؛ لأنه كتشبيه نفس الشيء المُشَبَّه الذي ذكره الرماني في تشبيه الحقيقة، وإنّما حُسْنُ التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك)(١٩). نلحظ ما يلوّح به النّصّ من ميزان الحقيقة وغيرها.
وعرّفه الزّركشيّ(ت٧٩٤هـ):بانّه(الدّلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من اوصاف الشيء الواحد)(٢٠). يوجه إلى هذا التّعريف أنّه استُعمل فيه مصطلح الدّلالة؛ لأنّه إنْ أراد الدّلالة بمعناها الحقيقيّ فالأمر به حاجة إلى نظر؛ لأنّ الدّليل يغاير المدلول، وهذا أيضًا به حاجة إلى تأمّل، وإن أراد أنّ الحدود يُعرَفُ بمعرفةِ الحدِّ، فصحيح، لكن الّذي يمنع من استعمال المصطلح (الدّلالة)، أنّ لفظ الدّلالة يؤدّي إلى الوقوع في الخطأ أو الوهم من جهة المغايرة، بمعنى أنّ لفظ الدّلالة يتبادر منه معنى الدّلالة الحقيقيّ. يزيد على هذا وذاك، أنّ التّشبيه ليس دليلًا، وإنّما هو قول – بوصفه خبرًا– به حاجة إلى دليل، وفي حالٍ كان محضَ خيالٍ، فالّذي يصدّقه الشّعورُ وتأثيرُه فيمن يتلقّاه.
يَبِين من هذه التّعريفات طبيعة فهم التّشبيه والنّظرة إليه، فهو ذو وظيفة إخباريّة، وضربٌ من المقايسة(المقارنة)، في حين

قد لا توجد مقارنة؛ لذا تصلح هذه التّعريفات للتّشبيه التّعليميّ وليس للتّشبيه الفنّيّ، ويأذن لنا هذا المرتكَز بقسمة التّشبيه على تعليميّ وآخر فنّيّ هو أداء المعنى أو التّعبير عنه بالصّورة التّشبيهيّة بين شيئين أو أكثر لإنجاز صورة المشابهة في الخيال.

وقال ابن رشيق القيرواني: (إنّما خَصَصْتُ التّشبيه لأنه أصعب أنواع الشّعر وأبعدها متعاطًى)(٢١).

هذا نصّ على شعريّة التّشبيه وأنّ البراعة فيه ليست ميسورةً؛ لأنّها منوطة بالقدرة على جلب الأبعد فالأبعد نزولًا على حكم التّخييل قصد التّاثير، من دون أن تنقصَ الصّورةُ في الذّهن عن حدِّ كمالِ الوضوح الفنّيّ بحسب مقتضاه. وإخالُ أنّ ممّا يعضّد هذا قول ابن الأثير في التّشبيه أنّه: (من بَيْنِ أنواعِ علمِ البيانِ مُسْتوْعَرُ المذهَب وهو مَقْتَلٌ من مَقَاتِلِ البلاغة)(٢٢).

وعُرّف بتعريف وصفه يحيى بن حمزة العلويّ بانّه المختارُ: (أن يقال هو الجمعُ بين الشيئين، أو الأشياءِ بمعنى مّا بواسطة الكاف ونحوها)(٢٣).

منزلة التّشبيه:

من عيون قضايا التّشبيه الّتي تستوقف الباحث، الاهتمامُ به وشيوعُه في كلام العرب، فهذا المبرّد(ت٢٨٥هـ) يقول: (التشبيهُ جار كثيرٌ في كلام العربِ حتى لو قالَ قائلٌ هو أكثر كلامِهِمْ لم يبْعِدْ)(٢٤).

قال ابن طباطبا العلويّ: (فأمَّا ما وَصَفَتْهُ العَرَبُ وشَبَّهَتْ بعضَهُ ببعضٍ مما أدْرَكَهُ عِيانُهَا فكثيرٌ؛لا يُحْصَرُ عَدَدُهُ وأنواعه كَثيرَةٌ)(٢٥).وقال ابن وهب الكاتب(ت٣٣٥هـ): (أما التّشبيه فمن أشْرف كلام العرب)(٢٦).

وقال عبد القاهر الجرجانيّ: (وهل تشكُّ في انه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشئِمِ والمُعْرق، وهو يُريك للمعاني الممثَّلة بالأوهام شبها في الاشخاص الماثلة)(٢٧).

وقال يحيى بن حمزة العلويّ: (إعلم أن التشبيه هو بحرُ البلاغة وأبو عُذْرَتِها، وسِرُّها ولُبَابُها وإنسان مُقْلَتِها)(٢٨).

قال الزّركشيّ: (هو تأْنيس النفس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بيانًا)(٢٩).

ولا تقتصر العناية بالتّشبيه على كثرة الاستعمال، وإنّما عُني به البلاغيّون والنّقدة أيضًا، و بقيت العناية به مكينة إلى زمان عبد الله ابن المعتزّ(ت٢٩٦هـ) الّذي صدّر كتابه البديع بالاستعارة، وجعل حسن التّشبيهِ الفنَّ الحادي عشر من محاسن الكلام(٣٠). ونستطيع أن نعدّ ابن المعتزّ مبتدأ طور التّحوّلِ صوبَ الاستعارة، غير أنّ التّشبيه بقي ذا الصّدارة عند طائفة من النّقدة والبلاغيّين، كابن طباطبا، والحاتميّ (ت٣٨٨هـ) وقدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، وأبي الحسن الجرجانيّ(ت٣٩٢هـ)، (فإيثار التشبيه عند هؤلاء واضح، أمّا قُدامة فقد عدّه غرضا أساسيا من أغراض الشّعر، وأمّا أبو الحسن الجرجاني فقد جعله أصلا من أصول عمود الشّعر، في حين عد الاستعارة نافلة من النوافل يمكن الاستغناء عنها، وأما ابن طباطبا فقد تجاهلها وخصَّ التشبيه بكثير من عنايته وإيثاره)(٣١).

ومن منزلة التّشبيه أنّه أصل الاستعارة فهو مغرسها، وهذا واضح من تعريفهم الاستعارة بأنّها (تشبيه حذف أحد طرفيه)؛ لانّها تقوم على تقويض بنية التّشبيه التّركيبيّة وإنهاكها إزاء تفاقم البنية الفنيّة(٣٢). هنا تظهر مسألة مهمّة هي ميزان القيمة واختلاف المقاييس بين التّشبيه والاستعارة، فقيمته التّشبيه منوطة بجمع المتباعدات والتّأليف بينها، في حين تقوم البراعة في الاستعارة على القرب والمناسبة وشدّة سطوع العلاقة بين ركنيها بحسب ما قرّ قديمًا، وهذه فكرة بلاغيّة نقديّة يُقتفي أثرها حين الصّياغة والإبداع والتّصوير، وأحسب تعليلَها، أنّ الاستقلال محفوظ في التّشبيه لا يناله البُعد بين الطّرفين وإنْ زاد واتّسع، أمّا في الاستعارة فلا استقلال محفوظٌ فيها بعد تصوّر اتّحاد الطّرفين، فيقوم الاتّحاد الّذي يقوّض استقلال الطّرفين هنا مقام البُعدِ بينهما هناك.

نعود إلى العناية بالتّشبيه الّتي هي مصداقٌ من علوّ منزلته والّتي عُلِّلت بكثرة الاستعمال ولاسيّما استعماله في الشّعر العربيّ، ولعلّ هذا واقع صحيح في طورٍ ثقافيٍّ وأدبيٍّ ساد يومذاك، والدّليل على هذا، أنّ أغلب النّقاد العرب بلْهَ

التّشبيه في البلاغة العربيّة، سماته وقضاياه

أدبائهم قبل مرحلة ابن المعتزّ، ملتزمون بالتّقليد ويدعون إلى الانتهاء إلى حيث انتهى العرب وتوخي سَنَنهم في كلامهم، والتّقليديّة هي الصّبغة السّائدة في الحياة. ومثلما عُلِّل الاهتمام به بكثرة الاستعمال فقد عُلِّل بميل النّقد إليه، بمعنى هيمنته على عناية البلاغيين والنّقاد، وأَمارة هذا، تحوّل النّقد والبلاغة إلى الاستعارة منذ زمان ابن المعتزّ الّذي افتتح بها بديعه، وفُسّر هذا التّحوّل فيما فسِّر، بأنّ التّشبيه قرين التّقليد، أمّا الاستعارة فقرينة التّجديد، وتنسجم مع الخيال أكثر من انسجام التّشبيه، وهذا معناه أنّ الطّور الثّقافيّ تغيّر، وأنّ النّفعيّة (التّعليميّة) والأصوليّة منسجمة مع التّشبيه، ولعلّ الاستعارة بها حاجة إلى تأويل وتوغّل في التّخيّل، أمّا التّشبيه فالأصل فيه الحسّ وقرب بعض الأشياء الّتي تكوّن أطرافَه من بعضٍ. يزيد على هذا أنّ ترجمة كتب أرسطو(ت٣٢٢ ق.م) في العصر العبّاسيّ فتحت النّوافذ على أهميّة الاستعارة الّتي كانت متصدّرة في بلاغة أرسطو، فهو القائل:(ولكن أعظم هذه الاساليب حقاً هو الاستعارة، فإن هذا الاسلوب وحده هو الذي لا يمكن أن يستفيده المرء من غيره، وهو آية الموهبة)(٣٣). فالاستعارة عند أرسطو تبذّ التّشبيهَ، ولعلّ قوله :(لا يمكن أن يستفيده المرء من غيره)، ينفعنا قرينةً على ملاءمة الاستعارة للتّجديد، وهذا مؤدّاه تطوّر الذّهن العربيّ ولاسيّما النّقديّ والبلاغيّ، مصحوبًا بتغيّر الذّائقة وتغيّر الحياة عامّة، فالاستعارة ذات انزياحٍ أعظم ممّا في غيرها من فنون البيان والمجاز، والفنيّة والابتكار فيها أشدّ سطوعًا وأكثر لمعانًا.

حريّ بالقول: أن أهمّيّة التّشبيه آتية أيضًا من أنّه أصل فنّيّ وجذر لفنون بلاغيّة أخرى منها الاستعارة الّتي تعدّ من جَنَاهُ ومغرسِه، قال عبد القاهر الجرجانيّ : (وأول ذلك وأولاه، وأحقُّه بأن يستوفيه النظر ويتقصّاه، القولُ على التّشبيه والتمثيل والاستعارة، فإن هذه أصولٌ كبيرة، كان جُلُّ محاسن الكلام – إن لم يُقل كلها – متفرعة عنها، وراجعة إليها، وكأنها أقطابٌ تدور عليها المعاني في متصرَّفاتها، وأقطارٌ تُحيط بها من جهاتها)(٣٤).

ولعلّ من أسباب شيوع التّشبيه في كلام العرب أنّه فنٌّ من فنون الشّعر وهذا ما قال به ثعلب(ت٢٩١هـ)(٣٥).

وحذا قدامة بن جعفر حذو ثعلب(٣٦)، ومن أمارات هذا المذهب قول ابن وهب:(كلما كان المشبّه منهم في تشبيهه ألطف، كان بالشّعر أعرَف، وكلما كان إلى المعنى اسبق، كان بالحذق أليق)(٣٧).

وربّما عُدّ التّشبيه أصلًا من أصول الشّعر فكثر بكثرة فرعه كما كثر الفرع بكثرة أصله، ويشفع لهذا الرّأي ما قاله السّيوطيّ(ت٩١١هـ) من أنّ الأصل (تارة يُطْلَق ويرادُ به الغالب، وتارة يرادُ به الدليل)(٣٨)، فالتّشبيه بحسب قول السّيوطيّ أصل بالغلبة.

وظيفة التّشبيه:

ذكر البلاغيّون أنّ للتّشبيه ثلاث وظائف: البيان والمبالغة والإيجاز، وأنّ كلّ طرفٍ فيه مستقلٌّ، استقلالًا منيعًا؛ لذلك لم يعدّه بعض البلاغيين مجازًا، بل عدّه حقيقة بلحاظ هذا الاستقلال وبقاء دلالة كلّ طرف، وبقاء دلالات الألفاظ، فهو نابع من حقائق الأشياء وليس من الموقف النّفسيّ أو الخيال، وأنّه ضربٌ من الإخبار، وتبيح فائدة الخبريّة فيه تسميته بالتّشبيه الصّادق (الصّدق التّشبيهيّ)، يلوح لي أنّ القول بصدق التّشبيه مهلكة للسّمة الشّعريّة فيه، وقاد هذا إلى العناية بأركان التّشبيه وتركيز الحرص على وضوح الصّفة في المشبَّه به وغلبتِها – من هذا الوجه – وضوحَ الصّفةِ في المشبَّهِ، نزولًا عند حكم الإيضاح والبيان، وكذا الأداة إذ تُستعمل الكاف وكأنّ عند اشتداد قرب الطّرفين بالوجه الجامع، واستعمال غيرهما عند بعدهما عن الوجه المشترك؛ لذا عُدّ التّشبيه المقلوب ومثلُه الضّمنيّ وبدرجة البليغُ، عقباتٍ فنيّةً في طريق هذا الاتّجاه الّذي هو اتّجاهٌ نفعيٌّ تعليميٌّ، كما عُدّت طائفة من التّشبيهات القرآنيّة كذلك؛ لهذا حُمِلت على المبالغة والتّوكيد في نحو قوله تعالى: (وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ)[الرّحمن ٢٤]، وقوله تعالى: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ)[الصّافّات٦٥].

وممّن قال بالوظائف الثّلاث، ابن الأثير بقوله:(فالتّشبيه إذًا يجمعُ صفاتٍ ثلاثة؛ هي: المبالغَةُ والبيانُ والإيجازُ)(٣٩).

وقد أُوخذ على ذلك، والحقُّ يلوح لي أنّ هذه المؤاخذة غير مبصرة لأسباب:

١– قام هذا الانتقاد على عدّ القول بالصّفات الثّلاث ضربًا من العقلنة والتّحديد والتّقييد، والّذي نراه أنّ هذه النّظرة فقيرة؛ لأنّ هذه الصّفات إنْ كانت كذلك (عقليّة منطقيّة)، فقد مضى القول بتآزر المنطق والخيال في إنتاج الصّورة، وإن كانت غير ذلك فلا تعدو الدّائرة الأخرى(الخيال)، وهي بعدُ من ثمرات التّشبيه، لكنّ المنبوذ أنْ تُجعل منتهاه، وغايةَ مزاياه، في حين هي بعضٌ ممّا يؤديه ويتضمّنه.

٢– لا شكّ في أنّ لكلّ وسيلة تصويريّة خصائصَ من شأنها أن تكون مزايًا تحفظ استقلال التّشبيه.

٣– رفْضُ هذا الصّفات قائمٌ على تصوّرها كسيحةً لا قربى تصلُها بالخيال .

وهذا التّصور يعاني القصور عن إدراك الحقائق، أو تقصيرًا في فلسفة العناصر؛ لأنّ المبالغة من شأنها أن تغادر منطقة الحياد بين المنطق والخيال إلى أقصى الخيال؛ لِمَا في المبالغة من شحنة شعوريّة تظهر بما يُعدّ مبالغة؛ لأنّ المبالغة مظهرٌ تخيّليّ فاعم بالإحساس والتّعبير.

وكذا البيان فهو يستبطن الجمال والخَلْق ولا يتقيّد بالإيضاح الرّازح بالمعجم والدّلالة اللفظيّة.

٤– تنتمي هذه النّظرة إلى زمانٍ غير زمان ابن الأثير، ومقتضى الإنصاف لحاظُ الطّور الثّقافيّ والتّداوليّ والمعرّفيّ يومذاك.

٥– لعلّ المراد بهذه الصّفات الثّلاث ما يجتمع عنده المتلقّون، فهي صفات جامعة لأصناف التلّقي وهي مأخوذة من أحوالهم.

والمستفاد من مقصد الإبانة بل من وظائف التّشبيه كلّها أنّ المنطلقات في فلسفة التّشبيه لا مناص من أن تكون مجتمعةً؛ لأنّ جلّ المراد من التّشبيه مقيّد بالحواسّ أو المحسوس وتصوير الذّهنيّ بصورة المحسوس، على أساسٍ من أنّ ما يُدرك بالحسّ أقربُ مأخذًا ممّا يُدرك بالعقل. وأضحت رتبة التّشبيه منوطةً في علوّها بقرب وجه الشّبه وحسّيته؛ لذلك صار قول امرئ القيس(٤٠):

كأنَّ قلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والْحَشَفُ البَالي

من بديع التّشبيهات عند البلاغيّين، ومنهم عبد القاهر الجرجانيّ الّذي نعته بقوله:(وممَّا نَدَرَ منه ولَطُف مأْخذُه، ودقَّ نظرُ واضعه، وجلَّى لكَ عن شَأو قد تَحْسَر دونه العِتاق، وغايةٍ يَعْيَى من قِبَلِها المذاكي القُرَّحُ)(٤١). ولعلّه أبلغ وأعلى عند البلاغيّين من قول بشّار بن برد(٤٢):

كأنَّ مثارَ النّقعِ فوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

لأنّ شَبَه قلوب الطّير بالعنّاب والحشف أغمض من شَبَه لمعان السّيوف بوميض الكواكب المتهاوية، والرّتبة للأوضح عندهم.

غير أنّ عبد القاهر لم يكن شديد العناية بالوظائف الثّلاث، ولم يحفل بها، بوصفها منتهى غاية القصد من التّشبيه، وانّها ذروة شأوه وسنام فنيّته؛ لأنّه آمن بعلوّ سمة الغموض منتحيًا عن العرف البلاغيّ السّائد، عندما جعل بيت امرئ القيس دون قول زياد الأعجم(٤٣):

وإنّا وما تُهْدي لَنا إن هجَوْتَنا لَكالبحر، مَهْما يُلْقَ في البحر يَغْرِقِ

وعلّل استحسانه بقوله: (وممّا أَتى في هذا الباب مَأْتًى أَعْجَبَ مِمّا مَضَى كله، قول زيادٍ الأعجم:

وَإنّا ومَا تُلْقِي لَنا إنْ هجَوْتَنَا لَكَالبحر، مَهْما يُلْقَ في البَحْرِ يَغْرِقِ

وإنما كان أعجَب، لأن عملَه أدقُّ، وطريقَهُ أغمضُ، ووجْهَ المُشابكةِ فيه أغربُ)(٤٤). لا يخفى أنّ الوضوح عن عبد القاهر ليس هو المرتكز، بل الغموض الفنّيّ.

ولمّا كان عبد القاهر ذا منهج تحليليّ فقد خرج من طوق النّمط النّقديّ والبلاغيّ السّائد الّذي وقف عند الإفهام والوضوح والغايات الأخرى الّتي ذكّرت، ورأى بعين بصره النّقديّة وبصيرته التّحليليّة ما وراء تلك الوظائف.

وبقي هذا الإعجاب سائدًا قرونًا إلى زمان عبد القاهر الجرجانيّ الّذي فرّق بين التّشبيه والتّمثيل، فاجتاز بالمعايير البلاغيّة

والنّقديّة إلى ضفّة أخرى، وأضحى هذا التّغيير مَعلَمًا يهتدي به نقدةُ يومذاك؛ لهذا استُقبحَ قول امرئ القيس(٤٥):

وتعطو برخصٍ غيرِ شثنٍ كأنه أساريعُ ظبيٍ أو مساويكُ إسحلِ

وسبب مجاجة سبب استقباح هذا التّشبيه انّ الشّاعر شبّه الأصابع بالدّود الّذي يسبّب النّفور والتّقزّز، واستُملح قول ابن المعتز(٤٦):

أَشَرْنَ عَلَى خَوْفٍ بِأَغْصَانِ فِضَّةٍ مُقَوَّمَةٍ أَثْمَارُهُنَّ عَقِيقُ

وكذا قول الشّاعر(٤٧):

وخالٍ على خدّيك يبدو كأنه سَنَا البدر في دعجاءَ بادٍ دُجونها

فهذا الأخير تشبيه عالٍ؛ لأنّه مخالف للحقيقة.

وعودًا على بدء نقول: تسالم جمع من أبرز البلاغيّين على وظيفة البيان في التّشبيه، منهم الرّمّانيّ والعسكريّ وابن سنان الخفاجيّ(ت٤٦٦هـ)، قال يحيى بن حمزة العلويّ:(المقصد الثّالث في إفادتهِ للبيان والإيضاح وهذه أيضًا هي فائدة التّشبيهِ الكُبْرَى، فإنهُ يُخْرِجُ المبهم إلى الإيضاح والمتلبِس إلى البيان، ويكسوهُ حلّة الظهور بعد خفائهِ، والبُرُوز بعد استتارهِ)(٤٨).

وقد أثقلوا التّشبيه بهذه الوظيفة وأضاعوا نجاعته، فهذا ابن رشيق، قال بقسمة التّشبيه على حسَن هو الّذي يوضّح الغامض، وقبيحٍ هو غير ذلك، وبيّن أنّ الأوّل ما تقع عليه الحاسّة(٤٩)، وبقي هذا الأمر سائدًا إلى زمان عبد القاهر الجرجانيّ الّذي قال بالتّعدد والتّركيب اللّذين تتجلّى بهما البراعة في التّشبيه.

خليق بالإشارة، أنّ الوظائف الّتي مضى الكلام عليها يمكن أن نحمل القول بها على المنحى المنطقيّ الّذي انتحاه فريق من البلاغيّين؛ لأنّها غايات منطقية، ولنا أن نفهم المنطقيّة من قصد الإقناع الّذي هو قصدٌ بلاغيّ عامّ يصدق على فنون القول جميعه، والّذي هو أحد اتّجاهي الوظيفة البلاغيّة عامّة .

بيد أنّ الحسنى في ألّا يقتصر فهم المنطقيّة في التّشبيه على قصد الإقناع، وإنّما يتعدّاه إلى التّأثير، لتوافر ثنائيّة فيه، أحد ركنيها أنّه وسيلة تداوليّة حجاجيّة، وثانيهما انّه ضربٌ من المقايسة، مثلما هو فنّ ذو سمة شعريّة جماليّة، وهذا الفهم لا يستمسك بإيجاد وجه الشّبه بين المشبَّه والمشبَّه به؛ لأنّ وجه الشّبه وتقديره منوطٌ بمقام الخطاب وانسجام أطرافه والقصد المروم من التّشبيه، فمن التّشبيه ما يُراد منه الإخبار المحض أو لنقل: الغاية التّعليميّة بوصفه حينذاك وسيلةَ إيضاحٍ، ومنه ما لا يُدرك وجه الشّبه فيه على نحو التّعيين، بل ربّ تشبيهٍ لا وجهَ شبهٍ متبادر منه، وهذا هو الفنّيّ المستجاد الّذي يكون فيه المعنى الغائر الّذي يناله الوجدان والخيال قائمًا مقام الوجه المحدَّد المتبادر نحو قوله تعالى:

(وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)[الحج:٣١].

وقول الأشجعيّ(٥٠):

كَأَن أزيزَ الكِيرِ إرزام شَخْبِهَا إذَا امْتَاحَهَا فِي مِحْلَبِ الْحَيِّ مَاتِحُ

(فشبّه ضَرْعَ العنز بالكير، وصوت الحلب بأزيزه فقرّب بين الاشياء البعيدة)(٥١).

وممن قال بوظائف التّشبيه الآنفة، أبو هلال العسكريّ فيما نصّه:(التّشبيهُ يَزِيدُ المعنى وُضوحًا، ويُكسبُه تأكيدًا، ولهذا أطبق جَميعُ المتكلمين من العرب والعَجَم عليه، ولم يستغْنِ أحدٌ منهم عنه)(٥٢).

يمكن أن نعيد مقالة العسكريّ بالقول: التّشبيه يزيد المعنى إحساسًا وتأثيرًا. ومن نافلة القول: أنّ ذكر أبي هلال للمتكلّمين يتّصل بسمة التّشبيه المنطقيّة في النّظر البلاغيّ.

هذا الّذي ذُكر يرشدنا إلى ما يأذن به التّشبيه من استغلال طاقته الفنيّة لأجل التّأثير؛ لانَّ(لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله والتقاطِ ذلك له من غير محلّته واجتلابِه إليه من النِيق البعيد بابا آخر من الظرف واللطف ومذهبا من مذاهب الاحسان لا يخفى موضعه من العقل)(٥٣). فضلًا عن أنّ (الشيء اذا ظهر من مكان لم يُعهَد ظهوره منه،

وخرج من موضعٍ ليس بمعدن له، كانت صبابة النفوس به اكثر وكان الشغف به أجدر)(٥٤).
لعل ما يؤازر ما رأيناه قول يحيى بن حمزة العلويّ:(كلما كان الإغراقُ في التّشبيهِ والإبعادُ فيهِ وكونهُ مُتعذَّرَ الوقوع والحصول، كان أدخلَ في البلاغة وأوقعَ فيها)(٥٥).

خاتمة البحث ونتائجه:

١– التّشبيه إجراء فنّيّ تواصليّ فاعم بمعطيات السّياق وطاقته، وهو بعْدُ ذو أثر نفسيّ، وليس مجرّد مصفوفة عقليّة.
٢– قيمة التّشبيه غير موقوفة على أركانه وطرفيه، بل مؤسّسة على انسجامه مع المقام بوصفه استجابة للمقام، وبذلك يتقاسم شكلَ صياغة التّشبيه وتلك القيمة مع السّياق اللّفظيّ العامّ الّذي يقع في ضمن بنية شعوريّة دالّة، بمعنى توظيف طاقة اللّغة لسياق الموقف.
٣– ليس التّشبيه معنًى واحدًا في الصّياغة التّشبيهيّة، بل هو حزمة من الدّلالات، تزيد أو تنقص بحسب المقام وأطرافه.
٤– التّشبيه إنتاج صورة لا تخفت بوقوع الغايات المعياريّة من وضوحٍ ومبالغةٍ وايجازٍ، أو إظهار غير المدرَك بالحسّ إلى ما تناله الحواسّ، بل هو تصويرٌ شعريٌّ منتجٌ خصبٌ.

الهوامش:

١) ينظر: فلسفة البلاغة بين التّقنية والتّطوّر:٢٨٤.
٢) م. ن: ٢٣٨.
٣) ينظر: حاشية الدّسوقيّ على مختصر المعاني : ٢٢٦/٣.
٤) الصّورة الفنيّة: ١٧٢.
٥) المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر:١٢٣/٢. وينظر: المنزع البديع:٢٢٠.
٦)الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:١٣١.
٧)أسرار البلاغة: ١١٨.
٨) ينظر: العمدة: ٢٨٦/١، وينظر: الطّراز: ١٢٥، وينظر: معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها: ١٦٨/٢.
٩) النّكت:٨٠.
١٠) الصّناعتين :٢٣٩.
١١) ينظر: علم البيان: ٤٣.
١٢) ينظر: كتاب العين: ١/ ١٢٧.
١٣) ينظر: الكتاب : ٢/ ١٢٨.
*استعمل الجاحظ(ت٢٥٥هـ) تعبير "يسدّ مسدّ" بقوله: (واعلم أنّك ستصحب من الناس أجناسًا متفرّقةً حالاتُهم....وكلٌّ يسُدُّ مسَدَّه على حياله).رسائل الجاحظ:١١٧/١.
١٤)عيار الشّعر :١٦.
١٥)أسرار البلاغة:٧٨.
١٦)علم البيان:٤٣ .
١٧) م. ن :٤٣.
١٨) الأقصى القريب: ٤١.
١٩) العمدة:٢٨٩/١.
٢٠)البرهان في علوم القرآن :٤٦٧/٣. وينظر: الطّراز:١٢٥.
٢١)العمدة ٢: ٢٣٦.
٢٢)المثل السّائر :١٢٢/٢.
٢٣)الطّراز: ١٢٦.
٢٤)الكامل:٣/ ٩٣.
٢٥)عيار الشّعر :١٧.
٢٦)البرهان في وجوه البيان: ١٣٠.

٢٧)أسرار البلاغة :١١٨.
٢٨)الطّراز:١٥٥.
٢٩) البرهان في علوم القرآن: ٤٦٨/٣.
٣٠) ينظر: البديع : ٧٦. و ينظر: علم البيان : بدويّ طبانه :٤٩.
٣١) الصّورة الفنيّة في التّراث النّقديّ والبلاغيّ عند العرب: ٢٣٣ .
٣٢) ينظر: علوم البلاغة : ٢٦٠.
٣٣) فن الشّعر:١٢٨.
٣٤)أسرار البلاغة : ٢٦.
٣٥) ينظر: قواعد الشّعر : ٣٣ .
٣٦) ينظر: نقد الشّعر:٩١.
٣٧) البرهان في وجوه البيان:١٣٠.
٣٨)المزهر:١٢٩٠.
٣٩)المثل السّائر: ١٢٢/٢.
٤٠) ديوان امرئ القيس:٣٨ .
٤١) دلائل الإعجاز:٩٥.
٤٢) ديوان بشّار بن برد :١/ ٣٣٥.
٤٣) شعر زياد الأعجم:٨٨.
٤٤) دلائل الإعجاز:٩٦.
٤٥) ديوان امرئ القيس:١٧.
٤٦) العمدة:٣٠٠/١.
٤٧)المرّار بن سعيد الفقعسيّ حياته وما بقي من شعره: ١٧٦.
٤٨)الطّراز: ١٣٣/١. وينظر : العمدة :٢٨٧/١.
٤٩) ينظر: العمدة : ٢٨٧/١.
٥٠) م. ن : ٢٨٩/١.
٥١) م. ن: ٢٨٩/١.
٥٢)الصّناعتين : ٢٤٩.
٥٣)أسرار البلاغة: ١١٥–١١٦.
٥٤) م. ن:١١٨.
٥٥) الطّراز:١٣٢/١.

المصادر والمراجع:

– أسرار البلاغة، الشّيخ الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق: هـ. ريتر ، دار المسيرة ، بيروت، ط،١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
الأقصى القريب في علم البيان، زين الدّين أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن محمّد التّنوخيّ(ت٧٤٨هـ)، ط١٣٢٧،١هـ، مطبعة السّعادة بمصر.
– البديع، أبو العبّاس عبد الله بن المعتزّ(ت٢٩٩هـ)، تقديم وشرح وتحقيق: د. محمّد عبد المنعم خفاجيّ، دار الجيل، ط٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
– البرهان في علوم القرآن، أبو عبد لله بدر الدين محمّد بن عبد الله الزّركشيّ(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: الدّكتور يوسف عبد الرّحمن المرعشيّ والشّيخ جمال حمديّ الذّهبيّ والشّيخ إبراهيم عبد الله الكرديّ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
– البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب(ق٤ هـ)، تحقيق الدّكتور أحمد مطلوب والدّكتورة خديجة الحديثيّ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط١، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
– حاشية الدّسوقيّ على مختصر المعاني: محمّد بن عرّفة الدّسوقيّ(ت١٢٣٠هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، النّاشر: المكتبة العصريّة، بيروت، ط ١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ،.
– دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجانيّ(ت٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمّد شاكر، مكتبة

الخانجيّ بالقاهرة، مطبعة المدنيّ،(د.ت).
– ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، (د.ت).
– ديوان بشّار بن برد ،تحقيق محمّد الطّاهر بن عاشور، وزارة الثّقافة الجزائريّة ، ٢٠٠٧م.
– رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، النّاشر: مكتبة الخانجيّ بالقاهرة،(د.ت).
– شعر زياد الأعجم، جمع وتحقيق ودراسة الدّكتور يوسف حسين بكّار، دار المسيرة، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
– الصّناعتين الكتابة والشّعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكريّ(ت٣٩٥هـ) تحقيق : محمّد عليّ البجّاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصريّة ، صيدا– بيروت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
– الصّورة الفنيّة في التّراث النّقديّ والبلاغيّ عند العرب: ٢٣٣، الدّكتور جابر عصفور، المركز الثّقافيّ العربي ، (د.ت).
– الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، السّيّد الإمام يحي بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم العلويّ اليمنيّ(ت٧٤٩هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: محمّد عبد السّلام شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م.
– علم البيان، دراسة تاريخيّة فنيّة في أصول البلاغة العربيّة، الدّكتور بدويّ طبانه، ط٢ ، نشر مكتبة الإنجلو مصريّة، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م. طبع المطبعة الفنيّة الحديثة.
– علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
– العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ(ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط ٣ ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م، المكتبة التّجاريّة الكبرى بمصر، مطبعة السّعادة بمصر.
– عيار الشّعر، أبو الحسن محمّد بن أحمد بن طباطبا العلويّ(ت٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطّباعة والنّشر، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الرّياض – السّعوديّة.
– فلسفة البلاغة بين التّقنية والتّطوّر، الدّكتور رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندريّة ، ط٢، (د.ت).
– فن الشّعر، كتاب أرسطو طاليس في الشّعر، نقل أبي بشر متّى بن يونس القنّائيّ من السّريانيّ إلى العربيّ، حقّقه الدّكتور شكريّ محمّد عيّاد، الهيأة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٣م.
– قواعد الشّعر، أبو العبّاس أحمد بن يحي ثعلب(ت٢٩١هـ)، تحقيق الدّكتور رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، ط١٩٩٥،٢م.
– الكامل، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد(ت٢٨٥هـ)،عارضة بأصوله وعلّق عليه: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ، القاهرة، (د.ت).
– كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، نشر، مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، ط٣، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
– كتاب العين، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تحقيق : الدّكتور مهديّ المخزوميّ والدّكتور إبراهيم السّامرّائيّ، دار الرّشيد للنّشر، بغداد – العراق، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
– المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدّين بن الأثير(ت٦٣٧هـ)، قدّم له وعلّق عليه الدّكتور أحمد الحوفيّ، والدّكتور بدويّ طبانه، طبع ونشر دار نهضة مصر، ط٢(د.ت).
– المزّار بن سعيد الفقعسيّ حياته وما بقي من شعره ،(بحث)، تحقيق الدّكتور نوري حمّوديّ القيسيّ ، مجلة المورد، العدد ٢، أبريل ١٩٧٣م، ، مجلة فصليّة تصدرها وزارة الإعلام، الجمهوريّة العراقيّة.
– المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطيّ(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم ومحمّد جاد المولى وعليّ محمّد البجاويّ، المكتبة العصريّة، صيدا – بيروت، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
– معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ ،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
– المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمّد القاسم السّجلماسيّ(ت٧٠٤هـ)، تحقيق علّال الغازيّ، مكتبة المعارف، الرّباط – المغرب، ط١ ١٤٠١هـ – ١٩٨٠م.
– نقد الشّعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، تحقيق الدّكتور محمّد عبد المنعم خفاجيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت).
– النّكت، أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّمّانيّ(ت٣٨٦هـ)، في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمّد خلف الله أحمد، والدّكتور محمّد زغلول سلّام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م.

التّشبيه في البلاغة العربيّة، سماته وقضاياه

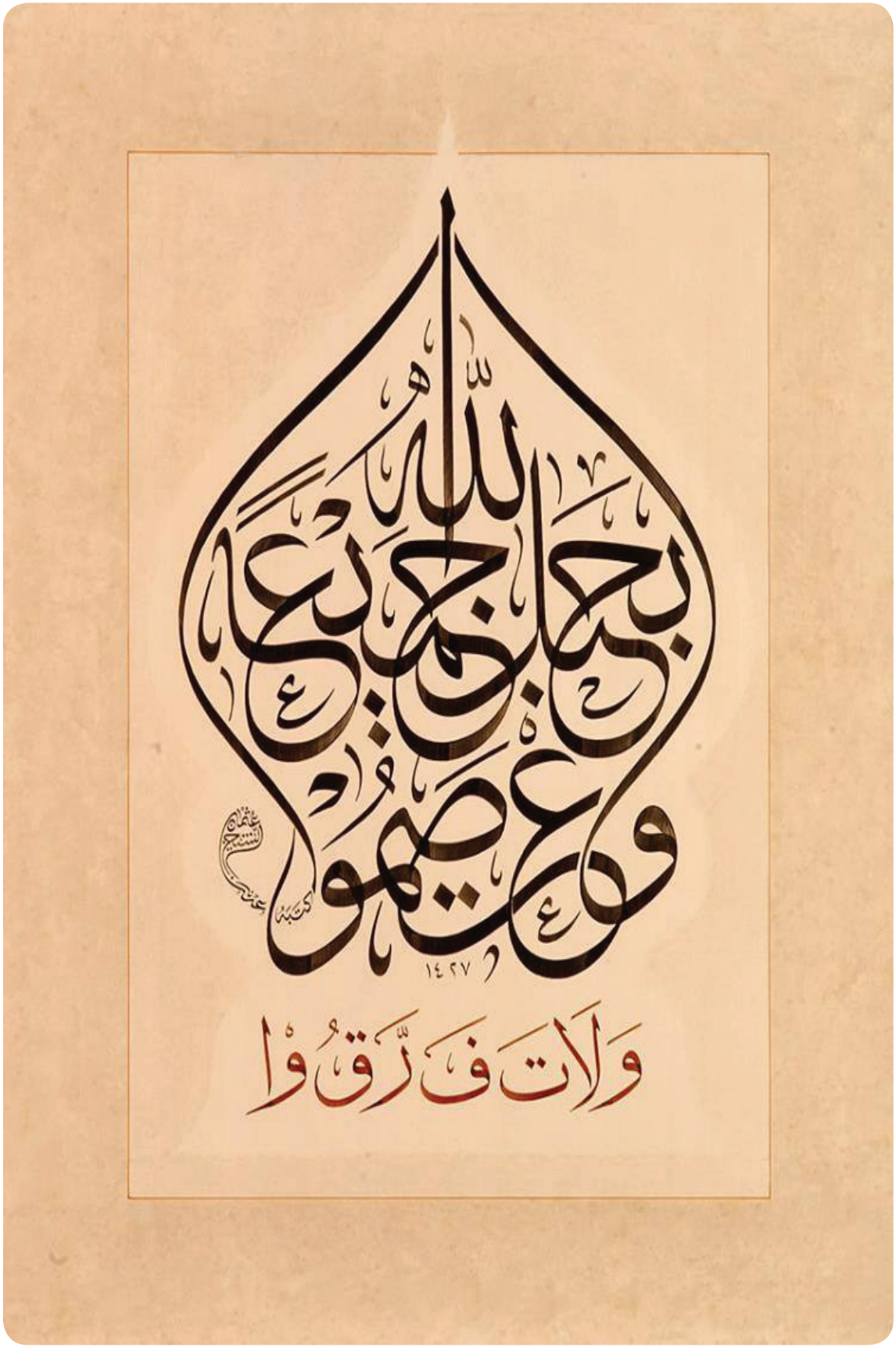

أثر المذهبية في تفسير النص (دراسة فكرية)

أ. د. أنس عصام إسماعيل
جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي

المستخلص:
مرت أمتنا الإسلامية بالكثير من المشاكل السياسية والاجتماعية، وتنوعت الاتجاهات السياسية والفكرية والعقائدية في امتنا الإسلامية، وبما اننا امة الإسلام، فالنصوص المقدسة التي تؤثر في مجتمعنا هي الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة، ومن هنا كانت تلجأ كل الاتجاهات السياسية او الفكرية الى تأييد آرائها بالنصوص المقدسة من الكتاب والسنة، وهذا يجري في كل عصر من العصور وفي كل الأمم السابقة واللاحقة، حيث أنّ عامة الناس تحترم نصوصها المقدسة ولا تجرؤ على مخالفتها، وبما انَّ نصوصنا المقدسة لا يمكن التلاعب بها وتغييرها كما حصل في بعض الأمم السابقة الذين حرَّفوا كتبهم السماوية بما يتلاءم مع اهواء رجال الدين والمتنفذين، حتى وصل الامر بهم ان يخلطوا بين النصوص المقدسة ورجال الدين، حتى صار كلاهما يحمل نفس القدسية، ولقد عملت الجماعات والمذاهب الفكرية، والأحزاب السياسية، على إيجاد ما يؤيدها من النصوص المقدسة عن طريق تفسير تلك النصوص بما يلائم ما ذهبت إليه من آراء، ومن هنا بدأ خط الانحراف في تفسير النصوص المقدسة، وهذا ليس من الجهل بلغة العرب وإنما من اجل لي اعناق النصوص لتلائم آراءهم، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا البحث من خلال دراسة نشوء المذهبية وأنواعها ودوافعها، وآثارها السلبية والايجابية في الفكر الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: أثر، تفسير، مذهبية، نص مقدس.

Abstract:
Our Islamic nation has faced numerous political and social problems, and there has been a diversity of political, intellectual, and religious ideologies within our Islamic community. As the nation of Islam, our sacred texts that influence our society are the Quranic verses and the noble Prophetic traditions. Hence, all political and intellectual trends resort to supporting their opinions with sacred texts from the Quran and the Sunnah. This has been the case in every era and among all previous and subsequent nations, as the general populace respects these sacred texts and dare not oppose them.
Since our sacred texts cannot be manipulated or altered like what happened in some previous nations, who distorted their heavenly books to suit the whims of religious figures and those in power, they even reached a point where they mixed the sacred texts with religious figures, both carrying the same sanctity. Various ideological groups, intellectual schools, and political parties have worked on finding textual support for their beliefs by interpreting those texts to align with their opinions. This is where the deviation in interpreting the sacred texts began, not due to ignorance of the Arabic language, but rather due to distorting the texts to conform to their opinions. This is what we will attempt to clarify in this research by studying the emergence of sectarianism, its types, motives, and its negative and positive effects on Islamic thought.

Keywords: Impact, interpretation, sectarianism, sacred text

أثر المذهبية في تفسير النص (دراسة فكرية)

المقدمة:

لا شك ان التطور العلمي والثقافي الذي مرت به أمتنا الإسلامية لهُ نتائج كبيرة، ومن نتائجهِ ظهور المدارس الكلامية والمذاهب الفقهية، والاتجاهات الفلسفية، زيادة على كتب العلوم المادية كالطب والجبر وغيرها من العلوم، وكان على أصحاب الاتجاهات الفكرية اوالكلامية او الفقهية او الفلسفية او الصوفية، ان يؤيدوا ما ذهبوا إليه بآيات قرآنية او احاديث نبوية، حيث انهما يعدان المصدران المعصومان اللذان لا يأتيهما الباطل من بين ايديهما او من خلفهما، ومن هنا لجأت هذهِ المدارس والاتجاهات لتأييد آرائها عن طريق التقريب بين ما ذهبت إليه وبين المصدرين المعصومين، ولهم في ذلك وسائل عدّة، منها ما هو مقبول شرعاً ومنها ماشط بعيداً عن ثوابت الدين، لذلك فإننا نجد محاولة لي نصوص الشريعة الثابتة لتتلاءم مع أفكار وآراء هذه المذاهب قد يكون واضحاً جلياً وقد يكون خفياً، ولهم في ذلك مسائل عدّة، منها اللغوية ومنها العقلية ومنها روايات أسباب النزول وهكذا، مما سنجدهُ في طيات هذا البحث.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مبحثين: تسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة، تناولت في المبحث الأول عناصر البحث ومفاهيمه، وفيه مطلبان، تناولت في المطلب الأول منه: مشكلة البحث واهميتهُ وأهدافه، وتناولت في المطلب الثاني: مفهوم المذهبية، والنص، والتفسير، والتعصب، وأما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه نشوء المذهبية وانواعها، وفيه ثلاث مطالب، وقد تناولت في المطلب الأول: نشوء المذهبية، وتناولت في المطلب الثاني، أسباب نشوء المذهبية، وتناولت في المطلب الثالث وسائل نصرة المذهبية، ثم تأتي الخاتمة واهم النتائج والتوصيات، وهذا جهد المقل فما كان منه صواباً فبتوفيق الله وكرمه، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، والحمد لله اولاً وآخراً.

المبحث الأول: عناصر البحث ومفاهيمه.

المطلب الأول: عناصر البحث.

أ– مشكلة البحث: لا يزال المتنفذون من أصحاب الاهواء والمصالح الشخصية او الحزبية او الفكرية يحاولون تأييد آراءهم بالنصوص المقدسة (القرآن والسنة) وأحياناً من اقوال بعض الائمة والقادة السابقين واللاحقين، ليست لحث الناس على السير على خطاهم وإنما لأسباب أخرى وهي تبرير أفعالهم أولاً ولشمول ذواتهم بالقدسية ثانياً، ولتأييد آرائهم ثالثاً، وهنا بات النص المقدس ككنز ثمين وقع بيد أصحاب الاهواء وكل منهم يريد ان يوجه النص باتجاه معين، حتى نكاد نجد نفس النص أحياناً لكنهُ يفسر بتفسيرات متناقضة، وهذا من الظلم للنصوص المقدسة، فهي جاءت لهداية البشرية، وليست لخدمة أصحاب الاهواء.

ب– أهمية البحث: تأتي أهمية البحث كونهُ يبحث في النصوص المقدسة محاولاً تخليصها بما علق بها من تجاذب الأطراف المتناقضة، فأحياناً يكون النص المقدس مخلطاً بما حولهُ من تفسيرات بحيث يصعب على المخاطبين بهِ التفريق بينه وبين تفاسيرهِ.

ج – أهداف البحث: هذا البحث هو محاولة لفصل النص المقدس عما حولهُ من تفسيرات خاضعة للأهواء والأفكار وإعادة النص الى ضوابط التفسير اللغوية والعلمية، وعدم محاولة لي النصوص لتلائم أفكار وآراء المفسر، وبعبارة أخرى ان ننطلق من النص الى المعنى ولا ننطلق من المعاني المكررة الى النص.

المطلب الثاني: مفاهيم البحث:

أ– المذهبية: مجموعة أفكار ونظريات وعقائد خاصّة بعصر او بمجتمع او بطبقة (١).

والمذهب في الاصطلاح الفقهي: هو اجتهاد إمام من الائمة المعتبرين في معرفة الاحكام، وهذا المعنى هو الذي عرفه المتقدمون من هذه الامة سواء عاشوا في عصر السلف الصالح من الصحابة والتابعين واتباعهم او عاشوا في عصر أئمة الاجتهاد، فمذهب صحابي معين او مذهب اهل بلد او مذهب إمام هو اجتهادهُ في معرفة احكام، فالمذهب اعتباراً لذلك حقيقة معرفية فيما ذهب إليه إمام معتبر، فالمذهب اصطلاحاً يراد بهِ المذهوب إليه من الاحكام العلمية المخصوصة

بمن نسب إليه من أئمة العلوم الإسلامية ثم صار عند الفقهاء حقيقة معرفية فيما ذهب إليه إمام من الائمة من الاحكام الاجتهادية (٢).

ب– النص: ونقصد هنا بالنص: النص الشرعي المتمثل بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفهِ وما صح من حديث الرسول وما نقل إلينا بالتواتر وما اتفقت الأمة على صحتهِ، وبعبارة أخرى هو النصوص القطعية الثبوت، وهذهِ تقسم بطبيعة الحال الى قطعية الدلالة وظنية الدلالة وكلاهما يعدُّ وحياً وليس تراثاً بشرياً.

وكل ما يدور حول النصوص الشرعية القطعية الثبوت من تفسير او احكام متعلقة بها هي اجتهادات بشرية يمكننا مراجعتها وإبداء الرأي حولها بالرد او التعديل او الإضافة لكن بشرط ان يكون ذلك وفق ضوابط التفسير الأساسية اللغوية والمقاصدية والاصولية. وكما هو معلوم فإن عجائب القرآن الكريم واعجازهِ لا ينتهي ففي كل يوم نجد شيئاً جديداً في كتاب الله تعالى، ولو اوقفنا الاجتهاد على ما قدمهُ المتقدمون لفاتنا من عجائبه واعجازهِ الكثير.

ج – التفسير: لغة: الكشف والاظهار، وشرعاً توضيح معنى الآية وشانها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليهِ دلالة ظاهرة، ذكره أبن كمال، وقال الراغب: التفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ، وغريبها وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال: تفسير الرؤيا او تأويلها، وعرف بعضهم التفسير بأنهُ علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز، وقال ابن الجوزي: التفسير اخراج الشيء من معلوم الخفاء الى مقاد التجلي، والتأويل نقل الكلام عن موضعهِ إلى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاهُ ما ترك اللفظ الظاهر، وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر(٣).

والغاية من التفسير بوصفه علماً من العلوم الشرعية هي فهم الأحكام التكليفية وادراكها، فالتفسير سواء كان بالأثر او بالرأي، وسواءً كان على منهج اللغويين او الفقهاء او غير ذلك تظل غايته الأولى بيان مراد الله تعالى في خطابهِ للمكلفين، فعلم التفسير ما وجد في البيئة الإسلامية على عهد الصدر الأول من السلف الصالح ثم أئمة اهل السنة من بعدهم الا لأجل ان يستفاد منه في بيان الاحكام، فموضوعهُ (كلام الله العزيز من حيث انهُ يدل على المراد) وغايتهُ بيان معاني الفاظهُ مفردة وجملة مجتمعة، ودلالة هذهِ الالفاظ والجمل على المعاني(٤).

د– التعصب: اخذت كلمه التعصب من المعصية، وهي ان يدعو الرجل الى نصرة عصبية، والوقوف معها على ما يناوئها، ظالمة كانت او مظلومة، ومن معانيها ايضاً – أي التعصب والعصبية – المحاماة والمدافعة والنصرة (٥).

إن علماء المسلمين استعلموا كلمة التعصب للمدح والذم معاً، وتُفهم حسب سياقها في الكلام، فقال بعض علماء الجرح والتعديل: (إن القاضي أبا الحسن محمد الرازي الشافعي – ت ٣٣٨هـ – كان متعصباً للسنة ناصراً لأهلها) (٦)، وقال بعضهم في الحافظ الرحالة عمر بن علي الليثي البخاري – ت٤٦٨هـ :– (أنه كان مدلساً متعصباً لأهل الباطل)(٧).

وعندما سئل المحدث أبو بكر بن عياش (ت ١٩٣هـ) من السني؟ قال: (الذي إذا ذكرت الاهواء لم يتعصب إليها)(٨) بمعنى أنهُ لا يميل إليها ولا ينصرها ولا يؤيدها.

في حين ان روح الانصاف والبعد عن التعصب قد شاع في كثير من فتاوي وكتابات الائمة العلماء المجتهدين، ونحن نحسب ان كل من حاز هذهِ الدرجة العالية من العلم والفقه في الدين فلا بد لهُ من ان يتحرر من رقبة التعصب الذي هو توأم التقليد كما ذكرنا ومن هؤلاء العلماء الشاطبي الذي خالف المالكية في العديد من المسائل، وابن تيمية الذي خالف الحنابلة، بل الائمة الأربعة معاً أداه إليه اجتهادهُ، وأبو المعالي الجويني الشافعي، ولكنهُ كان هو الرأي والضمير وأمثالهم كثير(٩).

المبحث الثاني: نشأة المذهبية وأنواعها ووسائلها:

تمهيد:

إن الوحي الإلهي القاطع بشقيه، النصوص القاطعة الدلالة والظنية الدلالة في الكتاب والسنة ليس تراثاً بشرياً، وإنما التراث البشري الإسلامي يشمل التفاسير والتأويلات التي افرزهما العقل المسلم في إطار ضوابط فهم النصوص الإلهية سواءاً كان

أثر المذهبية في تفسير النص (دراسة فكرية)

حول النصوص ذاتها ام كان حول الاحكام المستنبطة منها في المعارف العامة المتنوعة، أي ان الاجتهاد المنضبط الذي يصدر عن المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والمفكرين وغيرهم تراث بشري، يمكن ان يراجع حسب تغيير الظروف والاحوال في كل عصر.

ولا شك أن مراجعة العلماء في كل علم تخصصوا فيه ليس معناها ترك ما دون فيه وإلغاؤه، بل تجديدهُ وتقويمهُ، وتمييز الحق فيه من الباطل، والصحيح فيه من السقيم، بل الزيادة عليهِ بالرجوع الى نصوص الوحي وقراءتها قراءة واقعية في ضوء ما يمكن ان يظهر من الحقائق والمعلومات الجديدة وابعاد بعض ماقيل فيها قديماً.

واليوم عندما ندرس تلك التفاسير المتنوعة نجد ان أصحابها منهم من اعتمدوا إلى أصول وقواعد المعرفة الإسلامية الحقَّة، ومنهم من حرفوا المعاني واهملوا الضوابط، ومنهم من الغوا النصوص المقدسة في الكتاب والسنة بالقضاء عليها من التأويل الباطني الصرف.

وإذا رجعنا الى التفاسير الفقهية، وجدنا الخلاف اجتهاداً والخطب متواضعاً بمقارنتهِ بتفاسير متكلمي الفرق واهل الاهواء، بلغة التفاسير الباطنية المنحرفة، لأن الفقهاء حاولوا ان يؤلفوا تفاسير فقهية خاصة لتأييد مذهبهم وتكثير استدلالات واستشهادات أئمتهم في ترجيح مذاهبهم دون مقارنة استدلالاتهم باستدلالات فقهاء المذاهب الأخرى، بحيث تتحول تلك التفاسير الى تفاسير مقارنة بعيدة عن التعسف في توجيه الآيات الى تأييد المذهب المعين.

ومن الحق أيضاً ان التفاسير الفقهية خدمت المذاهب الفقهية واجتهاداتها خدمة كبيرة، ولم تنل من وحدة الامة التشريعية كما نالت التفاسير السياسية والكلامية منها(١٠).

المطلب الأول: نشأة المذهبية.

إن الاختلاف في وجهات النظر، وتقدير الأشياء والحكم عليها امر فطري طبيعي ولهُ علاقة بالظروف الفردية الى حدٍ كبير، إذ يستحيل بناء الحياة، وقيام شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ذوي القدرات المتساوية والنمطية والمتطابقة، إذ لا مجال – عندئذٍ – للتفاعل والاكتساب والعطاء، ذلك انه من طبيعة الاعمال الذهنية والعملية اقتضاء مهارات وقدرات متفاوتة ومتباينة، وكأن حكمة الله تعالى – اقتضت ان بين الناس بفروقهم الفردية – سواءاً أكانت خلقية ام مكتسبة – وبين الاعمال في الحياة قواعد والتقاء، وكل ميسر لما خلق، وعلى ذلك فالناس مختلفون والمؤمنون درجات، فمنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات(١١). قال تعالى:((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ))(١٢).

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم لحكم عظيمة وغايات جليلة، منها تقويم سلوك الانسان في حياتهِ وبيان حكم الله في مختلف الأمور، وهو ما تكفلت به آيات الاحكام، غير ان دلالة النصوص القرآنية على الاحكام لا تبدوا واضحة في غالب الأحوال، كما انها لا تدل بشكل قطعي عليها في بعض الأحوال، والسنة النبوية المبينة لآيات القرآن ليست بدورها على درجة واحدة من الصحة والثبوت، لذلك كلّهُ كان لابد من اعمال النظر والاجتهاد وسلوك طريق الاستنباط والتفقهُ.

كما ان اختلاف فقهاء الصحابة كان اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، وكان يجري في حدود ضوابط اللغة والقرآن والسنة ومقاصدهما، وكيفية تنزيل الواجب الشرعي على الواقع البشري، واختلافات التنوع تلك وتنوير القرآن الكريم على ما طلب منهم النبي(صلى الله عليه وآله). هي التي اسست فيما بعد لظهور المذاهب الاجتهادية الفقهية الخصبة التي كانت خيراً ورحمة على الامة الإسلامية عبد العصور(١٣).

إن الصحابة في نظرهم لآيات الاحكام كانوا يتفقون احياناً على الحكم المستنبط، وأحياناً يختلفون في فهم الآية فتختلف احكامهم في المسألة التي يبحثون عن حكمها، فما اختلف فيه الشيخان – أبو بكر وعمر في سبي اهل الردة، فقد كان أبو بكر يرى سبي نساء المرتدين على عكس ما يراهُ عمر الذي نقض – في خلافته – حكم ابي بكر في هذهِ المسألة ، وردهن الى اهليهن حرائر الا من ولدت لسيدها منهن، ومن جملتهن كانت خولة بنت جعفر الحنفية ام محمد بن علي

أثر المذهبية في تفسير النص (دراسة فكرية)

رضي الله عنهما. كما اختلفا في قسمة الأراضي المفتوحة، فكان أبو بكر يرى قسمتها وكان عمر يرى وقفها ولم يقسمها. وكذلك اختلفا في المفاضلة في العطاء، فكان أبو بكر يرى التسوية في الاعطيات في حين كان يرى عمر المفاضلة وقد فاضل بين المسلمين في اعطياتهم كما كان بينهما اختلاف في كثير من مسائل الفقه، ولكن الخلاف ما زاد كلا منهما في أخيه الا حباً فأبو بكر حين استخلف عمر قال لهُ بعض المسلمين: (ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى من غلظته؟ قال: أقول: اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك. وحيث قال أحدهم:(أنت خير من أبي بكر، أجهش بالبكاء وقال: والله لليلةٌ من أبي بكر خير من عمر ، وآل عمر.

تلك نماذج من الاختلافات بين السي؟؟؟؟: اختلفت الآراء وما اختلفت القلوب، لأن نياتها شدت بأسباب السماء فما عاد لتراب الأرض عليها من سلطان(١٤).

ولعل من اخطر ما أصيبت بهِ الامة الإسلامية من امراض هو داء (الاختلاف)أو(المخالفة)، ذلك الداء المستفحل المستشري الذي شمل كل حقل وكل مصر وكل مجتمع، وضم في دائرتهِ البغيضة النكرة الفكر والعقيدة والتصور، والرأي والذوق والتصرف والسلوك والخلق والنمط الحياتي وطرائق التعامل وأساليب الكلام والآمال والاهداف والغايات البعيدة والقريبة، حتى خيم شبحهُ الأسود على نفوس الناس فتلبد الجو بغيوم أوهام أمطرت وابلها على القلوب الجدبة، فانبتت لفيفاً من الاقوام المصارعة المتدابرة، وكأن كل ما لدى هذه الامة من أوامر ونواه وتعاليم يحثها على الاختلاف ويرغب بالتدابر والتناصر(١٥) بينما كان سلفنا الصالح يكره الخلاف، فهذا ابن مسعود يقول: (الخلاف شر)(١٦)، قال تعالى: ((وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ))(١٧)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إنما هلكت بنو إسرائيل بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم) (١٨).

نشأة الفرق الإسلامية:

جرى التفسير منذ زمن النبوة الى زمن اتباع التابعين على طريقة تكاد تكون واحدة، فخلف كل عصر يحمل التفسير عن سلفهِ بطريق الرواية والسماع، وفي كل عصر من هذهِ العصور، تتجدد نظريات تفسيرية، لم يكن لها وجود قبل ذلك، وهذا راجع الى ان الناس كلما بعدوا عن عصر النبوة ازدادت نواحي الغموض في التفسير، فكان لا بدَّ للتفسير من ان يتضخم كلما مرت عليهِ السنون. ولم يكن هذا التضخم الا محاورات عقلية، ونظرات اجتهادية قام بها افراد ممن لهم عناية بهذهِ الناحية، غير ان هذهِ الناحية العقلية في التفسير لم تخرج عن قانون اللغة، ولم تتخط حدود الشريعة، بل ظلت محتفظة بصيغتها العقلية والدينية، فلم تتجاوز دائرة الرأي المحمود الى دائرة الرأي المذموم الذي لا يتفق وقواعد الشرع.

وظل الامر على ذلك الى ان قامت الفرق المختلفة، وظهرت المذاهب الدينية المتنوعة، ووجد من العلماء من يحاول نصرة مذهبهِ والدفاع عن عقيدته بكل وسيلة وحيلة، وكان القرآن هو هدفهم الأول الذي يقصدون إليه جميعاً، الكل يبحث في القرآن ليجد فيه ما يقوي رأيه ويؤيد مذهبه، وكل واجد ما يبحث عنه ولو بطريق اخضاع الآيات القرآنية لمذهبهِ، والميل بها مع رأيه وهواه وتأويل ما يصادفُه منها تأويلاً يجعلها غير منافية لمذهبهِ ولا متعارضة معهُ، ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الراي المحمود الى دائرة الراي المذموم واستفحل الامر الى حد جعل القوم يسعون في حماية عقائدهم، والترويج لمذاهبهم، بما اخرجوه للناس من تفاسير حملوا بها كلام الله على وفق اهوائهم ومقتضى نزعاتهم ونحلهم(١٩). يقول الامام الشوكاني: (وأما القضايا الفقهية التفصيلية فإن اختلاف الفقهاء فيها امر طبيعي نتيجة توسع تفاصيلهِ وزيادة عدد النوازل والتي تحتاج الى استنباط، الاحكام الشرعية كلها، فإن الناس زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا متمذهبين، فكان العلماء يجتهدون لاستنباط الاحكام الشرعية، وغير المجتهدين منهم يسألونهم فيما لا يعرفونه، وكان العوام يقلدونهم بلا تعصب ولا التزام بشخص معين منهم، لذى لم يعرف المسلمون التعصب المذهبي خلال القرون الثلاثة الأولى ، وإن كانت لهُ بدايات منذ القرن الثاني إلا انها لم تكن بشكل تعصب واسع)(٢٠).

وبعد عصر الاجتهاد وجد من أئمة الامة وعلمائها من اقتفى طريقة احد الائمة الاعلام ثم لم يلبث الامر ان تحول الى مذهبية، وسعى بعض هؤلاء العلماء من اجل استخراج دعامات اجتهاد كل واحد من الائمة الذين صارت آراؤهم

أثر المذهبية في تفسير النص (دراسة فكرية)

واجتهاداتهم وطريقتهم في الاستنباط تقلد، وبحكم اختلاف طرق الاستنباط وجد خلاف بين أئمة الاجتهاد في الفروع، وهذا الخلاف يمكن فهمهُ وادراك علته إذا رجعنا الى أسباب اختلاف الفقهاء، كما هي مسطرة في كتب أصول الفقه، وقد تطور الاختلاف في الفروع – بعد عصر الائمة – الى تقليد ثم مذهبية تستند الى ضوابط الاجتهاد التي وضعها علماء المذهب ليصل الامر في الأخير الى تعصب لرأي واجتهاد الامام او احد تلامذته او احد المقلدين لمذهبه في عصر من العصور(٢١).

ثم اتجهت طائفة من الفقهاء والعلماء الى تقليد ائمتهم تقليداً يقوم احياناً على التعصب المذهبي، وكان لهؤلاء اثراً ظاهراً في التفسير الفقهي حيث كانوا ينظرون الى الآيات من خلال مذاهبهم فينزلونها عليها وفق ما ينقدح في اذهانهم وقد عمد تلاميذ كل إمام من الأئمة المجتهدين الى استخراج وجمع منهج إمامهم في الاجتهاد وذلك من اجل تطبيقهِ على النوازل التي تعرض لهم.

ثم قد تنقلب الآراء الاجتهادية والمدارس الفقهية التي محلها اهل النظر واجتهاد على ايدي المقلدين العوام والاتباع الطغام الى ضرب من التحزب الفكري والتعصب السياسي تؤول الآيات والأحاديث وقفاً لنهجها وتلوى اعناقها فتصبح كل آية او حديث لا يوافق هذا اللون من التحزب الفكري إما مؤولة او منسوخة، وقد يشتد التعصب فتعود مقولة الجاهلية (كذاب ربيعة أفضل من صادق مضر)(٢٢).

ومن ذلك (إن الفقيه الحنفي مسعر بن كدام (ت١٥٥هـ) كان فيه غلو في تعظيمه للإمام أبي حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) فكان يقول: "جعلت أبا حنيفة حجة بيني وبين الله تبارك وتعالى)(٢٣).

في حين لم يكن أحد من أئمة المذاهب كأبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) ومالك (ت ١٧٩هـ) والشافعي (ت ٢٠٤هـ) واحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) يظن انه سوف يكون صاحب مذهب فقهي متبع، يدور حولهُ النقاش وتؤلف فيه المصنفات الطوال والشروح المستفيضة، فقد كان هم كل إمام منهم ان يستنبط الاحكام ويبرزها للناس دون ادنى تعب او جدال، ولذلك قال مالك بن أنس: (اجتمعت مع ابي حنيفة وجلسنا اوقاتاً وكلمتهُ في مسائل كثيرة، فما رأيتُ رجلاً أفقه منهُ ولا اغوص في معنى او حجة) (٢٤)، وقال الشافعي: (إذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد أمنُّ عليَّ من مالك بن أنس)(٢٥).

وخلاصة القول: لقد ارتبط تفسير القرآن الكريم بتطور الفقه ارتباطاً كاملاً، فالقرآن هو المصدر الأول للأحكام، والسنة شارحة لهُ ومبينة، وقد كان تفسير الصدر الأول من الائمة منصباً على ما تعلق بهِ عمل: أي آيات الاحكام بالدرجة الأولى، فلما جاء عصر أئمة الاجتهاد ساروا على نهج سلفهم، وفسروا آيات الاحكام، وضمنوا تفاسيرهم اجتهاداتهم وآراءهم في الفروع. وبعد عصر الائمة بدأت البوادر الأولى للالتزام المذهبي تبرز، ثم ما لبثت الظاهرة ان انتقلت الى كتب التفسير تستوي في ذلك كتب التفسير الفقهي التي اهتمت بآيات الاحكام فحسب، وكتب التفسير التي تتبعت آيات القرآن عامة حسبما يقتضيه الأسلوب التحليلي(٢٧).

المطلب الثاني: أسباب نشأة المذهبية.

إن الاختلاف في تفسير النص هو طبيعة بشرية، لها أسباب جبلية فطرية وأخرى اكتسابية فأما الجبلية فهي اختلاف قدرات البشر وتباينهم في درجة الفهم وطاقة الاستيعاب للنص المقروء، وأما الأسباب الاكتسابية فلها صور كثيرة منها الزمان والمكان الذي يوجد فيه القارئ فإن لها تأثيراً مباشراً في فهمهِ للنص المقروء، ومن أبرز تلك العوامل التي تسهم في اختلاف الناس في فهم النص المقروء: الخلفيات الفكرية للقارئ حيث يحاول كل قارئ ان يفسر النص ويفهمهُ في ضوء انتمائهِ الفكري والمذهبي(٢٧)، وليس من الخطأ ان أقول ان الاختلافات او الصراعات التي حدثت في تاريخنا الإسلامي، في كثير من جوانبها نتجت عن التفسير الخاطئ او المنحرف لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، سواءً في النواحي العقيدية ام الفلسفية ام الفكرية ام الفقهية وغيرها مما سجلهُ التاريخ، إذ أن كل جماعة او طائفة او مذهب أرادوا اخضاع تلك النصوص المقدسة لمصحتها او مفرداتها، فعلت ذلك حتى تجمع حول نفسها أكبر عدد من الناس تمهيداً

للسيطرة على الحكم او على الساحة الفكرية او الاجتماعية(٢٨).

وتعود بدايات التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات السياسية والفكرية – الأصولية والفقهية – التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مما أدى الى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار واصول كانت تحملها، ثم تعصبت لها وسعت جاهدة الى نشرها والانتصار لها على ارض الواقع، فدخلت في نزاع مذهبي شديد فيما بينها، على مستوى المشاعر والأفكار والاقوال والافعال، ومن نتائج الخلافات السياسية انقسمت الامة على نفسها بسبب الفتنة الكبرى بين سنتي ٣٥–٤١هـ فظهرت الفرق السياسية مثل الشيعة والخوارج والسنة ثمَّ تنظمت وتسيست وتمذهبت وتعصبت لأفكارها وخاضت من اجلها الصعاب والشدائد والحروب(٢٩).

ومن أسباب ظهور المذهبية دخول الناس من الديانات الأخرى الى الإسلام ونقاشاتهم مع المسلمين والتي أدت الى فتح باب المناقشات في عقائد المسلمين فقد حدثت خلافات كثيرة بين مختلف طوائف اهل العلم، منذ نهاية القرن الأول الهجري وما بعدهُ، فظهرت الفرق الإسلامية ثم تعصبت(٣٠)، وكذلك من أسباب ظهور المذهبية ان هناك من يقرأون القرآن ثم لا يتعمقون في فهم معانيه ولا يغوصون وراء المعاني الدقيقة ولا يكلفون انفسهم عناء البحث عن اهداف القرآن واسراره، بل يقفون عند حرفية الفاظه وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية، وربما كانت الآية لا تنطبق على ما يقصدون إليه، ولا تتصل بالموضوع الذي يستدلون بها عليه، لأنهم فهموا ظاهراً معطلاً، وأخذوا بفهم غير مراد ، كما فعل الخوارج في تفسير بعض آيات القرآن (٣١)، وقد يكون التعصب ناتجاً عن منهجية كل مدرسة من مدارس الفقه، كما حصل بين مدرستي أصحاب الحديث وأهل الرأي، فالأولى اكثرت من استخدام الأثر من الاحاديث النبوية والاقوال السلفية، ومن رجالها الأئمة: مالك والشافعي وسفيان الثوري واحمد بن حنبل، والثانية اكثرت من استعمال الاجتهاد القائم على الراي والقياس، ومن رجالها: الامام أبو حنيفة وكبار أصحابه كمحمد بن الحسن وابي يوسف يعقوب، فأوجد هذا الاختلاف نزاعاً مذهبياً بين المدرستين، نتج عنهُ تعصب مذهبي بين الطائفتين ظهرت بوادره الأولى منذ القرن الثاني الهجري وما بعدهُ(٣٢).

ومما سبق يتبين لنا أهم أسباب اختلاف المفسرين في تفسير النص القرآني ومنها:

١– مذهب المفسر الفقهي: حيث يحاول المفسر أن ينصر المذهب الفقهي الذي ينتسب إليه، والاستدلال لهُ من خلال آيات القرآن ليضفي عليه صفة القوة والرجاحة، فيستدل المالكي على مذهبه بالقرآن الكريم، وهكذا الحنفي والشافعي وغيرهم.

٢– مذهب المفسر العقائدي: فيحاول المفسر الاستدلال على معتقداته من خلال الآيات القرآنية ليبرهن على صحتها وضلال من خالفها.

٣– عصر المفسر: فقد تستجد مسائل تطرأ على المجتمع في زمن المفسر فيسعى لبيان الحكم الشرعي فيها من خلال النظر في آيات الاحكام، ثم يأتي مفسر بعدهُ ليستنبط حكماً آخر من نفس الآيات او من غيرها.

٤– سبب النزول: وهذهِ قد تكون من أسباب الخلاف من جهة ثبوت السبب من عدمهِ، حيث يصحح مفسر سبب نزول آية من آيات الاحكام فيفسر الآية بمقتضاه ويستنبط الحكم المناسب معهُ وفي المقابل يختلف معهُ غيرهُ فيفسر الآية بوجه آخر حسب اجتهاده.

٥– اختلاف القراءات: حيث الاختلاف في وجه قراءة الآية يترتب عليهِ احياناً اختلاف في المعنى، ومنهُ يختلف المفسرون في الاخذ بدلالة الآية.

٦– قرينة السياق: فكل آية في كتاب الله تعالى – لها سباق وسياق ولحاق، وهذا ما يجعل المفسر يراعي هذه الأمور الثلاثة ليصل الى المعنى الصحيح في الآية، وقد يتفق المفسرون على معناها وقد يختلفون بناءاً على إعمالهم لوجه من أوجه السباق او السياق او اللحاق.

٧– احتمال العموم والخصوص: وهذا من سخاء اللغة العربية ففي الكلمة الواحدة يدخل عدد غير محصور من الافراد

أثر المذهبية في تفسير النص (دراسة فكرية)

فيرى مفسر إبقاء العام على عمومهِ ويرى آخر انه مخصص بمخصص فيظهر الخلاف.

٨– الحقيقة والمجاز: وقد يختلف المفسرون فبعضهم يرى ترك الآية على الحقيقة وبعضهم يرى نقلها الى المعنى المجازي.

٩– الاختلاف في الأعراب: فيعرب أحد المفسرين الجملة بوجه لها معنى يختلف عن اعراب مفسراً آخر فيختلف عندهُ المعنى.

١٠– الاختلاف في صحة الرواية: فقد يقوي مفسر رواية ويضعفها آخر.

المطلب الثالث: وسائل نصرة المذهبية:

وسنتناول هذهِ الوسائل على أساس الفرقة والمذهب كلا على حدة حيث كان بعضهم يغالي في تقوية مبادئ مذهبه ولو كان على حساب النص او المبدأ ومنهم من كان ينصرُ مذهبه واعتقادهُ دون ان يمس الحقائق المقررة شرعاً.

أ– الخوارج: لقد؟؟ فرق الخوارج وتعددت مذاهبهم وآراؤهم فكان طبيعياً – وهم ينتسبون الى الإسلام ، ويعترفون بالقرآن، بل يعتقدون بأنهم هم من يدافع عن الإسلام – ان تبحث كل فرقة منهم عن أسس من القرآن الكريم، تبنى عليها مبادئها وتعاليمها، وأن تنظر الى القرآن من خلال عقيدتها، فما رأتهُ في جانبها – ولو ادعاء– تمسكت بهِ ، واعتمدت عليهِ، وما رأتهُ في غير صالحها حاولت التخلص منهُ بصرفهِ وتأويلهِ، بحيث لا يتبقى متعارضاً مع آرائها وتعاليمها، والذي يقرأ تاريخ الخوارج ويقرأ مالهم من أفكار تفسيرية، يرى ان المذهب قد سيطر على عقولهم وتحكم فيها، اصبحوا لا ينظرون الى القرآن الا على ضوئهِ، ولا يدركون شيئاً من معانيه الا تحت تأثير سلطانهِ، لا يأخذون منهُ (إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها)(٣٣).

وأما موقفهم من السنة واجماع الأمة واثر ذلك في تفسيرهم للقرآن، فقد كانوا جاحدين عند ظاهر النصوص القرآنية حيث لم يلتفتوا الى ما جاء من الاحاديث النبوية ناسخاً لبعض آيات الكتاب، او مخصصاً لبعض عموماتهِ، أو زائداً على بعض احكامِه، ويظهر ان هذا المبدأ قد تملك قلوب الخوارج، وتسلط على عقولهم، فنتج عنهُ ان وضع بعضهم على رسول الله هذا الحديث وهو: ((انكم ستختلفون من بعدي فما جاءهم عني فاعرضوه على كتاب الله، وما خالفهُ فليس عني)) فقد قال عبد الرحمن المهدي: (الزنادقة والخوارج وضعوا حديث – ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله...))(٣٤).

كما كان من أثر هذا الجحود عند ظواهر القرآن أيضاً، أنهم لم يلتفتوا إلى اجماع الامة، ولم يقدروهُ عند فهمهم لنصوص القرآن مع إن الاجماع في الحقيقة يستند إلى أصل من الكتاب او السنة وليس امراً مبتدعاً في الدين او خارجاً عن قواعدهِ(٣٥).

ب– المعتزلة: كان من الضروري لفرقة المعتزلة في سبيل مكافحة خصومها ان تقيم مذهبها وتدعم تعاليمها على أسس دينية من القرآن وكان لا بد لها أيضاً ان ترد الحجج القرآنية لهؤلاء الخصوم وتضعف من قوتها، وسبيل ذلك كله هو النظر الى القرآن اوً من خلال عقيدتهم، ثم اخضاعهم عبارات القرآن لآرائهم التي يقولون بها وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع فحلتهم وعقيدتهم.

ولا شك ان مثل هذا التفسير الذي يخضع للعقيدة، يحتاج الى مهارة كبيرة، واعتماد على العقل أكثر من الاعتماد على النقل حتى يستطيع المفسر الذي هذا حالهُ، ان يلوي العبارة الى جانبه، ويصرف ما يعارضهُ عن معارضتهِ لهُ وتصادمه معه.

والذي يقرأ تفسير المعتزلة، تجد انهم بنوا تفسيرهم على أسسهم من التنزيه المطلق والعدل و؟؟؟ الإرادة، وفعل الاصلح ونحو ذلك، ووضعوا اسساً للآيات التي ظاهرها التعارض فحكموا العقل ليكونَ الفيصل بين المتشابهات وقد كان من قبلهم يكتفون بمجرد النقل عن الصحابة او التابعين فإذا جاءوا الى المتشابهات سكتوا وفوضوا العلم لله(٣٦).

وكذلك نجد المعتزلة قد حرصوا كل الحرص على الطريقة اللغوية التي تعتبر عندهم المبدأ الأعلى لتفسير القرآن، وهذا المبدأ اللغوي يظهر اثره واضحاً في تفسيرهم للعبارات القرآنية التي لا يليق ظاهرها عندهم بمقام الالوهية، او العبارات التي تحتوي على التشبيه، او العبارات التي تصادم بعض اصولهم، فنارهم يحاولون اولاً ابطال المعنى الذي يرونهُ مشتبهاً في اللفظ القرآني، ثم يثبتون لهذا اللفظ معنى موجوداً في اللغة يزيل هذا الاشتباه ويتفق مع مذهبهم، ويستشهدون على ما يذهبون إليه من المعاني التي يحملون الفاظ القرآن عليها بأدلة من اللغة والشعر العربي القديم، فمثلاً الآيات التي تدل على رؤية الله تعالى

–كقوله تعالى:((وجوهٌ يومئذٍ ناظرة إلى ربها ناضرة))(٣٧)، نجد المعتزلة ينظرون إليها بعين غير التي ينظر بها أهل السنة، ويحاولون بكل ما يستطيعون ان يطبقوا مبدأهم اللغوي، حتى يتخلصوا من الورطة التي اوقعهم فيها ظاهر النص، فإذا بهم يقولون: إن النظر الى الله معناهُ الرجاء والتوقع للنعمة والكرامة واستدلوا على ذلك بان النظر الى الشيء في العربية ليس مختصاً بالرؤية المادية(٣٨).

وكذلك يقول الطبرسي بما يقول به المعتزلة من عد جواز رؤية الله ووقوعها في الآخرة، ولهذا نراهُ يفسر قوله تعالى: ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))(٣٩)بما يتفق ومذهبهُ فيقول:((إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))اختلف فيه على وجهين:

أحدهما: نظرة العين والثاني: الانتظار.

واختلف من حملهُ على نظر العين على قولين:

أحدهما: الى ثواب ربها ناظرة: أي ناظرة الى نعيم الجنة حالاً بعد حال، فيزداد بذلك سروراً.

والثاني: ان النظر بمعنى الرؤية، والمعنى: تنظر الى الله معاينة وهذا لا يجوز، لأن كل منظور إليه بالعين ، مشار إليه بالحدقة واللحاظ، والله يتعالى عن ان يشار إليه بالعين، كما يجل سبحانه عن ان يشار إليه بالأصابع، وأيضاً فإن الرؤية بالحاسة لا تقم الا بالمقابلة والتوجه، والله يتعالى عن ذلك بالاتفاق(٤٠).

وكذلك يفعل الزمخشري فهو ينتصر لمذهبه الاعتزالي، ويؤيدهُ بكل ما يملك من قوة الحجة وسلطان الدليل، وإنا لنلمس هذا التعصب الظاهر في كثير مما أسلفنا من النصوص، وفي غيرها معاً نسوقه من الأمثلة، وهو يحرص كل الحرص على ان يأخذ من الآيات القرآنية ما يشهد لمذهبه(٤١).

وأما مؤلف كتاب "همیان الزاد إلى دار المعاد" فقد حمل كل آيات العفو المغفرة على مذهبه القائل: بأن الكبائِر لا يغفرها الله إلا بالتوبة منها والرجوع عنها، ويحمل على الاشاعرة القائلين بان الله يجوز ان يغفر لصاحب الكبيرة وإن لم يتب، فمثلاً عند تفسيرهِ لقولهِ تعالى: ((وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ)) (٤٢) ، يقول: (ولا دليل في الآية على جواز المغفرة لصاحب الكبيرة الميت بلا توبة منها، كما زعم غيرنا لحديث هلك المصرون))(٤٣).

وكذلك نجدهُ يحاول ان يأخذ من القرآن ما يدل على ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار وليس بخارج منها، فمثلاً عند تفسيرهِ لقوله تعالى: ((بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))(٤٤)،يقول: (سيئة) خصلة قبيحة، وهي الذنب الكبير، سواءاً اكان نفاقاً او اشراكاً ومن الذنوب الكبيرة: الإصرار فإنهُ نفسه كبيرة، سواءاً اكان على الصغيرة او الكبيرة والدليل على ان السيئة الكبيرة: قولهُ: ((فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ)) ويحتمل وجه آخر وهو ان السيئة: الذنب صغيراً او كبيراً، ثم يختص الكلام بالكبيرة بقولة: ((وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ))(٤٥).

جـ – الفلاسفة:

أما الفلاسفة الموفقين بين الدين والفلسفة، كانت لهم طريقتان يسيرون عليها في توفيقهم:

الأولى: فهي طريقة التأويل للنصوص الدينية والحقائق الشرعية، بما يتفق مع الآراء الفلسفية، ومعنى هذا اخضاع تلك النصوص والحقائق الى هذه الآراء حتى تسايرهم وتتماشى معها.

الثانية: فهي شرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بالآراء والنظريات الفلسفية، ومعنى هذا ان تطغى الفلسفة على الدين وتتحكم في نصوصهِ، وهذه الطريقة أخطر من الأولى وأكثر شراً منها على الدين(٤٦) .

ومن هذه الروح التي طغت عليها الفلسفة، ما نجدهُ للفارابي المتوفى ٣٣٩هـ، في كتابه (خصوص الحكم) من تفسيرهِ لبعض الآيات والحقائق التي جاء بها القرآن، تفسيراً فلسفياً بحتاً فمن ذلك انهُ يفسر الأولية والآخرية الواردة في قوله تعالى: (الأول والآخر)(٤٧) تفسيراً أفلاطونياً مبنياً على القول بقدم العالم فيقول: أنهُ (الأول من جهة انهُ منه ويصدر عنهُ كل موجود لغيرهِ، وهو أول من جهة انه بالوجود لغاية قربهِ منه، اول من جهة ان كان زماني ينسب إليه بكون، فقد وجد زمان لم يوجد معهُ ذلك الشيء، ووجد إذ وجد معهُ لا فيه، وهو أول، لأنه إذا اعتبر كل شيء كان فيه أولاً أثره، وثانياً

قبولهُ لا بالزمان) (٤٨).

وأما ابن سينا فهو كمسلم يدين بالقرآن، وفيلسوف محب للفلسفة حريص على سلامة ما فيها من آراء، كان حريصاً كل الحرص على ان يوفق بين الدين والفلسفة، حتى يرضي ناحيته الدينية والفلسفية، وكان طبيعياً – والقرآن هو الدعامة الأولى من دعائم الإسلام – أن يوفق ابن سينا بين نصوص القرآن والنظريات الفلسفية التي تبدوا معارضة لها، وفعلاً قام بهذه العملية التي كانت – والله اعلم – شراً على الدين، وإبطالاً لحقائق القرآن الصريحة الثابتة، وعلى هذا الأساس نظر ابن سينا الى نصوص القرآن كرموز لا يعرف حقيقتها الا الخواص امثالهُ ففسرها تفسيراً حكم فيه ما لديه من نظريات فلسفية، فكان في عملهِ هذا فاشلاً وبعيداً عن حقيقة الدين وروح القرآن الكريم، فقد فسر قولهُ تعالى:((وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)) (٤٩) ففسر العرش بأنه الفلك التاسع الذي هو فلك الافلاك، وفسر الملائكة الثمانية التي تحمل العرش بأنها الافلاك الثمانية التي تحت الفلك التاسع(٥٠).

ومن الشروح الفلسفية للقرآن أيضاً ما نجدهُ في رسائل اخوان الصفا، الذين لا زلنا نجهل الكثير عن تاريخ نشأتهم وتكوينهم، والذين كانوا يمتون بأغلب الظن بصلة الى الباطنية الإسماعيلية، فمن ذلك انهم يشرحون الجنة والنار، بما يفهم منه ان الجنة هي عالم الافلاك، وان النار هي عالم ما تحت فلك القمر، وهو عالم الدنيا، ففي حديثهم عن تجرد النفس واشتياقها الى عالم الافلاك، يقررون انه لا يمكن الصعود الى ما هناك بهذا الجسد الثقيل الكثيف(٥١).

د– الطرق الصوفية:

ويمكننا ان تعبر الأستاذ الأكبر محي الدين بن عربي شيخ هذهِ الطريقة في التفسير، إذ انهُ اظهر من كتب فيها ووضع، واكثر أصحابه معالجة للقرآن على طريقة التصوف النظري، وإن كان لهُ من التفسير الاشاري ما يجعلهُ في عداد المفسرين إن لم يكن شيخهم، فمثلاً يفسر بعض الآيات بما يتفق والنظريات الفلسفية الكونية، فعند قولهِ تعالى: ((وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)) (٥٢). نجدهُ يقول: (واعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الافلاك، وهو فلك الشمس ، وفيه مقام روحانية إدريس عليه السلام، وتحته سبعة افلاك ، وفوقه سبعة افلاك وهو الخامس عشر) (٥٣).

وقد تأثر ابن عربي بنظرية وحدة الوجود في تفسيره للقرآن التي هي اهم النظريات التي بنى عليها تصوفهُ، فنراهُ في كثير من الأحيان يشرح الآيات على وفق هذهِ النظرية، حتى انه ليخرج بالآية عن مدلولها الذي أراده الله تعالى، فمثلاً عندما تعرض لقولهِ تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)) (٥٤). نجده يقول: (اتقوا ربكم) اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم، واجعلوا ما بطن منكم – وهو ربكم – وقاية لكم، فإن الامر ذم حمد، فكونوا وقايته في الذم، واجعلوهُ وقايتكم في الحمد تكونوا ارباء عالمين) (٥٥).

هـ – الفقهاء:

وإن كان دور الفقهاء في نصرةِ مذهبهم اقل ضرراً على الامة الإسلامية لأنهم يبحثون في تفصيلات الحكم الفقهي، واختلافهم لا يصل الى الخروج عن أصول الديانة في الغالب، إلا انهم وقعوا في بعض الأحيان الى تعصب مقيت لا يناسب مقامهم العلمي العالي، فمثلاً نجد الشيخ الكرخي الحنفي يدعي دعوة عريضة لم يسبق إليها وهي تمثل ذروة التمذهب والتعصب فقد وورد في كتاب (أصول الكرخي):(الأصل ان كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ او على الترجيح والأولى ان تحمل على التأويل من جهة التوفيق)(٥٦)، وأما في الاحاديث التي تخالف المذهب فيقول: ((الأصل ان كل خبر يجيء بخلاف قول اصحابنا فإنهُ يحمل على النسخ او على انهُ معارض بمثلهِ ثم صار إلى دليل آخر او ترجيح فيه بما يحتج بهِ احابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق)(٥٧)، وأما الفخر الرازي فكان أكثر انصافاً للعلماء المخالفين، فدق يلجأ في مسائلهِ الى تحرير مذهب المخالف لهُ ثم ينقض حججهُ مقرراً مذهب الشافعي واصحابه محتجاً لهُ، لكن اختيار الرازي لمذهب الشافعي لم يدفعهُ الى النيل من المذاهب الأخرى وأئمتها وفقهائها، وكان ديدنه التأدب مع أئمة الاجتهاد والدعاء لهم عقب ذكرهم، وما كان التزامهُ بالمذهب دافعاً لتعصبه ومخاصمة مخالفيه من المجتهدين والطعن في آرائهم (٥٨).

أثر المذهبية في تفسير النص (دراسة فكرية)

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين،

وبعد: فهذهِ جولة سريعة في بطون كتب تراثنا الإسلامي استخرجنا منها أثر المذهبية في تفسير النصوص (القرآن الكريم والحديث النبوي) وهي دراسة فكرية استكشفنا من خلالها المذهبية ونشأتها وأنواعها والأسباب التي أدت الى ظهور المذهبيات سواءاً منها الفقهية او العقائدية او الفلسفية وكيف كانت تحاول كل منها نصرة مذهبها وزيادة اتباعها، ونحن عند مراجعتنا لهذا الامر مصل الى النتائج التالية:

أ– أن مؤسسي المذاهب الفقهية لم يكونوا على علم ان آراءهم ستتحول فيما بعد الى يد الاتباع الى مذهب يدافعون عنهُ وينصرونه.

ب– إن العلماء السابقين ممن كتبوا في الفقه الإسلامي لو بقوا أحياء الى زمن اتباعهم لرفضوا تعصب الاتباع لهم، بل كان همهم إيجاد الحلول لمشكلات ظهرت في زمانهم.

ج– إن اتباع المذاهب الذين تعصبوا لمذهبهم، كان همهم هو نصرة المذهب لا نصرة الدين، وهذا من أكبر السلبيات التي وقعوا فيها، حيث أنهم يلجؤون احياناً الى لي النصوص من خلال تفسيرها تفسيراً بعيداً عن مقصد النص.

وأما التوصيات فنجملها بما يلي:

أ– ضرورة تنقية كتب التفاسير التي عمد مؤلفوها الى مناصرة المذهب عن طريق تحقيقها وتنقيتها مما شابها في مواضع التعصب المذموم.

ب– إعادة النظر في تدريس مادة الفقه الإسلامي في الجامعات واعتماد منهج الفقه الشامل بدلاً عن الفقه على مذهب واحد.

ت– بالنسبة لمواد علم الكلام والفلسفة الإسلامية من الضروري ان تكون على غرار منهجية الفقه المقارن، حيث يدرس الطالب جميع الآراء دون تمييز أحدها بالقبول او ابداء ادلتهِ بتوسع او ابداء الآراء الأخرى بشكل هامشي.

الهوامش:

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: د. احمد مختار عبد الحميد، ج١، ص٨٢٥، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م، عالم الكتب.

(٢) يُنظر: المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الاحكام قديماً وحديثا، عبد الرزاق بن إسماعيل، ج١، ص٣.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، ص١٠٤، ت. عبد الخالق ثروت، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، عالم الكتب، القاهرة.

(٤) يُنظر: المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الاحكام، عبد الرزاق بن إسماعيل، ج١، ص٨.

(٥) لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، ج١، ص٦٠٧، دار صادر، بيروت.

(٦) سير اعلام النبلاء: الذهبي، ج١٥، ص٣٧٩، ت– بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٧) المصدر نفسه: ج١٨، ص٣١٩.

(٨) اعتقاد اهل السنة: اللاكاني، ج١، ص٦٥.

(٩) يُنظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين، وتفرقهم، طارق عبد الحليم حمد العيدة، ج١، ص٩٥، ط٢، ١٤٠٦–١٩٨٦م، دار الارقم، الكويت.

(١٠) يُنظر: قضايا في الصراح الفكري في المجتمع الإسلامي المعاصر، د. محسن عبد الحميد، ص١١٢–١١٨، ط١، ٢٠١٨م، مكتب التفسير، أربيل.

(١١) يُنظر: أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، ج١، ص١١، ط٥، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، السعودية.

(١٢) هود : ١١٨

(١٣) يُنظر: قضايا في الصراع الفكري في المجتمع الإسلامي المعاصر، د. محسن عبد الحميد، ج١، ص١١١، ط١، ٢٠١٨م، مكتب التفسير، أربيل.

(١٤) يُنظر: أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، ج١، ص٦٠.

(١٥) يُنظر: أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، ج١، ص٨.

(١٦) تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة، ص٢٢، والعواصم من القواصم، ص٧٨.
(١٧) البقرة: ٢٥٣
(١٨) تخريج الحديث
(١٩) يُنظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج١، ص٢٥٨، مكتبة وهبة، القاهرة.
(٢٠) البدر الطالع: ج١، ص٩٠، دار المعرفة، بيروت.
(٢١) يُنظر: المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الاحكام، عبد الرزاق بن إسماعيل بن هوماس، ج١، ص١٨.
(٢٢) يُنظر: أدب الاختلاف في الإسلام، ج١، ص١٣.
(٢٣) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، منير محمد فاقة، ج١، ص٥٦٣، كراتشي.
(٢٤) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (المتوفى : ٧٣٠هـ)، ج١، ص٢٩، ت عبد الله محمود محمد عمر، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، دار الكتب العلمية –بيروت.
(٢٥) الرَّوضُ البَاسِمْ في الذَّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله) (وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعاني)، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ) ج٢، ص٣٤٢، تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
(٢٦) يُنظر: المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الأحكام، عبد الرزاق بن إسماعيل بن هرماس، ج١، ص٥.
(٢٧) يُنظر: الخلفيات المذهبية الفقهية وأثرها في فهم النص القرآني، دراسة تأهيلية تطبيقية، د. هشام شوقي، ج١، ص١٧٤، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسطنطينة.
(٢٨) قضايا في الصراع الفكري في المجتمع الإسلامي المعاصر، ج١، ص١١٠.
(٢٩) يُنظر: التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي – خلال العصر الإسلامي – مظاهرهُ وآثاره أسبابه وعلاجه، د. خالد كبير علال، ج١، ص٢٧، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، دار المحتسب.
(٣٠) يُنظر: الفَرْق بين الفِرَق، عبد القاهر البغدادي، ج١، ص١٤، ت. محي الدين عبد الحميد، ١٩٩٥م، المكتبة العصرية، بيروت.
(٣١) يُنظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ج٢، ص٢٢٩.
(٣٢) يُنظر: المدخل الى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، عمر سليمان الأشقر، ج١، ص١٩، ط٢، ١٩٩٨، دار النفائس، الأردن.
(٣٣) يُنظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج٢، ص٢٢٥.
(٣٤) القول الفصل شيخ الإسلام صبري، ج١، ص٦٤، ٦٥.
(٣٥) يُنظر: التفسير والمفسرون، ج٢، ص٢٣١.
(٣٦) يُنظر: التفسير والمفسرون، ج١، ص٢٦٤.
(٣٧) القيامة: آية ٢٢–٢٣
(٣٨) يُنظر: التفسير والمفسرون: ج١، ص٢٦٧.
(٣٩) القيامة: آية ٢٢–٢٣
(٤٠) الطبرسي: تخرج النص.
(٤١) يُنظر: التفسير والمفسرون، ج١، ص٣٢٢
(٤٢) البقرة: أية ٢٨٤
(٤٣) ج٣، ص٤٤٣، لمؤلفهِ محمد بن يوسف إطفيش.
(٤٤) البقرة: آية ٨١
(٤٥) همیان الزاد: تخريج النص.
(٤٦) يُنظر: التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٠٩.
(٤٧) الحديد: ٣
(٤٨) نصوص الحكم: ص١٧٤، ضمن المجموع من مؤلفات أبي نصر الفارابي.
(٤٩) الحاقة: ١٧
(٥٠) يُنظر: التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣١٤.
(٥١) يُنظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٣١١
(٥٢) مريم: ٥٧
(٥٣) النصوص: ج١، ص٢٦.
(٥٤) النساء: من الآية الأولى.
(٥٥) النصوص: ج١، ص٥٠
(٥٦) رسالة في أصول الكرخي، (تخريج) (ملحق لكتاب تأسيس النظر للديوسي).

(٥٧) المصدر نفسه.
(٥٨) يُنظر: المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الاحكام قديماً وحديثاً. عبد الرزاق بن إسماعيل بن هوماس، ج١، ص١٣.

المصادر والمراجع:

١– أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، ط٥، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، السعودية.
٢– أصول البزدوي: كنز الوصول الى معرفة الأصول، علي بن محمد البزدوي الحنفي، ت٣٨٢، مطبعة جاويد بريس.
٣– شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، ت احمد سعد حمدان، ١٤٠٢هـ، دار طيبة – الرياض.
٤– البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة – بيروت،
٥– تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، ط٢، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م، المكتب الاسلامي، مؤسسة الإشراق.
٦– التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي – خلال العصر الإسلامي – مظاهرهُ وآثاره أسبابه وعلاجه، د. خالد كبير علال، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، دار المحتسب.
٧– التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.
٨– التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، ت، عبد الخالق ثروت، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، عالم الكتب، القاهرة.
٩– الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، منير محمد فاقة، كراتشي.
١٠ – الخلفيات المذهبية الفقهية وأثرها في فهم النص القرآني، دراسة تأهيلية تطبيقية، د. هشام شوقي، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسطنطينة.
١١– الرَّوضُ البَاسِمْ في الذّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبِي القَاسِمِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –(وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعاني)، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ) تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
١٢– السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير: الحافظ جلال الدين السيوطي – العلامة محمد ناصر الدين الألباني، رتَّبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، ط٣، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، دار الصديق – توزيع مؤسسة الريان.
١٣– سير اعلام النبلاء: الذهبي، ت– بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٤– العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، ت محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي، ط٢، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م، دار الجيل بيروت – لبنان.
١٥– الفَرْق بين الفِرَق، عبد القاهر البغدادي، ت، محي الدين عبد الحميد، ١٩٩٥م، المكتبة العصرية، بيروت.
١٦– فصوص الحكم، الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، شرح الشيخ عبد الرزاق القاشاني، ط١، ٢٠١٦م، دار آفاق للنشر والتوزع، القاهرة.
١٧– قضايا في الصراع الفكري في المجتمع الإسلامي المعاصر، د. محسن عبد الحميد، ط١، ٢٠١٨م، مكتب التفسير، أربيل.
١٨– القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون: لشيخ الإسلام مصطفى صبري، ت١٣٧٣هـ، دار الكتب العلمية.
١٩–كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (المتوفى ٧٣٠هـ)، ت عبد الله محمود محمد عمر، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، دار الكتب العلمية –بيروت.
٢٠– لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت.
٢١– مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الطبرسي، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢٢– المدخل الى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، عمر سليمان الأشقر، ط٢، ١٩٩٨، دار النفائس، الأردن.
٢٣– المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الاحكام قديماً وحديثا، عبد الرزاق بن إسماعيل.
٢٤– معجم اللغة العربية المعاصرة، د. احمد مختار عبد الحميد، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م، عالم الكتب.
٢٥– مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، طارق عبد الحليم حمد العيدة، ط٢، ١٤٠٦–١٩٨٦م، دار الارقم، الكويت.
٢٦– هميان الزاد إلى دار المعاد، محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش الوهبي، ١٤٠١هـ– ١٩٨٠م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

أ. د. بثينة جبار زاجي الغزي
الجامعة المستنصرية /كلية التربية
م. م. ضياء شاكر حميد
وزارة التربية/مديرية تربية واسط

الملخص :
تأتي أهمية أماكن العبادة من خلال دورها المباشر في حياة الإنسان والتقرب الى الله سبحانه وتعالى لاسيما وأن العبادة يقصد بها التوحيد في العبادة وهذا ما جاءت به الرسالات السماوية المختومة برسالة الرسول ومحمد (صلى الله عليه وآله). ونظراً لأهمية العبادة في المجتمع الإسلامي فقد بين الرحالة المسلمين لاسيما الرحالة المغاربة والأندلسيين في كتاباتهم معلومات مهمة عن أماكن عبارة المسلمين والتي كان لها التأثير الديني على حياة المجتمع المسلم.
الكلمات المفتاحية : دور، عبادة ، رحالة، اندلسيين

Abstract
The importance of places of worship comes from their direct role in human life and drawing closer to God Almighty, especially since worship means monotheism in worship, and this is what was stated in the heavenly messages sealed with the message of the Messenger and Muhammad (may God bless him, his family, and all his companions). Given the importance of worship in Islamic society, Muslim travelers, especially Moroccan and Andalusian travelers, provided important information in their writings about the places of Muslim worship, which had a religious influence on the life of Muslim society.
Keywords: role, worship, travelers, Andalusians

المقدمة:
تأتي أهمية أماكن العبادة من خلال دورها المباشر في حياة الإنسان والتقرب الى الله سبحانه وتعالى لاسيما وأن العبادة يقصد بها التوحيد في العبادة وهذا ما جاءت به الرسالات السماوية المختومة برسالة الرسول ومحمد (صلى الله عليه وآله).
ونظراً لأهمية العبادة في المجتمع الإسلامي فقد بين الرحالة المسلمين لاسيما الرحالة المغاربة والأندلسيين في كتاباتهم معلومات مهمة عن أماكن عبارة المسلمين والتي كان لها التأثير الديني على حياة المجتمع المسلم.
وبسبب كثرة معلومات الرحالة المغاربة والأندلسيين فقد تم الاعتماد على ثلاثة رحلات فقط وهي :
– رحلة ابن جبير، المسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، لابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي الشاطبي (ت٦١٤هـ/١٣١٧م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ب.ت.
– رحلة العبدري، المسماة الرحلة المغربية، للعبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود (ت٧٠٠هـ/١٣٠٠م)، تحقيق: علي إبراهيم كردي وسعد الدين، ط٢، دار سعد الدين للطباعة، ٢٠٠٥م.
– رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: توم بريمر، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
وأن ازدهار الحضارة العربية الإسلامية والتي كان هدفها هو تشجيع العلوم المتنوعة فقد كان الرحلات بكافة أنواعها. كان لها الأثر المهم في تقديم المعلومات التي تخص دور العبادة للمسلمين.
وبذلك فقد تم تقسيم بحثنا الى مقدمة وثلاثة محاور الأول نضمن المفهوم العام للرحلة ودور العبادة، والثاني، المساجد والكتاتيب والثالث مشاهد الأئمة والعلماء والزهاد، فضلاً عن أهم الاشتنتاجات وقائمة المصادر والمراجع.

المحور الأول : مفهوم الرحلة ودور العبادة
١– الرحلة لغة :

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

أن كلمة الرحلة جاءت من أصل الترحيل والارتحال، يقال: رحل الرجل إذا سار(١)، والرحلةُ بالضم الوجهُ الذي تريده، يقال: أنتم رحلتي أي الذين ارتحل إليهم، والرحلة اسم للارتحال للسير يقال دنت رحلتنا ورحل فلان أي ارتحل وترحل (٢)، ويقال فلان عالم رحلة: يرتحل إليه من الآفاق(٣).

٢– الرحلة اصطلاحاً:

الانتقال من مكان المكان لتحقيق هدف من الأهداف(٤)، أي قطع المسافة بين نقطتين في فترة زمنية محدودة وغرض محدد(٥)، هي ((حركة سفر وانتقال ... تترجم الرغبة في العبور من الهنا الى الهناك)) (٦)، وهي حركة في الطول والعرض والعمق تجوال في جغرافية الأماكن والظواهر الطبيعة والبشرية(٧).

وأن الرحلة هي ذلك اللون من التأليف الذي يجمع بين من خلال موارد متنوعة لاسيما رصد المشاهدات والظواهر بدقة، ومن ذلك يتبين أن الرحلة جاءت بمعنى الانتقال والسير الى مكان يقصده المسافر لغرض معين خاصاً كان أم عاماً في محاولة لإشباع الفضول والرغبة في معرفة المجهور(٨).

٣– الرحلة في القرآن الكريم:

بدأت الرحلة أهميتها منذ ولادة الإنسان على سطح الأرض إلا هي رحلة من رحم الأم الى دنيا البشر(٩).

وقد تضمن القرآن الكريم العديد من الآيات التي أشارت الى بعض الرحلات البرية والبحرية على مر العصور لعل منها رحلة نبي الله نوح (عليه السلام) بعد حادثة الطوفان إذ قال تعالى :(وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ)(١٠).

وأشار القرآن الكريم في رحلة نبي الله موسى (عليه السلام) من باب الإرشاد والوعظ بقوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (١١).

ومن الرحلات في العصر الجاهلي هي رحلة الشتاء والصيف التي أشار إليها القرآن الكريم(لإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ)(١٢)، وكان هدفها تجاري وديني باعتبارها رحلة موسمية في اتجاهين محددين(١٣)، وأن رحلة عدد من المسلمين الى الحبشة هي رحلة بحرية عبر البحر الأحمر وميلهم الى ركوب البحر من أقدم العصور(١٤)، ولم تقتصر الرحلة على رحلة التجار بل كان لشعراء الجاهلية وحكماءهم دوراً بارزاً(١٥)، وكان للرحلة أثراً ثقافياً من خلال الاحتكاك المباشر بالشعوب(١٦).

فضلاً عن أهمية الرحلة في المجالات اقتصادية وعلمية واجتماعية ودينية ولعل أشهرها هجرة نخبة من المسلمين الى الحبشة، وتتويج ذلك بهجرة النبي (صلى الله عليه وآله) الى يثرب والتي تعد من أشهر الرحلات التي عرفتها الإنسانية لأنها غيرت مجرى التاريخ ونشرت دين اعتنقه أمم وأقوام مختلفة(١٧).

٤– أهم أسباب ودوافع الرحلات:

كان للرحالة أهداف ودوافع متعددة ومتنوعة لاسيما بعد أن أصبحت الرحلات من أقوى دعائم وحدة الفكر العربي في العصور الإسلامية الأولى رغم المشقة وصعوبة وسائل الانتقال ومخاطرها البالغة في ذلك الزمان ومن أهمها الدوافع الدينية(١٨).

ومن العوامل التي ساعدت الرحلة هو وصف الأقاليم والعناية بها إذ اعتبرت جزء من أخبار والمغازي(١٩)، وقد ذكر ((ان عمر بن الخطاب (رض) بعد فتح العراق والشام كتب الى أحد حكماء عصره قائلاً: أنا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن البلاد والأمصار، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها، وما تؤثره الترب وإلا هوية في سكنها))(٢٠).

وقسم من الرحالة كان هدفهم تسجيل معلومات عن الأوضاع الطبيعة والجغرافية والمناخية للبلدان فضلاً عن العادات

والتقاليد الاجتماعية.

وبماأن كان الحج من أكثر الموارد التي وفرت معلومات عن دور العبادة للمسلمين بالمعلومات نتيجة سرد الكثير منهم القصص والأخبار التي سمعوها في طريقهم ووصف مشاهداتهم وأحوال البلاد الإسلامية وطبيعة مزاجهم وأسس اقتصادهم وثروتهم ورخائهم(٢١)، ولعل التقاء الحجيج في تلك التبادل العلمي والأدبي ولاسيما المواسم الدينية ساعد على الاحتكاك الفكري معاً خلق بادرة الرحلة في طلب العلم على الالتقاء بالمحدثين والعلماء والمشايخ.

وهذا أيضاً يساهم في الحفاظ على وحدة المسلمين ومنها السياسية والدينية والثقافية(٢٢).

وقد بين ابن خلدون الأثر العلمي للرحلة من خلال نيل المعارف والأخلاق والمذاهب وبذلك يحصل طالب العلم على مبتغاه(٢٣)، فإن الاحتكاك بكثرة الشيوخ ورسوخ العلم وتصحيح المعارف وتميزها، لابد لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ(٢٤)، فقدكان للرحالة أثر واضح في المجالس العلمية لاسيما من خلال أنهم اجتذبوا الناس إليهم بما يحكون من أنباء رحلاتهم وأخبار أساتذتهم ومن مشاهداتهم الاجتماعية ولطائف الحكم وطرائف النكت التي سمعوها والوقائع العجيبة(٢٥).

ومن أهم الأسباب التي دعت الى تدوين الرحلات هي الأسباب الشخصية فضلاً عن معرفة طرق التجارة البرية والبحرية وتسهيل عملية التبادل التجاري بين مختلف البلدان(٢٦).

وأن المعلومات التي قدمها الرحالة تعد تراث مهم لحفظ تراث أمتنا الإسلامية وتراثها الحضاري.

ثانياً:دور عبادة المسلمين

هي ((أماكن مخصصة لطاعة الله تعالى، وفيها يجري التعبد والتنسك))(٢٧)، وقيل هي:((المواضيع التي يتنسك فيها العبد، ويطيع خالقه))، وقيل هي : أماكن يختلي بها الإنسان للعبادة. وأن العبادة تعني الذلة يُقال طريق مُعبد وبعير معبد أي مذلل والعبادة تجمع المحبة والخضوع والخوف من الله سبحانه وتعالى(٢٨).

وأيضاً هي الأماكن التي يتخذها أهل كل شريعة لتأدية شعائرهم ومناسكهم على النحو الذي جاءت به شريعة كل منهم.

ويمكن أن نبين أن العبارة تأتي بمعنى التوحيد في عبادة الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه من خلال العبادة وأن أول أماكن العبادة للمسلمين هي :

١– المساجد :

هو دار عبادة المسلمين يؤذنون فيه ويؤدون ما عليهم من شعائر دينية المسجد هو محور ارتقاء الأمة وتوحيدها قال تعالى:

(يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(٢٩).

وتعني كلمة المسجد في اللغة هي مشتقة من (الفعل / سَجَد) من الفعل (سَجَد) أي خضع وانحنى على الأرض، سجد: لمعنى خضع ومنه سجود الصلاة ولا خضوع أعظم منه، والمكان الذي يؤدي فيه السجود يطلق عليه مسجداً(٣٠).

ذكر في القرآن الكريم كلمة السجود لقوله تعالى:(وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)(٣١).

أما اصطلاحاً : فالمسجد لفظة إسلامية جاءت مع ظهور الإسلام وهو كل مكان يسجد ويتعبد به، واستخدمت للدلالة على دور العبادة الإسلامية، ويطلق أيضاً لفظ الجامع، هو صفة للمسجد لأنه علامة على الاجتماع(٣٢).

وأن المسجد يعد أول الدور للمسلمين فقدكان العلماء يقدمون دروساً تعليمه في جميع المجالات فضلاً عن أنه الأساس الذي قامت عليه الأسس الدينية(٣٣).

وظيفة المسد لم تقتصر على أداء العبادات وقد بين الرحالة المغاربة والأندلسين من خلال كتاباتهم أن وظيفة الشعائر الدينية في المجتمع الإسلامي بل كانت له عدة مهام فضلاً عن الأهمية الدينية، فقدكان للمسجد أهمية في الجوانب التربوية والاجتماعية والعسكرية والسياسية وكذلك القضائية.

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

ومن أهم الأمور التي كانت تقام في المساجد يقول ابن جبير:((ولأهل دمشق وغيرها من البلدان الإسلامية أنهم يأتون بجنائزهم ويمشون أمامها ويقرأون القرآن بأصوات شجية، وتلاحين مبكية، تكاد تنخلع لها النفوس شجواً وحناناً، ويرفعون أصواتهم بها، فتلقاها الآذان بأدمع الأجفان، وجنائزهم يصلى عليها في الجامع قبالة المقصورة، فلابد لكل جنازة من الجامع، فإذا انتهوا الى بابه قطعوا القراءة، ودخلوا الى موضع الصلاة عليها، إلا أن يكون الميت من أئمة الجامع أومن سدنته ...))(٣٤).

ومن العادات والتقاليد في المسامير أن خطيب المسجد يلقي خطبة والدعاء في الأعياد والمناسبات الدينية وإذا فرغ الخطيب من الدعاء أقبلوا عليه بالمصافحة وأقبل بضعهم على بعض ليصافح المرء عن يمينه وعن يساره، فيتفرقون عن مجلس مغفرة، بفضل الله عزوجل، وكانت هذه العادات والتقاليد مستمرة حتى عند رؤية الأهلة ويدعوا بعضهم لبعض بالخير والسعادة ...))(٣٥).

يصف ابن جبير عادات وتقاليد المجتمع في دور العبادة لاسيما خلال شهر رمضان المبارك فيقوم أهل مكة يضرب الطبول والتهليل حول بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف فضلاً عن التكبير وخلال أيام عيد الفطر المبارك يتوجه الناس الى بيت الله الحرام والمسجد النبوي ((وأقبل الناس بعضهم على بعض المصافحة والتسليم والتغافر والدعاء مسرورين جذلين فرحين)) (٣٦).

ووصف ابن جبير الصراع المذهبي بين المسلمين لاسيما المذهبين الشيعة والسنة في مكة حول حلول شهر رمضان : ((وكان أهل مكة يوم الأحد بدعوى في رؤية الهلال لم تصح، لكن أمضى الأمير ذلك ووقع الإيذان بالصوم بضرب بادية ليلة الأحد المذكور لموافقته مذهبه ومذهب شيعة العلويين ومن اليهم، لأنهم يرون صيام يوم الشك فرضاً)) (٣٧).

وبين ابن جبير أن هذا الجامع كان يتخذ للعلم وتلقي العلوم بأنواعها فضلاً عن أن العلم كان في متناول جميع فئات المجتمع(٣٨)، وقد حدد ابن جبير أن في جامع دمشق زاوية خاصة لطلبة العلم ومنهم المغاربة وهذا يبين حب أهل دمشق لطلبة العلم فضلاً عن أنه كانت تدفع الأموال لطلبة العلم(٣٩).

بين ابن جبير أن المعلمين الذين كانوا يدرسون في الجامع هم أكثرهم من المغرب والأندلس وأن أحد الرجال من المرابطين كان أميناً للربوة وهي ضاحية في دمشق(٤٠).

وكانت توقف الأوقاف للجامع حيث كانت تصرف في خدمة الجامع ودفع أجور المعلمين والمدرسين وطلبة العلم وبين ابن جبير حسن معاملة أهل المشرق لأهل المغرب والأندلس من سخاء وكرم وحسن معاملة الآخرين(٤١).

ومن خلال رحلة ابن جبير الى دمشق فإنه زار جامع دمشق ووصفه بأنه : ((أشهر جوامع الإسلام حُسناً وإتقان بناء، وغرابة صنعه، واحتفال تنسيق وتزيين))(٤٢)، إلا أن ثم إعادة ترميمه وتعميره خلال حكم السلاجقة على دمشق(٤٣).

بين ابن جبير ساحة أرض جامع دمشق فضلاً عن طوله وعرضه وعدد بلاطاته ونوافذه التي تميزت بأنها ذات لون مذهب ووصف صوامعه وأبوابه وساعاته العجيبة والتي كانت موضوعة على يمين خارج باب حيرون، ووصف ابن جبير الأسواق التي كانت تحيط بجامع دمشق وأنه كان معجباً ببناء وفناء هذا الجامع وتطرق ابن جبير الى حلقات العلمية التي كانت تقام داخل الجامع ((ومن مفاخر هذا الجامع أنه لا تخلو القراءة منه صباحاً ولا مساءاً، وفيه حلقات التدريس للطلبة والمدرسين فيها إجراء واسع، وللمالكين زاوية للتدريس في الجانب العربي يجتمع فيه طلبة المغاربة، ولهم إجراء معلوم ... وعند فراغ المجتمع السبعي من القراءة صباحاً يستند كل إنسان منهم الى سارية ويجلس أمامه صبي يلقنه القرآن الكريم وللصبيان على قراءتهم جراية معلومة ... وبهذه البلدة نحو عشرين مدرسة ... ومدرسة نور الدين من أحسن مدارس الدنيا)) (٤٤).

– مسجد قرطبة :

إن مدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس وأم مدنها وهي دار الخلافة الأموية وأن أهل قرطبة هم أعلام البلاد وأعيان العباد وعرفوا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي في الملبس والمركب وفي قرطبة مسجد يسمى المسجد الجامع ويصفه الإدريسي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقاً وطويلاً وعرضاً وطول هذا الجامع مائة باع وعرضه ثمانون

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

باعاً ونصفه صحن للهواء وله تسع عشرة قوساً وله قبة وله ألف صحن وفيه مائة وثلاث عشر ثريا للوقيد وأكبر واحدة منها تحمل ألف مصباح وأقلها تحمل اثني عشر مصباحاً وسقفه كله سماوات خشب وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر.

– مسجد مسيل :

وهذا المسجد هو بين جبلين بالقرب من مكة يأتي إليه الحجاج والناس للتبرك لأنه المسجد الذي بايعت فيه الجن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وله كرامات كثيرة(٤٥).

وللمسجد قبلة تعجز الواصفين أوصافها وفيه أتقان يبهر العقول وجميع الفصوص الموجودة في هذا المسجد تكون مذهبه وتوقد جميع الإنارة في هذا المسجد طيلة أيام رمضان بالشموع كل ليلة السابع وعشرين من شهر رمضان المبارك وفي هذا المسجد مصحف عثمان بن عفان الذي خطه بيمينه ويرفعه رجلان لثقله، وهذا المصحف يخرج في صبيحة كل يوم يتولى إخراجه رجلان من قومه المسجد وأقسامهم رجل ثالث بشمعة وللمصحف غشاء بديع الصنعة منقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه وله بموضوع المصلى كرسي يوضع عليه ويتولى الإمام قراءة يضف حزب منه ثم يرد الى موضعه وعن يمين المحراب والمنبر باب يفضى منه الى القصر بين حائطي الجامع في ساباط متصل وفيه ثمانية أبواب وللمسجد الجامع عشرون باباً مصفحة بصفائح النحاس وللجامع صومعة من الجهة الشمالية ومآذنه وفي كل ليلة مؤذنان وللصومعة ستة عشر مؤذناً يؤذنون فيها بالدولة ويخدم في المسجد الجامع ستون رجلاً وعليهم قائم ينظر في أمورهم وهذا الجامع متى سها أمامه لا يسجد لسهوه قبل السلام بل يسجد بعد السلام(٤٦).

وقد زار العبدري مجموعة من المساجد منها :

– مسجد بدر :في بلاد المشرق فيقول العبدري:((وبه مسجد مختصر مليح وذكروا أنه بنى في موضع العريش الذي كان في رسول الله صلى الله عليه وآله) يوم بدر)). وقد حدد العبدري موقع مسجد عائشة((وعلى مقربة من مكة بنحو أربعة أميال ثلاثة مساجد مصطفة على الطريق، بينها مسافة قليلة وموضعها التنعيم))، ويصف((وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة وسقايا على طريق المدينة، منه يحرم المكيون بالعمرة))(٤٧).

– مسجد ذي طوى: وذكر العبدري مسجد ذي طوى نقلاً عن الأزرقي(٤٨). قوله: ((والمسجد الذي هنالك بنته زبيدة حيث نزل رسول الله"صلى الله عليه وآله"))ويزيد العبدري ((ومصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بنى ولكن أسفل من ذلك)).

– المسجد الحرام: وصف العبدري المسجد الحرام بقوله:((فهو وسط البلد كبير متسع يكون طوله أزيد من أربع مئة ذراع ...)) (٤٩).

والمسجد الحرام وصفه ابن جبير بقوله:((البيت المكرّم له أربعة أركان. وهو قريب من التربيع ... أن ارتفاعه في الهواء من الصفح الذي يقابل باب الصفا، وهو من الحجر الأسود، الى الركن اليماني، تسع وعشرون ذراعاً وسائر الجوانب ثمان وعشرون ...، وحيطانه رخام كلها مجزع))(٥٠).

للمسجد الحرام عدد من الأبواب وأهمها باب الصفا وهو أكبر أبوابه إذ يخرج عليه كل وافد الى مكة وعلى الحرم الشريف جبل أبي قُبيس وهو في الجهة الشرقية يقابل ركن الحجر الأسود وفي أعلاه رباط مبارك فيه مسجد واتساعه وجمال الكعبة المقدسة القائمة وسطه وأنه أول جبل خلقه الله سبحانه وتعالى وفيه استودع الحجر زمن الطوفان وكانت قريش تسميه الأمين لأنه أدّى الحجر الى إبراهيم (عليه السلام) وفيه قبر آدم (عليه السلام) وفي الجهة الأخرى جبل المتصل بقيقعان في الجهة الغربية يقول ابن جبير صعدنا الى جبل أبي قبيس وصلينا في المسجد المبارك، وفيه موقف النبي (صلى الله عليه وآله) عند انشقاق القمر له بقدرة الله عزوجل وهو من دور العبادة الذي له فضيلة وبركة تأتي إليه الناس من كل صوب لغرض العبادة والتبرك(٥١).

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

ويصف ابن بطوطة عند رحلته المسجد الحرام بقوله:((والمسجد الحرام في وسد البلد وهو متسع الساحة طوله من شرق الى غرب أزيد من أربعمائة ذراع ... والميزاب في أعلى الصفح الذي على الحجر وهو من الذهب، وسعته شبه واحد، وهو بارز بمقدار ذارعين ...)) (٥٢).

– مسجد الخيف: وصفه العبدري بقوله:((ورأيت بمسجد الخيف – طهره الله – بمنى من قلة تحفظهم وكثرة تهاونهم، ما يتغير له قلب كل مؤمن ...)) (٥٣).

– مسجد المزدلفة: وصفه ابن جبير بقوله : ((ومن مجسر الى مسجد مزدلفة نحو الميل، ومن مسجد مزدلفة الى مسجد عرفة أربعة أميال)) (٥٤).

– مسجد إبراهيم: وصفه العبدري بقوله ((وهو مسجد كبير على يمين الطريق وأنت ذاهب الى الموقف، مستطيل من الشرق الى الغرب، وفي غربية القبلة ...، والوادي هو بطن عرفة)) (٥٥).

– مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) يقول العبدر عن مسجد النبي ((وأما مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلى صورة المسجد الحرام إلا أنه في المساحة دونه بكثير، وعرضه على النصف من طوله ...، وفي الناحية الشمالية من فضاء المسجد بيت مربع مليح وهو مخزن المسجد)) (٥٦).

ويصف ابن جبير المسجد النبوي بقوله: ((المسجد المبارك مستطيل وتحفه ن جهاته الأربعة بلاطات مستديرة به ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى ... لا يتأتى لأحد معه استقبالها في صلاته لأنه ينحرف عن القبلة))(٥٧).

ويقول ابن بطوطة يصف أكثر الطائفين بالمسجد النبوي كانوا يلبسون الجواريب لأقدامهم وكان أبو العباس بن مرزوق يطوف حافي القدمين ورأيته يوماً يطوف فأحببت أن أطوف معه فوصلت المطاف وأردت الرجوع بعد تقبيل الحجر فما وصلته إلا بعد جهد عظيم ورجعت فلم أطف(٥٨).

وكان عند رحلتي خلال تلك الفترة في مكة وزير غرناطة وكبيرها أبو القاسم محمد بن محمد بن الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك الأزدي. ومن المجاورين بالمدينة الشيخ الصالح العابد سعيد المراكشي الكفيف ومنهم الشيخ أبو مهدي بن حرزوز المكناسي وكان أهل المدينة والأهالي الذي يأتون من خارج المدينة يقيمون صلاتهم وتعبدهم في المسجد(٥٩). المسجد النبوي وصفه ابن بطوطة بقوله : ((المسجد المعظم مسطيل تحفه من جهاته الأربع، بلاطات دائرة به ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل ...، وهناك يقف الناس للسلام مستقبلين الوجه الكريم، مستدبرين القبلة ... فيسلمون وينصرفون)) (٦٠).

– مسجد الخليل : العبدري يسفه بقوله : ((والمسجد بنية أنيقة من المباني القديمة الوثيقة، عالية البناء محكمة العمل، من صخور منحوته في نهاية العظم، ومنها سخرة في الركن الذي على يسار القبلة ...كسائر المساجد تحسيناً لصورتها))(٦١).

مسجد الخليل وصفه ابن بطوطة وصفاً قريباً من وصف العبدري بقوله : ((ومسجدها أنيق الصنعة محكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع ... ويقال : إن سليمان عليه السلام أم الجن ببنائه)) (٦٢).

– مسجد اليقين: يقول عنه العبدري:((يقع على تل مرتفع نزه له زيادة رونق وفرط إشراق لا يسع إلا مصلياً واحداً)) (٦٣).

ويصف مكانه المرتفع ابن بطوطة بقوله: ((وهو على تل مرتفع له نور وإشراق ليس لسواه ولا يجاوره إلا دار واحدة يسكنها قيّمه ...، وساخ في الأرض قليلاً))(٦٤).

– جامع الزيتونة : وصف العبدري مسجد الزيتونة في بلاد الشام: ((وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأتقنها وأكثرها إشراقاً ودائرة مسقف ووسطه فضاء قد نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدر ... حتى تظل جميع فضاء)) (٦٥).

– وذكر العبدري مسجد تونس ((ومسجد تونس رفيع البناء مطل على البحر ... ويرقى الى الجامع من جهة المشرق)) (٦٦).

– ووضح العبدري في كتاباته مسجد القيروان : ((هو من الجوامع الكبار المتنقلة الرائعة المشرقة الأبنية ووسطه فضاء متسع ... وأقدم)) (٦٧).

– وأيضاً وصف العبدري مسجد قابس فقط أشار إليه في كلامه: ((وقد حضرت بجامعها شيخاً يشار إليه ...)) (٦٨).

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

– جامع طرابلس الأعظم: وقد ذكر مجموعة من المساجد منها مسجد طرابلس الأعظم قال عنه العبدري : ((ولم أر ما يروق العيون وسما عن أن يقوم بالدون، سوى جامعها ومدرستها ... سهماً مصيباً)) (٦٩).

– مسجد عمر : العبدري يصفه بقوله: وهو في مدينة عسقلان ((مسجد كبير مليح يعرف بمسجد عمر، وقد تهدم ولم يبق إلا حيطانه ... وفي قبلة المسجد بئر عظيمة متقنة العمل، عجيبة الصفة، تعرف ببئر إبراهيم ...، وماؤها طيب عذب)) (٧٠).
ومسجد عمر ابن بطوطة يصفه بوصف مشابها للعبدري بقوله : ((وفي قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه إلا حيطانه، وفيه أساطين رخام ... وماؤها عذب وليس بالغزير)) (٧١).

– جامع غزة: العبدري لم يذكر اسمه وإنما قوله : ((وبها جامع مليح حسن))(٧٢)، ووصف ابن بطوطة جامع غزة بقوله: ((بها المساجد ولا سور عليها، ... عليها، ومنبره من الرخام الأبيض)) (٧٣).

– مصلى العيد : وهو نوع من المساجد في الهواء الطلق عرف بالمصلى مصلى العيد وصفه ابن بطوطة بقوله : ((أنه حضر عيد الفطر، وتقدمه نتوء عظيم وكثر الوحل والطحين، وذكر ذلك للإمام المعز لدين الله، وما بالمصلى منه وما في الطريق إليه من الماء والوحل والطين وظنوا أنه يصلي العيد في المسجد ... من أمر به جل ذكره وسنة رسوله "صلى الله عليه وآله"(((٧٤).

– مسجد الكوفة: الكوفة هي مدينة كبيرة عتيقة البناء فيها مسجد كبير فيه بيت عن يمينه القبلة يقال أنه كان مصلى لإبراهيم الخليل (عليه السلام) وعليه ستر أسود صوناً له، ومنه خرج خطيب لابساً ثياب السواد الخطبة، والناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للتعبد والصلاة فيه وعلى مقربة منه مما يلي الجانب الأيمن من القبلة محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاد وكأنه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفي ذلك الموضع ضربة الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف، فالناس يصلون فيه باكين داعين ... وفي الجانب الغربي من المسجد شبه مسجد صغير فيه موضع مفار التنور الذي كان آية لنوح (عليه السلام) وفي خارج المسجد بيته الذي كان فيه وفي ظهره بيت آخر يقال أنه كان متعبد النبي إدريس (عليه السلام) ويربط بينهما فضاء واسع يقال أنها السفينة ومع آخر هذا الفضاء كان دار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٧٥).

– مسجد قبة الصخرة: يصفها ابن بطوطة أنها من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشر في وسط المسجد يصعد إليها في درج رخام، وله أربعة أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة، وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورايق الصنعة، وما يعجز الواصف وأكثر ذلك مغشى بالذهب في تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رأيها عن تمثيلها وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي ذكرها في الآثار فإن النبي (صلى الله عليه وآله) عرج منها الى السماء وهي صخرة وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفاعه نحو قامة وينزل إليها درج وهنالك شكل محراب وعلى الصخرة شباكان من حديد وفيه درقة والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) (٧٦).

– جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية: يذكر ابن بطوطة أن هذا المسجد هو من أعظم المساجد الدنيا احتفالاً، واتقنها صناعة وأبدعها حسناً وبهجة وكمالاً، ولا يعلم له نظير ولا يوجد له شبيه وكان الذي تولى بنائه واتقانه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان(٧٧).
إن موضع هذا الجامع هو كان كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق وبنو عليها الجامع وكان ذلك أيام عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك. وكان الجامع يزين بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء تخالطها أنواع الأصباغ(٧٨).
ويصف ابن بطوطة أن قبة هذا الجامع كان بشبه النسر في شكلها ولهذا الجامع ثلاث صوامع من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مطهرة وبيوت للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد ويتوضون وعدد المؤذنين من هذا الجامع سبعون مؤذناً ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يخلو من قراءة القرآن الكريم والصلاة إلا قليلاً من الزمان والناس يجتمعون به بعد صلاة العصر لقراءة تسمى (الكوثرية) ويقصد بها السور السبع الأخيرة من القرآن الكريم وهي من

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

القصار والمجتمعين على هذه القراءة مرتبات تجري لهم وهم نحون ستمائة رجل فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته وفي هذا الجامع جماعة كبيرة من المجاورين لا يخرجون منه مقبلون الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون وأهل البلد يعينونهم بالطعام والملابس من غير أن يسألوهم شيئاً من ذلك(٧٩).

وبهذا الجامع حلقات تدريس في فنون العلم والمحدثون يقرأون كتب الحديث على كراسي مرتفعة وقراءة القرآن يقرأون بأصوات حسنة صباحاً ومساءاً ومع جماعة من المعلمين لكتاب الله مستند كل واحد منهم الى سارية من سواري المسجد يُلقن الصبيان ويقرئهم، وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزلها لكتاب الله تعالى وإنما يقرآون القرآن تلقائياً. ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الأشعار فينصرف الصبي من التعليم الى التكتيب وبذلك جاد خطه لأن المعلم للخط لا يعلم غيره ومن المدرسين بالمسجد العالم الصالح برهان الدين بن الفركح الشافعي وهو من أهل دمشق كان أبوه وجده من الفقهاء(٨٠).

– جامع عمر بن العاص: يقول ابن جبير أن الجامع عمرو بن العاص بمصر بن الفائد ثلاثون ديناراً مصرياً تسدد لمرتبات لخدام هذا الجامع ومنهم الخطباء والقراء(٨١).

ويذكر ابن جبير أنه شاعد في القاهرة أربعة جوامع حفيلة البنيان أنيقة الصيغة الى مساجد عدة وفي أحد الجوامع تلقي الخطبة ويأخذ الخطيب فيها مأخذ سُني يجمع فيها الدعاء للصحابة (رض)، وللتابعين من سواهم والأمهات المؤمنين وزوجات النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان خطيب الجامعة يلقي خطبته بلطف والوعظ ويرفق التذكير حتى تخشع القلوب القاسية وتتفجر العيون الجامدة، ويأتي الخطيب للجامع لابساً السواد على رسم العباسية (الطراز العباسي)، وأن لباسه هو بردة سوداء عليها طيلسان مشرب(حرير) أسود وهو الذي كان يسمى في بلاد المغرب بالإحرام وعمامة سوداء متقلداً سيفاً وعند صعوده المنبر يضرب سغل سيفه المنبر في أول ارتقائه ضربة يسمع بها الحاضرين ومن ثم يسلم على الحاضرين يميناً وشمالاً ويقف بين رايتين سوداوتين فيهما تجزيع بياض قد ركنا في أعلى المنبر(٨٢).

ويصف ابن بطوطة الكتاتيب في عهد دولة مغول القبجاق وفي عهد السلطان أوزبك خان في سنة (٧١٢–٧٤٢هـ/١٣١٢–١٣٤١م) فيقول: وأما السلطان محمد أوزبك فإنه سار على منوال بركة خان في الاهتمام بالكتاتيب وتقديم الدعم لها وكذلك خواتينه، فمن بالاتفاق على هذه المؤسسة التعليمية، وحرص على منح فرصة للأيتام والفقراء بالتعلم في هذه الكتاتيب(٨٣).

مشاهد وقبور الأئمة والعلماء الزهاد :

١– رأس الحسين (عليه السلام) :

من المشاهد التي سجلها العبدري في رحلته مزار رأس الإمام الحسين (عليه السلام) العبدري: ((وفي مصر من المزارات عدة وافرة – ومن أعظمها تربة رأس الحسين (عليه السلام) عليها رباط في غاية الإبداع والتنويه والأبواب عليها حلق الفضة وصفائحها))(٨٤).

ووصف ابن جبير هذا المشهد العظيم الشأن بقوله: ((حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهو في تابوت فضة تحت الأرض، قد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع الديباج ...، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون)) (٨٥).

ويصفه ابن بطوطة بقوله:((ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم)) (٨٦).

٢– قبل السيدة نفيسة بنت علي بن أبي طالب(عليه السلام):

يوصف العبدري قبر السيدة نفيسة بقوله : ((روضة السيدة الشريفة بنت علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام) وكانت مجابة الدعوة، مجتهدة في العبادة، وهذه التربة أنيقة البناء، مشرفة عليها رباط مقصود))(٨٧).

٣– مقبرة بدر:

ذكر العبدري أنه شاهد مقبرة الشهداء بقوله: ((وفي المسجد مقبرة كبيرة، وفيها قبور شهداء بدر (رضي الله عنهم) (٨٨).

وذكر ابن جبير أكثر وضوحاً من وصف العبدري لمكان المقبرة بقوله: ((وموضع القليب الذي كان بإزائه الوقعة الإسلامية التي أعزت الدين ... الى الصفراء)) (٨٩).

٤– مقبرة البقيع :

وقال العبدري عن مقبرة البقيع في المدينة المنورة : ((وفي البقيع – زاده الله طهارة – من المزارات الشريفة مالا يحصره وصف من قبور الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين ... بالبقيع عدة مقابر للصحابة وغيرهم))(٩٠).

ووصف ابن جبير هذه المقبرة وصفاً دقيقاً بقوله: ((وبقيع الغرقد شرقي المدينة، تخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع، وأول ما تلقى عن يسارك عند خروجك، من الباب المذكور، مشهد سفية عمة النبي (صلى الله عليه وآله)، أم الزبير بن العوام (رض) الله عنه ...، وعلى مقربة منه مشهد فاطمة ابنة أسد أم علي (رضي الله عنها) وعن بنيها)) (٩١).

٥– مقبرة الأنبياء في الخليل :

شاهد العبدري قبور الأنبياء فيصفها قائلاً: ((وفي داخل المسجد قبر الخليل وأسحاق ويعقوب (عليهم السلام) وتقابلها من ناحية يسار القبلة ثلاثة أخرى هي قبور أزواجهم ... ويفضي الى فسحة ليست بكبيرة مفروشة بالرخام، وفيها ثلاثة قبور مقابلة للداخل في طول الحائط مصطفى من الشرق الى الغرب، ويقال هي علامات للقبور محاذية لها ... وهي التي في المدخل)) ويصف أيضاً ((ثم زرنا تربة لوط وهي شرقي حرم الخليل عليهما ... يشرف منه على غور الشام)) (٩٢).

ويصف ابن بطوطة هذه القبور بقوله: ((وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس، فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلوات الله على نبينا وعليهم، ويقابلها قبور ثلاثة: هي قبور أزواجهم، ...، وهو في بيت حسن البناء مبيض ولا ستور عليه))(٩٣).

٦– قبر النبي يونس (عليه السلام) :يذكر العبدري أنه زار قبر النبي يونس (عليه السلام) خلال رحلته الى مدينة القدس (٩٤) ووصف العبدري بقوله: ((قبر يونس (عليه السلام)، وهو على نحو ثلاثة أميال من بلد الخليل (عليه السلام) وعليه بنية كبيرة ومسجد)) (٩٥).

وأيضاً يصفها ابن بطوطة بقوله: ((تربة يونس (عليه السلام) وعليها بنية كبيرة ومسجد)) (٩٦).

٧– قبور الصالحين في المغرب :

يصفها العبدري:((وكان في طريقنا على بلاد القبلة فزرنا بموضع أنسنا من أعلى بلاد السوس قبر الشيخ الصالح أبي حفص عمر بن هارون وهو من كبار الأولياء ومن عظماء الصالحين)) (٩٧).

ويذكر العبدري موضع العباد ((وهو مدفن الصالحين وأهل الخير وبه مزارات كثيرة ومن أعظمها وأشهرها قبر الشيخ الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين (رضي الله عنه) ورزقنا بركته، وعليه رباط مليح محدوم)) (٩٨).

٨– جامع الأزهر :

يذكر ابن بطوطة أن جامع الأزهر إضافة الى أثره في العبادة فإن فقد كان يخصص قسم منه لسكن الفقهاء والعلماء والقراء لغرض السكن والدراسة وكان مخصص أعلى سطح الجامع لذلك ووصف ابن بطوطة ملابس شيخ الأزهر لبس العباءة صوف خشنة وعمامة صوف سوداء ومن عاداته أن يذهب بعد صلاة العصر الى مواضع الفرح والنزاهات منفرداً عن أصحابه ومنهم الشيخ الشريف شمس الدين بن بنت الصاحب تاج الدين بن حناء وكان يلقب بالصاحب انتهت إليه رئاسة مصر في عصره واشتغل بالحديث والأدب وحدث بمصر ودمشق ... وهو الذي اشترى الآثار النبوية بمبلغ ستين ألف درهم وبنى لها المكان المنسوب إليه ووقف عليها البستان المعروف بالمعشوق وتوفي سنة (٧٠٧هـ) (٩٩).

٩– قبر عون بن علي (عليه السلام) :

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

وقد زار ابن بطوطة المشاهد الدينية ((... وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء في داخله قبر متسع السّنام عليه مكتوب : هذا قبر عون من أولاد علي بن أبي طالب)) (١٠٠).

١٠– الجامع الأموري في دمشق :

يقول عنه ابن جبير ((من أشهر جوامع الإسلام حسناً، واتقان بناء، وغرابة صنعة)) (١٠١).

١١– جامع ابن طولون :

وقد أشار ابن جبير بقوله:((جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه وحلّقون فيه)) (١٠٢).

١٢– الجامع الكبير:

وصفه ابن جبير ((وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأجملها، قد أطاف بصحنه الواسع بلاط متسع مفتح كله أبواباً ... وفي صحنة بئران معينان)) (١٠٣).

١٣– مسجد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

زار ابن بطوطة مدينة النجف الأشرف وضريح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصنف ابن بطوطة مسجد الإمام علي (عليه السلام) في مدينة النجف قائلاً: ((شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها لحن فيها لحنا كثيراً جلياً فعجبت من أمره وذكرت ذلك للقاضي حجّة الدين فقال لي: إن هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئاً من علم النحو)) (١٠٤).

الاستنتاجات :

وفي ختام هذا البحث في كتب الرحالة والجغرافيين للتعرف على أماكن العبادة التي وصفها الرحالة في رحلاتهم ودونوها بكتبهم نذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي كالآتي:

١– أن الرحلات بدأت منذ بدأت الخليقة على الأرض وتطورت تدريجياً لأسباب عدة منها دينية ذكرها القرآن الكريم وأخرى سياسية وبعضها اقتصادية لغرض التجارة ومنها علمية لوصف البلدان وشعوبها وتقاليدها وغيرها من الأسباب.

٢– ذكر الرحالة المؤرخون في كتب رحلاتهم كثيراً عن دور العبادة ووصفوها من خلال المساجد والكتاتيب وغيرها التي زاروها برحلاتهم.

٣– لم تقتصر وظيفة المسجد على أداء العبادات والطقوس الدينية في المجتمع الإسلامي بل كانت له عدة وظائف، أهمها الوظيفة الدينية، ثم الوظيفة التربوية، ثم الوظيفة الاجتماعية. وقد كان المسجد يؤدي كل تلك الوظائف في أولوياتها الجهاد، والجانب القضائي حيث يتمّ فيه الفصل بين المتخاصمين.

الهوامش:

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، (بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١١، ص٢٧٦–٢٧٧.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ج٤، ص١٧٠٧.

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج١، ص٣٤٣.

(٤) الشامي، صلاح الدين علي، الرحلة عين الجغرافية المبصرة، ط٢، منشأة المعارف، (الإسكندرية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٩–١٠.

(٥) حسني، الطاهر، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناءها الفني أنواعها وخصائصها، إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة قاصدي مرباج، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، (الجزائر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص

(٦) اليوسفي، محمد لطفي، حركة المسافر وطاقة الخيالك دراسة في المدقش والعجيب والغريب، بحث منشور ضمن أعمال ندوة الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الآخر المغرب منطلقاً وموئلا، وزارة الثقافة المغربية، (الدار البيضاء، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٢٨١.

(٧) خليل، عماد الدين، أدب الرحلات، دار بن كثير، (بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص٦.

(٨) مال الله، علي محسن عيسى، أدب الرحلات عند في المشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ط١، مطبعة الإرشاد، (بغداد،

١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)، ص٧٨.
(٩)ياسمين، عقيل عبد، تاريخ الرحلة وأسبابها عند الرحالة العرب والمسلمين في العصر العباسي (١٣٢–٦٥٦هـ)، بحث منشور، جامعة واسط، (كلية التربية، د.ت)، ص٣٦٩.
(١٠) سورة هود : الآيتان ٤١–٤٢.
(١١) سورة الكهف: الآيات ٦٠–٧٠.
(١٢) سورة قريش : الآية ١–٣.
(١٣) أحمد، أحمد رمضان، الرحلة والرحالون المسلمون، دار البيان العربي، (جدة، د.ت)، ص٣٠.
(١٤) نوفل، سيد، الرحلات في الأدب العربي القديم، مجلة الهلال المصرية، العدد٧، (مصر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ص٧.
(١٥) نوفل، الرحلات في الأدب العربي القديم، ص٨.
(١٦) أحمد، الرحلة والرحالون المسلمون، المصدر السابق، ص٧.
(١٧) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ/٧٦٨م)، سيرة ابن إسحاق المسمى كتاب السير والمغازي، تح: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ج٢، ص١٥٤.
(١٨) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٥٤.
(١٩) نوفل، الرحلات في الأدب العربي القديم، ص٨.
(٢٠) حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص٩.
(٢١) العدوي، إبراهيم أحمد، ابن بطوطة والعالم الإسلامي، دار المعارف، (مصر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، ص٨.
(٢٢) النساج، سيد حامد، مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً، دار غريب للطباعة، (القاهرة، د.ت)، ص١٠.
(٢٣) عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، مقدم ابن خلدون، دار القلم، (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص٥٤١.
(٢٤) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، ص٥٤١.
(٢٥) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٢٦.
(٢٦) الهروط، بلال سالم، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة مؤتة، (الأردن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٣٤.
(٢٧) عبد الله، رضوان، الحق في حماية أماكن العبادة، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ص١٧.
(٢٨) عبد القادر، أحمد، الأماكن المقدسة الدينية، دار ابن رشد، (الإسكندرية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٦.
(٢٩) سورة الأعراف : الآية ٣١.
(٣٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٨٤.
(٣١) سورة النحل : الآية ٤٩.
(٣٢) الزركشي، محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م)، أعلام الساجد والمساجد، تح: فضيلة الشيخ أبو الفضل مصطفى المراغي، ط٤، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص١١٦.
(٣٣) وزيري، يحيى، موسوعة عناصر العمارة الإسلامي، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٢، ص١١.
(٣٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٦٧.
(٣٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٦٩.
(٣٦) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١١١–١١٥.
(٣٧) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٢٥.
(٣٨) الرحلة، ص٢٧٤.
(٣٩) الرحلة، ص٢٧٤.
(٤٠) الرحلة، ص٢٧٦–٢٧٧.
(٤١) الرحلة، ص٢٧٧.
(٤٢) رحلة ابن جبير، ص٣٤٩ وما بعدها.
(٤٣) صلاح الدين المنجد، مسجد دمشق، ص١٣.
(٤٤) الرحلة، ص٢٦٠، ٢٧٢.
(٤٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٨٨.

(٤٦) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٧٧٥.
(٤٧) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٣٤٦.
(٤٨) الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحس، ط٢، دار الأندلس، (بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٣٥٤.
(٤٩) رحلة العبدري وتسمة الرحلة المغربية، ص٣٦٧.
(٥٠) رحلة ابن جبير، ص٥٣–٥٧.
(٥١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٨٢–٨٥.
(٥٢) محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تح: توم بريمر، أكاديمية المملكة المغربية، (الرباط، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٣٧٠–٣٧٣.
(٥٣) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٣٧٢.
(٥٤) رحلة ابن جبير، ص٥٣–٥٧.
(٥٥) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٣٨٧.
(٥٦) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٢٣–٤٢٤.
(٥٧) رحلة ابن جبير، ص٥٣–٥٧.
(٥٨) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٥٨.
(٥٩) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٥٩.
(٦٠) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٤٩.
(٦١) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٥٧.
(٦٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٤٩.
(٦٣) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٦٦.
(٦٤) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٤٣.
(٦٥) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٧٩.
(٦٦) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص١١٠–١١١.
(٦٧) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص١٦٠–١٦١.
(٦٨) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص١٨٢.
(٦٩) يوسف .الرحلات .ص ٤٤
(٧٠) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٤٧.
(٧١) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٧٦.
(٧٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٥٢.
(٧٣) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٧٧. رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٣٩.
(٧٤) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٤٧٧.
(٧٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١١.
(٧٦) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٤٧.
(٧٧) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٠٤.
(٧٨) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣٠٦.
(٧٩) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣١١.
(٨٠) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٣١٤–٣١٥.
(٨١) رحلة ابن جبير، ص٢٤.
(٨١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٥.
(٨٣) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٣٤.
(٨٤) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٣١٩.
(٨٥) رحلة ابن جبير، ص١٨.
(٨٦) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٠٥.

(٨٧) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٣٢٦.
(٨٨) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٣٤٦.
(٨٩) رحلة ابن جبير، ص١٤٨.
(٩٠) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٢٢–٤٢٣.
(٩١) رحلة ابن جبير، ص١٥٤–١٥٥.
(٩٢) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٥٨.
(٩٣) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٣٩–٢٤٣.
(٩٤) اسمها حلحول بين البيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٠.
(٩٥) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٦٨.
(٩٦) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٤٤.
(٩٧) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص١٩٩.
(٩٨) رحلة العبدري وتسمى الرحلة المغربية، ص٤٥٨.
(٩٩) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢١٩.
(١٠٠) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٢٠٥.
(١٠١) رحلة ابن جبير، ص٢٠٣.
(١٠٢) رحلة ابن جبير، ص٤٣.
(١٠٣) رحلة ابن جبير، ص١٩٧.
(١٠٤) رحلة ابن بطوطة، (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ج١، ص٧٣.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.
أولاً : المصادر
• الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م).
١– أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحس، ط٢، دار الأندلس، (بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
• ابن إسحاق، محمد بن إسحق بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ/٧٦٨م).
٢– سيرة ابن إسحاق المسمى كتاب السير والمغازي، تح: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
• ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).
٣– رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تح: توم بريمر، أكاديمية المملكة المغربية، (الرباط، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
• ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير أبو الحسين الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧)
٤– رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، (بيروت، د.ت).
• الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م)
٥– الصحاح تاج اللغة العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
• ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
٦– تاريخ ابن خلدون المسمى العبر في ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
• الزركشي، محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م).
٧– أعلام الساجد بالمساجد، تح: فضيلة الشيخ أبو الفضل مصطفى المراغي، ط٤، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
• الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد (٥٣٨هـ/١١٤٣م).
٨– أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

• العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (ت٧٠٠هـ/١٣٠٠م).
٩– رحلة العبدري والمسمى الرحلة المغربية، تح: علي إبراهيم كردي، ط٢، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
• ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٩٩٣م).
١٠– لسان العرب، ط٣، دار صادر، (بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

ثانياً : المراجع

• أحمد، أحمد رمضان.
١١– الرحلة والرحالون المسلمون، دار البيان العربي، (جدة، د.ت).
• حسن، زكي محمد.
١٢– الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
• خليل، عماد الدين.
١٣– أدب الرحلات، دار بن كثير، (د.م، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
• الشامي، صلاح الدين علي.
١٤– الرحلة عين الجغرافية المبصرة، ط٢، منشأة المعارف، (الإسكندرية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
• عبد القادر، أحمد.
١٥– الأماكن المقدسة الدينية، دار ابن رشد، (الإسكندرية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
• عبد الله، رضوان.
١٦– الحق في حماية أماكن العبادة، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
• العدوي، إبراهيم أحمد.
١٧– ابن بطوطة والعالم الإسلامي، دار المعارف، (مصر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م).
• مال الله، علي محسن عيسى.
١٨– أدب الرحلات عند في المشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ط١، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م).
• النساج، سيد حامد.
١٩– مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً، دار غريب للطباعة، (القاهرة، د.ت).
• وزيري، يحيى.
٢٠– موسوعة عناصر العمارة الإسلامي، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

ثالثاً : الأطاريح والرسائل

• حسني، الطاهر.
٢١– الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناءها الفني أنواعها وخصائصها، إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية، (الجزائر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
• الهروط، بلال سالم.
٢٢– صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة مؤتة، (الأردن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

رابعاً : المجلات والدوريات

• ياسمين، عقيل عبد.
٢٣– تاريخ الرحلة وأسبابها عند الرحالة العرب والمسلمين في العصر العباسي (١٣٢– ٦٥٦هـ)، بحث منشور، جامعة واسطة، (كلية التربية، د.ت).
• اليوسفي، محمد لطفي.
٢٤– حركة المسافر وطاقة الخيالك دراسة في المدقش والعجيب والغريب، بحث منشور ضمن أعمال ندوة الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الآخر المغرب منطلقاً وموئلاً، وزارة الثقافة المغربية، (الدار البيضاء، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

دور عبادة المسلمين من خلال كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين

الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب

أ.م. د. أحمد شكر محمد
جامعة ديالى/كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:
يروم هذا البحث تسليط الضوء على الخطاب النقدي التراثي الذي استطاع أن يعي وجوده التاريخي والاجتماعي، الذي أنتجه في تناوله لقضية مهمة كالذوق الشعري، إذ استطاع أن يميّز نفسه من منتوجه الشعري ليقدم قراءة واحدة لهذا التراث، وكذلك بيان مدى أهميته لدى الناقد العربي في العصور الأولى من تاريخ النقد العربي القديم، إذ كان الذوق حصيلة العلاقة بين المتلقي والشاعر في سبيل تحقيق الشعرية والجمالية معاً، ومن ثم كان الذوق مدار اهتمام النقد الأدبي.
الكلمات المفتاحية: (الذوق، الحضارة، الحداثة، الكتابة)

Abstract:
This research aims to shed light on the critical heritage discourse that was able to be aware of its historical and social existence, which it produced in its treatment of an important issue such as poetic taste, as it was able to distinguish itself from its poetic product in order to present a single reading of this heritage. As well as explaining the extent of its importance to the Arab critic in the early eras of the history of ancient Arab criticism, as taste was the outcome of the relationship between the recipient and the poet in order to achieve both poetry and aesthetics, and hence taste was the focus of attention of literary criticism.
Keywords: (taste, civilization, modernity, writing)

المقدمة:
يمثل حضور الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب إشكالية بارزة في القراءات المعاصرة للنقد التراثي، لدوره – أي ذوق – الأساس في تشكيل المفاهيم النقدية تنظيراً وتطبيقاً، بوصفهما نقطتين أساسيتين وجهتا التجربة الإبداعية للعديد من الشعراء القدامى، وقد أشار الباحثون المحدثون إلى أنَّ الذوق لا يكتفي بماهيته ومجاله الأدبي، بل يستقي وجوده، أولاً من ذوق عام هو وليد الثقافة والمجتمع والتاريخ الذي أنتجه لذا فالذوق ظاهرة تتأثر بالزمن فتتحول وتتغير، مثله مثل الفهم.

انطلاقاً من هذه الأهمية المنوطة بهذا الصنف من الخطابات، كان لابد أن تترسخ مع امتداد تجربة قول الشعر وعمقها، قيم وتقاليد وأعراف موضوعية حيناً وفنية أحياناً أخرى، مشكلة على نحو ما طريقة قول الشعر والكاشف عنه، وهذا الكشف هو الذي مهد لأسس الذوق الشعري في الخطاب النقدي عند العرب.

إنَّ النقد العربي القديم نقد له مكانته، وما تزال كثير من جوانبه بحاجة للبحث والتقصي، لكثرة المؤلفات النقدية وامتدادها الزمني، ومن تلك الجوانب اسهامات الذوق الشعري في النقد العربي التراثي، ومدى تأثيره في تشكيل خصائص الشعرية وأنماط التلقي، لما لارتباط الذوق بالأوضاع الاجتماعية والتاريخية ولارتباط التلقي بهذه الأوضاع. وكان المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التاريخي، وذلك فيما يحتاج من القضايا إلى الوقفة التاريخية لمعرفة تطورها وما طرأ عليها بتوالي النقاد والمؤلفات النقدية.

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى أربعة مباحث تعقبها خاتمة، في المبحث الأول كان الحديث عن مفهوم الذوق الشعري عند النقاد العرب، وفي المبحث الثاني تناولت قضية البداوة والحضر وموقف الخطاب النقدي التراثي منها، وفي المبحث الثالث تكلمت عن مسألة المحدث والقديم بين إثبات أو نفي الشعرية وفق متطلبات الذائقة البدوية، أما المبحث الرابع فمتعلق بقناة تلقي الخطاب الشعري، وجاءت الخاتمة مشفوعة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب

المبحث الأول: مفهوم الذوق الشعري عند النقاد العرب

إنَّ الذي يلاحظ طبيعة الشعر العربي القديم من النشأة إلى التطور يرى أنَّ الشفاهية كان المحدد الرئيس لطبيعته أما الذوق فقد حدد التطور ليعضد لهذا النمط من القصيدة الجاهلية الشفاهية بالاستمرارية والدوام، وهو ما درجت عليه مصنفات النقد التراثي في تأكيدها على محورية الذوق في استقبال النصوص والتعليق عليها.

ورد في لسان العرب أنَّ الذوق لغة: "من ذاق يذوق، ذوقاً، والذوق مصدر ويقال ذاق الشيء ذوق وذواقاً، ومذاقاً، والأمر المستذاق أي المجرب المعلوم يقول تعالى: " فذاقت وبال أمرها، أي خبرت وبال أمرها"(١).

وجاء في المعجم الفلسفي: "أنَّ الذوق السليم نوع من الإدراك الحسي أو المكتسب للأمور الجميلة، أو الواجبة الجمال، أو التي تعتبر أفضل من غيرها"(٢).

رأى النقاد القدامى أنَّ الذوق نوعان، ذوق عام يتلخص في تلك العوامل الثقافية والاجتماعية التي يحياها الإنسان، والتي تؤثر مباشرة في تشكيل جوانبه العاطفية والفكرية، وبالتالي في صورة أحكامه، يقول الأصمعي مشيراً إلى هذا النوع: "لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار والأنساب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم"(٣).

لكي يكتسب الإنسان والشاعر بوجه الخصوص ذوقاً اجتماعياً عاماً يشير الأصمعي لذلك بمعرفة تاريخ وثقافة العرب من أجل التمييز بين المناقب في عرف الناس وما تدعوه بالمثالب في معتقداتها وهذا كما يقول غاية اكتساب الذوق العام.

أما النوع الآخر فهو الذوق الفني الشعري الذي يحكم به على جمالية قصيدة فإنها تلك القيم الفنية المرتبطة بالنص، يعتد بها النقاد في أحكامهم على شعر ما وفي هذا النوع يشير ابن خلدون: "اعلم أنَّ لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان، فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده"(٤).

إنَّ كلا الذوقين يؤثر الواحد منهما على الآخر، فلا يمكن إهمال تأثير الاجتماعي على الفني، ولا الفني بدوره على الاجتماعي.

إنَّ دراسة موضوع الذوق بوصفه نسقاً مهيمناً في الخطاب النقدي التراثي لابد أن يعتمد على جملة من المفاهيم المرافقة للخطاب، التي تعد بدورها مظهراً من تمظهرات الذوق العام والخاص، فالخطاب النقدي التراثي لم يستطع أن يبدأ مسيرته إلاّ حين وظّف لنفسه جملة من المفاهيم الأولية التي يعتقدها مسلمات لابد من الانطلاق منها نحو إقامة علم خاص بالأدب، فالجمحي من حيث أول ناقد متخصص نراه ينطلق في صياغة كتابه من مسلمة أولية، هي أفضلية زمنية لا يمكن الطعن فيها فالأول أفضل من الأخير، والجاهلي أشعر من الإسلامي والبدوي أبداً خير من المولد في باب الشعر، فمفهوم الزمن والبداوة والأولية عند الجمحي مسلمات من أجل تمييز جيد الشعر من رديئه، ولكننا إن فتشنا في العلة الأولى لهذا الكلام سنصطدم بالذوق غير المعلل كآخر حجة لما ذهب إليه.

يقول الجمحي: "يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له بلا صفة ينتهي إليها ولا علم يوقف عليه"(٥).

"وفي نشأة تلقي الآثار الأدبي، كان الذوق الذي يتخذ دلالة القبول في أكثر صوره، يمثل الخطوة الأولى في التقبل ورد الفعل ومن هنا، تكون صلته بالطبع على مستوى الإبداع، وما دام الشاعر لا يستغني عن ذوقه، وبالتالي، لأنّ الممارسة هي التي تحتضن التجربة بقراءتها والتفاعل معها، ذلك أنَّ مادة القراءة هي هذه التجربة التي يكتشفها الشعر، وبذلك كانت الصلة وطيدة بين ممارسة القراءة وممارسة التجربة، بواسطة ما تنتجه كلتا العمليتين"(٦).

المبحث الثاني: قضية البداوة والحضر وموقف الخطاب النقدي التراثي منها

لقد شكلت نقلة العرب من حياة البداوة إلى حياة الحضر والتمدن واختلاطهم بغيرهم من الأمم الوافدة على الحواضر العربية آنذاك، شكلت عند النقاد إشكالية فكرية على مستوى الإنتاج الشعري، حيث لاحظوا تغير أنماط التعبير الشعري

الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب

ما بين شعر البداوة وشعر الحضر، من خلال انصراف الشعراء الحضريين عن أساليب ومواضيع البداوة، مما حرّك في نفوس المحافظين نزعة قومية، وهو يرون طريقة أسلافهم يهددها الزوال، وخوفاً من ضياع الهوية وفساد الذوق عند العامة، راح الخطاب النقدي يشكل نسقاً فكرياً يرى في البداوة المزية ويعطيها الصدارة، لكونه أحسن الشعر البدوي، فله السبق الزمني، وبالتالي لابد للحضري من محاكاة طريقة العرب في الشعر، وإلاّ فإنَّ ذلك من فساد الشعر عندهم وسوء النظم، وممن تصدوا لهذه المهمة القومية، ابن قتيبة في قوله: "وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكي عند مشيد البنيان لأنّ المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لأنَّ المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العذاب الجواري، لأنَّ المتقدمين وردوا الأواجن والطوامي، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد لأنَّ المتقدمين جروا على منابت الشيح والحذوة والعرارة"(٧).

يحاول في مقولته هذه، دفع الشعراء نحو الاحتذاء بطريقة العرب في الشعر أيام بداوتهم، فالرسم العافي والبعير والشيح، ما هي إلاّ أشياء تمثل محيط البدوي في ترحاله، فلماذا يجبر الحضريين على استعادتها في زمانهم، ولكن ابن قتيبة لن يستطيع الذهاب بعيداً في تعليله، إلاّ بجعل ذلك منوطاً بالذوق العربي في الإبداع.

من النقاد الذين حملوا على عاتقهم إحياء الذوق البدوي في بيئة الحضر الجاحظ، حيث نافح عن الذائقة البدوية محملاً بنزعة قومية تجاه الحركة الشعوبية التي تفشت في عصره. يقول: "والقضية التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها أنَّ عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى، من المولدة والنابتة وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه"(٨).

إنَّ هذا الخطاب النقدي الذي يشتمل على نوع من التمييز في مجال البيان والبلاغة بين عربي ومولد، انطلاقاً من رؤية تدعي امتلاك العربي شيئاً لا يمكن لأي دخيل امتلاكه، كشيء يجري في عروق الأعرابي ترتبط بالنسب والأصالة فامتلاكه ملكة الذوق العربي لا يكون إلاّ لمن كانت فيه غريزة العربي التي تعود جذورها إلى ذلك البدوي الموغل في الذوق العام الذي اكتسبه باختلاط بيئته ومعرفة أيامها ووقائعها.

يقول الجاحظ في تعليل شاعرية الأعرابي مقايسة بالمولد: "إنَّ الفرق بين المولد والأعرابي: أنَّ المولد يقول بنشاطه وجمع باله الأبيات اللاحقة بأشعار أهل البدو فإذا أمعن انحلت قوته، واضطرب كلامه"(٩).

هذا الذي ذكره الجاحظ ما هو إلاّ نتيجة للخطاب النقدي، الذي يلزم الحضري بالسير على مذهب الأوائل، فالمرجعية العلمية دور مهم في هذا التوجه النقدي، إذ أنَّ من نشأ على حفظ الشعر الجاهلي ومدارسته ولزومه تنشأ فيه ذائقة تميل بالفطرة نحو هذا النمط من الشعر، وإذا أحست باختلاف طفيف في المذهب حسبته خروجاً علة مذهب الأوائل، وبالتالي مجته وأعرضت عنه.

إنَّ التعصب في مقام النقد يكون ضاراً بصاحبه، حتى وإن كان على حجة فنية، هذا الذي يلاحظ في معظم الأحكام التي أوردها النقاد في مباحثهم عن عيوب الشعر التي نتجت عن عدم التزام أصحابه بما عرفته العرب، أي العرف البدوي في الحكم على الأشياء، من ذلك قول أبي تمام:

رقيق حواشي الحلم لو أنَّ حلمه يكفيك ما ماريت في أنه برد

يقول الآمدي: ذكر أبو العباس أنَّ هذا ما أضحك الناس منذ سمعوه، إنما يوصف الحلم بالعظم، والرجحان والثقل والرزانة كما قال النابغة:

وأعظم أحلاماً وأكثر سيداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعاً(١٠).

لم يعلل الآمدي هذا القبح، وأظنه قد رفض تجسيد أبي تمام الحلم كثوب رقيق حواشيه على عكس ما ورثته العرب عن أجدادها في النظر إلى الحلم بالعظمة والثقل، وهذا ملمح اجتماعي متوارث عن أهل البادية، أراد أبو تمام مقاومته فقوبل

الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب

عند هؤلاء بالسخرية، لأنّ ذوقهم لم يستسغه، إنَّ الذوق هنا مرتبط بحكم اجتماعي نحو موضوع الحلم في هذا المثال، وهذا الموضوع مرتبط بمحمول اجتماعي آخر يثبت صفة للشيء كمنظور رسمته البداوة فورثه العرب بعد ذلك عنها.

من الأمثلة المشهورة في عدول الشعراء على ذوق البادية وتمردهم على أحكامها في الشعر قول أبي نواس:

عـاج الشقي عـن رسـم يسـائله وعجـت أسـأل عـن خـمارة البلـد
لا يرقي الله عيني من بكى حجراً ولا شفى وجد من يصبو إلى حجر(١١).

وقال أيضاً...

قـل لمـن يبكي علـى رسـم درس واقفـاً مـا ضـر لـو كـان جلس
أتـرك الـربع وسـلمى جـانباً واصـطحب كـرخية مثـل القبس(١٢).

حاول الشاعر في أبياته هذه رسم ذائقة أخرى مفارقة تنازع بثورة الذائقة القديمة التي روجت للرسم ومساءلته كنوع من الفحولة والتميز الذي خلّده الشعراء الأوائل في مقدماتهم الطللية، التي ناسبت حياتهم البدوية، جعل أبو نواس من هذا النمط من القصيدة موضع مساءلة، نحو ذوق آخر، هو ذوق المدينة وحياتها الذي مثل لها بالحانة أو الخمارة، ليصنع بذلك نمطاً آخر من القصيدة مرتبطاً هو الآخر بحاضره وبيئته، فالذوق البدوي كما يلمح إلى ذلك أبو نواس هو ذاك الذي عاش في البادية أما الآخر المغاير فلابد أن يصنع نمطاً جديداً يلبي تطلعات حاضره أي حاضر المدينة بكل أشكالها ومرافقها.

إنَّ ارتباط الذوق الأدبي في الخطاب النقدي التراثي بالذائقة البدوية كان تمهيداً لصراع حضاري، لابد من دعاة المحافظة ودعاة التجديد في مجال الشعرية العربية، حيث أضحت مقاومة الدخيل في الفكر العربي، وبخاصة الفلسفي منه حجة المحافظين من أجل الدفاع عن التراث والهوية الشعرية.

المبحث الثالث: المحدث والقديم بين إثبات أو نفي الشعرية وفق متطلبات الذائقة البدوية

يمثل الصراع النقدي الذي دار حول قضية المحدث حالة لصعود نسق ذوقي مختلف أطلق عليه مذهب الصنعة، حيث بدأ عدد من الشعراء الذين يعيشون وسط البيئة والمجتمع الحضري تلمس طريقة أو مذهب جديد للشعر، حينما أحسوا بتحول الذوق العام للجماعة العربية، كما كانت عليه في أزمنة البداوة، لكن هذه الرغبة قوبلت برفض شديد لدى النقاد المحافظين، الذين رأوا في الشعرية بنية مغلقة لا تقبل الإضافة أو التحويل، وأنَّ ما عدّ عموداً للشعر هو ميزان للشعر العربي في أي زمان ومكان، وأنَّ البيان والبلاغة العربية ما كانا أحسن مما قالته العرب أيام بداوتها أي في عصر صفاء ثقافتها القديمة، فصفاء الهوية في الثقافة البدوية لابد أن يستمر في ظل الثقافة الحضرية، كما ذهب إليه هؤلاء النقاد، حين فرضوا على الشعراء مبدأ صفاء النوع الأدبي، وأنَّ الشعر العربي قد استوى على سوقه، فلا يحتمل إضافة محدث، وإلاّ عُدَّ ذلك بدعة في الشعر وفساداً في الذوق لابد أن يعزل صاحبها من المؤسسة الأدبية.

إنَّ طبيعة هذا الفصل الصارم بين حسن قديم وحسن حديث نتيجة لهذا التضييق في الاحتكام إلى ذائقة بدوية، وهي ذائقة بقيت تحتكم إلى القيمة التفاضلية المسندة إلى صيغ أشعر، وأحسن، وأجود، في إطار حدود بلاغية لا تزعزع الأسس البلاغية البدوية(١٣).

فالخطاب النقدي التراثي بهذا المفهوم هو وليد ذائقة بدوية شرعت تقاوم ذائقة جديدة في طور التشكل عبر أعمال شعراء البديع، الذين رفضوا السير مع العرف العام لدى النقاد، وانتقل بدوره ليؤثر في الحكم النقدي الذي يلاحظ شدته في التعامل مع المحدث إلى درجة التعصب، مما ولّد لدى الشعراء أزمة فكرية في سعيهم نحو التوفيق بين معاناة الإبداع وصعوبة التلقي، ومما يروى في هذا الشأن، ما نقلته الكتب عن موقف ابن الأعرابي من شعر أبي تمام.

"فقد قرأ عليه أحد تلامذته أرجوزة أبي تمام:

وعـاذل عذلتـه فـي عـذلـه فظنَّ أني جاهل من جهله

وهو لا يعرف نسبتها، فأمر تلميذه بأن يكتبها له، قال التلميذ فقلت له: أحسنة هي؟ قال: ما سمعت بأحسن منها،

الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب

قلت: إنها لأبي تمام، فقال: خرق خرق"(١٤).

إنَّ أمثلة هذه العصبية في طبقة المحافظين عديدة، حيث لم تحاول إقصاء شاعر كأبي تمام، بل أرادت أن تقصي كل شعر محدث، خرج من مذهب الطبع إلى مذهب الصنعة أو البديع، دون علة مقبولة ترافق أحكامها، بل مرد ذلك توجه فكري سائد في المؤسسة النقدية للمحافظة على ذوق بدوي، يبدو أنه بدأ يخسر بريقه ومكانته في خضم الحياة الحضارية الجديدة.

"وتواصل الفكرة القائلة إنَّ الطبع هو أصل الفن الشعري، ليضاف إليها مبدأ أنَّ الطبع هو أصل الرأي النقدي وأداته، وكل من الطبع والذوق بمثابة الميول المثبتة في الذات البشرية على شكل هيئة راسخة في الذهن، حاضرة في كل سماع أو قراءة"(١٥).

إنَّ المتتبع لحركية المحدث في الشعر القديم يدرك أنها حركية لا يمكن حصرها في جانبها الفني، فقد شهد المجتمع آنذاك اتجاهاً حداثياً من الجانب السياسي والديني والاجتماعي على حد سواء، لذا ظلت السلطة في طابعها العرفي بكل أشكالها تقاوم هذا المحدث وتمنعه بشتى المواقف والأحكام.

تنقسم الحداثة الفنية في مواجهتها للذائقة البدوية التي حملها الخطاب النقدي ثلاث مراحل:

١– الحداثة الفكرية أو العقدية: يمثل هذا الاتجاه بشار بن برد وأبو نواس.

٢– الحداثة المعجمية: أو مذهب البديع كما عند مسلم بن الوليد.

٣– حداثة الصورة الشعرية: التي مثل لها أبو تمام في غموض معانيه وتعقيداتها.

١– الحداثة الفكرية العقدية:

يتمظهر هذا التمرد في رفض القيم والتقاليد في العصر العباسي الأول، بصورة جلية، فقد سخر الشعراء كأبي نواس وبشار من الأعراف والأحكام العقيدية، حين نعتوا بالهتاك والفجور.

يقول أبو نواس في إحدى خمرياته:

لست بالتارك لذا ت الندامى للصلاح
قل لمن يبتغي صلاحي بعت رشدي بصلاحي
أطيب اللذات ما كا ن جهاراً بافتضاح(١٦).

" وكان هذا المذهب البادرة الأولى نحو نشوء المحدث، حيث يظهر في هذا النوع التزامه الشديد بأعراف الذوق الشعري غير أنه تميز بالثورة والخروج عن الذوق الديني العقائدي"(١٧).

مع أنّ الحقيقة أنّ أضراب أبي نواس قد حركتهم دواع إبداعية وتصورات اجتماعية كانت وليدة الفترة الحضارية للأدب العربي.

٢– الحداثة اللفظية:

يمثل هذا النوع خروجاً آخر على الذائقة البدوية في باب اللفظ والصيغة الشعرية، سُمّي في النقد القديم بمذهب البديع، حيث تميز أصحابه بلغة شعرية جديدة غير لغة القدماء، من اختيار الألفاظ السهلة، والتراكيب اللينة، لما للحياة الإسلامية من تأثير في انتشار الطبع الرقيق، واللهو، فتغيرت الصياغة فوشحوا أشعارهم بالجناس والطباق، والاستعارة، وغير ذلك مما وقع تحت اسم البديع (١٨).

من نماذج هذا النوع من المحدث ما ذكره المرزباني عن مسلم بن الوليد قال:

سلت فسلت ثم سل سليلها فأنى سليل سليلها مسلولاً

فقال أبو نواس: والله لو رميت الناس في الطرق لكان أحسن من هذا(١٩)، "وفي قوله يمدح يزيد بن مزيد الشيباني:

سد الثغور يزيد بعد ما انفرجت بقائم السيف لا بالختل والحيل
أغر أبيض يفشي البيض أبيض لا يرضى لمولاه يوم الروع بالفشل
موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل (٢٠)

امتلأ النص السابق بالصنعة اللفظية وبألوان البديع، كالطباق: سد، انفرجت، الجناس، مهج، رهج، والتوازي في: على مهج/ يوم ذي رهج، وهذا في ثلاثة أبيات فقط.

٣– حداثة الصورة الشعرية

مثل لها أبو تمام أحسن تمثيل، حيث يلاحظ في شعريته ذلك الملمح الدلالي الذي يتسم بالغموض والتعقيد، خلاف ما ألفته الذائقة العربية في أيام بداوتها التي اتسمت الصورة الشعرية فيها بالبساطة والسطحية وتقريب التشبيهات، حيث أنَّ أبا تمام قد تعامل مع اللغة عموماً تعاملاً استثنائياً بتوظيفه لعلاقات مجازية مبتكرة، ليجعل من الغموض انفتاح للغة نحو عوالم دلالية لم تألفها العرب، ولم يعهدها ذوقها البدوي الذي يأبى الإيغال في المعاني. إنه: "يمكن إيجاز دوافع هذه الحداثة الأدبية عند أبي تمام في:

أ– الفضاء الحضاري: فغموضه يبرز ذلك التجديد والتعقيد الذين طبعا الحاضرة الإسلامية والمدنية باختلاطها بالأمم الأخرى.

ب– الهاجس الإبداعي: فضَّل الغموض لأنه لا يحتذي بمثال سابق، فهو يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها.

ج– عقلنة الشعر: أي جعل الشعر صنعة عقلية يقول أبو تمام:

لكنه صوب العقل إذا انجلت سحائب منها أعقبت بسحائب

د– اعتماد المحصول المعرفي الجديد من فلسفة ومنطق:

هـ– الصنعة في الشعر: فأبو تمام يتعب نفسه، ويكد فكره، لاستنباط المعاني الجديدة، وطلب البديع وتحسين الكلام"(٢١).

لم ير المحدث في علاقته بالقديم وفي الموروث الجاهلي طريقة في الإبداع الشعري فحسب، بل وأسلوباً في الحياة، لذا لم يكتف بمسألة بنيته الشكلية بل عمَّق المسألة ليجعل من المعتقد محل تشكيك وتساؤل، وأبو تمام كسالفه أبي نواس يجعل من المعنى الغامض بوابة لولوج عالم حاضره، وليوصل لمتلقيه معاناة الحياة الجديدة، فمفاهيم البساطة، والسطحية وقرب التشبيه والمناسبة في الاستعارة أمور كان يراها مرتبطة بزمن غير زمانه، وبذوق غير ذوق عصره، أما من كان بعيداً عن كل هذه الصرعات والحياة المتجددة من أمثال النقاد المحافظين فلم يدعوا شاردة ولا واردة من شعره إلاّ نقدوها ونبهوا عن خروجها على الذائقة البدوية، والآمدي كان أحسنهم في هذا، إذ يعلق على قول أبي تمام:

"اليوم أدرج زيد الخليل في كفن وانحل معقود مع الأعين الهتن

هذا البيت رديء لقوله: (وانحل معقود) فجعل الدمع معقوداً والاستعارة غير منكرة إلا إذا وقعت في غير موضعها الذي يليق، ولو قال الأعين الجمد كان أولى"(٢٢).

وقال أبو تمام:

إنَّ ريب الزمان يحسن أن يه دي الرزايا إلى ذوي الأحساب

فلهذا يجف بعدا خضراراً قبل روض الوهاد روض الروابي

وهذا أيضاً من ألفاظه الركيكة السوقية، وعاداته السخيفة العامية، فجاء أبو تمام في أقبح موضع(٢٣).

وقال:

للسيف يعدك حرقة وعويل وعليك للمجد التليد غليل

وحرقة السيف استعارة فيها استقصاء، ولو قال، بكى السيف، أو لبيك السيف، لكانت استعارة مألوفة معتادة(٢٤).

لا تخرج هذه الأمثلة من النقد عن هذا المنوال من النقد الذي يرفض استعارة غريبة وتشبيهاً بعيداً فقط، باسم العادة

والمتعارف عند العرب أو ما يسمى بالذوق العام، الذي كما أشرنا ذوق بدوي لا يقبل إلا بالمألوف المتداول بدل الطريف والمفاجئ والبسيط بدل المعقد والواضح بدل الغامض تماشياً مع طبيعتهم في تقدير الأشياء والحكم عليها.

"ففي ظل هذا الإطار لم تكن القراءة القديمة مجالاً معرفياً لتعدد المعاني، وإنما كانت قراءة موجهة صوب نص محدد المعالم، لا تجوز اختراقه أو تجاوزه، يتكئ فيها القارئ على نموذج ثقافي جمالي سائد يسمونه الذوق، تكاد تتحدد إجراءاته ضمن أطر جمعية، تتسم بسيادة الواقع، كانت القراءة مواجهة لعالم مكتمل المعالم لبنية مغلقة بنظامها الصارم التي تنفتح على مستوى معاني الذاكرة الجماعية، وألوان الصور البلاغية، ولذلك فهي ممارسة أليفة واضحة"(٢٥).

المبحث الرابع: قناة تلقي الخطاب الشعري

لم يكتف العرف البدوي المعتمد بين أوساط النقاد التراثيين بالتحكم في الخطاب الشعري عبر قوانينه الجامدة، بل تعدى ذلك إلى قنوات التواصل، بالدعوة إلى استعادة آليات الإلقاء والتلقي البدويين، وبجعل أنماط السماع والمشافهة من الوسائل المفضلة لهؤلاء، لخلق مناخ ملائم للذوق البدوي، حين نراهم يوجهون الشعراء نحو السماع والحفظ كأساس لامتلاك الذوق والحفاظ عليه، يقول ابن خلدون: "وهذه الملكة– أي الذوق– إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره، على السمع والتفطن لخواصه وتراكيبه"(٢٦).

يجب على الشاعر أن يتشبع بآثار الأساتذة الكبار، ويتحكم في معجمهم ويحفظ تنوعات صورهم الأسلوبية، وباختصار ينبغي له أن يملأ فكره بأشعارهم. لقد كتب ابن رشيق يقول: "فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار والتلمذة لمن فوقه من الشعراء فيقولون: فلان شاعر– راوية، يريدون أنه كان راوية عرف المقاصد، وسهل عليه مأخذ الشعر ولم يضق به المذهب، وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية، ضل واهتدى من حيث لا يعلم، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه لضعف آلته(٢٧).

يرى ابن رشيق أنَّ لامتلاك ناصية الشعر والذوق لابد من الحفظ والسماع والتكرار والدربة، وهي أداة تمثل القناة الشفاهية، التي تسمح برسوخ الذوق الشفاهي البدوي إبداعاً وتلقياً: "حيث كان الشعراء الرواة سابقاً بوصفهم وسطاء أشياء التواصل يمثلون نموذجاً من المطبوعين الذين كانوا يمثلون بدورهم مستويات للتواصل ملائمة للظروف الشفاهية عبر السماع المباشر من الشاعر المطبوع والتي بدورها تكون سبب لنتاج شعري يساوي في الدرجة شعر أستاذه، وفي المحصلة انتماء هؤلاء الشعراء إلى الطريقة نفسها عبر الحفاظ على الذوق بالحفظ والسماع والتي تحيل ابتداء على اقتدار على الحفظ والرواية ورفض الاعتماد على الكتابة والكتب، كوسطين يمكن الثقة فيهما"(٢٨).

الملاحظ في هذا المقام هو التفطن المبكر للنقاد في تناولهم قضية تلقي الخطاب الشعري، حيث جاولوا بشدة الإبقاء على قناة السماع والمشافهة كنوع من الذوق الدبي الأمثل، الذي يتماشى والنسق الفني للموروث الجاهلي أو للأنموذج الذي يعني في أبعاده الصفاء والفحولة والجودة ، لهذا فهو جدير بالاتباع والسير على منواله. يقول ابن قتيبة في هذا الشأن: "وكل علم محتاج إلى سماع، وأحوجه إلى ذلك علم الدين، ثم الشعر، لما فيه من الألفاظ الغريبة واللغات المختلفة والكلام الوحشي"(٢٩).

لكن هذا الخطاب النقدي، الذي اعتمد الذوق الشفاهي في تنظيراته وتطبيقاته كان يعيش في خضم حياة فكرية تتميز بمركزية الكتابة وليس السماع، حيث أثر ذلك في ظهور اتجاه حداثي، بخوض تجربة الإبداع الكتابي لما رآه من بعده عن الذوق والبيئة البدوية، وقد رافق هذه الطريقة من الإبداع صدمة لدى المتلقي الذي ألف الاستقبال الشفاهي ذي الملمح البسيط في بنيته والواضح في أسلوبه، وهذا الذي شكل تشويشاً في القناة لدى المحافظين الذين لم يستطيعوا مواكبة الطريقة

الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب

الجديدة في الإبداع والذوق بحكم احتكامهم إلى أعراف التلقي النقدي الشفاهي الذي تميز بالتسرع في الأحكام والفهم، وفي هذا أورد مثالاً من أخبار أبي تمام:

"حدثني محمد بن البربري قال: حدثني الحسن بن وهب قال: قلت لأبي تمام أفْهَمَ المعتصم بالله من شعرك شيئاً، قال: استعادني ثلاث مرات في قولي:

وإن أسمح من تشكو إليه الهوى من كان أحسن شيء عند العذل

واستحسنه، ثم قال لأبي ذؤاد، يا أبا عبد الله، الطائي بالبصريين أشبه منه بالشاميين"(٣٠).

إنّ استعادة المعتصم قول أبي تمام ثلاث مرات لدليل على صعوبة تلقيه، بل وجبت قراءته مرات عدة لفهمه، فلا يكفي السماع المباشر والفهم التلقائي، وهما مميزات التلقي الشفاهي، أما هنا فكان شعر أبي تمام كشفاً آخر لا ينكشف إلا بالاستعادة والنظر والتأمل، الذي تسمح به القراءة.

حاول الخطاب النقدي التراثي استعادة طريقة العرب في الإنشاء في خضم مركزية القراءة والكتابة، عبر تلقين الكتاب من الشعراء ولأدباء أسلوباً لا تبتعد عن خصائص الإبداع الشفاهي من سهولة اللفظ ووضوح المعاني بغية إخضاع تجربة الكتابة لمتطلبات الذوق الشفاهي في الإلقاء والتلقي، يقول الجاحظ: "وليس الكتاب إلى شيء أحوج منه إفهام معانيه، حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية، ويحتاج من اللفظ مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشو، ويحيطه من غريب الأعراب، ووحشي الكلام، وليس له أن يهذبه جداً، وينقحه ويصفيه ويروقه ...، فإنه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يجدد له إفهاماً مراراً وتكراراً لأنّ الناس كلهم قد تعدوا المبسوط من الكلام"(٣١).

إنَّ الملاحظ من أقوال الجاحظ هو تحول الخطاب النقدي كوصي على الإبداع الفني تارة، وعلى إفهام الناس وعقولهم تارة أخرى، فلزم على الكاتب التبسيط والشرح والابتعاد عن التنقيح والتصفية لكونها عيوباً في النظم والتأليف، وهذا إنما يدل على سلطة الذوق الشفاهي والأصل البدوي على الخطاب النقدي، من أجل انشاء استمرارية لنسق الوضوح والبساطة حتى في زمن الكتابة والمذهب الجديد، بوصفه ممثل الهوية والأصل، تجاه كل دخيل فلسفي علمي ومعرفي، قد يلوث الذائقة الموروثة عن الأسلاف التي تأبى كل مغامرة وكشف، يقول أدونيس في هذا الشأن: "وللحفاظ على الذوق البدوي الأصيل، هيمنت معايير الشفوية الشعرية، وإلى أن تجمد في صيغ من التعاليم ترد قول الشعر إلى نوع من المحاكاة، ولا تقيم فارقاً بين النص الشفوي والمكتوب، وكان هاجس هؤلاء النقاد ان يؤكدوا مظاهر التواصل مع الشعرية الجاهلية، لأنها أعمق وأقوى ما يفصح عن الهوية العربية ويمثلها وأي خروج عنها إفساد للشعر ذاته"(٣٢).

تركّز في نفوس الشعراء والنقاد بفعل الزمن طريقة في الإبداع والنقد تحاكي طريقة الجاهلية، تاركة وراءها مع التكرار خطاباً نقدياً سلطوياً تجاه كل محدث قد يخل بالعرف الشعري الشفاهي، على الرغم من التأثير العميق للكتابة، إلا أنّ التعاليم التي تختزل الشعر في النموذج ظلت هي الصوت المهيمن في كل من النقد والإبداع، لما للهوية العربية وقضية الانتماء من عمق كما قال أدونيس في الإنسان العربي الاجتماعي بطبعه، حيث الارتباط القوي بين الهوية الثقافية والهوية السياسية.

الخاتمة:

حاول هذا البحث الكشف تمحيصاً وتقصياً عن بذور الذوق الشعري في الخطاب النقدي الشعري عند العرب دون محاولة تحميل التراث أكثر مما يحتمل، ودون الجرأة على إقحام ما ليس موجوداً في التراث النقدي، مع الحرص على تحري الموضوعية العلمية قدر الاستطاعة. نتيجة لذلك جمعت جملة من الاستنتاجات، التي كان من أهمها:

– إنَّ دراسة موضوع الذوق بوصفه نسقاً مهيمناً في الخطاب النقدي التراثي لابد أن يعتمد على جملة من المفاهيم المرافقة

للخطاب، التي تعد بدورها مظهراً من تمظهرات الذوق العام والخاص، فالخطاب النقدي التراثي لم يستطع أن يبدأ مسيرته إلاّ حين وظّف لنفسه جملة من المفاهيم الأولية التي يعتقدها مسلمات لابد من الانطلاق منها نحو إقامة علم خاص بالأدب.

– كان الخطاب النقدي التراثي خطاباً يرمي لمحاكاة أنموذج جاهلي في الإنتاج والتلقي، لذا راح يستعين بجملة من المفاهيم المساعدة على استمرار النسق من قبيل الطبع والارتجال والوضوح التي كانت تمثل النسق البدوي الذي مثل الشعرية الأنموذج.

– يمثل الذوق الأدبي عند العرب الوجه الآخر للأعراف الاجتماعية والثقافية، التي حددت بسلطتها الجماعية التطور الأدبي للشعر، للالتزام الشديد الذي يلاحظ في الذوق تجاه الذوق البدوي والبداوة، والذي نجم عنه نسقاً مهيمناً في المؤسسة النقدية رفض كل شعرية مخالفة للأصل الجاهلي، مما أدى إلى ظهور نسق المحدث بوصفه نتاجاً طبيعياً لمتطلبات التلقي القرائي الذي انتشر في عصر الحداثة وشكل ذوقاً مفارقاً عن الذوق البدوي.

– إنَّ ارتباط الذوق الأدبي في الخطاب النقدي التراثي بالذائقة البدوية كان تمهيداً لصراع حضاري، لابد من دعاة المحافظة ودعاة التجديد في مجال الشعرية العربية، حيث أضحت مقاومة الدخيل في الفكر العربي، وبخاصة الفلسفي منه حجة المحافظين من أجل الدفاع عن التراث والهوية الشعرية.

– تركّز في نفوس الشعراء والنقاد بفعل الزمن طريقة في الإبداع والنقد تحاكي طريقة الجاهلية، تاركة وراءها مع التكرار خطاباً نقدياً سلطوياً تجاه كل محدث قد يخل بالعرف الشعري الشفاهي، على الرغم من التأثير العميق للكتابة.

الهوامش:

١– لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٨١، ٣/ ١٥٢٧.

٢– معجم المصطلحات الفلسفية: حلو عبده، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٩٤، ٧٢.

٣– العمدة: أبو علي الحسن ابن رشيق، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، بيروت، ١٩٨١، ١/ ١٣٢.

٤– المقدمة: عبد الرحمان بن خلدون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٧، ٦١٥.

٥– طبقات فحول الشعراء: محمد ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤، ٧.

٦– خطاب الطبع والصنعة: مصطفى درواش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ٢٠٠٥، ٧٣.

٧– الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، ط٢، القاهرة ، ١٩٥٨، ٢٢/١.

٨– الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار مصطفى البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨، ٢/ ٣٢٨.

٩– المصدر نفسه، ٣٢٩/١.

١٠– الموازنة بين الطائيين: أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي. تحقيق: عبد الله حمد محارب، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٩٠، ١٣٨/١.

١١– الديوان: أبو نواس الحسن بن هاني، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٩٤، ١٤٩.

١٢– المصدر نفسه، ٣٠٥.

١٣–ينظر: بلاغة النقد وعلم الشعر في التراث النقدي: بوجمعة شتوان، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، دار الأمل، تيزي وزو، ٢٠٠٧، ٢٩.

١٤– أخبار أبي تمام: أبو بكر الصولي، تحقيق: صالح الأشقر، دار الفكر العربي، ط٢، دمشق، ١٩٦٤، ١٧٥.

١٥– الطبع والصنعة، مصطفى درواش، ٧٤.

١٦– الموشح: أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، المطبعة السلفية، ط١، القاهرة، ١٩٥٠، ١٦٨.

١٧– ظواهر من التمرد في العصر العباسي: صالح علي سليم، مقالة في مجلة بجامعة دمشق، المجلد ٢٠، العدد٢، دمشق، ٢٠٠٤، ٩٤.
١٨– ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: طه أحمد إبراهيم، دار العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦، ٩٤–٩٥.
١٩– ينظر: الموشح، المرزباني، ٣٢٥.
٢٠– الديوان: صريع الغواني، مسلم بن الوليد، تحقيق: سامي الدهان، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٩٧، ٨.
٢١– ينظر: الشاعر العربي بين معاناة الإبداع وصعوبة التلقي: وحيد كبابة، مقالة في مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق، مج٨٤، الجزء١، ٢٠٠٠، ٧٦.
٢٢– الموازنة بين الطائيين: الآمدي، ١/ ٤٧٧.
٢٣– الموازنة بين الطائيي: الآمدي ، ١/ ٤٨٢.
٢٤– المصدر نفسه، ١/ ٤٩٣.
٢٥– المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء: تسعديت قوراري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨، ١٢٠.
٢٦– المقدمة: ابن خلدون، ٦١٥.
٢٧– العمدة: ابن رشيق، ١/ ١٩٦.
٢٨– ينظر: بلاغة النقد وعلم الشعر في التراث النقدي: بوجمعة شتوان، ٢٤–٢٥.
٢٩– الشعر والشعراء: ابن قتيبة، ١/ ٨٢–٨٣.
٣٠– أخبار أبي تمام: الصولي، ٢٦٧.
٣١– الحيوان: الجاحظ، ١/٣٧.
٣٢– الشعرية العربية: أدونيس، دار الآداب، ط٢، بيروت، ١٩٨٩، ٣٣.

المصادر والمراجع:

١. أخبار أبي تمام: أبو بكر الصولي، تحقيق: صالح الأشقر، دار الفكر العربي، ط٢، دمشق، ١٩٦٤.
٢. بلاغة النقد وعلم الشعر في التراث النقدي: بوجمعة شتوان،منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، دار الأمل، تيزي وزو، ٢٠٠٧.
٣. تاريخ النقد الأدبي عند العرب: طه أحمد إبراهيم، دار العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦.
٤. الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار مصطفى البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨.
٥. خطاب الطبع والصنعة: مصطفى درواش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ٢٠٠٥.
٦. الديوان: أبو نواس الحسن بن هاني، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٩٤.
٧. الديوان: صريع الغواني، مسلم بن الوليد، تحقيق: سامي الدهان، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٩٧.
٨. الشاعر العربي بين معاناة الإبداع وصعوبة التلقي: وحيد كبابة، مقالة في مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق، مج٨٤، الجزء١، ٢٠٠٠.
٩. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ج١، ١٩٥٨.
١٠. الشعرية العربية: أدونيس، دار الآداب، ط٢، بيروت، ١٩٨٩.
١١. طبقات فحول الشعراء: محمد ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤.
١٢. ظواهر من التمرد في العصر العباسي: صالح علي سليم، مقالة في مجلة بجامعة دمشق، المجلد ٢٠، العدد٢، دمشق، ٢٠٠٤.
١٣. العمدة: أبو علي الحسن ابن رشيق، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، بيروت، ١٩٨١.
١٤. لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٨١.
١٥. المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء: تسعديت قوراري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨.
١٦. معجم المصطلحات الفلسفية: عبده حلو، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٩٤.
١٧. المقدمة: عبد الرحمان بن خلدون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٧.
١٨. الموازنة بين الطائيين: أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي. تحقيق: عبد الله حمد محارب، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ج١، ١٩٩٠.
١٩. الموشح: أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، المطبعة السلفية، ط١، القاهرة، ١٩٥٠.

الذوق الشعري في الخطاب النقدي التراثي عند العرب

العدول في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية)

أ.م. د. إيمان صالح مهدي
جامعة بغداد / مركز حياء التراث العلمي العربي

المستخلص:
تناول البحث موضوعًا مهمًا إمتازت به العربية دون غيرها من اللغات ،كثر استعماله في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكذلك في الشعر العربي ألا وهو (العدول) وله تسميات متعددة أطلقها عليه علماء العربية ،منها: العدول ،والالتفات ،وشجاعة العربية ،والانصراف ،وقف البحث عليها ،موضحا سعة العربية في أساليبها التعبيرية ودقتها فيها ،كما وقف البحث على تعريفه لغة واصلاحًا، أما أنماطه ففي الحديث النبوي الشريف كانت له أنماطًا وأساليب متنوعة سيقف البحث على بعض منها ،وهي: العدول من الغيبة إلى الخطاب، والعدول من المتكلم الى الغائب وعكسه ،و العدول من الماضي إلى الحاضر، و العدول من الحاضر إلى الماضي، و العدول من الجملة الفعليّة إلى الجملة الاسميّة.
الكلمات المفتاحية : العدول، الحديث الشريف، دراسة ،دلالية .

Abstract:
The research dealt with an important topic that distinguishes Arabic from other languages. It is widely used in the Holy Qur'an and the Noble Prophet's Hadith, as well as in Arabic poetry, which is (adolence). It has multiple names given to it by Arabic scholars, including: abandonment, turning around, the courage of Arabic, leaving, and stopping the search. On it, explaining the breadth of Arabic in its expressive methods and its accuracy, and the research also focused on its definition of language and reform. As for its patterns, in the noble Prophet's hadith it had various patterns and methods. The research will focus on some of them, which are: switching from backbiting to speech, and switching from the first person to the third person and vice versa. And the transition from the past to the present, and the transition from the present to the past, and the transition from the verbal sentence to the nominal sentence.
Keywords: apostasy, noble hadith, study, semantics

المقدمة:
اتّسمت اللّغة العربيّة بدقتها العظيمة في التّعبير عن المعاني، وسعة المساحة التعبيريّة الّتي تملكها. كما اتّسمت بقدرتها الجبارة على توليد المعاني، وتنويعها وتكثيفها، ولا تحيا الكلمات منعزلة بعضها عن بعض، إنْ حياتها قائمة على علاقة حضورها بعضها مع بعض، بمعنى أنّها خاضعة للسّياق الّذي يحدّد دلالتها، ويفرض استعمالها بدقة. لأننا لا نتكلم بلكمات مفردة، بل بجمل وعبارات. لأنّ هي العنصر الرّئيس للدّلالة، وأمّا الكلمة المفردة فما هي إلاّ عنصر جزئيّ من هذا المعنى الكليّ، بمعنى أننا ننطلق من الجملة الّتي نتوصل إلى تحديد معناها عن طريق معرفتنا للمعنى الحقيقيّ للأقسام المكوّنة لهذا الكلّ(١). وهذا التّركيب من الجمل والعبارات أعطى اللّغة القدرة على التّعبير عن المعاني بأكثر من طريق وكلّ طريق يكون هو الأفضل والأنسب في زمانه ومكانه، فسعتها التعبيريّة مكّنت من التعبير عمّا يدور في خلده من أفكار، بأدق تركيب وأوجز أسلوب، فيقدّم ما يهمّه غلى غيره في التّركيب، خدمة لغرض دلاليّ في نفسه، كما يكرّر لفظاً معيناً في تركيب معين لغرض دلاليّ آخر، كما أنّه يذكر ويحذف، وينتقل من اسلوب إلى آخر، ومن لفظ الى آخر. ولهذا اتّسمت العربيّة (بحرية الحركة) أي حركة مفرداتها داخل النّظام أو التّركيب فلم يحدّها إسلوب واحد أو تنظيم واحد. بل تعدّدت وتنوّعت أساليبها، فزاد

العدول في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية)

ثراؤها اللّغويّ. وقد رتها على التأثير، وبذلك تكون قد فتحت آفاقاً رحبة وميادين واسعة، ووقفت متكلمها على أنهار مترعة ينهل منها من أراد الإبداع والخلق النيّ، ومن رام الوصول إلى أعمق المعاني والدَّلالات لأنّ " الألفاظ المكوّنة للعبارات ذات معنى صحيح يتمّ استخدامها على وفق قواعد التّركيب أو النّحو أو البناء Synyay ممّا يجعل منها سياقاً لغويّاً له معنى هو الجملة أو العبارة " (٢).

وهذا يدلّ على أنّ النّحو هو القالب الّذي تفرغ فيه الألفاظ دلالاتها، على أنّه ليس قالباً جامداً فاقداً للحياة، بل هو الطّريق الّذي يصل بين المتكلم والمتلقي لتحقيق غاية هي (إدراك المعنى) لذلك قيل في تعريفه " أنّ تنحو كيفية التّركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنيّة عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التّركيب من حيث تلك الكيفيّة "(٣).

فالمعنى النّحوي إذن يحدّده " النّظام في اللّغة، والموقع في السّياق، كما يحدّده المقام، وما يستفاد من العناصر أو القرائن اللُّغويّة المختلفة اللّفظيّة والمعنويّة"(٤)، وعليه فالمعنى النّحويّ أو الدّلالة النّحويّة هي الّتي " ترعى الجوانب الفنيّة والأحوال النّفسيّة لدى من ينشئ الكلام، وتعتد بتقدير المنشئ كحال من يتلقى عنه ويأخذ منه " (٥).

ولمّا كان الإعجاز القرآني " متعدّد النّواحي متشعّب الاتجاهات. فما يزال النّاس يكتشفون من مظاهر أعجازه الشيء الكثير ... وإنّ التّعبير الواحد قد ترى فيه إعجازاً لغوياً جمالياً، وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً، أو إعجازاً تاريخيّاً، أو إعجازاً نفسياً أو إعجازاً تربوياً، أو إعجازاً تشريعياً، أو غير ذلك فيأتي اللُّغوي ليبيّن مظاهر إعجازه، وأنّه لا يمكن استبدال كلمة بأُخرى ولا تقديم ما أخّر أو تأخير ما قدّم، أو توكيد ما نزع منع التّوكيد ما أكد ... " (٦)، فلا غرو أنّ أقول : إن حديث أفصح العرب (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قارب أن يضارع في إعجازه إعجاز القرآن الكريم لأننا نجد في حديثه الشّريف إعجازاً لغويّاً، وتأريخيّاً، وعلميّاً، تربوياً، ونفسياً وتشريعيّاً. فكلامه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أرقى واكمل وأبلغ من كلام أبلغ البلغاء من البشر. فجاء الإسلوب النّبويّ الشّريف قريب الشّبه من الإسلوب القرآنيّ الكريم، فلا عجب أن يُعني المفسّرون بشرح الحديث، والوقوف على أساليب تعبيره كما وقفوا على أساليب التّعبير القرآنيّ، كابن القيّم (ت٧٥١هـ) في (بدائعه)، والزّركشيّ (ت٧٩٤هـ) في (برهانه)، والسّيوطيّ (ت٩١١هـ) في (إتقانه) وغيرهم كثير. فكان الطيبي (ت ٧٤٣هـ) في (كاشفه) والقاري في (مرقاته) من أولئك الأفذاذ الّذين كشفوا عن الأسرار البلاغيّة الدّقيقة الّتي أودعها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حديثه الشّريف، ولا غرابة في ذلك، فقد بلّغ الكتاب الإلهي المعجز الّذي وقفت أمّة العرب (أمّة الفصاحة والبلاغة والبيان) أمامه عاجزة عن الإتيان بمثله : فقال تعالى :(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) (٧)، وقال تعالى :(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) (٨).

وقال تعالى:(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)(٩)، فهذا التّدرّج من السُّورة الواحدة الى العشرة ثم الى القرآن كلّه هو أوضح صورة على تحدي القرآن الكريم للعرب وإثبات عجزهم أمامه.

وكان العدول واحدا من تلك الأساليب التي زادت من بلاغة القرآن وتأثيره في نفوس سامعيه .

فما هو العدول :

قال الخليل:" العَدْلُ أن تَعْدِلَ الشيء عن وجهه فتميله. عَدَلْتُهُ عن كذا، وعَدَلْتُ أنا عن الطريق"(١٠).

وقال الجرجاني:" والعدل في اصطلاح النحويين: خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى"(١١).

فهو :اسلوب فنيّ عريق من أساليب العربيّة، عرفه أهلها على امتداد عصورها فاختصّ بها دون غيرها من اللُّغات(١٢)، ويقصد به " نقل الكلام من اسلوب إلى آخر، أعني من المتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة إلى آخر منها، بعد التّعبير بالأوّل، هذا هو المشهور، وقال السّكاكيّ : إمّا ذلك أو التّعبير بأحدهما فيما حقه التّعبير بغيره " (١٣).

وأطلقت على هذا الفّن تسميات أخرى منها : الاعتراض، والاستدراك، والصّرف، والانصراف(١٤).

ولعلّ الأصمعيّ (ت٢١٦هـ) هو أوّل من أطلق عليه اسم (الالتفات) (١٥).

وسمّاه ضياء الدّين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) بـ (شجاعة العربيّة) (١٦).

العدول في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية)

أما ملا علي الهروي(ت١٠١٤هـ) فقد أطلق عليه (الالتفات كما أطلق عليه أسم (العدول) فتعليقاته وتوضيحاته كلّها يتردّد فيها الأسمان.

وعرَّفه ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) فقال : " هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الأخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر " (١٧).

وتكلّم عليه السّكاكيّ (ت٦٢٦هـ) مشيراً إلى أنواعه، وكثرة استعماله عند العرب، وفائدته. فقال : " إنّ هذا النّوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختصّ بالمسند إليه، ولا بهذا القدر، بل الحكاية، والخطاب والغيبة، ثلاثتها ينقل كلّ واحد منها الى الآخر، ويسمّى هذا النّقل (التفاتاً) عند علماء المعاني، والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب أدخل في القبول عند السّامع، وأحسن تطريّة لنشاطه، وأملاً باستدرار إصغائه ... وقد ينتقل بالصّيغة من الماضي الى المضارع " (١٨).

وعدّه ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) من الصّناعة المعنويّة فقال : " وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله. فهو يقبل بوجه كذا وتارة كذا، وكذلك هذا النّوع من الكلام خاصة، لأنّه ينتقل فيه من صيغة الى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ " (١٩).

وعليه فالعدول إبداع فنّيّ اختياريّ يمتاز بالوعي، والتّنظيم، من العقل الّذي أبدعه، كما يتطلّب وعياً وإلماماً من لدن المتلّقي أو السّامع ليزداد تنبهاً واحساساً بأهميّة ما يسمع أو يقرأ.

وهذا الاسلوب الّذي تفرّدت به العربيّة دون غيرها لابّد أن يحوي فوائد قيّمة منها : تطرية الكلام، وتنشيط السّامع، أو صيانة السّمع عن الضّجر والملل لما جُبلت عليه النّفس من حب التنقلات لسآمتها من الاستمرار على منوال واحد، ولاتساع مجاري الكلام، وتلك فوائده العامّة، أمّا الخاصّة فتختلف باختلاف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم، فقد يقصد به للتّعظيم، أو التّوبيخ، أو للتنبيه، أو للاهتمام، وغيرها(٢٠).

وللعدول أساليب متنوعة في الحديث النبوي الشريف ،منها:

١ –العدول من الغيبة إلى الخطاب :

يعدل فيه المتكلم عن نظام القاعدة المعيارية، رامياً من عدوله هذا توجيه العناية بالمعنى الّذي يريده، كما يرمي الوصول والسّيطرة على نفس المتلقي لإثارة شبكة من المعاني والدّلالات المتشعبة فيها، ينتج عنها عمق في الإدراك، والتّأثير، قال ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) : " أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلاّ لفائدة اقتضته. وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تحدّ بحدّ، ولا تضبط بضابط، ولكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها " (٢١).

ومنه الحديث الشّريف : (... يَقُول أَهْلُ السَّماء : رُوحٌ طيِّبَةٌ جَاءتْ مِنْ قِبَل الأَرْض صلّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ) (٢٢).

قال الطيبيّ:في (عليك) عدول من الغيبة في قوله (جاءت) إلى الخطاب وفائدته مزيد اختصاص لها بالصلاة عليها.

وقال الهروي : لمزيد التلذذ بخطابهم إياها " (٢٣).

يُلحظ أنّ تعليل الطّيبيّ تركّز على قصد المتكلم تعظيم المخاطَب والعناية به، فتكون العناية منصبّة على ذات المخاطب، أمّا تعليل الهروي فقد أنصبّ على ذات المخاطب، فهو أقرب إلى المنهج النّفسيّ في دراسة النّص اللّغوي.

ومنه الحديث الشّريف:(عَنْ حَكِيم بْن مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :(قُلْتُ يَا رَسُولُ اللهِ):(مَا حَقُّ زَوْجَة أَحَدنا عَلِيهِ)قالَ: (أَن تُطْعِمَهَا إذا طَعِمْت، وتَكْسُوهَا إذَا اكْتَسَيتَ) (٢٤).

قال الطّيبيّ (ت٧٤٣هـ) : " التفات من الغيبة إلى الخطاب اهتماماً بثبات ما قصد من الإطعام والكسوة، يعني كان القياس أن يقول: أن يطعمها إذا طعم، فالمراد بالخطاب عام لكل زوج، أي يجب عليك إطعام الزوج وكسوتها عند قدرتك عليهما

العدول في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية)

لنفسك"(٢٥)، فجاء العدول للاهتمام والاعتناء مع إفادة العموم.

ومنه الحديث الشَّريف (عَنْ بُرَيْدة، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يَقولُ : في الإنسانِ ثَلثمِائة وستون مَفصَلاً فَعَلَيْهِ أنْ يتَصدَّقِ عِنْ كُلِّ مَفْصل مِنْهُ بصَدَقَةٍ. قَالُوا:(ومَنْ يُطَيق ذَلكَ يَا نَبيَّ اللهِ) قَالَ:(النَّخاعَةُ في المسجدِ تَدْفنُها، والشَّيء تُنَحِيهِ عَنِ الطَّريق، فَإنْ لمْ تَجِدْ فَرَكْعَتَا الضُحى تُجزِيكَ) (٢٦).

قال الهروي :" أي أيّها المخاطب خطابا عاماً عدل عن صيغة الجمع لئلا يتوهم الاختصاص بالصّحابة. وقال الطّيبيّ : الظّاهر أنّ يقال : من يدفن النّخاعة في المسجد فعدل عنه إلى الخطاب العامّ، اهتماماً بشأن هذه الخلال وإنّ كلّ ما من شأنه أنْ يخاطب بخطاب ينبغي أن يهتم بها " (٢٧).

ففي الحديث الشَّريف عدولان :

الأول : من الجمع إلى المفرد لدفع التّوهّم، أي توهّم اختصاص الحكم بالصّحابة دون غيرهم.

والثاني : من الغيبة إلى الخطاب للعناية بشأن هذه الوصايا.

٢ – العدول من المتكلم الى الغائب وعكسه :

نوع آخر من أنواع العدول الّذي يخرج لغرض دلاليّ معيّن هو إفهام السَّامع أنّ قصد المتكلم واضحُ وجليّ وغير مضطرب، وأن ما يبديه في الحضور هو عين ما يبديه في الغيبة، سواء أكان السَّامع حاضراً أم غائباً، ولكنه أراد بالانتقال السَّيطرة والإبقاء على فهم السّامع.

ومنه الحديث الشَّريف : (قَالَ رَسُولُ اللهِ(صلّى الله عليه وآله وسلّم):(إذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ فَاحتَمَلَها الرِّجالُ عَلى أعْنَاقهِمْ، فإنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِّمُونِي، وَإنْ كانَتْ غَيْرَ صَالحَةٍ قَالَتْ لأهْلها: يا وَيْلها، أيْنَ تَذْهبونَ بها، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شيءٍ إلاَ الإنْسَانَ وَلَو سَمِعَ الإنسان لصُعِقَ) (٢٨).

قال الهروي : " يا ويلها أي ويل الجنازة، قالَ الطّيبيّ : أي يا ويلي وهلاكي إحضر فهذا أوانك، فعدل عن حكاية قول الجنازة إلى ضمير الغائب حملاً على المعنى، كراهة إضافة الويل إلى نفسه " (٢٩). أي أنّ مسوّغ الالتفاف في المقام هو ذات المتكلم، إذ كره أن يضاف إلى نفسه الشّريفة ما يكره.

أما العدول من الغيبة إلى التّكلم فجاء في حديثه الشّريف (... وَالّذي نَفْسُ مُحَمَّد بيدهِ لا يسمَعُ بي أحدٌ منْ هَذهِ الأُمّةِ يَهُودي وَلاَ نَصرانيٌّ ثُمَّ يموت ولم يؤْمِنْ، بالّذي أرسلتَ بهِ إلاّ كَانَ منْ أصْحاب النار) (٣٠).

قال الهروي : " وكان الأصل أن يقول والّذي نفسي لكنه جرّد من نفسه النَّفيسة من اسمه محمّد وهو هو ليكون أبلغ، وأوقع في النفس، ثُمَّ التفت من الغيبة إلى التّكلم تنزيلاً في مقام الجمع إلى التّفرقة، ومن الكون من الحق إلى الاشتغال بدعوة الخلق، والانتقال من خزانة الكمال إلى منصّة التّكميل " (٣١).

عدل (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن الغيبة إلى التّكلم للعناية بدعوته ورسالته المقدسة وللحث عليها وعدم التّهاون بها ، وتصديق ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى :(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ)(٣٢). كما أن في الحديث عدولاً عن المتكلم إلى الغيبة في قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : (نفس محمّد) لقوّة التّأثير في سامعيه.

٣ – العدول من الماضي إلى الحاضر :

من أساليب العدول الّتي يعدل بها عن الأخبار بالفعل الماضي إلى الفعل الحاضر، وذلك لما في صيغة الحاضر من قدرة بلاغيّة على تصوير الحالة الّتي يقع فيه الحدث، وكأن السَّامع يشهد تلك الصُّورة ويفهمها. أي " ينقل لنا الصُّورة حيّة كأنها أمام أعيننا ... وما حدث الانتقال من لفظ (الفعل الماضي) إلى لفظ الفعل المضارع) أو العكس إلاّ مراعاة لما في (الفعل الماضي) أو (المضارع) من خصائص لا يتطلّب المعنى العامّ غيرها " (٣٣).

ومنه(٣٤) الحديث الشَّريف : (عنْ عائِشَةَ (رضي الله عنها) ... فَقالَ رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أكُنتِ تَخَافِيْن أن يحيْف اللهُ عليْكِ ورسُولهُ) (٣٥).

العدول في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية)

قال الهروي : " ذكر الله تنويها لعظم شأنه عند ربه على حد(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)(٣٦) ... وقيل عدل عن (أحيف أنا) إلى (يحيف رسوله) إيذاناً بأنّ الحيف وهو الجور بإعطاء من لا يتسحق أو بمنع من يستحق ليس من شيم من أتّصف بوصف الرّسالة. قال الطَّيبيّ : يعني ظننت أنني ظلمتك بأنْ جعلت من نوبتك لغيرك، وذلك مناف لمن تصدى بمنصب الرّسالة، وهذا معنى العدول عمّا هو مقتضى ظاهر العبارة وهو ظننت أني أحيف عليك. وأما تفسير ابن حجر قوله : (أكنت تخافين) بقوله : أي أدمت على أنك تظنين، فلا وجه له لأنّ الكون هنا ليس للاستمرار والدّوام بل لمجرد الرّبط أو لوقوع الخوف في المضيّ، نعم كان الظّاهر أن يقول : أخفت أو أكنت خفت لكن عدل عن الماضي إلى المضارع استحضاراً للحال الماضية، فكأنه قال لها أظننتِ ظناً منسحباً إلى الحل " (٣٧).

في الحديث عدولان :

الأوّل : من المتكلم (أحيف أنا) إلى الغيبة (يحيف رسوله) لقوّة التأثير.

والثّاني : من الماضي (أخفت أو أكانت خفت) إلى المضارع (تخافين) لاستحضار الحالة. وهو عدول شائع في كلام العرب. وقد يأتي العدول إلى الحاضر لإفادة الاستمرار، كما في الحديث (فَلَمَّا كَتَبُوا الكتاب كتبُوا هَذا مَا قاضَى عَليه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فقالوا : لاَ نَقِرُّ بِها فَلَوْ نَعْلمُ أنَّكَ رَسُولُ الله مَا مَنَعْنَاكَ ...)(٣٨).

قال الهروي : " هذا الكلام منه بمنزلة تعليل لقوله لا نقرّها. قال الطّيبيّ : فإن قلت : لو تقتضي أن يليها الماضي، فما فائدة العدول إلى المضارع؟ قلت ليدلّ على الاستمرار أي استمرار عدم علمنا برسالتك في سائر الأزمنة من الماضي والمضارع كقوله تعالى :(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)(٣٩)، وقولك : (لو تحسن إليَّ لشكرتك)(٤٠).

٤ – العدول من الحاضر إلى الماضي :

فيه يتحوّل المتكلّم من صيغة الحاضر إلى صيغة الماضي، وذلك للمبالغة في ثبوت الحدث واستقراره.

ومنه(٤١) الحديث الشّريف : (عَنْ النُعمان بْنِ بشيرٍ قَالَ : سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول أَنْذَرْتُكُمْ النَّار أَنْذَرتُكُمْ النَّار، فَما زَالَ يقُولُها حَتَّ لَو كَانَ فِي مَقَامِي هذا سَمِعَهُ أَهْلُ السُّوق) (٤٢).

قال الهروي : " أنذرتكم النّار أي أعلمتكم بما يتّقي به عنها حتّى قلت لكم اتّقوا النّار ولو بشق تمرة، ثم يمكن أن يراد بها الإنذار في زمان الحال، وعبّر بالماضي لتحققه في السّابق واللّاحق أو الأوّل إخبار، والثّاني إنشاء وجمع بينهما للتأكيد في أحد المعاني " (٤٣).

عدل هنا (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى الماضي لأنّ مدلول الفعل (أنذرتكم) من الأمور الهائلة المخيفة المهدّدة المتوعَد بها وهو (عذاب النّار) وما عدوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى الماضي إلاّ تقريرٌ وتحقيقٌ لوقوعه، والقاري فهم الحديث على وجوه :

الأوّل: (أنذرتُكم) إخبار عن أنّ الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد بلّغ الرّسالة، وقد تحقق هذا الإنذار في الماضي تحققاً ثابتاً فلا عدول فيه.

الثّاني: (أنذرتُكم) إخبار عن تحقق الإنذار في الماضي والحاضر، وإنما اختار التّعبير بصيغة الماضي لدلالة الصّيغة على الثّبوت والتّحقق.

الثّالث: (أنذرتُكم) الأولى إخبار عن تحقق الإنذار في الماضي فلا عدول فيها، والثّانية جملة خبريّة خرج فيها الخبر إلى إنشاء، الأمر باتقاء النّار لمزيد من العناية والتّوكيد. فجمع بين الخبر والإنشاء.

ومنه الحديث الشّريف : (عَنْ أبي سَعِيد الخُدرِيّ إنّ النَّبيَّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) غَرَزَ غُوداً بَيْن يدِيهِ، وآخر إلى جَنْبِهِ، وآخر أَبْعَد. فَقَالَ: أتَدْرونَ مَا هذا قَالُوا : اللهُ ورسولَهُ أعْلَم قَالَ : هذا الإنسانُ، وهذا الأجلُ، وهذا الأملُ، فَلَحِقَهُ الأجل دونَ الأمل) (٤٤).

قال الهروي : " (فلحقه الأجل) أي فيلحقه الموت قبل أن يصله الأمل، وعبَّر عن المضارع بالماضي مبالغة في تحقيق حال

العدول في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية)

وقوعه " (٤٥)، ومنه الحديث الشَّريف : (قَالَ رَسُولُ اللهِ "صلّى الله عليه وآله وسلّم": إذا أحسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلامَهُ فَكُلُ حَسَنةٍ يَعْمَلُها تُكْتبُ بِعشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعمِائةِ ضِعفٍ، وكُلُ سَيِّئةٍ يَعْمَلُها تُكْتبُ بِمِثلِها حتَّى لَقِيَ اللهَ) (٤٦).

قال الهروي : " أي إلى أن يلقى الله يوم القيامة فيجازيه أو يعفو عنه، والعدول إلى الماضي لتحقق وقوعه كقوله تعالى : (أَتَى أَمْرُ اللهِ)(٤٧) " (٤٨).

جعل (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الآتي المحتوم كالواقع، فعبّر عن المستقبل بالماضي مراداً به المستقبل، إذ لا يمكن أن يراد به المضي لمنافاة لقاء الله تعالى الّذي هو مستقبل، وفائدة التّعبير هي تقرير الوقوع واستحضار التّحقق.

٥ – العدول من الجملة الفعليّة إلى الجملة الاسميّة :

أسلوب من أساليب العدول الّذي يمزج بين الأفعال والأسماء. فهو لون من ألوان الإبداع الفنيّ البلاغيّ السّاعي وراء التّوسع في المعنى، وتكثيفه، ولابّد من غرض دلاليّ ينضوي تحت هذا العدول. فقد يكون للمبالغة كما في الحديث الشَّريف : (قَالَ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لَنْ ينْجي أحداً مِنْكُم عملُهُ، قالُوا : وَلا أنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ : وَلا أنَا إلاَّ أَنْ يَتَغْمَّدنِي اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَتِهِ) (٤٩).

قال الهروي: " لن يُنجي، أي من النَّار ولن لمجرد النّفي، وقيل لتوكيده، ومذهب المعتزلة أنها لتأبيده، والمعاني الثّلاثة كلّها صحيحة هنا، قال الطّيبيّ : الظّاهر ولا إياك، أي للعطف على (أحداً) فعدل إلى الجملة الاسميّة أي من الفعليّة المقدّرة للمبالغة، أي ولا أنت ممّن ينجيه عمله. استبعاداً عن هذه النّسبة إليه، ويحتمل أنهم فهموا قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لن ينجي وإنّما أرادوا التّثبت فيما فهموه " (٥٠).

أي (إيّاك) مفعول به لفعل مقدّر محذوف، فالجملة فعليّة، و(أنت) مبتدأ خبره جملة فعليّة، فهي جملة اسميّة عدل إليها من الفعليّة.

وقد يأتي العدول إلى الاسميّة للدّلالة على الثّبات، كما في الحديث (عَنْ عُثْمَان بْنِ أبي العاص. قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إجْعَلْنِي إمَامَ قومِي قَالَ :(أنْتَ إمامُهُمْ واقتدِ بأضْعَفِهِمْ) (٥١).

قال الهروي ناقلاً عن الطّيبيّ (ت٧٤٣هـ) : " إقتد جملة إنشائية عطفت على (أنت إمامهم)، لأنّه بتأويل (أمَّهُم)، وإنّما عدل إلى الاسميّة للدّلالة على الثّبات، كأن إمامته ثبتت ويخبر عنها، يعني كما أن الضّعيف يقتدي بصلاتك، فاقتد أنت أيضاً بضعفه وأسلك سبيل التّخفيف في القيام والقراءة، وفيه من الغرابة أنّه جعل المقتدى مقتدياً " (٥٢).

فدلالة الجملة الاسميّة مطلقة غير مقيّدة بزمان، أمّا الفعلية فمقيّدة بزمان، لذا كانت الاسميّة أوكد في التّعبير، لأنّ " موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشّيء من غير أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء " (٥٣).

وهذا الكلام يصدق على الفعل المضارع دون الماضي.

وقد يكون العدول إلى الجملة الاسميّة لدوام الاحتراز كما في الحديث الشَّريف: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ لي رَسُولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذا أَوَيْتَ إلى فِراشِكَ فاقْرأ آية الكرسي :(اللهُ لاَ إله إلاَ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ)حتى تختم الآية، فإنَّه لنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظ وَلا يقْربُكَ شيطانٌ حَتَّى تَصْبَح ... قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطبْ عِنْدَ ثَلاثٍ. قُلتُ :(لا قَالَ : ذَاكَ شَيْطانٌ) (٥٤).

قال الهروي : " شيطانٌ : بالتنوين مرفوعاً، وأن كان مقتضى الظّاهر أن يكون منصوباً، لأنّ السّؤال في قوله (مَنْ تُخاطب) عن المفعول، فالعدول إلى الجملة الاسميّة وتشخيصه باسم الإشارة لمزيد التّعيين، ودوام الاحتراز من كيده ومكره " (٥٥).

وأخيراً إن الحكمة من هذا الأسلوب ليس مجرد الانتقال للتّنويع، وإنّما هي تصعيد للمعاني الّتي تفيدها خصائص كلّ صيغة(٥٦).

الهوامش:

(١) علم الدّلالة (جرمان ولوبلان) : ٥٣.

(٢) مفهوم المعنى : ٨٤، وينظر : اللّغة والمعنى والسّياق : ١٨٣.

(٣) مفتاح العلوم : ٢٠٤.
(٤) المعنى النّحويّ في ضوء التّراث وعلم اللّغة الحديث : ١٦٩.
(٥) نحو المعاني : ٣٢.
(٦) لمسات بيانيّة : ٧.
(٧) البقرة : ٢٣.
(٨) هود : ١٣.
(٩) الإسراء : ٨٨.
(١٠) العين : ٣٩/٢
(١١) التعريفات : ١٤٧
(١٢) الجامع الكبير : ٩٨، وأساليب بلاغيّة : ٢٧٥.
(١٣) الإتقان : ٢٥٣/٣.
(١٤) العمدة : ٤٥/٢. والبرهان في وجوه البيان : ١٥٢، البديع في نقد الشّعر : ٢٠٠.
(١٥) معجم المصطلحات البلاغيّة : ٢٩٥/١.
(١٦) المثل السائر : ١٧٢/٢.
(١٧) البديع : ٥٨، وينظر : المنزع البديع : ٤٤٢، وأقنعة النّصّ : ٤٧.
(١٨) مفتاح العلوم : ٩٥ و١١٨، وينظر : الكامل : ٧٥٩/٢، والأفكار والأسلوب : ٥٢، والمعجم الشّامل في علوم اللّغة العربيّة ومصطلحاتها : ١٦٦.
(١٩) المثل السّائر : ١٧٢/٢.
(٢٠) ينظر : الكشّاف : ٦٢/١ – ٦٣، ومجمع البيان : ٢٦/١ – ٢٧، والبرهان : ٣٧٥/٣، والاتقان : ٢٥٣/٣.
(٢١) المثل السّائر : ١٧٣/٢.
(٢٢) صحيح مسلم : ٢٢٠٢٢/٤، ومسند أحمد : ٢٨٧/٤، ٢٨٨، ٢٩٦.
(٢٣) مرقاة المفاتيح : ٣٣٥/٢.
(٢٤) مسند أحمد : ٤٤٧/٤، وسنن أبي داود : ٢٤٤/٢، وسنن ابن ماجة : ٥٩٣/١.
(٢٥) مرقاة المفاتيح : ٤٦٧/٣.
(٢٦) مسند أحمد : ٢٣٤/٣، وسنن أبي داود : ١٢٨/١.
(٢٧) مرقاة المفاتيح : ١٨١/٢.
(٢٨) صحيح البخاري : ١٠٨/٢. ومسند أحمد : ٤١/٣، والسّنن الكبرى : ٦٢٤/١.
(٢٩) مرقاة المفاتيح : ٣٥١/٢.
(٣٠) صحيح مسلم : ١٣٤/١، ومسند أحمد : ٣١٧/٢، والسّنن الكبرى : ٣٦٣/٦.
(٣١) مرقاة المفاتيح : ٦٧/١.
(٣٢) آل عمران : ٨٥.
(٣٣) الزّمن في النّحو العربيّ : ١١٩ – ١٢٠.
(٣٤) مرقاة المفاتيح : ٤٦٣/١، ١٢٣/٢، ٣٤٤/٤، ١٣٢/٥، وغيرها.
(٣٥) صحيح مسلم : ٥٦٧١/٢، ومسند أحمد : ٢٢١/٦، ٢٢٨، السّنن الكبرى : ٧٣/٤ – ٧٤ (مع اختلاف في اللّفظ).
(٣٦) الفتح : ١٠.
(٣٧) مرقاة المفاتيح : ١٧١/٢، وفتح المبين : ٢٤٥.
(٣٨) صحيح البخاريّ : ١٢٦/٤، ومسند أحمد : ٢٩١.
(٣٩) الحجرات : ٧.

(٤٠) مرقاة المفاتيح : ٣٠٨/٤.
(٤١) مرقاة المفاتيح : ٤٢٤/١، و٤٦٧/٢ – ٤٦٨، و١٦٠/٥، و٢١٣.
(٤٢) سنن الدّارميّ : ٤٢٥/٢، وصحيح ابن حبان : ٤١١/٢، وسنن البيهقي : ٢٧/٣.
(٤٣) مرقاة المفاتيح : ٣١٩/٥.
(٤٤) مسند أحمد : ١٧/٣.
(٤٥) مرقاة المفاتيح : ٧٥/٥.
(٤٦) صحيح البخاريّ : ١٧/١، وصحيح مسلم : ١١٨/١، وصحيح ابن حبان : ٤٦٥/١.
(٤٧) النّحل : ١.
(٤٨) مرقاة المفاتيح : ٩٩/١ – ١٠٠.
(٤٩) صحيح مسلم : ٢١٧٠/٤، ومسند أحمد : ٢٣٥/٢، وسنن ابن ماجه : ١٤٠٥/٢
(٥٠) مرقاة المفاتيح : ٨٦/٣.
(٥١) مسند أحمد : ٢١/٤، وسنن أبي داود : ١٤٦/١، وصحيح ابن خزيمة : ٢٢١/١.
(٥٢) مرقاة المفاتيح : ٤٣٠/١.
(٥٣) دلائل الإعجاز : ١٩٣. وينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٤٠ – ٤١.
(٥٤) صحيح البخاريّ : ١٤٩/٤ (مع اختلاف في اللّفظ)، وصحيح مسلم : ١٧٢٩/٤، ومشكاة المصابيح : ٦٥٥/١ – ٦٥٦.
(٥٥) مرقاة المفاتيح : ٥٨٣/٢.
(٥٦) ينظر : الزّمن في النّحو العربيّ : ١٢١.

قائمة المصادر:

١– الإتقان في علوم القرآن : جلال الدّين السّيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق : محمّد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٢– أساليب بلاغيّة (الفصاحة – البلاغة – المعاني) د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، ط١، الكويت، ١٩٨٠م
٣– الأفكار والإسلوب : الكسندر فلاديميروفتش، ترجمة حياة شرارة، وزارة الثّقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م.
٤– أقنعة النّصّ : سعيد الغانميّ، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، ط١، بغداد، ١٩٩١م.
٥– البديع : عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، اعتنى بنشره والتّعليق عليه والمقدّمة ووضع فهارسه. اغناكراتشقوفسكير – لينبغرد – ١٩٣٥م.
٦– البرهان في علوم القرآن : بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشيّ (ت٧٩٤هـ)، خرّج حديثة وقدّم له وعلّق عليه، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٧– التّعريفات : أبو الحسن علي بن محمّد بن علي الجرجانيّ المعروف بالسّيّد الشّريف (ت٨١٦هـ)، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، بغداد، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٨– دلائل الإعجاز : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، تحقيق : محمّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، ط٢، القاهرة، ١٩٦٩م.
٩– الزّمن في النّحو العربيّ : د. كمال إبراهيم بدري، دار أمية للنّشر والتّوزيع، ط١، الرّياض، ١٤٠٤هـ.
١٠– سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزوينيّ (ت٢٧٥هـ)، حقّق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه : محمّد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، (د.ت).
١١– سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السّجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
١٢– السّنن الكبرى : أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب النّسائيّ (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداريّ، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٣– السّنن الكبرى للبيهقيّ : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقيّ (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز،

مكّة المكرمة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
١٤– صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : أبو حاتم محمّد بن حبان بن أحمد التّميميّ (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
١٥– صحيح ابن خزيمة : محمّد بن إسحاق بن خزيمة النّيسابوريّ (ت٣١١هـ)، تحقيق : د. محمّد مصطفى الأعظميّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.
١٦– صحيح البخاريّ : محمّد بن إسماعيل البخاريّ الجعفي (ت٢٥٦هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٩٥٨م.
١٧– صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النّيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق وتصحيح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، مطبعة، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، (د.ت).
١٨– علم الدّلالة :كلود جرمان وريمون لوبلان، ترجمة : د. نور الهدى لوشن، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٤م.
١٩– العين : الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تحقيق : د. مهدي المخزوميّ، ود. إبراهيم السّامرائي، طبع وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م – ١٩٨٥م.
٢٠– اللّغة والمعنى والسّياق : جون لاينز، ترجمة : د. عبّاس صادق الوهاب، مراجعة : د. يوئيل يوسف عزيز، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، ط١، بغداد، ١٩٨٧م.
٢١– فتح المبين لشرح الأربعين : أحمد بن حجر الهيتميّ (ت٩٧٤هـ)، طبع بالمطبعة الميمنيّة، ط١، ١٣١٧هـ.
٢٢– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :أبو القاسم جار الله محمود بن الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ،ط١، بيروت ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م
٢٣– لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل : د. فاضل السّامرائي، الشؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٩٠م.
٢٤– المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر : ضياء الدّين بن الأثير، قدّم له وحقّقه وشرحه وعلّق عليه : د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، ط٢، منشورات دار الرّفاعيّ بالرّياض، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٢٥– مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتّعليق عليه : الحاج السّيد هاشم الرّسوليّ المحلاتيّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ.
٢٦– مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ملأ علي الهروي (ت١٠١٤هـ)، تصحيح محمّد الزّهري القمراويّ، المطبعة الميمنيّة، مصر، ١٨٩١م
٢٧– مسند أحمد : الإمام أحمد بن حنبل الشيبانيّ (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت).
٢٨– مشكاة المصابيح : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الخطيب العمريّ التّبريزيّ (ت بعد ٧٣٧هـ)، تحقيق: محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩.
٢٩– المعجم الشّامل في علوم اللّغة ومصطلحاتها : محمّد سعيد إسبر وبلال جنيدي، دار العودة، ط١، بيروت، ١٩٨١م
٣٠– معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م.
٣١– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمّد فؤاد عبد الباقي، دار مطابع الشّعب، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
٣٢– المعنى النّحويّ في ضوء التّراث وعلم اللّغة الحديث : د. مصطفى النّحاس، من كتاب في قضايا اللّغة والأدب، بمناسبة افتتاح القرن الخامس الهجي، إعداد وتقديم : د. عبده بدوي، الكويت، ١٩٨١م.
٣٣– مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرّسالة، ط١، بغداد، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
٣٤– مفهوم المعنى – دراسة تحليليّة : د. عزمي إسلام، حوليات، كلية الآداب، جامعة الكويت، الحوليّة، الرّسالة ،٣٩، الكويت، ١٩٨٥م.
٣٥– المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : أبو محمّد القاسم الأنصاريّ السّجلماسيّ (من نقاد القرن الثّامن الهجريّ)، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، ط١، الرّباط، المغرب، ١٩٨٠م
٣٦– نحو المعاني : د. أحمد عبد السّتار الجواريّ، مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
٣٧– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدّين محمّد بن عمر الرّازيّ العروف بابن الخطيب الرّي (ت٦٠٦هـ)، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٣١٧هـ – ١٨٩٩م.

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

أ.د. خليل حسن الزركاني أ.م. د. خمائل شاكر الجمالي
جامعة بغداد/كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:
القصص بطبيعتها محبّبة لدى الناس ومؤثرة فيهم حيث يتوجهون إليها بعقولهم وقلوبهم ووجدانهم ، يتابعون أحداثها وفصولها ، ويتأثرون بابطالها وشخصياتها ، والقصص تبقىٰ فاعلة في الذهن أكثر من غيرها؛ لسهولة حفظها وتذكرها ونقلها. وقصص أئمة آل البيت(عليهم السلام). تتجسد فيها العبرة والحكمة والصفاء الروحي المفعم بالايمان لان الائمة(عليهم السلام) معصومون من الخطاء والزلل ولم يتعلموا العلم كبقية البشر انما زق الله لهم العلم زقا فاصبح كل واحد منهم مدرسة في الايمان والعلم والاخلاق وحكايتهم مستوحاة من قيم النبوة للرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين الامام علي(عليه السلام).يهدف البحث الى سرد القصص التربوية لآل البيت(عليهم السلام). المعاني والعبر الجميلة من تلك القصص وقد تضمن البحث وقفه للمعنى اللغوي والاصطلاحي للقصص، واثر الباحثان ان يميلوا الى السرد التاريخي للتلك القصص التي تسلسلت وفق التدرج التاريخي للائمة الاثني عشر،ثم الخاتمة والمصادر والمراجع.
الكلمات المفتاحية : القصص، المعنى اللغوي، المعنى الاصطلاحي، السرد التاريخي.

Abstract:
The stories in nature are loved by people and influencing them, as they go to them with their minds, hearts and conscience, follow their events and chapters, and are affected by their heroes and characters, and the stories remain more effective in the mind than others; For ease of preservation, remembering and transferring it. And the stories of the accusation of the house, peace be upon them, are embodied in the wise, wisdom, and spiritual serenity that is full of faith, because the sin, peace be upon them, are wronged from errors and misfortunes, and they did not learn knowledge like the rest of the humanity. Peace and blessings be upon him and the Commander of the Faithful Imam Ali, peace be upon him. The research aims to tell educational stories. For the twelve imams, then conclusion, sources and references
Keywords: stories, linguistic meaning, idiomatic meaning, historical narrative.

القصص لغة: أصل القصّ:
إتّباع الأثر، يقال: خرج فلان قصصا في إثرفلان وقصّا. وذلك إذا اقتصّ أثره، ومنه قوله: وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(١)أي: اتبعي أثره. وقوله تعالى:(قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا)(٢)أي: رجعا من الطّريق الذي سلكاه فيقصّان الأثر.وقيل للقاصّ: يقصّ القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً، والقِصَّةُ: الأمرُ والحديث.وقد اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته على وجهه. والقَصص: الخبر المقصوص، والقِصص: جمع القصّة (٣).
أمّا القصص في الاصطلاح: الإخبار عن قضيّة ذات م ا رحل، يتبع بعضها بعضا (٤)، وقال الراغب في المفردات : القص ، تتبع الأثر ، يقال : قصصت أثره(٥)، وكان للشهيد الصدر الثاني(ت١٤٢١هـ) وقفة مع المعنيين يمكن لنا أن عرض ما جاء به بهذا المضمار إذ يقول: ((ومن هنا نلاحظ أن الراغب يرجع القصة المعروفة إلى معنى تتبع الأثر ، لكونها بالأصل من الأخبار المتتبعة ، أي المطلوب بيانها وسماعها . في حين ترى ابن منظور يجعل القصة المعروفة مأخوذة من القصص وهو الخبر أو الكلام الذي في النفس . كما يمكن أن تكون القصة مأخوذة من القص وهو القطع ، على اعتبار أنها قطعة من

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

البيان المطلوب)) (٦). أما التربية ، وفي المعجم الوسيط : تربى بمعنى نشأ وتغذى وتثقف ، وفي نفس المعجم ربّاه أي نمّى قواه العقلية والجسدية والخلقية (٧).

ان القصص بطبيعتها محبّبة لدى الناس ومؤثرة فيهم حيث يتوجهون إليها بعقولهم وقلوبهم ووجدانهم ، يتابعون أحداثها وفصولها ، ويتأثرون بابطالها وشخصياتها ، والقصص تبقىٰ فاعلة في الذهن أكثر من غيرها ؛ لسهولة حفظها وتذكرها ونقلها.

وحول دور القصة في التربية ورد في وصية أمير المؤمنين عليه‌السلام للإمام الحسن (عليه‌السلام) : « أحي قلبك بالموعظة... وأعرض عليه أخبار الماضين ، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين... انّي وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في أعمالهم ، وفكّرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم ؛ حتىٰ عدت كأحدهم ؛ بل كأنّي بما انتهىٰ إليّ من أُمورهم قد عُمّرت مع أوّلهم إلىٰ آخرهم ... » (٨)، وللقصة دور في تحريك العقول للتفكر ، والوصول إلى الحقيقة وتجسيدها في ممارسات ومواقف عملية ، وقد حفلت سيرة أهل البيت عليهم‌السلام بتربية أصحابهم عن طريق القصص لما فيها من مفاهيم وقيم متنوعة في مجالات النفس الإنسانية وفي مجالات المجتمع الإنساني ، وقد ذكروا عليهم‌السلام قصصاً عديدة عن تاريخ ومسيرة الأنبياء والأولياء والصالحين ودورهم في الحياة الإنسانية وخصائصهم الحميدة ومواقفهم من الأفراد ومن الموجودات ، وقصصاً عن ايمانهم وعباداتهم وعن أخلاقهم وعلاقاتهم مع الناس ، وعن زهدهم وإيثارهم وصبرهم واحسانهم إلىٰ غير ذلك من الصفات النبيلة(٩).

كما ذكر أهل البيت(عليهم‌السلام) قصصاً عن الصالحين وعن التائبين وعن مواقف شريفة ونبيلة لكي تؤدي دورها في تربية النفوس والقلوب ، ومن هذه القصص :قصة امير المؤمنين الامام علي عليه السلام مع النصراني المكفوف مما يؤيد هذا المطلب أيضاً: حيث كان الإمام (عليه السلام) في شوارع الكوفة.. فمر بشخص يتكفف وهو شيخ كبير السن، فوقف (عليه السلام) متعجباً وقال (عليه الصلاة والسلام): ما هذا؟ ولم يقل من هذا، و(ما) لما لا يعقل، و(من) لمن يعقل، أي انه (عليه السلام) رأى شيئاً عجيباً يستحق أن يتعجب منه، فقال أي شيء هذا؟قالوا: يا أمير المؤمنين إنه نصراني قد كبر وعجز ويتكفّف.فقال الإمام (عليه السلام): ما أنصفتموه.. استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه، اجروا له من بيت المال راتباً (١٠)، وفي قصة أخرى، نرى (ابن كوا) وهو من المنافقين، قرأ ـ والإمام (عليه السلام) يصلّي أو يخطب ـ هذه الآية المباركة تعريضاً بالامام: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) (١١) وكرّر هذه الآية.فلم يرد عليه الإمام (عليه السلام)، إلا ان أجابه بآية أخرى وهي قوله سبحانه وتعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لايُوقِنُونَ) (١٢) واكتفى (عليه‌السلام). بهذا الجواب(١٣)، وعلى هذا النمط كان الإمام(عليه‌السلام)في حكومته كالرسول (صلى الله عليه وآله) في حكومته (وقد عرفت سعة حكومتيهما) فكانا يعاملان الناس أفضل معاملة عرفتها البشرية.

ومن قصص الإمام الحسن (عليه السلام)التربوية مارواه المبرد وابن عائشة أن شاميا رآه راكبا فجعل يلعنه و الحسن(عليه‌السلام)لا يرد فلما فرغ أقبل الحسن (عليه السلام) فسلم عليه وضحك فقال: أيها الشيخ أظنك غريبا، ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعا أشبعناك، وإن كنت عريانا كسوناك، وإن كنت محتاجا أغنيناك، وإن كنت طريدا آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لان لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كثيرا.فلما سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم(١٤).

ومن قصص الإمام الحسين(عليه السلام). التربوية ، قال عمرو بن دينار قال: دخل الحسين (عليه‌السلام) على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغماه، فقال له الحسين(عليه‌السلام): وما غمك يا أخي، قال: ديني وهو ستون ألف

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

درهم، فقال الحسين(عليه‌السلام): هو علي، قال: إني أخشى أن أموت، فقال الحسين(عليه السلام): لن تموت حتى أقضيها عنك، قال: فقضاها قبل موته، وكان(عليه السلام) يقول: شر خصال الملوك الجبن من الأعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عند الاعطاء(١٥)، وعن شعيب بن عبد الرحمان الخزاعي قال: وجد على ظهر الحسين بن علي عليهما السلام يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عن ذلك، فقال عليه السلام: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين(١٦).اما الامام علي بن الحسين السجاد(عليه‌السلام)، فقد ترك لنا الامام زين العابدين عليه السلام كتاب تربية متكاملة يعلم الانسان كيف يزكي نفسه وكيف يسلك مسالك الخير ويرتقي بنفسه إلى أعلى الدرجات، فمن يفتح الصحيفة السجادية يجد أجمل ترانيم الحب وأهم دروس النجاح على صعيد الفردي والاجتماعي.وعن القصص التربوية للامام زين العابدين عليه السلام عن امرأة نجت من سفينة فواجهها رجل يقطع الطريق وينتهك الحرمات ، فلم يكلمها حتّى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما أن همّ بها اضطربت ، فقال لها : ما لك تضطربين ، قالت : أفرق من هذا وأومأت بيدها إلى السماء ، قال : فصنعت من هذا شيئاً ؟ قالت : لا وعزته ، قال : فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنّما استكرهتك استكراهاً ، فأنا والله أولىٰ بهذا الفرق والخوف وأحقّ منك ، فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليست له همّة إلّا التوبة والمراجعة (١٧)،وقد ظهرت شفافية الامام السجاد(عليه‌السلام). شفافية في التسامح مع الناس.. تعلمها من قوله تعالى: فاصفح الصفح الجميل، ففسره بأنه: العفو من غير عتاب! (١٨)، وقد وصف الطبري: دهشة والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي، الذي كان يؤذي الإمام (عليه السلام) أذى شديدا، فلما اختلف مع الوليد بن عبد الملك عزله وأراد الانتقام منه لنفسه، فامر أن يوقف للناس ليقتصوا منه! (١٩)، فقال: (ما أخاف إلا من علي بن الحسين! فمر به علي وقف عند دار مروان، وكان الإمام علي بن الحسين(عليه‌السلام)قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة فلما مر ناداه هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته)(٢٠) وفي سماحة الامام علي بن الحسين (عليه‌السلام). إنسانيةٌ راقيةٌ في حبه للناس وتعامله معهم ، فكان يكره المجادلة ، وله قصص مع من أساء إليه : وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح ، حتى إنه سبَّهُ رجل فتغافل عنه فقال له : إياك أعني ! فقال : وعنك أعرض وفيه : فقال له علي : وعنك أغضي)(٢١).

روي: أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب حتى يأتي باباً باباً، فيقرعه، ثم يناول من يخرج إليه، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه.فلما توفي عليه السلام فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان علي بن الحسين عليه السلام.ولما وُضع عليه السلام على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين(٢٢)، وعن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: لقد كان علي بن الحسين عليهما السلام يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان لهم منهم عيال حمله إلى عياله من طعامه، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله، وفي حلم الامام الباقر عليه السلام قصص تربوية منها قصة النصراني، ومنه موقفه من النصراني الذي أراد استفزازه بكثرة الأسئلة ، وأجاب عنها الإمام بردّ جميل وموعظة حسنة ، قال له النصراني : «أنت ابن السوداء الزنجية البذية ، فقال له الإمام عليه‌السلام : إن كنت صدقت غفر الله لها ، وإن كنت كذبت غفر الله لك. ولم يزد عليها ، فأسلم النصراني» (٢٣).

وقصة اخرى تدل على هيبته ووقاره ، حيث قابله فقيه أهل البصرة قتادة بن دعامة البصري ، فاضطرب قلبه من هيبته ، فقال:«أصلحك الله ، لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس ، فما اضطرب قلبي قدام واحدٍ منهم ما اضطرب قدّامك!»(٢٤).

ونلمس عند الإمام الباقر(عليه‌السلام). امتداداً لظاهرة البكاء ، تلك الظاهرة التي تكاد تستحوذ على حياة أبيه عليه‌السلام ، المعروف بالبكّاء ، لكثرة نشيجه وبكائه ، نتيجة الألم الذي يعتصر قلبه الزكي ، ليس فقط لفجيعته

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

بأبيه وأخوته الذين رآهم يقتلون رأي العين في ساحة المواجهة مع الجبروت الأُموي، بل لفجيعته برموز التغيير والنهضة والإصلاح في واقع الأُمّة.

قال أفلح مولى الإمام الباقر(عليه‌السلام): «خرجت مع محمد بن علي عليهماالسلام حاجّاً ، فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته ، فبكى الناس لبكائه ، فقلت : بأبي وأُمّي إنّ الناس ينظرون إليك ، فلو رفقت بنفسك قليلاً فقال : ويحك! لِمَ لا أبكي؟! لعلّ الله ينظر إليّ برحمة منه فأفوز بها عنده غداً. قال : ثم طاف بالبيت حتى جاء فركع عند المقام ، ورفع رأسه من سجوده ، فإذا موضع سجوده مبتلّ كلّه من دموعه» (٢٥).

اما الامام جعفر الصادق فنقرأ قصصه من خلال مناقب ابن شهرآشوب: حدث إبراهيم، عن أبي حمزة، عن مأمون الرقي قال: كنت عند سيدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني فسلم عليه ثم جلس فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه!؟ وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف!؟ فقال له(عليه‌السلام): اجلس يا خراساني رعى الله حقك، ثم قال: يا حنيفة أسجري التنور فسجرته حتى صار كالجمرة وابيض علوه، ثم قال: يا خراساني! قم فاجلس في التنور، فقال الخراساني: يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار، أقلني أقالك الله قال: قد أقلتك، فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي، ونعله في سبابته فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله فقال له الصادق(عليه‌السلام): ألق النعل من يدك، واجلس في التنور، قال: فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور، وأقبل الإمام عليه السلام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها، ثم قال: ثم يا خراساني وانظر ما في التنور قال: فقمت إليه فرأيته متربعا، فخرج إلينا وسلم علينا فقال له الإمام عليه السلام: كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فقال: والله ولا واحدا فقال(عليه‌السلام): لا والله ولا واحدا، فقال: أما إنا في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت (٢٦).ونقرأ قصة اخرى من القصص التربوية للأمام الصادق(عليه‌السلام). من خلال رواية مناقب ابن شهر أشوب: حدث أبو عبد الله محمد بن أحمد الديلمي البصري، عن محمد بن أبي كثير الكوفي قال: كنت لا أختم صلاتي ولا أستفتحها إلا بلعنهما فرأيت في منامي طائرا معه تور من الجوهر فيه شئ أحمر شبه الخلوق فنزل إلى البيت المحيط برسول الله(صلى الله عليه وآله)ثم أخرج شخصين من الضريح فخلقهما بذلك الخلوق، في عوارضهما، ثم ردهما إلى الضريح، وعاد مرتفعا، فسألت من حولي من هذا الطائر؟ وما هذا الخلوق؟ فقال: هذا ملك يجئ في كل ليلة جمعة يخلقهما، فأزعجني ما رأيت فأصبحت لا تطيب نفسي بلعنهما، فدخلت على الصادق عليه السلام فلما رآني ضحك وقال: رأيت الطائر؟ فقلت: نعم يا سيدي فقال: اقرأ " إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله " فإذا رأيت شيئا تكره فاقرأها والله ما هو ملك موكل بهما لاكرامهما بل هو ملك موكل بمشارق الأرض ومغاربها إذا قتل قتيل ظلما أخذ من دمه فطوقهما به في رقابهما لأنهما سبب كل ظلم مذ كانا (٢٧).

ومن ابرز صفات الامام الكاظم عليه السلام فهو الحلم ،فقد كان مضرب المثل في حلمه و كظمه للغيظ و يقول الرواة: أنه كان يعفو عمن أساء إليه و يصفح عمن اعتدى عليه و ذكر الرواة بوادر كثيرة من حمله كان منها (٢٨).أن شخصين من احفاد عمر بن الخطاب كان يسيء للامام موسى و يسب جده الامام امير المؤمنين (عليه‌السلام) فاراد بعض شيعة الامام اغتياله فنهاهم عن ذلك و رأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل له: إن له ضيعة في بعض نواحي يثرب و هو يزرع فيها فركب الامام بغلته و مضى متنكرا إليه فأقبل نحوه فصاح به العمري لا تطأ زرعنا فلم يحفل به الامام إذ لم يجد طريقا يسلكه غير ذلك و لما انتهى إليه قابله الامام ببسمات فياضة بالبشر قائلا له:كم غرمت في زرعك هذا؟ .. مائة دينار . كم ترجو ان تصيب منه؟. أنا لا أعلم الغيب .. إنما قلت: لك كم ترجو أن يجيئك منه؟.ارجو أن يجيئني منه مائتا دينار.فأعطاه سليل النبوة ثلاث مائة دينار و قال: هذه لك و زرعك على حاله فانقلب العمري رأسا على عقب و خجل على ما فرط في حق الامام و انصرف الامام عنه و قصد الجامع النبوي فوجد العمري قد سبقه فلما رأى الإمام

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

قام إليه و هو يهتف بين الناس: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (٢٩)، فيمن يشاء .و بادر أصحابه منكرين عليه هذا التغيير فأخذ يخاصمهم و يذكر مناقب الامام و مآثره و التفت الامام الى اصحابه قائلا: أيما كان خيرا؟ ما أردتم أو ما اردت أن أصلح أمره بهذا المقدار .

لقد عامل الامام مبغضيه و مناوئيه بالاحسان و اللطف فاقتلع من نفوسهم النزعات الشريرة و غسل ادمغتهم التي كانت مترعة بالجهل و النقص و قد وضع امامه قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (٣٠)، ومن آيات حلمه أنه اجتاز على جماعة من اعدائه كان فيهم ابن هياج فأمر بعض أتباعه ان يتعلق بلجام بغلة الامام و يدعي أنها له ففعل ذلك و عرف الامام غايته فنزل عن البغلة و اعطاها له و قد اعطى الامام بذلك مثلا أعلى للحلم و سعة النفس و كان (عليه‌السلام). يوصي ابناءه بالتحلي بهذه الصفة الكريمة فقد قال لهم: يا بني أوصيكم بوصية من حفظها انتفع بها اذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في الأذن اليمنى مكروها ثم تحول الى اليسرى فاعتذر لكم و قال: إني لم اقل شيئا فاقبلوا عذره .و بهذه الوصية نقف على مدى حلمه وسعة اخلاقه و عدم مقابلة المسيء بالمثل و هذه الظاهرة من أهم الوسائل الداعية الى التآلف و جمع الكلمة بين الناس(٣١).

وفي رواية عن معجزات الامام الكاظم عليه السلام قال عليّ بن المغيرة: مرّ الامام الكاظم(عليه‌السلام). بامرأة بمنى وهي تبكي، وصبيانها حولها يبكون، وقد ماتت بقرة لها، فدنا منها ثمّ قال (عليه السلام) لها: ما يبكيك؟ يا أمة الله، قالت: يا عبد الله، إنّ لي صبياناً أيتاماً فكانت لي بقرة، معيشتي ومعيشة صبياني كان منها، فقد ماتت وبقيت منقطعة بي وبولدي، ولا حيلة لنا، فقال(عليه‌السلام). لها: يا أمة الله، هل لك أن أحييها لك؟ فألهمت أن قالت: نعم، يا عبد الله، فتنحّى ناحية، فصلّى ركعتين، ثمّ رفع يديه يمنة وحرّك شفتيه، ثمّ قام فمرّ بالبقرة فنخسها نخساً، أو ضربها برجله فاستوت على الأرض قائمة، فلمّا نظرت المرأة إلى البقرة قد قامت، صاحت: عيسى بن مريم وربّ الكعبة، فخالط الناس، وصار بينهم، ومضى بينهم(صلّى الله عليه وآله) (٣٢)، وفي رواية للأمام الكاظم عليه السلام، قال إسحاق بن عمّار: كنت عند الكاظم (عليه السلام) ودخل عليه رجل، فقال له الكاظم(عليه‌السلام): يا فلان، إنّك تموت إلى شهر، فأضمرت في نفسي كأنّه يعلم آجال شيعته، فقال (عليه السلام): يا إسحاق، وما تنكرون من ذلك؟ وقد كان رشيد الهجري مستضعفاً وكان يعلم علم المنايا والبلايا، فالإمام أولى بذلك، ثمّ قال(عليه‌السلام): يا إسحاق، تموت إلى سنتين ويتشتّت أهلك وولدك وعيالك وأهل بيتك، ويفلسون إفلاساً شديداً(٣٣).

اما قصص الامام الرضا(عليه‌السلام).عن أبي حبيب النباجي ، قال : جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا عليه‌السلام من المدينة ، ورأيت الناس يسعون إليه .. (٣٤).

وعبارة «يسعون إليه» تكشف لنامدى شوق الناس للامام الرضا عليه‌السلام وشدة محبتهم له ، فقد كانوا يتبركون به ويسألونه عن معالم دينهم وعن الحلال والحرام .. روى الكليني في (الكافي) بسنده عن اليسع بن حمزة ، قال : كنت في مجلس أبي الحسن الرضا(عليه‌السلام)، وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام(٣٥)،كان شذا علمه وبيانه يجذب الناس ، كانت ترنو إليه أبصارهم وتحدق إليه عيونهم ، وكانوا يلتمسون البركة في كل شيء يلامسه بدنه ، روى الصدوق : أن الرضا عليه‌السلام لما دخل نيسابور نزل في محلة يقال لها القزويني ، أو الغزيني ، فيها حمّام ، وهو الحمام المعروف اليوم بحمام الرضا ، وكانت هناك عين فدخل ماءها فأقام عليها من أخرج ماءها حتى توفر وكثر ، واتخذ من خارج الدرب حوضا ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين فدخله الرضا(عليه‌السلام)، واغتسل فيه ثم خرج منه فصلى على ظهره والناس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون منه التماسا للبركة ويصلون على ظهره ، ويدعون الله عزّوجلّ في حوائجهم ، وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس إلى يومنا هذا (٣٦).

كان الرضا عليه‌السلام آية الحق وراية العدل ورمزا للفضيلة ، وكانت روعة الإيمان تغطي وجهه ، لذلك كانت له في قلوب الناس هيبة كبيرة ، يروى أنه لما خرج للصلاة في مرو ورآه القُوّاد والعسكر رموا بأنفسهم عن دوابهم ونزعوا خفافهم

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

وقطعوها بالسكاكين لما رأوه راجلاً حافيا ، وأنه لما هجم الجند على دار المأمون بسرخس بعد قتل الفضل بن سهل وجاءوا بنار ليحرقوا الباب وطلب منه المأمون أن يخرج ، فلما خرج وأشار إليهم أن يتفرّقوا تفرّقوا مسرعين (٣٧)..

وفي حديث الامام الرضا(عليه‌السلام). قال : « التواضع درجات ؛ منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم ، لا يحبّ أن يأتي إلىٰ أحد إلّا مثل ما يؤتى إليه ، إن رأىٰ سيئة درأها بالحسنة ، كاظم الغيظ عافٍ عن الناس ، والله يحب المحسنين » (٣٨).

فهو يقدم لنا قراءة عظيمة لمفهوم التواضع ، تنطلق من رؤيا دقيقة وموضوعية مفادها أن يعرف المرء أولاً وقبل كل شيء قدر نفسه ومنزلتها ، ولا يرتفع بها فوق مقامها ، كي لا يلام على ذلك ، وقد يكون عِرضةً للسخرية والاستهزاء. وأن لا يحبّ لنفسه ما لا يحبّ لغيره ، بل عليه أن يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه ، إضافة إلى ذلك يشير إمامنا إلى بُعد أبعد للتواضع فيه جنبة اجتماعية ، ويتمثّل بدرأ السيئة بالحسنة ، وكظم الغيظ والعفو عن الناس.هذا على صعيد الفكر أمّا على صعيد العمل فنجده في سلوكه عليه‌السلام يتواضع إلى الدرجة القصوى في تعامله مع الناس ، ومن الأمثلة الحية على مقدار تواضعه ، أنه دخل الحمام ، فقال له بعض الناس دلّكنيبا رجل ، فجعل يدلّكه ، فعرّفوه ، فجعل الرجل يستعذر منه وهو عليه‌السلام يُطيب قلبه ويدلكه (٣٩).

فهو يرى أن الشرف والكرامة تتحقّق من خلال القيم والمقاييس المعنوية المتمثلة بالتقوى والطاعة لله تعالى وليس من خلال القيم والمقاييس المادية المتمثلة بالحسب والنسب ، أو المال والقدرة وما إلىٰ ذلك. لقد اهتم الامام الرضا (عليه السلام) بالمظهر :وهو أمر حضاري يعبّر عن درجة الرّقي لأفراد أي أمة. علماً بأن الإسلام قد حثّ من اعتنقه على الاهتمام بالنظافة عموماً ، كما حثّ على الاهتمام بالاناقة ، وكان الرضا عليه‌السلام يلفت النظر إلى أهمية الطيب ، وفي هذا المجال يقول : « لا ينبغي للرجل أن يدَع الطيب في كل يوم ، فإن لم يقدر عليه فيوم ويوم لا ، فإن لم يقدر ففي كل جمعة ، ولا يدع ذلك »(٤٠).ساهم الإمام الجواد عليه السلام كغيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام في نشر العلوم والمعارف الإسلاميّة، وتتلمذ على يديه نخبة من العلماء والرواة الذين شكّلوا فيما بعد حلقة الوصل بين الإمام عليه السلام والأمّة(٤١)، وقد تميّز الإمام الجواد عليه السلام بتولّي زمام الإمامة الإلهيّة وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره الشريف ولعل هذا ما دعا الحاكم العباسي المأمون إلى تنظيم مناظرات بهدف بيان إمكانيّة ظهور ضعف علمي عند الإمام الجواد عليه السلام، وبالتالي سقوط أطروحة إمامة أهل البيت(عليهم‌السلام).التي طالما أرّقته وأقلقته، وفيما يروى في ذلك أنّ المأمون قال لمن كان يعرف بقاضي الزمان يحيى بن أكثم: اطرح على أبي جعفر محمّد بن الرضا مسألة تقطعه فيها. فكان من ابن أكثم أن سأل الإمام الجواد عليه السلام: ما تقول في محرِمٍ قتل صيداً(٤٢)، فأجابه الإمام (عليه‌السلام). سائلاً التفصيل: قتله في حلّ أم حرم؟ عالماً أم جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حراً كان أم عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم من كباره؟ مصراً كان على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد في أوكارها أم نهاراً وعياناً؟ محرماً كان للعمرة أو للحج؟. فتحيّر ابن أكثم وانقطع انقطاعاً لم يخفَ على أحد. فقال المأمون بعدها: "ويحكم إنّ أهل هذا البيت خُصّوا من بين الخلق بما ترون من الفضل (٤٣)، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أنّ رسول الله(صلّى الله عليه وآله) افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه‌السلام). وهو ابن عشر سنين وقبل الإسلام منه، وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنّه غيره، أفلا تعلمون الآن ما خصّ الله به هؤلاء القوم، وأنّهم ذريّة بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم.

أما الإمام محمد الجواد (عليه‌السلام)، فحصل على الإمامة رغم حداثة سنه ولذلك كثرت اختبارات الخليفة المامون واقاربه نكاية به لكنه كان يريد على جميع الاسئلة بكل اقتدار فقال أبو جعفر ويقصد به الإمام الجواد ليحيى بن أكثم: أسألك؟

قال يحيى: ذلك إليك جعلت فداك، فأن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك(٤٤).

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

فقال أبو جعفر: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه، فأن رأيت أن تفيدنا.فقال أبو جعفر: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما أرتفع النهار ابتاعها عن مولاها فحلت له، فلما كان عند الظهر اعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له(٤٥)أثارت مناظرات الامام الجواد وكلماته ومعالجته للقضايا العلمية والفقهية الكبرى تقدير وإعجاب العلماء والباحثين الإسلاميين باختلاف توجهاتهم ، ودفعتهم إلى أن يكنوا الاحترام له ولمنزلته العلمية الراقية فراح كل منهم يثني عليه.وعلى سبيل المثال هذا السبط ابن الجوزي كتب:" وكان الجواد على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود"(٤٦).

وكتب أبن حجر الهيثمي:" وكان المأمون زوجه ابنته من فضله مع صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة والحلم ما برز على جميع العلماء"(٤٧).

وقال الشيخ المفيد:" كان المأمون قد شغف بأبي جعفر(عليه‌السلام). لما رأى من فضله مع صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل مالم يساوه فيه احد من مشايخ أهل الزمان""(٤٨).

باعتلاء المعتصم الحكم (٢١٨–٢٢٧هـ/٨٣٣–٨٤١م) ولتخوفه من نشاطات الامام(عليه‌السلام).الفكرية والاجتماعية وانعكاساتها السياسية ومحاولته لعزلة عن الناس وجعله على مقربة من السلطة، أمر باحضاره إلى بغداد عام ٢١٩هـ/٨٣٤م وقد علم الامام (عليه السلام) بنوايا المعتصم، لذا اوصى المقربين إليه بإمامة ولده الهادي (عليه السلام) قائلاً: "الأمر من بعدي إلى ابن علي"(٤٩)، وبوصول الامام إلى بغداد فرض عليه المعتصم الاقامة الجبرية لأبعاد تأثيره على الناس وإيقاف نشاطه العلمي وذلك لنجاح مساعي الامام في ترسيخ اصالة الامامة وآليتها الفكرية في قيادة الأمة الإسلامية مما شكل هاجساً أقلق اصحاب النفوذ في البلاط العباسي ومن بينهم قاضي القضاة ابن ابي داود اذ تحامل على الامام في مجلس المعتصم الذي ضم العلماء والوزراء والقادة عندما افتى الامام في مسألة تحديد محل قطع يد السارق(٥٠).

فأثار بذلك نقمة واستياء قاضي القضاة لقصوره وعدم معرفته للمسألة الفقهية، فأخذ يعد العدة للتخلص من الامام الجواد (عليه‌السلام)، واوعز صدر المعتصم بخطورة الامام وغزارة علمه امام حاكم جاهل بأمور العلم، بمعنى أن المعتصم لو يكن مؤهلاً لنيل الخلافة لفقدانه جميع شروط الخلافة ومن بينها العلم كأحد الشروط الاساسية لتوليها وبالمقابل كان الامام الجواد (عليه‌السلام). مناراً تهوي إليه أفئدة الناس، بهذا تمكن قاضي القضاة أقناع المعتصم فأمر بتصفيتهُ فقتله مسموماً في عام ٢٢٠هـ عن عمر يناهز الخامسة والعشرين(٥١)، وقد حفظ الرواة للإمام الهادي(عليه‌السلام). أكثر من مئة معجزة ، وتقدم عددٌ منها ، ونورد فيما يلي بعض منها .

وهناك قصة تربوية عن الامام الهادي انه عرف ا بموعد نزول المطر في الصيف

قال يحيى : وخرج في يوم صائف آخر ونحن في ضحو وشمس حاميةٌ تُحرق ، فركب من مضربه وعليه ممطر ، وذنبُ دابته معقودٌ وتحته لبدٌ طويل ، فجعل كل من في العسكر وأهل القافلة يضحكون تعجباً ويقولون : هذا الحجازي ليس يعرف الرأي ، فما سرنا أميالاً حتى ارتفعت سحابة من ناحية القبلة وأظلمت وأظلتنا بسرعة ، وأتى من المطر الهاطل كأفواه القرب ، فكدنا أن نتلف وغرقنا حتى جرى الماء من ثيابنا الى أبداننا وامتلأت خفافنا ، وكان أسرع وأعجل من أن يمكن أن نحط ونخرج اللبابيد ، فصرنا شهرةً ، وما زال (عليه‌السلام). يتبسم تبسماً ظاهراً تعجباً من أمرنا)(٥٢)، وقصة تربوية

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

للامام الهادي عن المتوكل يستعين بمشعوذ(عن زرافة حاجب المتوكل ، قال : وقع رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل يلعب لعب الحقة ولم ير مثله ، وكان المتوكل لعاباً ، فأراد أن يُخجل علي بن محمد الرضا(عليه‌السلام)، فقال لذلك الرجل : إن أخجلته أعطيتك ألف دينار،قال : تقدم بأن يخبز رقاقاً خفافاً واجعلها على المائدة وأقعدني إلى جنبه ، فقعدوا وأحضر علي بن محمد(عليه‌السلام). للطعام ، وجعل له مسورة عن يساره ، وكان عليها صورة أسد ، وجلس اللاعب إلى جنب المسورة ، فمد علي بن محمد(عليه‌السلام). يده إلى رقاقة فطيرها ذلك الرجل في الهواء ومد يده إلى أخرى ، فطيرها ذلك الرجل ، ومد يده إلى أخرى فطيرها فتضاحك الجميع ، فضرب علي بن محمد(عليه‌السلام). يده المباركة الشريفة على تلك الصورة التي في المسورة وقال : خذيه. فابتلعت الرجل وعادت كما كانت إلى المسورة. فتحير الجميع ونهض أبوالحسن علي بن محمد ، فقال له المتوكل : سألتك إلا جلست ورددته. فقال : والله لا تراه بعدها ، أتسلط أعداء الله على أولياء الله! وخرج من عنده ، فلم يرُ الرجل بعد ذلك)(٥٣)، وفي رواية أنه قال للمتوكل:(إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيهم ، فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل)

ويظهر أن هذا النوع من الشعبذة كان معروفاً في الهند والعراق مما ورثه البابليون عن هاروت وماروت ، فقد استعمله المنصور مع الصادق(عليه‌السلام)، والرشيد مع الكاظم (عليه‌السلام)(٥٤)، وقصة اخرى لامام الهادي في مجلس الخليفة المتوكل حيث كان الخليفة المتوكل يحذر الإمام الهادي(عليه‌السلام)، ويخاف التفاف الناس حوله وإطاعتهم له، وكان الوشاة المحيطون بالمتوكل لا يترددون عن القول أن الإمام الهادي يسعى للإطاحة بحكم المتوكل ولا يستبعدون أن يوجد في دار الإمام أدلة ومستمسكات تشير إلى ذلك، كأن يكون بيته مذخرا للأسلحة، مما دعا المتوكل أن يرسل رجاله في ليلة من الليالي التي خيم فيها السكون على البلدة وسلط النوم كابوسه على الأبصار، لتفتيش بيت الإمام وإحضار الإمام عليه السلام إلى مجلس الخليفة الذي كان ثملا آنذاك، يناجي غوانيه وندماءه.عندما دخل رجال المتوكل على الإمام(عليه‌السلام)، وجدوه مشغولا بالعبادة لا يلهيه عن ذكر الله لاه، ولما فتشوا زوايا الدار لم يجدوا مرادهم فاكتفوا بأن اخذوا الإمام معهم واحضروه إلى المتوكل.وكان المتوكل سكرانا عندما دخل الإمام عليه، فأمر زبانيته أن يجلسوا الإمام إلى جانبه، فلما جلس الإمام(عليه‌السلام). قدم المتوكل له خمرا فامتنع الإمام عن شربه معتذرا. فقبل المتوكل اعتذاره على أن يسمع الحاضرين شعرا غزليا ، فاعتذر الإمام مرة أخرى، إلا أن المتوكل لم يقبل عذره هذه المرة، فشرع الإمام عليه السلام ينشد هذه الأبيات:

باتوا على قللِ الاجبال تحرسُهم ... غُلْبُ الرجالِ فما أغنتهمُ القُللُ
و استنزلوا بعد عزّ من معاقلهم ... وأودعوا حفراً يابئس ما نزلوا
ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قبروا ... أين الاسرّةُ و التيجانُ و الحللُ
أين الوجوه التي كانتْ منعمةً ... من دونها تُضربُ الأستارُ والكللُ
فافصحَ القبرُ حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتلُ

قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا.ولما أنشد الإمام(عليه‌السلام). هذه الأبيات، صحا المتوكل من سكره وتقاطرت دموعه على خديه وطلب من الإمام العفو والصفح.وهكذا انفض مجلس الخليفة، وهكذا استطاع نور الحق أن يبزغ بالحقيقة فيزيل ضباب الباطل(٥٥)، ومن قصص الامام الحسن العسكري عنه، عن إسحاق، عن أحمد بن محمّد بن الأقرع قال: حدّثني أبو حمزة نصير الخادم قال: سمعت أبا محمّد غير مرّة يكلّم غلمانه بلغاتهم: ترك و روم و صقالبة، فتعجّبت من ذلك و قلت: هذا ولد بالمدينة، و لم يظهر لأحد حتّى مضى أبو الحسن(عليه‌السلام). و لا رآه أحد فكيف هذا؟ أحدّث نفسي بذلك.

فأقبل عليّ فقال: إنّ اللّه تبارك و تعالى بيّن حجّته من سائر خلقه بكلّ شيء و يعطيه اللّغات و معرفة الأنساب و الآجال و الحوادث، و لو لا ذلك لم يكن بين الحجّة والمحجوج فرق(٥٦).

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

وفي قصة اخرى ،عنه، عن إسحاق قال: حدّثني أبو هاشم الجعفري قال: شكوت إلى أبي محمّد ضيق الحبس و كتل القيد، فكتب إليّ: أنت تصلّي اليوم الظهر في منزلك.

فأخرجت في وقت الظهر فصلّيت في منزلي كما قال(عليه‌السلام)، و كنت مضيّقا فأردت أن أطلب منه دنانير في الكتاب فاستحييت، فلمّا صرت إلى منزلي وجّه إليّ بمائة دينار و كتب إليّ: إذا كانت لك حاجة فلا تستحي و لا تحتشم و اطلبها فإنّك ترى ما تحبّ إن شاء الله(٥٧).

عنه، عن إسحاق قال: حدّثني إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن إسماعيل ابن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب قال: قعدت لأبي محمّد(عليه‌السلام). على ظهر الطريق فلمّا مرّ بي شكوت إليه الحاجة و حلفت له أنّه ليس عندي درهم فما فوقها و لا غداء و لا عشاء، قال فقال: تحلف بالله كاذبا و قد دفنت مأتي دينار؛ و ليس قولي هذا دفعا لك عن العطيّة أعطه يا غلام ما معك، فأعطاني غلامه مائة دينار.

ثمّ أقبل عليّ فقال لي: إنّك تحرمها أحوج ما تكون إليها يعني الدنانير الّتي دفنت، و صدق(عليه‌السلام)، و كان كما قال دفنت مأتي دينار، و قلت: يكون ظهرا و كهفا لنا فاضطررت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه و انغلقت عليّ أبواب الرزق فنبشت عنها فإذا ابن لي قد عرف موضعها فأخذها و هرب فما قدرت منها على شيء(٥٨).

وروي أن رجلا من محبي الإمام العسكري دخل يوما عليه وكان حكاكا للفصوص أي ينقش عليها الأسماء والآيات فقال للإمام: يا ابن رسول الله إن الخليفة دفع إلي حجر فيروز أكبر ما يكون واحسن ما يكون وقال: انقش عليه كذا وكذا فلما وضعت عليه الحديد صارنصفين فانكسروسوف يعاقبني الخليفة على ذلك فادع الله لي فقال الإمام:لا خوف عليه إن شاء الله، وهدأه وقال له: سوف تنجو منها.فانصرف هذا الرجل إلى بيته وفي اليوم التالي بعث عليه الخليفة وقال له: إن امرأتين من خواصي اختصمتا في ذلك الفص فاجعله نصفين. يقول: ففرحت كثيراً واخذتهما إلى الخليفة فأحسن إليهما(٥٩).عنه، عن إسحاق قال: حدّثني محمّد بن الحسن بن شمّون قال: كتبت إلى أبي محمّد(عليه‌السلام). أسأله أن يدعو الله لي من وجع عيني و كانت إحدى عينيّ ذاهبة و الاخرى على شرف ذهاب. فكتب إليّ: حبس الله عليك عينك فأفاقت الصحيحة، و وقّع في آخر الكتاب آجرك الله و أحسن ثوابك. فاغتممت لذلك و لم أعرف في أهلي أحدا مات، فلمّا كان بعد أيّام جاءتني وفاة ابني طيّب فعلمت أنّ التعزية له(٦٠).

قال: و حدّثني سيف بن اللّيث هذا قال: خلّفت ابنا لي عليلا بمصر عند خروجي عنها و ابنا لي آخر أسنّ منه كان وصيّي و قيّمي على عيالي و في ضياعي، فكتبت إلى أبي محمّد(عليه‌السلام). أسأله الدّعاء لابني العليل، فكتب إليّ: قد عوفي ابنك المعتلّ و مات الكبير وصيّك و قيّمك فاحمد الله و لا تجزع فيحبط أجرك. فورد عليّ الخبر أنّ ابني قد عوفي من علّته و مات الكبير يوم ورد عليّ جواب أبي محمّد(عليه‌السلام)(٦١).

عنه، عن إسحاق قال: حدّثني يحيى بن القشيري من قرية تسمّى قير قال: كان لأبي محمّد وكيل قد اتّخذ معه في الدّار حجرة يكون فيها معه خادم أبيض، فأراد الوكيل الخادم على نفسه فأبى إلّا يأتيه بنبيذ، فاحتال له بنبيذ، ثمّ أدخله عليه و بينه و بين أبي محمّد ثلاثة أبواب مغلقة، قال: فحدّثني الوكيل قال: إنّي لمنتبه إذ أنا بالأبواب تفتح حتّى جاء بنفسه فوقف على باب الحجرة، ثمّ قال: يا هؤلاء اتّقوا الله خافوا الله، فلمّا أصبحنا أمر ببيع الخادم و إخراجي من الدّار(٦٢).

عن أمير المؤمنين علي(عليه‌السلام):(إذا خرج القائم (عجل الله فرجه) ينتقم من أهلِ الفتوى بما لايعلمون ، فتعساً لهم ولأتباعهم ، أوكان الدينُ ناقصاً فتمّموه ؟ أم بهِ عِوَجُ فقوّموه ؟ أم أمر الناس بالخلاف فأطاعوه ؟ أم أمرهم بالصواب فعصوه ؟ أم همَّ المختارفيما أوحى إليهِ فذكَّروه ؟ أم الدين لم يكتمل على عهدهِ فكمَّلوه ؟ أم جاء نبيٌّ بعدهُ فاتبعوه)(٦٣).

ذكر العلامة المجلسي عن السيد أمير علاّم قال: كنت في صحن الإمام أميرالمؤمنين(عليه‌السلام) في ساعة متأخرة من الليل، فرأيت رجلا مقبلاً نحو الروضة، فاقتربت منه فاذا هو المقدّس الاردبيلي فأختفيت عنه، فجاء إلى باب الروضة وكان مغلقا فانفتح له الباب ودخل الروضة، فسمعته يتكلم كأنه يناجي أحداً، ثم خرج واغلق الباب، فتوجّه نحو مسجد

الكوفة وانا خلفه اتبعه وهو لا يراني، فدخل المسجد وقصد نحو المحراب الذي استشهد فيه الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام). ومكث هناك طويلا، ثم رجع نحو النجف وكنت خلفه ايضا، وفي اثناء الطريق غلبني السعال، فسعلت، فالتفت اليّ وقال: انت أميرعلاّم؟ قلت: نعم. قال: ما تصنع هاهنا؟ قلت: كنت معك منذ دخولك الروضة وإلى الان، واقسم عليك بحق صاحب القبر ان تخبرني بما جرى عليك من البداية إلى النهاية؟ قال: اخبرك بشرط ان لا تخبر به احدا مادمت حيا فوافقت على الشرط. فقال: كنت اتفكر في بعض المسائل الفقهية الغامضة، فقررت ان احضر عند مرقد الإمام أميرالمؤمنين(عليه‌السلام). لأسأله عنها، فلما وصلت إلى باب الروضة انفتح لي الباب بغير مفتاح، فدخلت الروضة وسألت الله تعالى ان يجيبني مولاي أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن تلك المسائل، فسمعت صوتا من القبر: أن ائت مسجد الكوفة، وسل من القائم، فانه إمام زمانك(٦٤).

عن رجل صادق اللّهجة كان حلاقا وله أب كبير، وهو لا يقصر في خدمته، ولا يفارق خدمته إلا ليلة الاربعاء فأنّه يمضي إلى مسجد السّهلة، ثم ترك الذهاب إلى المسجد، فسئل عن سبب ذلك، فقال: خرجت أربعين أربعاء فلّما كانت الأخيرة لم يتيسّر لي أن اخرج إلى قريب المغرب فمشيت وحدي وصار اللّيل، وبقيت أمشي حتى بقي ثلث الطريق، وكانت اللّيلة مقمرة، فرأيت أعرابيا على فرس قد قصدني فخفت منه، فلما انتهى إلي سألني عن مقصدي، فقلت: مسجد السّهلة، فقال: معك شيء من المأكول؟ فقلت: لا، فقال: أُدخل يدك في جيبك. فقلت: ليس فيه شيء فكرر عليّ القول فأدخلت يدي في جيبي، فوجدت فيه زبيبا كنت اشتريته لطفل عندي، ونسيته فبقي في جيبي. ثم قال لي الأعرابي: أوصيك بأبيك، أوصيك بأبيك، أوصيك بأبيك. ثم غاب عن بصري فعلمت أنّه المهدي(عليه‌السلام) وأنّه لا يرضى بمفارقتي لأبي حتى في ليلة الاربعاء فلم أعد(٦٥).

الخاتمة :

١. أن الحديث عن الأئمة عليهم السلام ليس تاريخاً لأشخاص ، فيما نعرفه من مفردات التاريخ لهم .وإنما هو تاريخ الرعاية الإلهية لهذا الإنسان ، الذي أراد الله له أن تتجسد فيه كل آمال الأنبياء وجهودهم ، على امتداد التاريخ البشري ، وكانت قصصهم في كل نواحي الحياة ورغم تعرضهم لاضطهاد والتنكيل من قبل الخلفاء ، فإنهم عليهم السلام هم التجسيد الحي ، والنموذج الفذ للخلافة الإلهية على الأرض

٢. لقد كانت القصص التربوية وماقيها من عبر وموعظة التي حدثت لائمة ال البيت عليهم اثناء حياتهم تجسد في شخصيتهم الإنسان الكامل الذي واجه الحياة ، بالإرادة والوعي والحكمة ، والحزم ، وكان على شيعة ال البيت ومحبيهم ان يستفادوا منها ويجسدوها في الحياة العملية .

الهوامش:

(١) سورة القصص، الآية، ١١

(٢) سورة الكهف، الآية، ٦٤

(٣) الزمخشري جار الله ،أبو القاسم محمود (المتوفى: ٥٣٨ هـ) أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ، الطبعة: الأولى، (بيروت لبنان ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)،ج ٢ ،ص ٨٢ : الزبيدي ،محمّد بن محمّد بن عبد الر آ زق الحسيني، (ت، ١٢٠٥هـ)العروس من جواهر القاموس الناشر: دار الهداية.ج ١٨ ،ص٩٨

(٤) العثيمين ، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: ١٤٢١ هـ)أصول في التفسير أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى،(السعودية ،١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).ص ٥٠؛ منال بنت منصور القرشي، القصص القرآني في الدراسات التربوية، مجلة بحوث كلية الآداب، ص١٤١١

(٥) ٦٧١/١.

(٦) الصدر،محمد محمد صادق (ت١٤٢١هـ), ما وراء الفقه ,المطبعة : قلم,(كربلاءالمقدسة، ١٤٢٧ / ٢٠٠٧م. ج١٠، ص١١٨

(٧) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط, تحقيق : مجمع اللغة العربية, المطبعة: دار الدعوة. (الاسكندرية ،د. ت)ج١،ص٣٢٦

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

(٨) أبن أبي الحديد ،عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ، (ت، ٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الناشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه(القاهرة ، د.ت) الرسالة الثلاثون ص ٣٩٢ – ٣٩٤؛ هاشم البحراني ،مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر ، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني.مؤسسة المعارف الاسلامية، الطبعة: الأولى(قم ، ١٤١٣ هـ. ق)ج١،ص٦

(٩) العذاري، شهاب الدين الحسيني، ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت(عليهم السلام)، مركز الرسالة ، منشور على الموقع الالكتروني ،ص٨١–٨٢

(١٠) الحر العاملي محمد بن الحسن ،(ت، ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة: تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام). لإحياء التراث ، الطبعة: الثانية ، (قم المشرفة ١٤١٤ هـ) ج١١ ص٤٩

(١١) سورة الزمر: ٦٥.

(١٢) سورة الروم: ٦٠.

(١٣) المجلسي، محمد باقر،بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: مؤسسة الوفاء ،ط٢ (بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م) ج٣٣ ص٣٤٣

(١٤) المجلسي، بحار الأنوار ، ج ٤٣ – ص ٣٤٤

(١٥) البحراني عبد الله الأصفهاني،عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال،تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام "(قم المقدسة "١٤٠٧ هـ ق /١٣٦٥هـ ش)،ج١٧، ص٦٢

(١٦) المرجع نفسه ج١٧، ص٦٤

(١٧) الكليني ،محمد بن يعقوب (ت،٣٢٩هـ) الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية – (طهران،١٣٦٧ ش) ،ج ٢ ،ص ٧٠.

(١٨) الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت، ٣٨١هـ) الأمالي تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – الطبعة: الأولى مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٧هـ) ص ٤١٦ .

(١٩) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (مص، ١٩٦٨) ج٥ ،ص٢١٧،

(٢٠) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت، ٢٨٤هـ)تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت،١٤٢٢هـ) ج٢ ،ص ٢٨٣.. الكوراني علي العاملي جواهر التاريخ سيرة الإمام الحسن (عليه السلام)، وتسلط بني أمية ومواجهة أهل البيت ،الطبعة الأولى،(قم المقدسة، ١٤٢٦، ج٣،ص٤٧٣

(٢١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤١،ص٣٩٥

(٢٢) الحر العاملي ، وسائل الشيعة: ج٩ ص٣٩٨

(٢٣) ابن شهر اشوب ،رشيد الدين ابي عبدالله محمد بن علي ،(ت،٥٨٨هـ)مناقب آل أبي طالب، تحقيق علي السيد جمال اشرف الحسيني، المكتبة الحيدرية ،(قم المقدسة ، ١٣٩٠هـ) ٣ : ٣٣٧.

(٢٤) الكليني ،الكافي ،ج٦ ، ص ٢٥٦.

(٢٥) ابن أبي الفتح الإربلي ،أبي الحسن علي بن عيسى (ت، ٦٩٣ هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء(بيروت ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م)ج٢،ص٣٢٩ و ٣٦٠ ؛ الأصفهاني أبو نعيم ،أحمد بن عبد الله (ت، ٤٣٠ هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: دار الفكر (مصر، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م)ج٣،ص ١٨٦ ، الحر العاملي محمد بن الحسن(ت،١١٠٤هـ) ، الفصول المهمة في اصول الائمة تكملة الوسائل، اشراف ،محمد بن محمد الحسين القائيني، مؤسسة معارف الامام الرضا عليه السلام الاسلامية، ط١(طهران ، ١٣٧٩هـ) ص١٩٤ ؛ الشبلنجي مؤمن بن حسن مؤمن (ت ١٣٠٨ هـ) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار(صلى الله عليه وآله)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بالبابي الحلبي وأولاده(مصر، د،ت)ص ١٩٣ ، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات الجزري،(ت،٦٣٠هـ) المختار من مناقب الأخيار، تحقيق ، مامون الصاغرجي, عدنان عبد ربه, محمد أديب الجادر، دار النشر،مركز زايد للتراث والتاريخ، (العين ، ١٢٠٩هـ) ص٣٠ ؛ ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله (ت،٥٧١ هـ) تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)ج٤٥ ،ص ٢٨٠ ؛، سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزوغلي بن عبد الله (ت، ٦٥٤هـ)تذكرة الخواص ،دار الكتب العلمية ،(بيروت ،د ، ت)ص ٣٤٩ ، اليافعي ،عبد الله

بن أسعد اليافعي اليمني (ت، ٧٦٨ هـ.)،روض الرياحين في حكايا ت الصالحين، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصرالطبعة: الثالثة (مصر: ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.)ص٥٧.

(٢٦) المجلسي، بحار الأنوار ، ج ٤٧ ،ص ١٢٤

(٢٧) المجلسي، بحار الأنوار ، ج ٤٧ ،ص ١٢٥

(٢٨) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الرضا (عليهالسلام) الطبعة الأولى(قم المقدسة ،١٣٧٢ هـ)ج١،ص٧٥–٧٦.

(٢٩)سورة الأنعام الاية ، ١٢٤

(٣٠)سورة فصلت الاية ، ٣٤

(٣١) القرشي، حياة الإمام الرضا (عليه السلام) ج١،ص٧٥–٧٦.

(٣٢)المجلسي، بحار الانوار، ج٤٨، ص٥٥–٥٦

(٣٣)المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٨، ص٥٤

(٣٤) الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١ هـ)عيون أخبار الرضا(عليهالسلام) ، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – لبنان ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م) ح ١٥،ص٢٢٧

(٣٥) محسن الأمين،(ت، ١٣٧١هـ) أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات (بيروت ،د ،ت)ج٢ ، ص١٥.

(٣٦) محسن الأمين ،عيون أخبار الرضا عليهالسلام ، ح ٤ ،ص١٤٥

(٣٧) المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت، ٤١٣ هـ)لإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت "(عليهم مالسلام)" لتحقيق التراث دار المفيد طباعة ، نشر والتوزيع(بيروت. لبنان، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م)ج٢، ص٢٦٥–٢٦٧

(٣٨) الكليني ،ا الكافي،ج ٢ ،ص ١٢٤

(٣٩) ابن شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب،ج٤ ،ص٣٩

(٤٠) الإربلي ،كشف الغمة،ج٣ ، ص٨٦

(٤١) المجلسي، بحار الأنوار،ج٥٠، ص٩٩–١٠٠ .

(٤٢) الشيخ المفيد، الاختصاص، (قم: د.مط، ١٩٩٢م)، ص٩٩ .

(٤٣) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص١٠٠ .

(٤٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٧٧ .

(٤٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٧٨ .

(٤٦) سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي، (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، تذكرة الخواص، (قم: د.مط، ١٩٩٧م)، ص٣٥٩ .

(٤٧) أبن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي، (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الصواعق المحرقة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م)، ص٢٠٥ .

(٤٨) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٣١٩ .

(٤٩) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٢٩٨؛ الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت، ٥٤٨ هـ)إعلام الورى بأعلام الهدى ، تحقيق مؤسسة آل البيت(عليهم السلام)لإحياء التراث،(قم المقدسة ،١٤١٧هـ)ص٣٥٦؛ أبن شهر أشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص٤٤٠ .

(٥٠) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٦٥ .

(٥١) الطبري،محمد بن جرير(ت،٣١٠هـ) دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة (قم المقدسة ،١٤١٣هـ)ص٢٠٨؛ المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦هـ)اثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب(عليهالسلام)دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، لبنان ،١٩٨٨) ص٢٢٧ .

(٥٢) المسعودي، اثبات الوصية ، ص٢٣٤.

(٥٣) ابن حمزة الطوسي، عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي (ت، ٥٦٠هـ)الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة: الثانية، (قم – إيران١٤١٢هـ)ص٥٣٩.

(٥٤)الكوراني ، علي ، الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها ، تقديم محمد علي الحلو ،(كربلاء المقدسة ، ١٤١٣ق/٢٠١٠م)

ص ٢١٢.

(٥٥)المجلسي، بحار الانوار،ج٢ ، ص١٤٩

(٥٦)الكليني، الكافي ، ج١، ص ٥٠٩

(٥٧)الكليني، الكافي ، ج١، ص ٥٠٨

(٥٨)الكليني، الكافي ، ج١، ص ٥٠٩

(٥٩) الحسني، هاشم معروف ، سيرة الأئمة الاثنى عشر دار القلم ،(بيروت ، لبنان ،د.ت) ص ٢٧٦

(٦٠) الكليني، الكافي: ج١ ، ص٥١٠

(٦١) الكليني، الكافي: ج١ ، ص٥١١

(٦٢) الكليني، الكافي: ج١ ، ص٥١١

(٦٣) النجفي محمد مهدي ، بيان الائمه، المطبعه: دار المحجه البيضاء،(بيروت ،د ،ت) ج٣ ، ص٢٩٨

(٦٤) المجلسي، بحار الانوار، ج ٥٣ ،ص٥٧

(٦٥) المجلسي، بحار الانوار، ج ٥٢ ،ص١٨٧

المصادر والمراجع:

القران الكريم

١. أبن أبي الحديد ،عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ، (ت، ٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الناشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه(القاهرة ، د.ت)

٢. ابن أبي الفتح الإربلي ،أبي الحسن علي بن عيسى (ت، ٦٩٣ هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء(بيروت ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م)

٣. ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات الجزري،(ت،٦٣٠هـ) المختار من مناقب الأخيار، تحقيق ، مامون الصاغرجي, عدنان عبد ربه, محمد أديب الجادر، دار النشر،مركز زايد للتراث والتاريخ، (العين ، ١٢٠٩هـ)

٤. الأصفهاني أبو نعيم ،أحمد بن عبد الله (ت، ٤٣٠ هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: دار الفكر (مصر، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م)

٥. الأمين محسن ،(ت، ١٣٧١هـ) أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات (بيروت ،د ،ت)

٦. إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط, تحقيق : مجمع اللغة العربية, المطبعة: دار الدعوة. (الاسكندرية ،د. ت)

٧. البحراني عبد الله الأصفهاني،عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال،تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي(قم "١٤٠٧ هـ ق /١٣٦٥هـ ش)،

٨. البحراني ، هاشم ،مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر ، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي.مؤسسة المعارف الاسلامية، (قم ، ١٤١٣ هـ. ق)

٩. أبن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي، (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الصواعق المحرقة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م)

١٠. الحر العاملي محمد بن الحسن ،(ت، ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة: تحقيق: مؤسسة آل البيت(عليهم السلام)لإحياء التراث ، الطبعة: الثانية ،(قم المشرفة ١٤١٤ هـ)

١١. الحر العاملي محمد بن الحسن(ت،١١٠٤هـ) ، الفصول المهمة في اصول الائمة تكملة الوسائل، اشراف ،محمد بن محمد الحسين القائيني، مؤسسة معارف الامام الرضا عليه السلام الاسلامية، ط١(طهران ، ١٣٧٩هـ)

١٢. الحسني، هاشم معروف ، سيرة الأئمة الاثنى عشر دار القلم ،(بيروت ، ،د.ت)

١٣. ابن حمزة الطوسي، عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي (ت، ٥٦٠هـ)الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة: الثانية، (قم – إيران١٤١٢هـ)

١٤. الزبيدي ،محمّد بن محمّد بن عبد الر آ زق الحسيني، (ت، ١٢٠٥هـ)العروس من جواهر القاموس الناشر: دار الهداية(.بيروت ،د. ت)

١٥. الزمخشري جار الله ،أبو القاسم محمود (ت: ٥٣٨ هـ) أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ، الطبعة: الأولى، (بيروت لبنان ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)

١٦. سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي، (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، تذكرة الخواص، (قم: د.مط، ١٩٩٧م)،
١٧. الشبلنجي مؤمن بن حسن مؤمن (ت ١٣٠٨ ه) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار(صلى الله عليه وآله)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بالبابي الحلبي وأولاده(مصر، د،ت)
١٨. ابن شهر اشوب ،رشيد الدين ابي عبدالله محمد بن علي ،(ت،٥٨٨ه)مناقب آل أبي طالب، تحقيق علي السيد جمال اشرف الحسيني، المكتبة الحيدرية ،(قم المقدسة ، ١٣٩٠ه)
١٩. الصدر،محمد محمد صادق (ت١٤٢١ه), ما وراء الفقه ,المطبعة : قلم,(كربلاء المقدسة، ١٤٢٧ / ٢٠٠٧م.)
٢٠. الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١ ه)عيون أخبار الرضا(عليه‌السلام)، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – لبنان ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م)
٢١. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت، ٣٨١ه) الأمالي تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – الطبعة: الأولى مؤسسة البعثة (قم، ١٤١٧ه)
٢٢. الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت، ٥٤٨ ه)إعلام الورى بأعلام الهدى ، تحقيق مؤسسة آل البيت(عليهم‌السلام)لإحياء التراث ،(قم المقدسة ،١٤١٧ه)
٢٣. الطبري،محمد بن جرير(ت،٣١٠ه) دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة (قم المقدسة ،١٤١٣ه)
٢٤. الطبري ،محمد بن جرير(ت،٣٠٩ه) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (مص، ١٩٦٨)
٢٥. العثيمين ، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: ١٤٢١ هـ)أصول في التفسير أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى،(السعودية ،١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).
٢٦. العذاري، شهاب الدين الحسيني، ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت(عليهم السلام)، مركز الرسالة ، .https://books.rafed.net/view.php
٢٧. ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله (ت،٥٧١ ه) تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)
٢٨. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الرضا (عليه‌السلام) الطبعة الأولى(قم المقدسة ،١٣٧٢ ه)
٢٩. الكليني ،محمد بن يعقوب (ت،٣٢٩ه) الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية – (طهران،١٣٦٧ ش)
٣٠. الكوراني ، علي ، الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها ، تقديم محمد علي الحلو ،(كربلاء المقدسة ، ١٤١٣ق/٢٠١٠م)
٣١. الكوراني علي العاملي جواهر التاريخ سيرة الإمام الحسن (عليه‌السلام) وتسلط بني أمية ومواجهة أهل البيت ،الطبعة الأولى،(قم المقدسة، ١٤٢٦،)
٣٢. المجلسي، محمد باقر،بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: مؤسسة الوفاء ،ط٢ (بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م)
٣٣. المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦ه)اثبات الوصية دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، لبنان ،١٩٨٨)
٣٤. المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت، ٤١٣ ه)الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت "(عليه‌السلام)" لتحقيق التراث دار المفيد طباعة ، نشر والتوزيع(بيروت. لبنان، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م)
٣٥. المفيد، الاختصاص، (قم: د.مط، ١٩٩٢م)
٣٦. منال بنت منصور القرشي، القصص القرآني في الدراسات التربوية، مجلة بحوث كلية الآداب، د.ت
٣٧. النجفي محمد مهدي ، بيان الائمه،: دار المحجه البيضاء،(بيروت ،د ،ت)
٣٨. اليافعي ،عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (ت، ٧٦٨ هـ.)،روض الرياحين في حكايا ت الصالحين، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،الطبعة: الثالثة (مصر: ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.)
٣٩. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت، ٢٨٤ه)تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت،١٤٢٢ه)

القصص التربوية عند أهل البيت (عليهم السلام)

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

أ.م.د. علي جودة صبيح المالكي
مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المستخلص:
تميزت العلاقات العراقية– الكويتية بعدم الاستقرار في مراحل كثيرة من تاريخهما الحديث والمعاصر، ويرجع ذلك إلى عدم اعتراف العراق بالكويت كدولة مستقلة، إذ كان يعدها جزءاً أساسياً من ولاية البصرة، وهو الامر الذي ادى إلى الكثير من النزاعات والحروب بين الجانبين، وكرس مبدأ الفرقة والعداء بينهما، ، ما جرى في عام ١٩٩٠–١٩٩١م، فيما سمي بالاحتلال العراقي للكويت أو حرب الخليج الثانية، عندما شن العراق حرباً على الكويت، وضمها إليه وجعلها جزءاً لا يتجزأ من أراضيه
وقد نددت أغلب دول العالم بالعملية ، وسارعت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلى تشكيل تحالف دولي، بهدف استعادة الكويت لدورها المحلي والإقليمي والدولي، وأيدت الولايات المتحدة الامريكية في موقفها أكثر من ثلاثين دولة، وقفت إلى جانب منطقة الخليج العربي وأعلنت انضمامها للتحالف، وأرسلت قواتها العسكرية إلى المنطقة الخليج العربي ، للمشاركة في الحرب ضد العراق، وعلى الرغم من رمزية تلك القوات، إلا أن تلك الدول سجلت موقفاً رافضاً لسياسة العراق تجاه الكويت، واحتلاله لها بالقوة العسكرية، ولا تخرج استراليا عن هذا الإطار، فما هو موقفها السياسي والعسكري من حرب الخليج الثانية؟.

الكلمات المفتاحية: العراق، الكويت، الولايات المتحدة الامريكية، التحالف الدولي، أستراليا.

Abstract:
Iraqi– Kuwaiti Relation were characterized by instability in many stages of their modern and contemporary history, and this is due to Iraq's failure to recognize Kuwait as an independent state, as it considered it an essential part of the Basra city, which led to many conflicts and wars between two sides, and established the principle of division and hostility Between them, what happened in 1990–1991 AD, What was Called the Iraq Launched a war on Kuwait and annexed it , and Made it an integral part of his territory. And most countries of world Condemned the Operation the major powers , led by the United States of America , rushed to form An international coalition, with the aim of restoring Kuwait to its local, regional and international role. The United States of America was supported in its position by more than thirty countries, which stood by the Arabian Gulf region and announced its joining of the coalition, and sent its military forces to the Arabian Gulf region, to participate in the war against Iraq , despite the symbolism those forces, but those countries recorded a position rejecting Iraq's policy towards Kuwait, and its occupation of it by military force, and Australia does not deviate from this framework , so what its Political and Military Position from the Second Gulf War ?

Keywords: Iraq, Kuwait, the United States of America, the international coalition, Australia.

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

المقدمة:

اشكالية البحث: تعد دول شبه الجزيرة العربية دولاً حديثة النشأة، إذ أن تلك البلدان لم تكن معروفة خلال حقبة الحكم العثماني، لأسباب عدة، منها: قلة السكان في تلك المناطق، وتمركزهم في مختلف المناطق الساحلية، لكن الأطماع الأجنبية عامةً، والبريطانية خاصةً، أسهمت بدرجة كبيرة في إقامة الحدود بين تلك الإمارات واوجدت عدد كبير من الدويلات في المشرق العربي، فأدت هذه التقسيمات إلى علاقات متوترة فيما بين تلك البلدان، أدت إلى اندلا ع الكثير من النزاعات فيما بينها، ومن أهم تلك النزاعات التي برزت مع ظهور تلك الدويلات، النزاع بين العراق والكويت، وبلغت ذروتها عام ١٩٩٠–١٩٩١م، عندما احتل العراق الكويت وضمها إليه، وهذا الأمر ادى إلى تدخل الكثير من دول العالم، وقفت إلى جانب الكويت في الحفاظ على سيادتها الإقليمية وعلى أراضيها، ومن تلك الدول أستراليا، فما هي أبرز المواقف السياسية والعسكرية لها خلال تلك الأزمة؟.

أهمية البحث: يعود سبب اختيار البحث إلى قلة الدراسات السياسية والتاريخية التي تعرضت لهذه القضية، والمتمثلة بالموقف الأسترالي من حرب الخليج الثانية، وذلك عندما وافقت على المشاركة في التحالف الدولي الذي شكلته الولايات المتحدة الأمريكية لمحاربة العراق ومن ثم تحرير الكويت، ومشاركتها الفعلية في أحداث الحرب، عندما أرسلت سفنها الحربية، ومقاتليها إلى منطقة الخليج العربي، وعلى الرغم من محدودية دورها العسكري، إلا أنها لم تخرج عن الإجماع الدولي في تحرير الكويت من الاحتلال العراقي.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج العلمي الوصفي المتبع في الدراسات التاريخية، القائم على الدراسة الوصفية في قراءة أحداث المرحلة، والمنهج التحليلي، الذي اعتمد عليه البحث عند صياغة المعلومات ووضع التحليل المناسب لها، إضافة إلى التسلسل التاريخي.

ثانياً: الأهمية الجغرافية والاستراتيجية للعراق والكويت:

تتميز حدود الوطن العربي بالامتداد الجغرافي المتصل، وعدم وجود حواجز طبيعية تفصل بين بلدانه، فهو وحدة جغرافية متكاملة من بحار وسهول وجبال، ويلمس بوضوح كيف أن الحدود بين الدول العربية ليست حدوداً طبيعية، وذلك لصعوبة تحديد مثل هذه الحدود، وإذا كانت الحدود السياسية تعطي نوعاً من المناعة، فليس للوطن العربي حدود طبيعية بين دوله(١).

من هنا سعى الاستعمار إلى تقسيم بلدان الوطن العربي إلى كيانات متناحرة ومتنازعة فيما بينها، ومن ضمنها العراق والكويت اللتان تقعان على رأس الخليج العربي، فالعراق يقع في شمال شرق شبه جزيرة العرب، وجنوب غرب قارة آسيا، يحده المملكة العربية السعودية والكويت جنوباً، وتركيا من الشمال، وسورية والأردن من الغرب، وإيران من الشرق، وبمساحة إجمالية تقدر بـ٤٣٤ ألف كم٢، وترجع أهميته الاستراتيجية إلى موقعه على رأس الخليج العربي، ويشكل الحد البري الوحيد الذي يربط بين الوطن العربي وإيران، وحلقة اتصال أساسية بين أوروبا والمحيط الهندي، وهو من المنتجين الأساسيين للطاقة في العالم، مما جعله محط أطماع القوى الاستعمارية الكبرى في العالم(٢). أما الكويت فتقع في الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربي، ولها شكل مثلث، ضلعه الشمالي مع العراق وطوله ٢٤٢كم، وضلعه الجنوبي مع السعودية وطوله ٢٢٢كم، وقاعدته على الخليج العربي، ويبلغ طول حدوده البحرية ٤٩٩كم، وبمساحة إجمالية تقدر بنحو١٧,٨١٨كم٢(٣)، وقد منحها موقعها على رأس الخليج العربي، أهمية تجارية كبيرة، وجعلها منفذاً طبيعياً لشمال شرق شبه الجزيرة العربية وإقليم نجد، فقد كانت السفن التجارية تنقل البضائع من موانئ الكويت عبر العراق والشام إلى أوروبا(٤). يضاف إلى ذلك موقعها الجغرافي بين ثلاث دول كبرى في المنطقة (إيران– السعودية– العراق)، مما أكسبها أهمية جغرافية، ولا سيما أن هذه البلدان تختلف في تركيبتها السياسية والحضارية والعقائدية، فضلاً عن ثروة الكويت النفطية الهائلة، مما جعلها محط أنظار الدول الكبرى(٥).

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

ثالثاً: أسباب حرب الخليج الثانية:

تعددت الأسباب الحقيقية التي أدت إلى اندلا ع حرب الخليج الثانية، بين العراق والكويت عام١٩٩٠، والتي التي يمكن ان نجملها .

١– الخلافات الحدودية بين البلدين توصل العراقيون بعد انتهاء الحرب العراقية– الإيرانية ١٩٨٠–١٩٨٨، إلى أن معظم خطوط أنابيب النفط التي تنقل النفط العراقي إلى الأراضي السعودية والسورية والتركية قد توقفت عن العمل، لذلك فقد سعى إلى توفير مصب آمن للنفط العراقي، وتدعيم القدرات الدفاعية، وهذا ما يتطلب مورداً مالياً، بهدف الحفاظ على القوة العسكرية للبلاد"(٦)، كما أن حرب الخليج الأولى أظهرت ضعف الدفاعات العراقية في المنطقة الساحلية الضيقة المطلة على الخليج، لذلك سعى العراق إلى إيجاد منفذ له، وذلك بتوسيع تلك المنطقة، وهذا ما أكده رئيس الوزراء العراقي الأسبق فاضل الجمالي١٩٥٣–١٩٥٤ ، بقوله: "إن حاجة العراق إلى منفذ على البحر المتوسط والخليج هي حقيقة قائمة، فقد قاسى العراق في تاريخه المعاصر الأمرّين، من قطع النفط عبر سورية، بعد أن قطع نفطه عبر حيفا، عند تأسيس "الكيان الصهيوني" أما الكويت فبعد أن تعذر الاتحاد معها في العهد الملكي، فإنها ستبقى حيوية كمنفذ للعراق على الخليج العربي، مهما تقلبت الظروف"(٧). حتى غدت مسألة الخلافات الحدودية أحد الأسباب المهمة التي قادت إلى احتلال العراق للكويت، واندلا ع حرب الخليج الثانية.

٢– المتغيرات الدولية وأثرها في اندلا ع حرب الخليج: تتعلق هذه القضية بانتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي(٨)، إثر انهيار المعسكر الشرقي، وقناعة النظام العراقي أن السيطرة الأمريكية– "الإسرائيلية" على المنطقة هي مسألة وقت، ولا سيما مع بقاء القوة الأمريكية وحيدة في زعامة العالم، وسعيها لبناء نظام عالمي جديد قائم على أحادية القطب، وانفرادها بزعامته(٩)، ورغبتها في نشر قواتها العسكرية في المناطق الحيوية المهمة لاستمرارية مصالحها، وإن هذا البلد يمارس أكبر نفوذ على المنطقة والخليج العربي، وسوف يرسخ تفوقه كقوة عظمى لا منافس لها، وإن هذه المنطقة ستخضع لرغبات الولايات المتحدة الامريكية، وأن تحديد سعر النفط سيكون على وفق المصالح الأمريكية بينما يتم تجاهل مصالح كل جهة أخرى"(١٠).

– **السبب المباشر الأزمة المالية للعراق**: إثر انتهاء الحرب العراقية– الإيرانية، وجد العراق نفسه يعاني من ضائقة مالية، إذ قدرت خسائره بحوالي ٤٥٠ مليار دولار أمريكي، وتحول العراق من بلد دائن يبلغ احتياطه النقدي٣٥مليار دولار، إلى بلد بلغت ديونه الخارجية ما يزيد على٧٨مليار دولار، منها ٤٠مليار دولار للدول العربية و ٣,٢٠مليار دولار للاتحاد السوفيتي و١٣,٦مليار دولار لأوروبا(١١). لذا، فقد حاول النظام العراقي إيجاد مخرج لأزمته الاقتصادية الخانقة، وكان ذلك خلال انعقاد مؤتمر القمة العربية في بغداد بتاريخ١٩٩٠/٥/٢٨، إذ وجه الرئيس العراقي صدام حسين ١٩٧٩–٢٠٠٣ في خطاب له انتقاداً شديداً للكويت والإمارات العربية المتحدة، معلناً أنهما يشتركان في عملية مدبرة لإغراق السوق النفطية، بمزيد من الإنتاج، الأمر الذي أدى إلى تدهور سعر برميل النفط، من ١٨ دولار للبرميل، إلى ما بين١١ و١٣دولار للبرميل، مما أدى إلى خسارة العراق ما بين عامي١٩٨٠–١٩٩٠م إلى حوالي٨٩ مليار دولار(١٢).

في ١٥و١٩٩٠/٧/٢١، أرسل وزير الخارجية العراقي طارق عزيز (١٩٧٩–٢٠٠٣)(١٣)،رسالتين إلى الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية الشاذلي القليبي (١٩٧٩–١٩٩١)(١٤)، وجه فيها عدد من الاتهامات إلى المسؤولين الخليجيين عامةً والكويتيين خاصةً، منها: إن الكويت سرقت نفطاً من حقل الرميلة النفطي العراقي، منذ بداية الحرب مع إيران بما قيمته ٢٤٠٠مليون دولار، استناداً إلى أن الحقل ينتج يومياً عشرة آلاف برميل. وإن حكومتا الكويت الإمارات العربية المتحدة، قامتا بإغراق الأسواق العالمية بالنفط، مما أدى إلى تدهور أسعاره، وخسارة العراق ما يزيد عن عدة مليارات من الدولارات سنوياً، وتتحمل حكومتا الكويت والإمارات مسؤولية انخفاض أسعار النفط العالمية، بسبب إنتاجهما الإضافي من النفط. وفي ختام رسالته، طالب طارق عزيز بدفع تعويضات كافية للعراق عن خسائرها السابقة(١٥).

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

مع تلك الأسباب وصلت علاقات البلدين إلى نقطة اللا عودة، وفشلت جميع المحاولات للتوصل إلى حل سلمي للأزمة بين الجانبين العراقي والكويتي، وهو ما قاد في النهاية إلى قيام العراق بأحتلال الكويت والسيطرة عليها، وسارعت دول العالم للتدخل في الحرب، لصالح طرف ضد الأخر، فما هي أهم أحداث تلك الحرب.

رابعاً: تداعيات الحرب العراقية– الكويتية ١٩٩٠ :

١– ميزان القوى العسكرية بين الجانبين: قبل الحديث عن الهجوم العراقي على الكويت، لا بد من الوقوف عند ميزان القوى العسكرية المشاركة في الحرب بين البلدين. اذ شملت القوات البرية العراقية المشتركة في الحرب قوات الفيلق الثالث (حرس جمهوري)، الفرقة ٢١–٢٣ المدرعة، الفرقة ٩ مشاة، واللواء ٩٥ مظلات. وعدد الدبابات بلغ ٤٢٣ دبابة، والمدفعية ٢١٦ قطعة مدفعية ميدان، مؤلفة من ستة ألوية مدفعية. . أما الطائرات فكانت ١٤٤طائرة مقاتلة، وكانت القوات البحرية عبارة عن كتيبة مشاة برمائية. وقد بلغ عدد القوات المشتركة في بداية الاحتلال ٥٥ألف مقاتل(١٦). يقودها اللواء نجم الدين عبد الله(١٧).

أما القوات الكويتية فتكونت من القوات البرية التي تضم لواءين مدرعين، ولواء مدفعية ذاتية الحركة، ثلاث كتائب صواريخ مضادة للدبابات، و٩ كتائب مضادة للطائرات .كان عدد الدبابات ٢٧٥دبابة و٦٢٠ مصفحة، و ١٤٤ قطعة مدفعية من مختلف الأنواع، و٨٠طائرة مقاتلة و١٨ هليكوبتر و٢٢٠٠ جندي، و٨ زوارق هجومية، و٤ سفن برمائية، و٥٠ زورق بحري، و٢١٠٠ جندي. و٢٠,٣٠٠ مقاتل، و١٥٠٠ مقاتل من الحرس الأميري وقوات الحدود(١٨).

يلاحظ من المقارنة السابقة، التفوق العسكري العراقي على الكويت في المجالات العسكرية كافة، على رغم خوضه حرباً مدمرة سابقة مع إيران، باستثناء القوة البحرية، وهذا ما كان يشكو منه العراق دائماً، والمتمثل بضيق مساحته المطلة على الخليج العربي، لذلك كان لا بد للقوى المهيمنة عالمياً من الإطباق تماماً على قدرات العراق كافةً، ويمكن القول: إنه لا يمكن مقارنة القوة العسكرية الكويتية، بنظيرتها العراقية، في أي عملية عسكرية يمكن أن يشنها العراق ضدها، فإن احتمال صمود القوة العسكرية الكويتية أمام القوة العسكرية الضاربة للعراق، أمر صعب، إن لم يكن مستحيلاً.

٢– الاحتلال العراقي للكويت: تحركت القوات العراقية اتجاه الكويت بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢، فدخلت عبر الحدود البرية بين البلدين باتجاه العاصمة الكويتية، التي تبعد عن خط الحدود مسافة ٦٤ كم(١٩)، واستطاعت تلك القوات أن تفرض سيطرتها على كامل أرجاء دولة الكويت في مدة قصيرة(٢٠). وفي سير العمليات العسكرية، فقد بدأت القوات العراقية دخول أراضي الكويت(٢١) بدءاً من الساعة الثانية عشر ليلاً في ١٩٩٠/٨/٢. والجدول التالي يبين تحركات القوات العراقية خلال اجتياح الكويت.

		بوبيان.
٤،٣٠/ص	القوات الرئيسية اتصلت مع القوات المتقدمة.	مشارف مدينة الكويت.
٦،٣٠/ص	اللواء ٩٥ مظلات، كتيبة طائرات هليكوبتر.	صر الإمارة في ديسمان ومنطقة السالمية
١٢،٠٠/ظ	كامل القوات العراقية	السيطرة على مدينة الكويت، واحتلال الأهداف الحيوية، والاستراتيجية.
٣/آب	الفرقة ٢١ مدرع احتياطي	السيطرة على ميناء الأحمدي، والأحمدي.

المصدر: جلال عبد الفتاح، المصدر السابق، ص٢٤–٢٦.

وبذلك فقد حقق النظام العراقي بسيطرته على الكويت أهدافه الأساسية، المتمثلة بما يلي:

– ضم الكويت إلى العراق، بدعوى أنها محافظة تابعة له.

– التغلب على المشكلات الاقتصادية المتدهورة في العراق.

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

– إيجاد ممر بحري عراقي على الخليج العربي عبر خور الزبير، وميناء أم قصر، بعد تدمير ميناء البصرة خلال الحرب مع إيران.
– والاستيلاء على مصدر كبير للثروة بما تمتلكه الكويت من أرصدة استثمارية وحقول نفط غنية، والسيطرة على ٢٠٪ من احتياط النفط العالمي.
– إظهار قدرة العراق بوصفه قوة إقليمية كبرى في المنطقة المهيمنة على أمن الخليج(٢٢).

وفي ١٩٩٠/٨/٣ أعلن النظام العراقي أنه سيسحب قواته من الكويت وبتاريخ ١٩٩٠/٨/٥، بشرط أن لا يكون هناك تهديد لأمن الكويت والعراق، وذلك بعد تثبيت حكم النظام الثوري الجديد فيها (٢٣). فقد كانت حجة العراق في دخول الكويت، ما بثه راديو بغداد عن قيام جماعة ثورية بقلب نظام الحكم في الكويت، وتشكيل مجلس لقيادة الثورة، وتشكيل حكومة مؤقتة في البلاد (تحت اسم حكومة الكويت الحرة)(٢٤)، وقد طلب الثوار المساعدة من العراق التي قررت تلبية طلبهم للمساعدة في استقرار حكمهم(٢٥).

أصدرت حكومة الكويت الحرة المؤقتة بيانات عدة، ومنها: البيان الأول: جاء فيه "إن القوى الوطنية التي رفضت البغي والاستبداد، قررت تسنم زمام المسؤولية، والإطاحة بالنظام المستبد الفاسد والعميل، وعزل أمير الكويت جابر الأحمد الجابر، وولي العهد سعد العبد الله الصباح، وحل المجلس الوطني". وحول العلاقات مع العراق فقد ذكر البيان: "إن حكومة الكويت الحرة المؤقتة ترى أنه من أولى واجباتها ومسؤولياتها الوطنية والقومية والأخلاقية، دفع الأذى الذي ألحقه العهد السابق بالعراق، وستعمل على معالجة مسألة الحدود، والعلاقة مع العراق على قاعدة الأخوة، وفق ما تتطلبه المصلحة القومية العليا". والبيان الثاني: ناشدت خلاله حكومة بغداد للعمل على تقديم المساعدة والعون لهم، وحمايتهم من التدخل الأجنبي(٢٦).

أعلنت حكومة الكويت الحرة في١٩٩٠/٨/٧ عن قيام النظام الجمهوري، وطالبت بالانضمام إلى العراق في وحدة اندماجية(٢٧)، اذ أعلن الرئيس العراقي صدام حسين عن ترحيبه بهذه الخطوة، وقال: "إن التدخل في الكويت أدى إلى وضعِ حدٍ للتقسيم الاستعماري في المنطقة"(٢٨). في ١٩٩٠/٨/٨م أعلن النظام العراقي ضم الكويت إلى العراق(٢٩)، معلناً بأنها تشكل المحافظة التاسعة عشرة ويكون مركزها قضاء كاظمة، ويتبعها قضاء الجهراء، وقضاء الأحمدي (النداء)، مع استحداث قضاء باسم صدامية المطلاع، الذي ضم كلاً من جزيرة وربة وبوبيان، وناحية العبدلي تتبع محافظة البصرة، وفي١٩٩٠/٨/٢٦ أصدر صدام حسين قراراً باعتبار الكويت محافظة عراقية(٣٠)، وقد عبر نائب الرئيس العراقي طه ياسين رمضان خلال اجتماعه مع الرئيس المصري حسني مبارك ١٩٨١–٢٠١١، في القاهرة، بتاريخ ١٩٩٠/٨/٩، عن رغبة العراق في استمرار ضم الكويت، بقوله: "إن ضم الكويت للعراق هو إجراء نهائي لا مراجعة فيه، ولا عدول عنه، وأن العراق يعدّ هذا قراراً وطنياً لا يمكن طرحه للمناقشة عربياً"(٣١). كما كتب المؤرخ العراقي يحيى الجبوري عن أهمية عملية ضم الكويت بالنسبة للعراق ما يلي: "لقد كان الفعل الثوري للعراق، بإعلان الوحدة الاندماجية الكاملة، وإزالة الحدود الوهمية المصطنعة بين العراق ومحافظته التاسعة عشرة (الكويت)، وقد جعل الشعب العراقي أمام منعطف تاريخي"(٣٢). قابل احتلال النظام العراقي للكويت، وسياسته فيها، جهوداً كويتية لمقاومته، فنظم الكويتيون حرب عصابات مدنية ضد القوات العراقية، وتشكلت منظمات سرية للمقاومة منها: منظمة تحرير الكويت، وقد هددت هذه الحركة بأنها ستهاجم أهدافاً حتى في قلب بغداد، وقد نجحت المقاومة الوطنية الكويتية في تنفيذ عمليات عسكرية عدة ضد القوات العراقية، منها: (تدمير العديد من الآليات العسكرية– دبابات– عربات جيب– وعربات أخرى)، كما أسست مجموعة من الشباب الكويتي إذاعة الكويت الحرة، بثت رسائلها من داخل الأراضي الكويتية، وكانت تحمل شعارات التأييد لآل الصباح حكام الكويت(٣٣)، ومن هنا فقد خضعت الكويت لسلطة النظام العراقي، والذي فرض سياسته الخاصة تجاهها، وأصبح يعاملها كجزء من جمهورية العراق، فنجح العراق بتحقيق وحدة مع الكويت، إلا أنها جلبت له الدمار والخراب.

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠-١٩٩١)

٣- تشكيل التحالف الدولي وتحرير الكويت:

أثارت مسألة احتلال النظام العراقي للكويت، حفيظة العديد من دول العالم، ولاسيما البلدان التي تملك مصالح اقتصادية مهمة مع الكويت، لذلك سارعت هذه القوى إلى إجبار النظام العراقي على الانسحاب ، فتم تشكيل التحالف الدولي الذي ضم الدول الرافضة للأحتلال العراقي للكويت، بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية(٣٤).

بدأت قوات التحالف الدولي الحرب على العراق في١٩٩١/١/٥ ، بعملية أطلق عليها اسم عاصفة الصحراء(٣٥)، بضربات جوية متلاحقة قامت بها طائرات أمريكية وبريطانية وسعودية وكويتية ضد أهداف استراتيجية عراقية، داخل العراق والكويت. وقد بلغ عدد الطلعات الجوية للحلفاء حوالي ٩٠ ألف طلعة، استمرت لمدة ٤٢ يوم، واستطاعت أن تحقق جزءاً كبيراً من أهداف قوات التحالف. وبعد٣٧ يوماً من الضربات الجوية، بدأت الحرب البرية، عندما شنت قوات التحالف هجوماً ضخماً على الأراضي العراقية والكويتية. وبعد ثلاثة أيام من الهجوم البري، استطاعت قوات التحالف الدخول إلى الأراضي العراقية. أما القوات المسؤولة عن تحرير الكويت، فقد استطاعت دخول مدينة الكويت وتحريرها، بعد احتلال دام ستة أشهر، لتنتهي حرب عاصفة الصحراء في ١٩٩١/٢/٢٨، ليتمّ في١٩٩١/٣/٣ توقيع اتفاق بين وفد عراقي ووفد من قيادة التحالف، وقد مثلّ العراق فيه رئيس العمليات في وزارة الدفاع سلطان هشام أحمد وقائد الفيلق الثالث العراقي صالح عبود محمود ، ومثلّ قوات التحالف نورمان شوارتزكوف قائد القوات الأمريكية والفريق خالد بن سلطان بن عبد العزيز قائد القوات المشتركة. ونص هذا الاتفاق على ما يلي:

تثبيت وقف إطلاق النار بين الجانبين. وتبادل أسرى الحرب بين الطرفين(٣٦)،. وانسحاب قوات التحالف الدولي من الأراضي العراقية بعد توقيع اتفاق إطلاق النار. وبذلك، انتهت الحرب(٣٧). بانسحاب القوات العراقية من الكويت، وعودة الأسرة الحاكمة إلى البلاد.

خامساً: الموقف الأسترالي من حرب الخليج الثانية:

أ- موقف أستراليا السياسي: تنتمي أستراليا إلى مجموعة الدول ذات الأصول الإنكليزية، لذلك فإن تاريخ علاقتها بالعالم العربي يعود إلى كونها جزء من الإمبراطورية البريطانية، ومن ثم تطور موقفها بعد الاستقلال، وحصولها على الحكم الذاتي وتشكيل الفدرالية الأسترالية، إلى موقف متحالف مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ومصالحهما الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط، كونها واحدة من أعضاء النادي المحدد العضوية، في الحلف الأنغلو ساكسوني بقيادة الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، وعضوية كندا وأستراليا ونيوزيلندا، وهذه العلاقة المتأثرة بالسياسة البريطانية- الأمريكية، هي التي تسيطر على سياسة أستراليا الشرق أوسطية، مع انه لا يتلائم مع مصالحها الذاتية بالضرورة(٣٨).

من هنا فقد أعلن رئيس وزراء أستراليا روبرت جيمس لي هوك Rebert James lee Hawake ١٩٨٣- ١٩٩١ (٣٩) إدانة كاملة احتلال العراقي للكويت، وما نتج لاحقاً من ضمها، وتعهد بأن الأمة لن تقف مكتوفة الأيدي تجاه الأحتلال(٤٠)، ومع صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم /٦٦١/ الصادر في ١٩٩٠/٨/٦م، ونص على فرض عقوبات اقتصادية وتجارية وصناعية ومالية على العراق، حتى يتم سحب القوات العراقية من الكويت، وطالب مجلس الأمن جميع الدول أن تلتزم بهذا القرار، كما طالب بحماية الأصول المالية التي تملكها حكومة الكويت الشرعية، وعدم الاعتراف بأي نظام تقيمه سلطة الاحتلال(٤١)، والقرار/٦٦٢/ الصادر في١٩٩٠/٨/٩، وفيه قرر مجلس الأمن ضرورة استعادة السلطة الشرعية للكويت، وقرر أن ضم العراق للكويت لاغياً وباطلاً، وليس له أي قيمة قانونية، ويطلب من جميع الدول والمؤسسات عدم الاعتراف بذلك الضم، والامتناع عن أي إجراء قد يفسر على أنه اعتراف غير مباشر بالضم(٤٢)، سارعت أستراليا إلى تطبيق هذين القرارين وعبر رئيس مجلس الوزراء الأسترالي روبرت جيمس لي هوك في ١٠/ ١٩٩٠/٩ عن الدعم الفوري لبلاده في تنفيذ قرارات مجلس الأمن فيما يتعلق بالعقوبات الأممية على العراق(٤٣)، إذ اعلن من خلال اتصال هاتفي بيث مباشر مع رئيس الولايات المتحدة جورج بوش الأب(٤٤)

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

(George Bush) ١٩٨٩–١٩٩٣م قرار حكومته بإرسال FFG٥١ بارجات صواريخ ارشاديه ومراكب مدعمه للخليج ، كما أعلنت حكومة حزب العمال الأسترالية عن نشر فرقة بحرية في الخليج العربي في اليوم نفسه وهي يارجتان حربيتان وبأسطول لم يكن ذو فعالية من الناحية العددية والنوعية(٤٥)، وإذ ما اخذنا بنظر الاعتبار المساهمات المرئية الواضحة التي قامت بها الحكومة الاسترالية والاتجاهات التي انتقلت اليها تلك الالتزامات أبان ذلك يترك لدينا انطباعاً أن التزام استراليا ربما كان ضعيفاً جداً لانشاء التزام مستقبلي متبادل يكون أساساً للدفاع المشترك ، وأن كان هذا الانطباع ليس واضحاً ليس بدرجة كبيرة ، وقد وصف رئيس الوزراء روبرت لي هوك الالتزام بأنه "متناسب مع المصالح التي لدينا على المحك(٤٦)، وهي أشارة إلى أهمية المصالح الوطنية في صياغة السياسة الخارجية ورد فعل الدولة على الأحداث العالمية مثل غزو العراق للكويتي يمكن تجميع المصالح الوطنية الأسترالية في المدة ١٩٩٠–١٩٩١ في ثلاث فئات رئيسية. وهي المصالح الاستراتيجية والمصالح الاقتصادية والتجارية، استعمال مصطلح ، المصلحة في أن يُنظر إليك كمواطن دولي صالح (٤٧)، وبما أن مفهوم المصالح الوطنية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالواقعية، فمن المنطقي افتراض أن السياسة الخارجية الأسترالية خلال الفترة ١٩٩٠–١٩٩١ كانت مدفوعة بهذه النظرية. وكان الأمر الأول والأهم على المحك هو الوصول إلى نفط الشرق الأوسط الذي يمثل إنتاجه ٢٦,٣ في المائة من إجمالي السوق العالمية(٤٨).

فما هي إذن دوافع أستراليا للتورط في صراع الخليج الذي أدى في النهاية إلى الحرب؟

أولاً: ستنظر في المصالح الاستراتيجية الأسترالية، فضلاً عن المصالح الاقتصادية والتجارية التي كانت على المحك في اثناء احتلال العراق للكويت وأزمة الخليج الناجمة عنه. ونظرًا لمجموعة متنوعة من الأسباب، مثل التزام أستراليا الفوري بالقوات، وتاريخ السياسة الخارجية للبلاد وحقيقة أن القوة المتعددة الجنسيات في الخليج كانت بقيادة الولايات المتحدة، رأى العديد من المراقبين أن المشاركة الأسترالية كانت بمثابة "رئيس وزراء أسترالي مرة أخرى". أقفز بحماس على أنغام المسيرة العسكرية الأمريكية"(٤٩) . وبالنظر إلى أن هوك في البداية لم يتشاور إلا مع غاريث إيفانز Gareth Evans ووزير الدفاع Kim Beazley(٥٠) قبل أن يقرر إرسال الوحدة البحرية إلى الخليج العربي، فإن السؤال الذي يطرح نفسه أيضًا هو إلى أي حد يجب على المرء أن يميز بين المصالح الشخصية والوطنية(٥١).

بناءً عل ذلك، لا بد من معرفة مدى تأثير المصالح الشخصية لرئيس الوزراء بوب هوك على قرار التورط في حرب الخليج، ففي غالبية الدراسات الموجودة حول تورط أستراليا في حرب الخليج، تم التركيز بقوة على البعد الاستراتيجي. كانت سياسة الدفاع الأسترالية في عام ١٩٩٠، هي سياسة الدفاع القاري والمعروفة أيضًا باسم الاعتماد على الذات. أراد أحدهما تجنب القتال في حروب في الخارج وأراد قصر العمل العسكري والمشاركة على الدفاع عن القارة في حالة تعرضها للتهديد. عندما غزا العراق الكويت، كان الأمن الداخلي الأسترالي فيما يتعلق بالعدوان العسكري المحتمل، في أي مرحلة من مراحل الصراع، مهدداً بشكل مباشر. ونتيجة لذلك، لماذا قررت حكومة هوك إرسال قوات للمشاركة في حرب الخليج، على الرغم من عدم تعرضها للتهديد العسكري. كان من الواضح أن الاقتراح القائل بأن "الالتزام كان بمثابة عودة إلى الممارسات السابقة المتمثلة في" الدفاع الأمامي ، لم يكن بعيدًا. هذا البيان مبالغ فيه، لكن سياسة هوك الدفاعية في هذه المرحلة كانت بالتأكيد، كما سنرى، مزيجًا من السياسة القديمة والسياسة الجديدة(٥٢).

وفيما يتعلق بالمصالح الاستراتيجية، فقد جلبت حرب الخليج مع نهاية الحرب الباردة حالة جديدة من عدم اليقين فيما يتعلق بالسياسات الدفاعية للدول. وفجأة، لم يعد على المرء أن يختار بين الوقوف إلى جانب إحدى القوتين العظميين والحاميتين، بل أصبح من الواضح بدلاً من ذلك أن "المصالح الدفاعية لأستراليا (...) عالمية". متأثرًا بعدم اليقين الجديد في السياسة العالمية، وكان قرار هوك بإرسال قوات لأزمة الخليج مؤشرًا على ذلك. وبدا أن حكومة حزب العمال، التي تحمل في طياتها الدعم التقليدي للمنظمات الدولية فيما يتعلق بصنع السياسة الخارجية، ممزقة بين الأمم المتحدة كمورد جديد إضافي للأمن وبوليصة التأمين القديمة للتحالف مع الولايات المتحدة. وبدا أن الحكومة الأسترالية تفضل الخيار الأول، وهو ما ظهر بوضوح في تصريح هوك بأنه "إذا تعرضنا (...) لعدوان في المستقبل، فسنريد، وربما نحتاج إلى دعم الأمم

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

المتحدة. كما أنه يُظهر أيضًا الشعور بالمصلحة الذاتية بدلاً من الإيثار فيما يتعلق بالتزام أستراليا بحرب الخليج(٥٣) .
إن الرغبة في المساهمة في الأمن العالمي من أجل تأمين النفس ضد التهديدات المستقبلية المحتملة كانت العامل الحاسم عندما يتعلق الأمر بالمصالح الاستراتيجية المعرضة للخطر بالنسبة لأستراليا. وهكذا، كان قرار الالتزام يصب في المصلحة الوطنية الاستراتيجية لأستراليا بقدر ما حاولت العثور على موقع أستراليا الجديد في مشهد دولي متغير وتأمين نفسها ضد التهديدات المستقبلية من خلال الانضمام إلى الأمم المتحدة. ومن ثم، ينبغي رفض الاقتراحات القائلة بأن الحكومة الأسترالية قد عادت إلى سياسة الدفاع الأمامي، كما كان الحال خلال حرب فيتنام. والسبب في ذلك هو أن المكون الاستراتيجي والعسكري كان في حالة حرب الخليج ذا أهمية ثانوية بشكل واضح(٥٤) .
وفيما يتعلق بأزمة الخليج، ينبغي أن تأتي المصالح الاستراتيجية في المرتبة الثانية بعد المصالح الاقتصادية والتجارية لأستراليا. وقد برزت الأخيرة باعتبارها اللعبة الرئيسية في صنع السياسة الخارجية لكل دولة خلال القرن العشرين، وبقيت بلا منازع في "عالم مهووس بالنمو الاقتصادي ، إذ بلغت الصادرات الأسترالية إلى الشرق الأوسط في الفترة ١٩٩٠–١٩٩١ مجرد ٣,٢ ٪ من إجمالي الصادرات و٣ ٪ فقط من الواردات(٥٥)، ومع ذلك، كانت المنطقة، ولا تزال، ذات أهمية كبيرة. ضخت دول الخليج ما يقدر بـ ١,٨٤١ مليار دولار في الاقتصاد الأسترالي سنويًا، وكان لها دور حاسم في شراء السلع الزراعية في المقام الأول. وشمل ذلك نصف صادرات أستراليا من الماشية والقمح. وفي عام ١٩٨٩ وحده، اشترى العراق بضائع بقيمة ٣٤٠ مليون دولار، وخاصة القمح، وأثبت نفسه بوصفه الشريك التجاري الأكثر أهمية لأستراليا في الشرق الأوسط. وفي عصر العولمة والمنافسة المتنامية من السلع الزراعية الأمريكية والأوروبية المدعومة إلى المنطقة، بدا فقدان هذه السوق بمثابة ترف لا تستطيع أستراليا تحمله(٥٦).
ونتيجة لذلك، واستناداً إلى مثل هذا الوضع الاقتصادي، فإن المرء يتساءل في البداية عن السبب الذي قد يدفع أستراليا إلى اتخاذ قرار بدعم العقوبات التي تعقبها حرب ضد العراق. بالنسبة لغالبية المراقبين، كانت أزمة الخليج تتعلق بالنفط والتهديد بالوصول إليه. ومع ذلك، لم تستورد أستراليا أي نفط من العراق وتم تغطية ٢ في المئة فقط من استهلاكها من خلال الواردات من الكويت . ويبدو أن اتخاذ إجراء ضد العراق، من وجهة النظر الاقتصادية المحلية، ليس في مصلحة أستراليا على الإطلاق. وما يجب أخذه بعين الاعتبار هنا هو الصورة الأكبر للاقتصاد السياسي الدولي. وفي حين أن أستراليا نفسها لم تكن مهتمة كثيراً باحتياطيات النفط في الشرق الأوسط لأغراضها الخاصة، إلا أن شركائها التجاريين الرئيسيين، أي الولايات المتحدة وأوروبا واليابان، كانوا مهتمين بذلك. وعلى التوالي، استوردت هذه الدول ١٠ ٪ و٢٥ ٪ و٥٠٪ من استهلاكها النفطي من الشرق الأوسط، وتعرضت الواردات المستقبلية للخطر بسبب غزو العراق للكويت والتهديد بضم بلدان أخرى مثل المملكة العربية السعودية(٥٧).
إذا كان اقتصاد تلك الدول الولايات المتحدة الامريكية واليابان ودول اوربا) قد عانى بسبب عدم القدرة على الوصول إلى النفط وارتفاع الأسعار، فإن اقتصاد أستراليا سوف يعاني قريباً. ولو لم تكن أستراليا قوة متوسطة، وكانت بدلاً من ذلك دولة أكثر اعتماداً على نفسها فيما يتعلق باحتياجاتها الاقتصادية، فإن هذا ربما لم يكن ليشكل مشكلة كبيرة. ومع ذلك، وبالنظر إلى حقيقة أنه "لم تتأثر أي دولة صناعية باختراق أكبر لرأس المال الأجنبي"، فقد رأت الحكومة أن السحب السوداء تلوح في الأفق فوق الاقتصاد الأمريكي واليابان والأوروبي، حيث من المحتمل أن تتجه نحو أستراليا(٥٨).
كدولة ليست أسواق صادراتها متنوعة إلى هذا الحد، فإن ٢٦,٣ ٪ من الإجمالي ، على سبيل المثال إلى اليابان، كان لا بد من أن تأتي المصالح الاقتصادية المحلية لأستراليا على المدى القصير، أي خسارة العراق كسوق للتصدير، في المرتبة الثانية بعد المصالح الدولية. مصالح طويلة المدى. ومع ذلك، فمن الواضح أن حكومة حزب العمال لم تكن لتتحمل خسارة قدرها ٩٠٠ مليون دولار في مبيعات القمح، إذا لم تتح لها الفرصة للتعويض في مكان آخر.لن يتم إعادة انتخاب هوك من قبل الشخصيات السياسية الكبرى في اليابان والولايات المتحدة وأوروبا وكان يعلم أن عليه إيجاد حل لإرضاء الجمهور الأسترالي. وتعزز هذا الرأي عندما أصبح من الواضح، بعد فرض العقوبات الاقتصادية على العراق، أن مزارعي

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠-١٩٩١)

القمح الأستراليين كانوا يحققون أدنى أرباح لهم منذ ٥٠ عامًا . لقد كانت ضربة متوقعة للاقتصاد، لكنها كانت تعني، مع ذلك، أنه يتعين على الحكومة إيجاد أسواق جديدة لاسترضاء صناعة القمح والمزارعين على حد سواء. وخاصة الأخيرة، في شكل منظمات مثل الاتحاد الوطني للمزارعين كان لها تأثير لا ينبغي الاستهزاء به. فقد ساهمت هذه المنظمات، من بين أمور أخرى، بمبلغ ٤ ملايين دولار في الانتخابات الفيدرالية لعام ١٩٨٧(٥٩).

لم يمض وقت طويل حتى تم التوقيع على عقود بيع ٢٢٥ ألف طن إضافية من القمح لإيران. لقد حلت إيران محل العراق بين عشية وضحاها كأكبر سوق لتصدير القمح في أستراليا، ويبدو أن المشاكل الاقتصادية الرئيسية في أستراليا قد تم حلها. ومن الواضح أن أستراليا كانت لتجد قرار فرض العقوبات قراراً صعباً، بل وربما تمتنع عن القيام بذلك، لو لم يكن لديها بدائل اقتصادية للتعويض عن الخسائر المالية التي تكبدتها. وقد أصبحت هذه الحقيقة واضحة أيضاً بعد عامين من حرب الخليج. وفي ظل تراجع فرص صناعة النفط في الشرق الأوسط، فتحت عدد من الدول مجالات جديدة لتصاريح التنقيب البحرية، بما في ذلك وزارة المناجم والطاقة الأسترالية(٦٠).

ما لم تأخذه حكومة هوك في الاعتبار هو عواقب أزمة الخليج التي ستعاني منها القطاعات الأقل وضوحا في الاقتصاد. على سبيل المثال، تضررت تجارة السياحة، وهي جزء رئيسي آخر من اقتصاد البلاد، بشدة وشهدت انخفاضًا قدره ٣٦ رحلة جوية إلى أستراليا بنحو ٢٠ ٪. ومع ذلك، فإن الانخفاض العالمي في السفر الدولي بسبب الخوف من الهجمات الإرهابية كان سيحدث بغض النظر عن التزام أستراليا بأزمة الخليج. لقد كان وضعًا لم تكن أستراليا قادرة على السيطرة عليه أو التأثير عليه. وعلى نحو مماثل، كان من الواضح للحكومة الأسترالية أن الحصار البحري المفروض على العراق سوف يُفرض بمشاركة أستراليا أو بدونها. ومن ثم، كان الخيار الأفضل هو المشاركة في إنفاذ الحصار لضمان عدم وصول أي شحنات، وخاصة تلك البضائع التي تصدرها أستراليا عادة، إلى العراق. ونظراً لاضطرارها إلى التخلي عن سوق التصدير العراقي، أرادت الحكومة الأسترالية على الأقل ضمان "عدم سيطرة أي لقيط آخر على التجارة"(٦١).

ونتيجة لذلك، باعتبارها قوة متوسطة على المستويين السياسي والاقتصادي، لم يكن لدى أستراليا ترف القيام بمفردها ومواصلة علاقاتها التجارية على الرغم من أن ذلك كان سيصب في مصلحة الاقتصاد المحلي على المدى القصير. وبدلاً من ذلك، فإن دعم إنفاذ العقوبات، وفتح أسواق جديدة لمنتجاتها الأولية وحماية المصالح المالية الدولية في عالم مترابط اقتصاديًا كانت أستراليا جزءًا منه، كان في النهاية، في مصلحة أستراليا. ومن ثم، فإن المصلحة الأسترالية الرئيسية التي كانت على المحك فيما يتعلق بحقوق الإنسان في أزمة الخليج ربما لم تكن تتعلق بالخطر الذي واجهته الأقليات العرقية في العراق، بقدر ما كانت تتعلق برفاهية المواطنين الأستراليين. يتم التأكيد على هذا الافتراض من خلال حقيقة أن اضطهاد الاكراد في عهد صدام كان مستمراً لعقود من الزمن خلت ولم يدي ذلك إل تدخل من قبل المجتمع الدولي أو من قبل حقوق الانسان بصورة انتقائية وضرورة الدفاع عنها دون قيد أو شرط. عند اندلا ع أزمة الخليج، تم احتجاز حوالي ٢,٣٩٥,٠٠٠ مواطن أجنبي واستخدامهم كدروع بشرية في كل من العراق والكويت، بما في ذلك ١٥٩ رهينة أستراليًا(٦٢).

في حين كان المزاج العام الأسترالي هو أن قرار الحكومة بشأن أزمة الخليج لا ينبغي أن يتأثر بالتهديد المحتمل على الرهائن، كان تفكير مختلف، وكان من الواضح لهم أن الهجمات على العراق من قبل القوة المتعددة الجنسيات لا يمكن شنها إذا كانت حياة الأستراليين وحياة المواطنين الآخرين في البلاد الذين كانوا جزءًا من التحالف مهددة. كان هذا سيناريو لم يكن على المسؤولين الحكوميين القلق بشأنه في النهاية، حيث تم إطلاق سراح جميع الرهائن بحلول ديسمبر ١٩٩٠(٦٣).

ونتيجة لذلك، يتعين على المرء أن يتحول إلى جانبين مهمين آخرين لمصلحة أستراليا في المواطنة الدولية الصالحة كما حددتها حكومة حزب العمال تحت قيادة هوك، وهما نزع السلاح والبيئة. وباعتبارها دولة ذات قدرة عسكرية صغيرة ومحدودة إلى حد ما، فضلاً عن افتقارها إلى الأسلحة النووية، فإن نزع السلاح العالمي يصب في مصلحة أستراليا إلى حد كبير. من عام ١٩٨٥ حتى عام ١٩٩٠ كان العراق أكبر مستورد في العالم للمعدات العسكرية. لقد أظهر أنه، خلافًا

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠-١٩٩١)

للتصور السائد على نطاق واسع، لم يكن من الضروري أن ينتهي سباق التسلح بالضرورة لمجرد حقيقة أن الحرب الباردة لم تعد موجودة. وفي حين بدا أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي متفقان على خفض ترسانتهما من الأسلحة في اتفاقيات مثل محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية في عام ١٩٩١، لم يكن هناك مؤشر ملموس على أن الدول الأخرى، وخاصة ما يسمى بالدول المارقة، سوف تحذو حذوها. وهكذا فإن محاولة نزع سلاح العراق، الذي أظهرت حكومته استعدادها لاستخدام المعدات العسكرية للعدوان بدلاً من الدفاع، كانت في الواقع في مصلحة أستراليا في الترويج لنظام عالمي حيث ينبغي للدبلوماسية أن تحل محل القوة باعتبارها الوسيلة الرئيسية لحل الصراعات(٦٤).

وفيما يتعلق بحرب الخليج، كانت التكاليف البيئية مرتفعة للغاية. بالإضافة إلى إنتاج أسوأ حالات تسرب النفط في العالم، أدت الأعمال العدائية أيضًا إلى نشوب حوالي ٥٠٠ حريق نفط في الكويت والتي استمرت مشتعلة لفترة طويلة بعد انتهاء الحرب. وحقيقة أنها لم تكن ناجمة عن انسحاب القوات العراقية فحسب، بل أيضًا عن القصف الذي قامت به القوة المتعددة الجنسيات، تجعل أستراليا تظهر في ضوء سلبي بعض الشيء. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كمية أول أكسيد الكربون المنبعثة كانت ضارة بطبقة الأوزون المتضررة بالفعل، والتي لا تظهر آثارها في أي قارة أكثر من أستراليا. ولو كانت المخاوف البيئية بارزة، لما كان من مصلحة أستراليا الوطنية بالتأكيد الالتزام بالقوة المتعددة الجنسيات ودعم العمل العسكري ضد العراق(٦٥).

تُظهر فئة المواطنة الدولية الصالحة الحاجة إلى مزيد من التمييز بين المصالح التي تعتبر مبررًا والمصالح التي تكون سببًا للتورط في أزمة الخليج. وفيما يتعلق بنشر وحدة بحرية في حرب الخليج، يصبح من الواضح أن فئة المصلحة الوطنية المتمثلة في المواطنة الدولية الصالحة كانت بمثابة المبرر في المقام الأول. ومن الناحية الواقعية، لم يكن ذلك السبب الرئيس، ناهيك عن السبب الوحيد، الذي دفع الحكومة الأسترالية إلى دعم التدخل في الخليج والذي كلف تحالف الأمم المتحدة ما يقدر بنحو ٧٠ مليار دولار أمريكي(٦٦).

ومع ذلك، تمكنت حكومة هوك من دمج قدر كبير من المثالية في السياسة الواقعية في ذلك الوقت عندما وضعت قضايا حقوق الإنسان على جدول أعمال حرب الخليج. ويمكن الافتراض بأمان أن هذا العامل، أي المنظور الأخلاقي والإنساني، هو الذي جذب الجمهور الأسترالي أكثر وأدى إلى تأييد الأغلبية للمشاركة. لذلك، وعلى الرغم من أن التأكيد على أهمية المواطنة الدولية الصالحة كان في المصلحة الوطنية، إلا أنه يجب أن يُنظر إليه على أنه جزء من عملية أدت عقوباتها الاقتصادية حتى يوم كتابة هذا التقرير إلى "مقتل ما يقدر بنحو نصف مليون مدني عراقي بسبب للمرض وسوء التغذية وعدم كفاية الرعاية الطبية" أمر مشكوك فيه(٦٧).

وبالنظر إلى الفئات الثلاث المذكورة أعلاه، يمكن أن نفهم ما هي المصالح الأسترالية الاقتصادية والاستراتيجية ومصالح المواطنة الدولية الصالحة التي كانت على المحك في أزمة الخليج. وبما أنه لم يتم تهديد السيادة الوطنية الأسترالية أو أراضيها بشكل مباشر، فمن المبالغة الحديث عن تهديد للمصالح الوطنية الحيوية كما أعلن هوك. إذا نظرنا إلى الوضع من وجهة نظر أكثر موضوعية، فإن المصالح المعرضة للخطر بالنسبة لأستراليا، في ظل ظروف أخرى، لم تكن كافية لتبرير التزام القوات العسكرية. وهذا يعني أنه يمكن الافتراض بأمان أن أستراليا لم تكن لتتورط في أزمة الخليج لو كان عليها أن تتصرف بمفردها وليس في شكل قوة متعددة الجنسيات تحت مظلة الأمم المتحدة. وبالنظر إلى الالتزام الذي تم التعهد به بموجب الأخير، فإن المصالح المعنية تستحق المتابعة، بشرط أن يكون الالتزام الذي تم التعهد به متناسبًا مع أهميتها بالنسبة لأستراليا. ومن ثم فإن مصالح مثل حماية أستراليا في المستقبل من خلال الأمم المتحدة، وحماية كبار المستثمرين وأسواق التصدير في البلاد، فضلاً عن حقوق الإنسان في العراق والكويت، كان لا بد من تقييمها في ضوء المخاطر المعرضة للخطر(٦٨).

في بداية الصراع، الذي اتخذ فيه بوب هوك قرارًا بإرسال فرقة بحرية إلى الخليج، كانت المخاطر التي ينطوي عليها الصراع

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

لا تزال مجهولة إلى حد كبير. وقدر الجنرال الأمريكي نورمان شوارزكوف فترة الحرب التي قد تتجاوز ستة أشهر، بينما توقع المحللون أن ١٠٠ ألف جندي أو أكثر من القوة المتعددة الجنسيات قد يلقون حتفهم. وهذا يتناقض مع وجهة نظر جورج بوش القائلة بأن تحرير الكويت سيتم بطريقة سريعة وحازمة ، ولا يمكن القول على وجه اليقين ما إذا كان هوك، الذي ادعى أنه يعتبر بوش من بين أصدقائه الشخصيين، كان سيستمع إلى توقعات المحللين أو الرئيس الأميركي. وبالنظر إلى واقع الوضع، إلى جانب الآراء التي قدمها المستشارون، فلا بد أن هوك كان على علم بالتهديد الإضافي الذي تشكله الأسلحة الكيميائية والبيولوجية التي يمتلكها العراق، فضلا عن وجود الألغام في مياه الخليج العربي(٦٩). وفيما يتعلق بالمخاطر المشكوك فيها في البداية وحقيقة عدم وجود مصالح حيوية على المحك، أعلن إيفانز أن أستراليا مستعدة "لدفع (دفع) أي ثمن ضروري" .كان الخطاب السياسي أكثر من أي شيء آخر. بل كان الأمر على العكس تماما. من خلال إرسال وحدة بحرية، عرف هوك أنه سيكون قادرًا على إبقاء القوات الأسترالية بعيدًا عن خط النار الرئيسي. وسوف يركزون إلى حد كبير على السيطرة على حركة المرور البحرية وإنفاذ الحظر التجاري ضد العراق. وفي الحالة المستبعدة جدًا للتورط في أي نيران قتالية، ستكون محمية بشكل جيد من قبل أكثر من ٨٠ سفينة أمريكية تقوم بدوريات في المنطقة نفسها . وسرعان ما أدرك هوك وحكومته أن الالتزام الذي يتجاوز هذه السفن الثلاث، بالإضافة إلى الأفراد الطبيين والغواصين المضادين للألغام الذين تم إرسالهم إلى الخليج، لن يكون متناسبًا مع المصالح الأسترالية على المحك.كان إرسال القوات البرية، بالإضافة إلى حوالي ٧٠٠ عسكري أسترالي مشارك بالفعل(، بمثابة انتحار سياسي لهوك وحكومته(٧٠).

عندما أرسلت حكومة حزب العمال قوات إلى الخليج، سرعان ما قفز إلى أذهان العديد من المراقبين تصريح هوك السابق بأن أستراليا والولايات المتحدة سيكونان "معًا إلى الأبد" – طريقته في المضي قدمًا على طول الطريق. تم رسم التدخلات العسكرية السابقة إلى جانب الولايات المتحدة، مثل حرب كوريا وفيتنام، وكان يُخشى أنه بدلاً من اتباع سياسة خارجية أكثر استقلالية في أعقاب حقبة ما بعد الحرب الباردة، فإن أستراليا بدلاً من ذلك سوف "تعود إلى إلى دور الحليف المذعن". صحيح أنه، كما حدث في الماضي، دعم حزب العمال في عام ١٩٩٠ بقوة الولايات المتحدة، وهذه المرة في تدخلها في منطقة الخليج. بل إن الحكومة قررت المشاركة في العملية الأمريكية. كان الحصار التجاري قبل أن تفرضه الأمم المتحدة، وهو الأمر الذي بدا وكأنه تكرار لنهج مينزيس في التعامل مع فيتنام قبل ٢٥ عاما. ومع ذلك، كان هناك مؤشر مهم للغاية على أن أستراليا لن ترتكب نفس الأخطاء وتتبع حصار فيتنام بشكل أعمى. قيادة الولايات المتحدة(٧١).

رداً على أحداث ٢ آب ١٩٩٠، حاول بوب هوك في البداية التوصل على حل سلمي لأزمة الخليج. خلال الفترة الطويلة التي قضاها مع المجلس الأسترالي لنقابات العمال ورئيسه، تعلم هوك أهمية وفن التحكيم والتسوية. وكان حريصًا على إثبات مهاراته التفاوضية على الساحة الدولية من خلال منع أزمة الخليج من التفاقم والوصول إلى حالة حرب. يعد هذا حادثًا حاسمًا في إظهار أن هوك أدرك حقيقة أنه ليس من "المصلحة الأوسع (أو) المصلحة الدولية الأوسع لأستراليا (...) أن تهتف ببساطة لـ (...) واشنطن" التي، من في البداية، كانوا يفضلون العمل العسكري ضد العراق. حاول هوك صياغة نهج أسترالي فريد تجاه الأزمة قبل أن يدرك أنه هو نفسه لم يكن لديه ما يكفي من التأثير على المسرح الدولي ليقنع صدام حسين على اخذ الامور على محمل الجد والتفاوض على انسحاب القوات العراقية(٧٢) .

تقدم رئيس الوزراء الاسترالي في ١٩٩١/١/٢١ بقرار يدعو فيه إلى تكثيف الجهود لتحقيق السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، بما في ذلك حل عادل للقضية الفلسطينية، بعد حل أزمة الخليج، وقد وافق البرلمان الأسترالي على القرار، وقال لي هوك في خطاب له أمام البرلمان، قبل الحصول على موافقة البرلمان: "إننا نقوم أولاً بوضع شروط لتحقيق السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط المهمة، إذ لا يمكن أن يكون هناك أمن في الشرق الأوسط ما دام العراق يستمر في احتلال

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

الكويت، ويهدد المنطقة بكاملها...، يمكننا بعد حل هذه الأزمة فقط، وهو ما يجب أن نقوم به، لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة، بما في ذلك عقد مؤتمر دولي للسلام، كجزء من مسار تحقيق هذا الهدف". إلا أن الرأي الشعبي انقسم على نفسه بين مؤيد لقرار الحكومة الأسترالية إرسال قوات للاشتراك في الحرب(٧٣)، ومعارض لقرار الدخول فيها، إذ تعرضت الحكومة لانتقادات واسعة من المعارضة، بسبب خضوعها للرغبة الأمريكية، فنُظِمَت الكثير من المظاهرات في كل المدن الأسترالية، وشاركت فيها جموع غفيرة من الناس، احتجاجاً على تورط أستراليا في أزمة الخليج، ودعت إلى وقف الحرب فوراً(٧٤)، وبذلك فقد دخلت أستراليا الحرب إلى جانب دول التحالف، وفق قرارات مجلس الأمن والشرعية الدولية، لتظهر نفسها بأنها مستقلة عن القرار السياسي الأمريكي والبريطاني، وبما تمليه عليه مصالحها الخاصة(٧٥).

ب– موقف أستراليا على الصعيد العسكري: كانت مشاركة الكثير من دول العالم التي شكلت التحالف الدولي ضد العراق رمزية إلى حد كبير، وربما يفسر هذا الأمر بالبعد الجغرافي لتلك البلدان عن مسرح العمليات الحربية، ولا تخرج أستراليا عن هذا الإطار، فعندما شكلت الولايات المتحدة الامريكية التحالف، الذي اظهر العجز العربي والانقسام الحاصل في العالم العربي تجاه القضية الكويتية، كما أكد على اللا مبالاة من جانب بلدان العالم الثالث تجاه قضية لا تعنيه، وأن هذا الحشد الكبير من دول التحالف، لم يوضع إلا بعد أن تحقق بروز نظام عالمي جديد(٧٦)، فالحشود العسكرية لم تقتصر على القوات الأمريكية بل شاركت فيها الكثير من الدول بما فيها أستراليا، ومن هنا سيتم دراسة أهمية هذه المعركة في التاريخ الحربي الأسترالي، وأبرز العمليات الحربية الأسترالية خلال معارك تحرير الكويت.

i. أهمية حرب الخليج في التاريخ الحربي الأسترالي: تعد هذه الحرب مهمة في التاريخ العسكري الأسترالي لأسباب عدة، منها:

– إن الإلتزام بحرب الخليج حرر السياسيين الأستراليين، وصانعي السياسات الدفاعية من القيود الناجمة عن الإلتزام بحرب فيتنام، على الرغم من أن الإلتزام بتلك الحرب كان في البداية مدعوماً من قبل المجتمع الأسترالي، ومع تقدم الحرب تم حل الدعم، وبحلول عام ١٩٧٠–١٩٧١ كان هناك معارضة واسعة النطاق للحرب، وتعهدت الحكومة الأسترالية بعدم إرسال أي قوات مرة أخرى للقتال في حروب البر الآسيوي.

–كانت المرة الأولى التي تشارك فيها قوات الدفاع الأسترالية (ADF) في الحرب بشكل موحد، إذ تشكل في عام ١٩٧٦ كيان عسكري جديد موحد يسمى قيادة الدفاع الأسترالية، حيث كانت قبل ذلك الأجهزة الثلاثة (البحرية الجوية البرية)، تعمل بشكل منفصل تحت قيادة قادتها، قبل توحيدها تحت قيادة عسكرية واحدة(٧٧).

– أعادت حرب الخليج تأكيد تحالف أستراليا وصداقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، إذ كان رئيس الوزراء لي هوك ووزير دفاعه كيم بيزيلي من المؤيدين الأقوياء للتحالف مع الولايات المتحدة الامريكية، وبدورها كانت الأخيرة قلقة للغاية من رفض أستراليا لدعمها في النزاعات المستقبلية، وفي وقت لاحق طلبت الولايات المتحدة الامريكية من أستراليا المساعدة على إرسال غواصين للعمل مع البريطانيين في مجال التطهير البحري، وقد وافقت أستراليا على طلب بدون تردد (٧٨).

– الأداء الفعلي للقوات الأسترالية، على الرغم من عدم خسارة أستراليا لأي من قواتها الحربية، مع ما كان يشاع عن تسليح القوات العراقية وتدريباتها كانت عالية الجودة(٧٩)، حيث خلص تقرير استخباري في ذلك الوقت، أنه عندما نشرت السفن لمهمة فرض العقوبات، إلى أن السفن الأسترالية ستواجه مخاطر كبيرة، ويمكن أن تتعرض لهجمات الصواريخ والطائرات والألغام(٨٠).

– سعت أستراليا إلى أن تتعلم كيفية العمل كجزء من تحالف تقوده الولايات المتحدة الامريكية، إذ حاول قادتها لإسماع أصواتهم في عمليات صنع القرار لأصدقائهم العظماء والأقوياء، إذ وجد رؤساء الوزراء الأستراليون، أنه ليس لديهم مجال كبير للتأثير على استراتيجية التحالف الأوسع التي كانوا جزء صغير منها، حيث سعى رئيس الوزراء لي هوك جاهداً للاطلاع على الدبلوماسية الأمريكية قبل الحرب، وقد وافقت واشنطن على إخطار كانبرا بموعد الهجوم قبل ساعة أو ساعتين من موعده المحدد(٨١).

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

وبذلك فقد تميزت هذه الحرب، بكونها أول الحروب التي نجحت فيها أستراليا، بتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية والعسكرية، فهي من جهة دخلت كحليف كامل للولايات المتحدة الامريكية في الحرب، دون أن تظهر للأخيرة سيطرة كاملة على القرار السياسي الأسترالي، ومن جهة أخرى نجحت بالتدخل في منطقة تعد الأغنى بالنفط على المستوى الدولي، ومن جهة ثالثة فقد دخلت أستراليا الحرب موحدة القوى العسكرية بعد تشكيل قواتها الجديدة.

ii. العمليات الحربية الأسترالية خلال تحرير الكويت: يمكن تقسيم العمليات الحربية الأسترالية على الشكل التالي:

– عملية الداماسك **Damask**: بعد صدور قراري مجلس الأمن القرار/٦٦١/ الصادر في ١٩٩٠/٨/٦، على فرض عقوبات اقتصادية وتجارية وصناعية ومالية، حتى يتم سحب القوات العراقية من الكويت، وطالب مجلس الأمن جميع الدول أن تلتزم بهذا القرار، كما طالب بحماية الأصول المالية التي تملكها حكومة الكويت الشرعية، وعدم الاعتراف بأي نظام تقيمه سلطة الاحتلال(٨٢)، والقرار/٦٦٢/ الصادر في ١٩٩٠/٨/٩، وفيه قرر مجلس الأمن ضرورة استعادة السلطة الشرعية للكويت، وقرر أن ضم العراق للكويت لاغياً وباطلاً، وليس له أي قيمة قانونية، ويطلب من جميع الدول والمؤسسات عدم الاعتراف بذلك الضم، والامتناع عن أي إجراء قد يفسر على أنه اعتراف غير مباشر بالضم(٨٣)، أبلغ رئيس الوزراء الأسترالي لي هوك الرئيس الأمريكي ، بتاريخ ١٩٩٠/٨/١٠ بأن بلاده ستشارك في ثلاث سفن حربية، وستساهم في فرض عقوبات اقتصادية على العراق، حيث قال رئيس الوزراء الأسترالي أمام البرلمان: "...أن إرسال السفن ليس لخدمة التحالف الأمريكي، ولكن لحماية سيادة القانون الدولي التي ستكون حيوية لأمننا، ومع ذلك فقد تتطور تحالفاتنا في المستقبل"(٨٤).

مع صدور القرار رقم /٦٦٥/ الصادر في ١٩٩٠/٨/٢٥، والمتضمن قرار مجلس الأمن بتفتيش جميع سفن الشحن البحري، وحمولاتها ووجهاتها في الخليج، وطالب القرار من الدول الأعضاء التي تتعاون مع الحكومة الكويتية، أن تتخذ كافة التدابير اللازمة وفقا للظروف، من خلال إيقاف كل السفن التجارية التي تصل أو تغادر المنطقة، لتفتيش حمولتها (٨٥)، سارعت أستراليا إلى إرسال قواتها إلى الخليج، وعلى الرغم من محدودية تلك القوات، والتي اقتصرت على ثلاثة سفن حربية (مدمرة وفرقاطة وسفينة إمداد و ١٨٠٠ مقاتل، كان معظمهم أعضاء في البحرية الملكية الأسترالية)، إلا أنهم ساعدوا في فرض عقوبات الأمم المتحدة الاقتصادية ضد العراق، من خلال الحصار البحري للسواحل العراقية(٨٦)، تحت قيادة الأدميرال كريستوفر جون أكسنبولد **Oxenbould Chris** رئيس البحرية الأسترالية والرئيس التنفيذي للمهام المشاركة في عملية تحرير الكويت(٨٧).

من أبرز المهام التي أوكلت إلى تلك القوات، إصدار تحذيرات للسفن المارة، واستجواب أطقم السفن التي تم اعتراضها، والصعود على متن السفن المعترضة في وقت لاحق من الحرب، عن طريق القوارب أو المروحيات، وإذا لزم الأمر الاستيلاء على السفن التي تحمل البضائع المهربة إلى العراق، لضمان تنفيذ الفعال لقرارات مجلس الأمن(٨٨)، وقد اعتمدت أستراليا على نظام المناوبات لسفنها في المنطقة، فمع بداية الأحداث، أرسلت سفينتين حربيتين إلى الخليج هما أديلايد **Adelaide** وداروين **Darwin**، اللتان ساهمتا في فرض الحصار على العراق(٨٩)، ففي تشرين الأول عام ١٩٩١ أطلقت سفينة أديلايد طلقات تحذيرية باتجاه سفينة شحن عراقية، وأعلن قائد السفينة الأدميرال وليام دوفيرس **William Duers**أن هذه الطلقات هي الأولى التي استخدمت من سفينة حربية أسترالية منذ حرب فيتنام(٩٠)، كما اعترضت المدمرة داروين، ناقلة النفط العراقية (التي تسمى العمورية)، المشتبه في خرقها العقوبات التجارية ضد العراق، حيث صعد الأستراليون إلى السفينة وفتشوها وأخلوها من بحارتها.

في ١٩٩٠/١٢/٣ وصلت الدفعة الثانية لقوات البحرية الملكية، حيث حلت الفرقاطة سيدني والمدمرة بريسبان إلى الخليج كإجراء روتيني، ولإراحة سفينتي أديلايد وداروين، وسرعان ما اشتركتا في عمليات المراقبة، والصعود إلى السفن، وبعد بدء عملية عاصفة الصحراء، أبحرت السفينتان عبر مضيق هرمز إلى الخليج العربي، حيث انضمتا إلى قوات باتل زولو، وهي قوة قتالية مهمتها حماية حاملة الطائرات الأمريكية، والتي كانت جزء من عملية عاصفة الصحراء(٩١)،

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

وكان الكابتن كريس ريتشي قائد سفينة بريسبان، الذي قال مع بداية الحرب: لقد شعرنا بسعادة غامرة لأن قوات الحلفاء كانت قادرة على الضرب أولاً، لكن من الواضح أن هناك بعض الخوف من أننا فعلنا ذلك الآن، فنحن حقاً في حالة حرب، لكن بشكل ملحوظ، صعد هتاف كبير من مختلف أنحاء السفينة، ثم صمتنا في انتظار الرد المتوقع(٩٢).

في المرحلة الثالثة وصلت سفينتي **Success** وويسترالیا بدلاً من بريسبان وسيدني، كما شاركت وحدة صواريخ مضادة للطائرات من فوج الدفاع الجوي السادس عشر التابع للمدفعية الملكية وذلك للدفاع عن السفن الأسترالية المشاركة في التحالف وخاصةً سفينة **Success** التي لا تمتلك دفاعاً جوياً خاصاً بها(٩٣)، وقد قامت هذه السفينة بحمل ٨٠٠٠طن من الإمدادات خلال الحرب، وتمت إراحة هذه السفينة بواسطة سفينة ويسترالیا(٩٤)، وقد واصلت سفن الاعتراض الأسترالية العمل في الخليج العربي والمياه المجاورة لمنع بيع الأسلحة والمواد الأخرى، التي يعدها مجلس الأمن محظورة، واستمرت سفن الملكية الأسترالية البحرية في الانتشار بالمنطقة حيث بلغت ثمان سفن ومدمرات وفرقاطات في الخليج العربي وخليج عمان والبحر الأحمر، كجزء من عملية الداماسك بين عامي ١٩٩١–٢٠٠١ (٩٥).

كما شارك فصيل أسترالي مكون من عشرين عضو من قوات الدفاع في عمليات عاصفة الصحراء، حيث كانت ملحقة بالتشكيلات البريطانية والأمريكية، كما خدمت أربعة فرق جراحية تابعة لقوات الدفاع الأسترالية على متن سفينة المستشفى الأمريكية(٩٦)، وخلال الحرب فقد سمحت أستراليا باستخدام قواعد التجسس الأمريكية الموجودة على أراضيها، والتي تدار بشكل مشترك بموجب اتفاقية الدفاع المشترك بين الولايات المتحدة الامريكية وأستراليا، بهدف التنصت على الاتصالات السلكية واللاسلكية لصالح دول التحالف(٩٧)، وخلال العمليات الحربية كان العراق قد زرع آلاف الألغام البحرية العائمة في الخليج العربي، وبعد وقف إطلاق النار، ورداً على التهديدات المتزايدة للألغام البحرية، تم إرسال ٢٣ عضو من فريق الغطس التابع للقوات الملكية إلى الكويت في ١٩٩١/١/٣، حيث تم تكليفهم بالمساعدة بالتخلص من الذخائر المتفجرة(٩٨)، وخلال أربعة أشهر قام الفريق بتطهير عدد من الموانئ من الألغام البحرية والعبوات الناسفة، والذخائر التي خلفها الاحتلال العراقي(٩٩)، وفي ١٩٩١/٢/٢٨ أعلن رئيس الوزراء الأسترالي لي هوك أمام البرلمان نهاية حرب الخليج ، وقال: "نحن سعداء بانتهاء الحرب بسرعة، وبخسائر قليلة للغاية لقواتنا، لكن نهاية الحرب لم تكن نهاية الأزمة، ولا يزال هناك الكثير الذي يتعين القيام به لتحقيق الاستقرار في الخليج وتحقيق سلام دائم على نطاق واسع في الشرق الأوسط"(١٠٠)، ومما سبق يمكن القول: بأن القوات الأسترالية أدت دوراً مهماً في حرب تحرير الكويت، على الرغم من محدودية عدد قواتها وآلياتها العسكرية العاملة على الأرض، إلا أنها ساهمت بشكل فعال في تطبيق قرارات مجلس الأمن، وتنظيف السواحل من الألغام.

–عملية الموئل: في نيسان/١٩٩١م طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من أستراليا القيام بمهمة إنسانية متعددة الجنسيات في شمال العراق، وفي أيار/ ١٩٩١م شارك ٧٥ جنديا أستراليا في عملية الموئل في شمال العراق، والتي كانت تهدف إلى إيصال المساعدات الإنسانية، وتوفير الإغاثة الإنسانية لملايين الأكراد والنازحين، الذين يعيشون في منطقة الحظر التي فرضتها الأمم المتحدة، ولعل اشتراك أستراليا بهذه القوات الرمزية كان تنفيذا لرغبة حلفائها، وتوفيراً لمصالحها في المستقبل(١٠١)، حيث ساعدوا في تقديم الخدمات الطبية وتحسين نوعية الحياة من خلال أعمال تنقية المياه والهندسة، وفي أقل من ثلاثة أسابيع عالج الأستراليون حوالي ٣٠٠٠ كردي، العديد منهم من الاطفال، الذين كانوا يعانون من الإسهال والجفاف وسوء التغذية(١٠٢)، وهنا فقد تدخلت أستراليا في العمليات الإنسانية الدولية، وفرقت بذلك بين نظام سياسي حاربته مع حلفائها، لإجباره على تطبيق قرارات مجلس الأمن، وبين الشعب التابع له، والذي لا حول له ولا قوة في تقرير سياسة حكامه الخارجية.

–عملية **Blazer**: في عام ١٩٩١م قبل الرئيس العراقي صدام حسين بقرار مجلس الأمن الدولي، الذي سعى إلى التفتيش والإشراف على تدمير قدرة العراق من أسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية والنووية، وبالفعل فقد تم

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

نشر ١٧٥ فرد من قوات الدفاع الأسترالية في العراق، مع unscom وبعثة الأمم المتحدة للإشراف على امتثال العراق لتدمير المنشآت البيولوجية والصاروخية( ). وخلالها طبقت أستراليا قرار مجلس الأمن الداعي إلى نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية، على الرغم من أن تلك القوة وغيرها لم تحقق أي أنجاز سياسي أو عسكري على الأرض، كونها لم تجد ما تبحث عنه من أسلحة تدمير الشامل .

الخاتمة:

بعد دراسة البحث يمكن التوصل إلى النتائج التالية:

– إن احتلال العراق لكويت انطلقت من أسباب اقتصادية، تمثلت بالأزمة الاقتصادية التي عانى منها العراق بعد انتهاء حرب الثمان سنوات مع إيران، وخروجه بديون كبيرة لصالح دول الخليج، ومن ثم توجيهه اتهامات لتلك البلدان بزيادة انتاج النفط لخفض سعره الدولي، ما يؤدي إلى تفاقم الوضع الاقتصادي العراقي سوءاً.

– إن نجاح العراق في احتلال الكويت والسيطرة عليها في وقت قصير، ثم ضمه إليه، أدت إلى اعتراض وإدانات واسعة من دول العالم، ومن ثم شكل تحالف دولي خاص حربا ضد العراق وأدت إلى تدميره اقتصاديا وعسكريا وسياسيا، ومن ثم خروج العراق من معادلات التوازنات الإقليمية والدولية لمدة طويلة من الزمن.

– إن قيام العراق بأحتلال الكويت أدى إلى ردة فعل دولية كبرى على اثرها تم تشكيل تحالف دولي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ضم كثيراً من دول العالم ومنها أستراليا.

– إن ردة الفعل الأسترالية على الاحتلال العراقي للكويت تمثل بإتباع سياسة خاضعة كليا للمشيئة الأمريكية والبريطانية، فعلى الرغم من رمزية مشاركة أستراليا في التحالف الدولي، إلا أنها تميزت بأهميتها، ضمن إطار القوات الدولية، إذ كانت أستراليا من أوائل الدول التي أعلنت انضمامها للتحالف.

وعليه يمكن القول: أنه على الرغم من وقوع أستراليا في أقصى اطراف الكرة الأرضية، وبعدها عن مركز الأحداث العالمية، إلا أنها شاركت في حرب الخليج لتحقق مصالحها الخاصة التي وضعتها لنفسها، وسعت الى تطبيقها.

الهوامش:

١ – صلاح الدين علي الشابي وفؤاد محمد والصقار، جغرافية الوطن العربي الكبير، مطبعة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٠، ص٥٣١.

٢ – ثائر يوسف عيسى، النزاع الحدودي بين العراق والكويت وآثاره المحلية والعربية والإقليمية والدولية (١٩٣٠–١٩٩١)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ٢٠٠٩، ص٣٧.

٣ – عبد العزيز حسين، محاضرات عن المجتمع العربي بالكويت، ط ١، دار قرطاس للنشر والتوزيع، ١٩٦٠، الكويت ١٩٩٤م، ص٤٣.

٤ – جودة حسنين جودة، العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص٢٥٩.

٥ – ثائر يوسف عيسى ، المصدر السابق، ص٢٢–٢٣.

٦ – إبراهيم محمد حسن، الصراع الدولي في الخليج العربي والعدوان العراقي على الكويت، الأبعاد والنتائج العربية والدولية، ط١، مؤسسة الشراع العربي، الكويت ، ١٩٩٦م، ص٤٥.

٧ – فاضل الجمالي، مأساة الخليج والهيمنة الغربية الجديدة، ط ٢، مطبعة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩٢، ص١٦.

٨ – بدأت هذه التغيرات تظهر مع نهاية عقد الثمانينيات عندما أعلن الرئيس السوفيتي ميخائيل غورباتشوف في خطاب له في الأمم المتحدة بتاريخ١٩٨٨/١٢/٧، عن مبادرته التي اقترح فيها: "خفض جدولة ديون العالم الثالث، وخفض تعداد القوات العسكرية السوفيتية في أوروبا الشرقية من جانب واحد، بمقدار نصف مليون جندي، و١٠٠٠٠دبابة، و٨٥٠٠ نظام مدفعي، و٨٠٠ طائرة مقاتلة في العامين القادمين"، وكان هذا إيذاناً بانتهاء الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. انظر: أمين هويدي: التحولات الاستراتيجية الخطيرة، البيروسترويكا وحرب الخليج الأولى، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ، ١٩٩٧، ص٦٩.

٩– المصدر نفسه، ص ٥٦.

١٠– محمود برهوم، نافذة على أزمة الخليج (خفايا وحقائق)، مركز الفارس للتصميم، عمان، ١٩٩١م، ص٩.

١١– رشيد شقير، أزمة الخليج (جذور وأفاق)، مجلة الفكر الاستراتيجي ، العدد٣٥، بيروت ١٩٩١م، ص١٨.

١٢– عبد الرحيم عبد الهادي أبو طالب، أزمات العراق والكويت.. أبعادها ونتائجها وموقف صحيفة الأهرام منها، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٥٧.

١٣– طارق عزيز: اسمه ميخائيل يوحنا ولد عام ١٩٣٦م في بالقرب من مدينة الموصل، درس اللغة الإنكليزية في جامعة بغداد عام١٩٥٨،

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

انتسب إلى حزب البعث في بداية الخمسينيات، في عام١٩٧٤ انتخب عضواً للقيادة القطرية، وتولى منصب وزير الإعلام، وعين عضواً في مجلس قيادة الثورة ١٩٧٧، بعد تولي صدام حسين حكم العراق أصبح وزيراً للخارجية (١٩٨٣–١٩٩١)، ونائباً لرئيس مجلس الوزراء١٩٧٩–٢٠٠٣. انظر: عبد الوهاب الكيالي وأخرون، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ج ٣ ، بيروت، د. ت ، ص٧٥١–٧٥٢.

١٤– الشاذلي القليبي: ولد بمدينة تونس، وتلقى تعليمه الثانوي فيها ، أكمل دراسته في فرنسا، فحصل على الإجازة في اللغة العربية، كلفه الرئيس الحبيب بورقيبة بإنشاء أول وزارةً للثقافة وتولى حقيبتها(١٩٦١–١٩٧٠ و١٩٧١–١٩٧٣ و١٩٧٦–١٩٧٨)، بالإضافة إلى توليه وزارة الإعلام ثلاث مرات، كما عين مديراً لديوان رئيس الجمهورية١٩٧٤– ١٩٧٦، أُنتخب لمنصب أمين عام جامعة الدول العربية في ١٩٧٩/٧/٢٨، ليكون أول أمين عام للجامعة بعد انتقالها من القاهرة إلى تونس، بعد تعليق عضوية مصر بجامعة الدول العربية لتوقيعها معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني. انظر: ماهر جاسم مجيد، الشاذلي القليبي ودوره السياسي والفكري في تونس والجامعة العربية حتى عام ١٩٩٠، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة ميسان ، ٢٠٢٢.

١٥– جيف سيمونز، التنكيل بالعراق (العقوبات والقانون والعدالة)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٥٣.

١٦– عندما تمركزت القوات العراقية في الكويت، بلغ عددهم ٤٣٠ ألف مقاتل، وسبعة آلاف من الشرطة السرية، بهدف سحق حركات المقاومة الناشئة. انظر: رولان جاكار، الأوراق السرية لحرب الخليج، ترجمة: محمد مخلوف، ط ١، شركة الأرض المحدودة، ليماسول، ١٩٩١، ص٩٥–٩٦. وسالينجار، بيار ولوران، إيريك: المفكرة المخفية لحرب الخليج (رؤية مطلع على العد العكسي للأزمة)، شركة المطبوعات، ط ٢، بيروت، ١٩٩١، ص١٦٨.

١٧– نجم الدين عبد الله، يعد مهندس الخطط العسكرية العراقية للأحتلال الكويت، وإعداد القوات لذلك، كان قائد الفرقة ٣٠ التابعة للفيلق الثالث العراقي، ثم سحب من قيادتها لوضع الخطط في سرية تامة. انظر: جلال عبد الفتاح: العمليات العسكرية لغزو الكويت، المكتب العربي للمعارف، ط ١، القاهرة ، ١٩٩٠، ص١٨.

١٨– المصدر نفسه، ص١٧–٢٢.

١٩– Murray Coot and Rodney Tiffen , Australia's Gulf War, Melbourne University Press, ١٩٩٢ ,P. ١١ ; .

سليمان المدني، الملف العربي في القرن العشرين، ج٩، ط١ ، دار المنارة، بيروت، ، ١٩٩٨، ص١٣٨.

٢٠– حسن علي النجار، أم المعارك(حرب الخليج ردة فعل زائدة وإسراف في القتل والتدمير كيف تورطت أمريكا في الصراع مع العرب والمسلمين)، أمازون للنشر، جورجيا، ٢٠٠٧م، ص٢٠٦.

٢١– بيار واربك سالينجر لوران: المفكرة االخفية لحرب الخليج، ط٢ ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩١ ، ص ٨٥.

٢٢– جلال عبد الفتاح، المصدر السابق، ص١٠؛ إبراهيم محمد حسن، المصدر السابق، ص٧٦.

٢٣– Murray Coot and Rodney Tiffen, Op.Cit. PP ١٢–١٣. ;

لوسيان وبيترلان ، الحروب والسلام في الشرق الأوسط (حافظ الأسد والتحديات الثلاث لبنان، فلسطين، الخليج) ترجمة : محمد عرب صاصيلا، ط٢، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٩٨، ص٤٠١.

٢٤– عبدالرحيم عبدالهادي أبو طالب، المصدر السابق، ص٧٥–٧٦.

٢٥– سالينجار ولوران، المصدر السابق، ص٨٦.

٢٦– Murray Coot and Rodney Tiffen, Op.Cit. PP ١٢–١٣.;

عبدالرحيم عبدالهادي أبو طالب: المصدر السابق، ص٧٣–٧٤.

٢٧– مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدوان العراقي على الكويت الحقيقة والمأساة، ط٢،الكويت ١٩٩٤م، ص٧٨.

٢٨– Murray Coot and Rodney Tiffen, Op.Cit. PP ١٢–١٣;

بيترلان، المصدر السابق، ص٤٠٤.

٢٩– فؤاد مطر وآخرون، موسوعة حرب الخليج (مقدمات ويوميات ووثائق الأزمة والصراع على الكويت والحرب الدولية والعربية والإسلامية على العراق)، ج٢، ط١، المؤسسة العامة للدراسات، بيروت، ١٩٩٤م، ص٧٠.

٣٠– جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، (تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية لإمارات الخليج ووصولها إلى الاستقلال ١٩٤٥–١٩٧١م)، ط١ ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٥١٢.

٣١– عبد الرحمن شاكر، الطغيان والانتحار القومي، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٢م، ص١٥٦–١٥٧.

٣٢– خالد يحي أحمد الجبوري، الكويت ومحاولات استعادتها في التاريخ المعاصر،ط١، منشورات دار الكلمة، بغداد، ١٩٩٣م، ص٥٩.

٣٣– رولان جاكار، الأوراق السرية لحرب الخليج ، ترجمة : محمد مخلوف، ط١ ، شركة الأرض للنشر المحددة، ليماسول ، ١٩٩١ ، ص ٣٥.

٣٤– رشيد شقير، المصدر السابق، ص٢٩ .

٣٥– أطلق عليها نورمان شوارتزكوف Norman Schwazkopf اسما رمزياً المجد للعذراء Ave Maria وكأنه يعلن عن بدء

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

حروب صليبية جديدة في المنطقة. انظر: محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، ط١، مطابع الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص٣٦٥ .

٣٦– سليمان المدني: المصدر السابق، ص١٦٩–١٩٧.

٣٧– لوسيان بيترلان: المصدر السابق، ص٥١٢.

٣٨– Murray Coot and Rodney Tiffen, Op.Cit. P.١٤ ; علي القزق، سياسة أستراليا تجاه فلسطين وإسرائيل والعالم العربي، مجلة دراسات فلسطينية، المجلد ١٤، العدد٥٥، كاليفورنيا، ٢٠٠٣م، ص٤.

٣٩– ولد في عام ١٢ كانون الأول عام ١٩٢٩ في بوردرتان جنوب استراليا ، وهو الطفل الثاني لوالده ويعرف باسم بوب هوك Bob Hawke اكمل تعليمه المدرسي في مدرسة بيرث الحديثة والتحق بعد ذلك بجامعة غرب استراليا وعند بلوغ الثامنة عشر من عمره انضم إلى حزب العمل الأسترالي وتحديداً عام ١٩٤٧ وفي عام ١٩٥٢ حصل على ليسانس في القانون تقدم بعد ذلك بطلب للحصول على منحه رودس التي سمحت له بمتابعة الدراسة في الكلية الجامعية في اكسنفرود وحصل على بكالوريوس الآداب في الفلسفة والسياسة والاقتصاد .وفي عام ١٩٥٦ حصل على منحة لدراسة الدكتوراه في قانون التحكيم انظم بعدها إلى الجامعة الوطنية الاسترالية في كانبيرا وانتخب ممثلاً للطلاب في مجلس الجامعة وأصبح فيما بعد رئيساً للمجلس الأسترالي لنقابات العمال لذلك تخلى عن دراسة الدكتوراه وانتقل إلى ملبورن . وفي ١١/ اذار عام ١٩٨٣ أدى اليمين الدستوري كرئيس وزراء استراليا وهو الثالث والعشرين في تاريخ البلاد وكان عضواً في البرلمان الأسترالي خلال المدة ١٩٨٠ –١٩٩٢ وتولى امين صندوق استراليا لعدة اشهر من عام ١٩٩١ توفي في ٩ كانون الأول عام ٢٠١٩ ودفن في مقبرة ومحرقة ماكواري بارك . للمزيد من التفاصيل ينظر :
Blanche DA lpuget ,Hawke :Hawke : the Prime Minister Blanche , Unvirstiy Pares ,٢٠١٠ ,p.١–٥٦,www.moe.gov.cn.

٤٠– Aron Pegram; operation desert storm, thirty years ,٢٠٢١–١–١٢ Australian war https://www.defenceconnect.com.au/joint-capabilities/٧٥٠٤-memorial, war--٣٠th-anniversary-of-operation-desert-storm-memorial-marks

٤١– Turner, Barry: The World Today (Essential fact in an ever changing World ,(٢٠٠٠ London, Sara Lloyd, New York, Garrett Kiely, P.٤٣٠.

٤٢– سامي عصاصة، هل انتهت حرب الخليج (دراسة جدلية في تناقضات الأزمة)، ط١، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٩٩.

٤٣– سفارة الكويت في أستراليا بتاريخ ٣/ ٢/ ٢٠١٦م
Embassy of the state of Kuwait

٤٤– جورج بوش: من مواليد١٩٢٤، التحق بطيران البحرية الأمريكية، أسس شركة زاباتا للبترول١٩٥٣، انتخب في مجلس النواب الأمريكي عن ولاية تكساس، أصبح مندوباً للولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة ١٩٧٠–١٩٧٣، ورئيس اللجنة القومية للحزب الجمهوري ١٩٧٣–١٩٧٤، ترأس وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ١٩٧٥–١٩٧٦، للمزيد من تفاصيل ينظر : نايجل هاملتون ، القياصرة الامريكيون ((سيرة الرؤساء من فرانكلين د. روزفلت إلى جورج دبليو بوش)) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣، ص ٦٥٩.

٤٥– Australia's Gulf commitment: The end of self-reliance?, (١٩٩١) Richard Leaver ;٢٣٥–٢٣٣.PP (٢٠١٦) published by The Pacific Review Murray Coot and Rodney .٤٨.Tiffen, Op.Cit. P

٤٦– The Gulf War: Ausbalia's role and Adan–Padffc,(١٩٩٢),J. Mohan Malik responses,Published by Strategic and Defence Studies Centre Researdt School of ;٣–٢ Pacific Studies The Austrdlan Natlond UntverstY Canberra, Australia ,P In the pursuit of ,٩١–١٩٩٠ Belinda Helmke, Australia's Gulf War Commitment national interests?, Bibliographic information published by the German National ١.P, ٢٠٠٢ ,Library

٤٧– Joseph Frankel, National Interest (London. Pall Mall ,(١٩٧٠ ,PP.١٦–١٧

٤٨– Alan Freeman, "The Economic Background and Consequences of the Gulf War", in Haim Bresheeth and Nira Yuval-Davis (eds.), The Gulf War and the New World Order (Zed Books Ltd., London ,(١٩٩١ ,P.١٦١

٤٩– Jim George "Framing the defence and security debate" in Graeme Cheeseman and Bruce Robert (eds.) Discourses of Danger and Dread Frontiers (St. Leonards,

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

Allen and Unwin, ٩٩٦), P.٤٠

٥٠–سياسي ودبلوماسي ، استاذ جامعي ، نائب الملك الاسترالي ، ولد في كانون الاول ١٩٤٨ ، في مدينة سوبياكو . درس في جامعة غرب استراليا وكلية باليول باكسفورد يصفته باحثا في رودس . تم انتخابه في البرلمان في انتخابات عام ١٩٨٠ ، عينه رئيس الوزراء يوب هوك في مجلس الوزراء بعد فوز حزب العمل في انتخابات عام ١٩٨٣ وعمل كوزير مستشار بشكل مستمر حتى هزيمة الحزب في انتخابات عام ١٩٩٦ وشملت اداوره منصب وزير الدفاع من ١٩٨٤– ١٩٩٠ ، رئيس مجلس النواب ١٩٨٨– ١٩٩٦ وزير مالية ١٩٩٣– ١٩٩٦ نائب رئيس الوزراء ١٩٩٥–١٩٩٦ وبعد هزيمة حزبه عام ١٩٩٦ تم انتخابه كزعيم لحزب العمال بدلاً من بول كيتنغ

King of the Hill". The West Australian West" .(٢٠١٤ Harvey, Ben (February
.Business Insider. PP ٦–٨.

٥١– Belinda Helmke, Op.Cit.P .٣.

٥٢– Ibid.

٥٣– Ibid.P .٤

٥٤– James Richardson, Graeme Cheeseman, Michael McKinley in Michael McKinley (ed.) The Gulf War: Critical Perspectives (St.Leonards, Allen and Unwin, ١٩٩٤); Belinda Helmke, Op.Cit.P .٤.

٥٥– William Haley "Australia and the Indian Ocean" in F.A. Mediansky (ed.), Australia in a changing world: New foreign policy directions (Sydney, Maxwell Macmillan, ١٩٩٢), P.٢٩٢; David Goldsworthy "An Overview" in James Cotton and John Ravenhill (eds.) Seeking Asian Engagement: Australia in World Affairs ١٩٩١–١٩٩٥, (Melbourne, Oxford University Press, ١٩٩٧), P.٢٤.

٥٦– Mark Kestigian "The Gulf war: Counting the Costs" in Australian Accountant, Vol .٦١ Iss .٣, ١٩٩١, P.١٨; Andrew Cooper et al, Relocating Middle Powers (Carlton South, Vic, Melbourne University Press, ١٩٩٣), P.١٢٢

٥٧– Andrew Cooper et al, Relocating Middle Powers, (Carlton South, Vic, Melbourne University Press, ١٩٩٣), P.١٢٢; Chalmers Johnson, Blowback: The costs and consequences of the American Empire (New York, Metropolitan Books, ٢٠٠٠), P.٨٧

٥٨– Belinda Helmke, Op.Cit.P .٥.

٥٩– Ian Marsh, Beyond the Two Party System, (Melbourne, Cambridge University Press, ١٩٩٥), P.٦١; Belinda Helmke, Op.Cit.P .٥.

٦٠– Peggy Williams "International highlights" in Oil and Gas Investor, Vol .١٣ Iss, ٦, ١٩٩٣, P.٧٠; Belinda Helmke, Op.Cit.P .٦.

٦١– Andrew Cooper et al, Relocating Middle Powers, (Carlton South, Vic, Melbourne University Press, ١٩٩٣), P.١٢٧; Belinda Helmke, Op.Cit.P .٦.

٦٢– Lawrence Freedman and Efraim Karsh, The Gulf Conflict ١٩٩٠–١٩٩١: Diplomacy and War in the New World Order, (London, Faber and Faber, ١٩٩٣), P.١٤٠

٦٣– Belinda Helmke, Op.Cit.P .٧.

٦٤– Belinda Helmke, Op.Cit.P .٧.

٦٥– Joni Seager "Operation Desert Disaster: Environmental Costs of the War"in Haim Bresheeth and Nira Yuval-Davis (eds.), The Gulf War and the New World Order (Zed Books Ltd., London, ١٩٩١), p.٢٣٧; Belinda Helmke, Op.Cit.P .٧.

٦٦– Belinda Helmke, Op.Cit.P .٨.

٦٧– Chalmers Johnson, Blowback: The costs and consequences of the American Empire (New York, Metropolitan Books, ٢٠٠٠), P.٩

٦٨– Belinda Helmke, Op.Cit.P .٨.

٦٩– Andrew Cottey, The Gulf Crisis: Test Case for a New World Order", (Bristol,

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

.٨.Belinda Helmke, Op.Cit.P ;٢.p ,(١٩٩٠ ,Saferworld Foundation
٧٠- Viberto Selochan (ed.) The Gulf War: Issues and implications for Australia and Asia (Centre for the study of Australa-Asia Relations Griffith University, Queensland ,(١٩٩٢ ,Stewart Firth, Australia in International Politics: ;٢ Appendix ,An introduction to Australian foreign policy (St. Leona rds, Allen and Unwin ,(١٩٩٩ ,٣٨.P
٧١- Greg Pemberton 'Australia and the United States' in Boyce,PJ. and Angel,J.R. (eds.) Diplomacy in the Marketplace: Australia in World Affairs ١٩٨١-١٩٩٠ ,(١٩٩٢,Melbourne, Longman Cheshire) ;١٣٣.P .٩.Belinda Helmke, Op.Cit.P
٧٢- David Day "For too long, we've been the running lap-dog of war" in The Australian ,٢٧ June ٢٠٠٢ ,١١.P.
٧٣- علي القزق، أستراليا والعرب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، الدوحة، ٢٠١٢، ص٦٠.
٧٤- Frances Sandeman; Ephemera of the Gulf war ,١٩٩٠-١٩٩١ thirty years of collecting ٢٠٢١-٢-٢٨ ,Australian war memorial. https://www.awm.gov.au/articles/ blog/gulf-war-ephemera
٧٥- Bruce Grant and Gareth J. Evans, Australuas Relations in the World of the ١٩٩ os, Melbourne university Press ,١٩٩٥ ,p.٣٤٥-٣٤٧.
٧٦- سيرل مارسيل ، أزمة الخليج والنظام العالمي الجديد، ترجمة: حسن نافعة، ط١ دار سعاد الصباح للنشر، الكويت، ١٩٩٢، ص١٧٠- ١٧٢.
٧٧- David Horner, Strategy and Command Issues In Australia's Twentieth-Century Wars , Cambridge University Press ,-٢٠٠٢ ,PP.٢٢٥-٢٢٩.
٧٨- David Horner, Op.Cit., PP ٢٢٤-٢٢٧.
٧٩- كان العراق قد حصل خلال الحرب مع إيران على صواريخ سيلك وورم الصينية، وأسراباً من طائرات ميغ ٢٣ السوفيتية، وصواريخ (اكزوسيت) الفرنسية. انظر: محمد حسنين هيكل ، المصدر السابق، ص١٥١-١٥٦.
٨٠- Aron Pegram; operation desert storm, Op. Cit ,. .
٨١- Horner: strategy and command, op, cit,p٢٢٧ -٢٢٨.
٨٢- Barry TurnerThe World Today (Essential fact in an ever changing World , ,(٢٠٠٠ ,London, Sara Lloyd, New York, Garrett Kiely, P .٤٣٠. Murray Coot and ; .١٤.Rodney Tiffen, Op.Cit. P
٨٣- سامي عصاصة، المصدر السابق، ص٢٩٩. ؛
١٢-١٣.Murray Coot and Rodney Tiffen, Op.Cit. PP
٨٤- Aron Pegram; operation desert storm, Op. Cit., P ٥٠.
٨٥- هشام عبد الله، حرب الخليج الثانية الأسلحة والتكتيكات، المؤسسة العربية للدراسات، ط١، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٨.
٨٦- محمد برهوم، المصدر السابق، ص١٦٢.
٨٧- سفارة الكويت في أستراليا بتاريخ ٣/ ٢/ ٢٠١٦ Embassy of the state of kuwait
٨٨- Aron Pegram; operation desert storm, Op. Cit,.P ٥١.
٨٩- Au Op. Cit., stralian war memorial. ,١٩٩٠-١٩٩١ ٣٠th Anniversary gulf war war-memorial--٧٥٠٤/https://www.defenceconnect.com.au/joint-capabilities ٣٠th-anniversary-of-operation-desert-storm-marks
٩٠- هي الحرب التي جرت بيت دولة فيتنام، وقوات التحالف الأمريكي للوقوف في وجه جمهورية فيتنام الديمقراطية حليفة القوى الشيوعية في العالم، في الوقت الذي اعترفت فيه الولايات المتحدة بقوة الإمبراطور في الجنوب، حيث بدأت القوات الأمريكية منذ عام ١٩٦٤م عملية الغزو لفيتنام والتي انتهت عام ١٩٧٣. انظر: أمل خليفة، هزيمة أمريكا في فيتنام (مقارنة بين التجربة الفيتنامية والتجربة الفلسطينية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥ ، ص٣٢-٥٢.
٩١- Dianne Rutherford; welcoming home sydeny from the gulf war ,١٩٩١ ,٢٦- ٢٠١٦-٢ , Australian war memorial. https://www.awm.gov.au/articles/blog/hmas- ١٩٩١-sydney-gulf-war

٩٢– Aron Pegram; operation desert storm, Op. Cit., P ٥٢.
٩٣– www.wikipidea.org
٩٤– Stuart Bennington; Royal Australia Navy recordof the first gulf war, Australian war memorial. https://www.awm.gov.au/articles/blog/royal-australian-navy-records-first-gulf-war
٩٥– Aron Pegram; operation desert storm, Op. Cit., P ٥٢.
٩٦– إبراهيم محمد حسن: المصدر السابق، ص٢٣٩.
٩٧– علي القزق، سياسة أستراليا، المصدر السابق، ص١٠.
٩٨– Aron Pegram; operation desert storm Op. Cit., P ٥٣.
٩٩– th Anniversary gulf war, Op. Cit., P ٣٠.٥٣.
١٠٠– Aron Pegram; operation desert storm, Op. Cit., P ٥٥.
١٠١– عبد الولي الشميري، الاستراتيجية العسكرية لعاصفة الصحراء، ط٢، مطابع ستار برس، القاهرة، ١٩٩٣، ص٣٤.
١٠٢– Aron Pegram; operation desert storm, Op. Cit., P ٥٥.
١٠٣– Ibid .

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر والمراجع العربية:
١. إبراهيم محمد حسن، الصراع الدولي في الخليج العربي والعدوان العراقي على الكويت، الأبعاد والنتائج العربية والدولية، ط١، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٩٦.
٢– أمين هويدي، التحولات الاستراتيجية الخطيرة " البيروسترويكا وحرب الخليج الأولى"، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧.
٣–أنور عبد الغني العقاد، القارة الأسترالية (دراسة إقليمية)، دار المريخ للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٣.
٤–حسن علي النجار، أم المعارك(حرب الخليج ردة فعل زائدة وإسراف في القتل والتدمير كيف تورطت أمريكا في الصراع مع العرب والمسلمين)، أمازون للنشر، جورجيا، ٢٠٠٧.
٥–خالد يحي أحمد الجبوري، الكويت ومحاولات استعادتها في التاريخ المعاصر، ط ١، منشورات دار الكلمة، بغداد، ١٩٩٣م.
٦–جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، (تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية لإمارات الخليج العربي ووصولها إلى الاستقلال ١٩٤٥–١٩٧١)، ط١، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٦.
٧–جلال عبد الفتاح، العمليات العسكرية لغزو الكويت، ط١، المكتب العربي للمعارف، ١٩٩٠.
٨–جودة حسنين جودة، العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨.
٩–سامي عصاصة، هل انتهت حرب الخليج (دراسة جدلية في تناقضات الأزمة)، ط١، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٤م.
١٠–سليمان المدني، الملف العربي في القرن العشرين، ج٩، ط١ ، دار المنارة، بيروت ، ١٩٩٨.
١١. صلاح الدين علي الشابي وفؤاد محمد الصقار، جغرافية الوطن العربي الكبير، مطبعة المعارف الإسكندرية، ١٩٧٠.
١٢–فؤاد مطر وآخرون: موسوعة حرب الخليج (مقدمات ويوميات ووثائق الأزمة والصراع على الكويت والحرب الدولية والعربية والإسلامية على العراق)، ط١، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.
١٣–عبد الرحيم عبد الهادي أبو طالب، أزمات العراق والكويت.. أبعادها ونتائجها وموقف صحيفة الأهرام منها، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٥.
١٤–عبد العزيز حسين، محاضرات عن المجتمع العربي بالكويت، ط١، دار قرطاس للنشر والتوزيع، ١٩٦٠، ١٩٩٤.
١٥–عبد الولي الشميري، الاستراتيجية العسكرية لعاصفة الصحراء، ط٢، مطابع ستار برس، القاهرة، ١٩٩٣م.
١٦–علي القزق، أستراليا والعرب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، الدوحة، ٢٠١٢.
١٧–محمد بن ناصر العبودي، شمال أستراليا (رحلة وحديث في أحوال المسلمين)، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ٢٠١٣.
١٨– محمد السيد غلاب وأخرون، جغرافية العالم دراسة إقليمية (أفريقيا وأستراليا)، ط٤، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩.
١٩– محمد فاضل الجمالي، مأساة الخليج والهيمنة الغربية الجديدة، مطبعة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩٢.
٢٠–محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، ط١، مطابع الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢.
٢١–مجموعة مؤلفين: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي (الأقليات المسلمة في العالم المعاصر آسيا– أفريقيا– أستراليا نيوزيلندا)، ط ١، الرياض، ١٩٩٩.
٢٢–محمود برهوم، نافذة على أزمة الخليج (خفايا وحقائق)، مركز الفارس للتصميم، عمان، ١٩٩١.
٢٣–مركز البحوث والدراسات الكويتية، العدوان العراقي على الكويت الحقيقة والمأساة الكويت ، ١٩٩٤.

الموقف الأسترالي من الاحتلال العراقي للكويت (١٩٩٠–١٩٩١)

٢٤– نايجل هاملتون ، القياصرة الامريكيون ((سيرة الرؤساء من فرانكلين د. روزفلت إلى جورج دبليو بوش)) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣.
٢٥– هشام عبد الله، حرب الخليج الثانية الأسلحة والتكتيكات، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

١– ثائر يوسف عيسى، النزاع الحدودي بين العراق والكويت وآثاره المحلية والعربية والإقليمية والدولية (١٩٣٠–١٩٩١م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة دمشق، ٢٠١٠.

رابعاً : الموسوعات

عبد الوهاب الكيالي وأخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، د. ت.

خامساً: المقالات العلمية والصحف:

١– رشيد شقير، أزمة الخليج (جذور وأفاق)، مجلة الفكر الاستراتيجي، العدد٣٥، ١٩٩١م.
٢– علي القزق، سياسة أستراليا تجاه فلسطين وإسرائيل والعالم العربي، مجلة دراسات فلسطينية، كاليفورنيا المجلد ١٤، العدد٥٥، ٢٠٠٣م.

سادساً: المراجع المترجمة:

١– لوسيان بيترلان، الحروب والسلام في الشرق الأوسط (حافظ الأسد والتحديات الثلاث لبنان، فلسطين، الخليج) ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط٢، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٩٨.
٢– رولان جاكار، الأوراق السرية لحرب الخليج، ترجمة محمد مخلوف، ط١، شركة الأرض للنشر المحدودة، ليماسول، ١٩٩١.
٣– بيار ولوران سالينجار ، إيريك: المفكرة المخفية لحرب الخليج (رؤية مطلع على العد العكسي للأزمة)، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩١.
٤– مارسيل سيرل، أزمة الخليج والنظام العالمي الجديد، تر: حسن نافعة، دار سعاد الصباح للنشر، الكويت، ط١، ١٩٩٢م.
٥– جيف سيمونز، التنكيل بالعراق (العقوبات والقانون والعدالة)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

١–Barry Turner, The World Today (Essential fact in an ever changing World-٢٠٠٠), London, Sara Lloyd, New York, Garrett Kiely.
٢– Bruce Grant and Gareth J. Evans, Australuas Relations in the World of the ١٩٩, os, Melbourne university Press, ١٩٩٥.
٣– Blanche DA lpuget ,Hawke :Hawke : the Prime Minister Blanche , Unvirstiy Pares, ٢٠١٠.
٤– Dianne Rutherford; welcoming home sydeny from the gulf war, ١٩٩١, ٢٦-٢-٢٠١٦ Australian war memorial ,
٥– David Horner, Strategy and Command Issues In Australia's Twentieth –Century Wars , Cambridge University Press, ٢٠٠٢
٦– David Horner,: Strategy and command(Issues in Australia twentieth-century wars) Cambridge university press, first published, ٢٠٢٢.
٧– Murray Coot and Rodney Tiffen , Australia's Gulf War, Melbourne University Press, ١٩٩٢,
٨– Stuart Bennington; Royal Australia Navy recordof the first gulf war, Australian war memorial

سابعاً: المواقع الإلكترونية:

١– Australian war memorial
٢– www.wikipidea.org
٣– www.moe.gov.cn
٤– سفارة الكويت في أستراليا بتاريخ ٣/ ٢/ ٢٠١٦م Embassy of the state of Kuwait

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

م. أفراح مكي عباس الجبوري
الجامعة المستنصرية/كلية العلوم السياسية

المستخلص:
يهدف البحث الحالي إلى تعرَف أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية .
استعملت الباحثة التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي لمجموعتين متكافئتين (التجريبية والضابطة) في بعض المتغيرات ، وباختبار بعدي (اختبار اكتساب المفاهيم) ، واختارت عينة البحث بصورة قصدية من طالبات الصف الرابع الإعدادي الأدبي من إعدادية الأصيل للبنات والتابعة لمديرية تربية بغداد / الكرخ الثانية ، وبالسحب العشوائي البسيط مثلت الشعبة (د) المجموعة التجريبية التي درست على وفق أنموذج أبلتون بواقع (٣٠) طالبة ، والشعبة (أ) المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية بواقع (٣٠) طالبة ، وتحددت أداة البحث باختبار اكتساب مفاهيم التربية الفنية وقد تم التأكد من صدق وثبات الأداة . وراعت الباحثة من توفير السلامة الداخلية والخارجية للتجربة ، وأعدت الباحثة خطط تدريسية (١٢) خطة بواقع (٦) خطط لطالبات المجموعة التجريبية و(٦) خطط لطالبات المجموعة الضابطة . وبعد الانتهاء من تطبيق التجربة تم إجراء اختبار اكتساب المفاهيم ، وبعد الحصول على البيانات ومعالجتها بالوسائل الاحصائية المتمثلة باختبار (t ـ Test) لعينتين مستقلتين متساوية العدد ، تم الحصول على النتائج وعلى ضوئها استنتجت الباحثة مايأتي :
ـ تفوق طالبات المجموعة التجريبية التي درست وفق أنموذج أبلتون على طالبات المجموعة الضابطة التي درست وفق الطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب مفاهيم التربية الفنية .
وأوصت الباحثة بالتأكيد على استعمال أنموذج ابلتون بوصفه أفضل من الطريقة الاعتيادية في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لطالبات الصف الأول المتوسط .

الكلمات المفتاحية :ابلتون،التربية الفنية،المرحلة الاعدادية.

Abstract :
The current research aims to know the impact of the Appleton Model on acquiring concepts of art education for Junior high school students . The researcher used experimental design with partial control of two equal groups (experimental and control) in some variables, and after a test (conceptual acquisition test) , and the study sample intentionally chose the fourth literary – class students from Junior high rooter for girls of the Baghdad Education Directorate / Second Karkh , and simple random withdrawal Hall (D) represented the experimental group that was studied according to the Appleton Model by (30) students , and Hall (A) was the control group that studied in the usual way by (30) student tool . The researcher took into account the provision of internal and external safety for the experiment , and the researcher prepared educational plans (12) plans with (6) plans for students of the experimental group and (6) for students of the control group . After completing the application of the experiment , the conceptual acquisition test was performed , and after obtaining the data and treating it with the statistical means represented by (Test–t) test for two independent samples of equal number :
–The students of the experimental group that studied according to the Appleton Model surpassed the students of the control group that studied according to the usual method of testing the acquisition of technical education concepts .

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

The researcher recommended emphasizing the use of the Appleton Model as a better than the usual way of acquiring concepts of art education for middle school first graders .

Keywords: Ableton, art education, middle school.

الفصل الأول ـ التعريف بالبحث

أولاً: مشكلة البحث

أن تدريس المفاهيم يتطلب انتباهاً إلى عواملها المتغيرة وبُنيتها ، وأساليب تشكيلها وعبارات تطويرها وأن مثل هذه العوامل تتطلب بالضرورة نماذج مختلفة لتدريسها ، فاكتساب المفاهيم أمراً لابد منه ، لفهم المتعلم أساسيات المعرفة العلمية من جهة ، وزيادة قدرته على التعلم من جهة أُخرى ، فعن طريق تنظيمها وإعطائها تسمية محددة للأشياء المشابهة ، يجعله يتفاعل مع المعرفة بشيء من الثبات لأنه سوف يتعامل مع الأشياء والمواقف والأحداث والعمليات ذات الصفات المشتركة ، كأعضاء في صف واحد (جاسم،٢٠١١: ٤١). وللوقوف على واقعنا التربوي فيما يخص تدريس مفاهيم مادة التربية الفنية ، أجرت الباحثة دراسة استطلاعية من خلال توجيه سؤالاً كما في ملحق (١) ، على عينة من مُدَرسات مادة التربية الفنية في المدارس الثانوية والإعدادية ، والبالغ عددهن (٢٣) مُدَرسة اختارتهن الباحثة بصورة عشوائية من مدارس مديرية تربية بغداد / الكرخ الثانية ، إذ تبين من خلالها أن المُدرساتِ يستعملن أساليب الطرائق التقليدية التي تكون فيها المُدرسة محور العملية التعليمية ، فما هي إلا تكريس للمعارف وزيادة في الحفظ ، وقلة تفاعل الطالبة مع ما تتعلمه وقلة توظيف تلك المعارف في الحياة اليومية ، وهذا ما عرقل عملية تعلم المفاهيم ، ولأن المرحلة الإعدادية في العراق مرحلة أساسية في السلم التعليمي ، فهي تُعد بمثابة حلقة الوصل بين الجامعات والمعاهد العليا ، وفيها تتبلور استعدادات الطالبة وقدراتها ، لذا عملت القيادات التربوية في مختلف دول العالم ، وبخاصة المتقدمة منها على إعادة النظر في فلسفة التعلم الثانوي وأهدافه وبرامجه وطرق تدريسه ، ونظراً للطبيعة التجريدية التي تتصف بها المفاهيم الفنية ، وما تقتضيه من المتعلمة من عمليات عقلية خاصة ، تمكنها من الاستقراء والتحليل والتصنيف والتعليل والتعميم ، فإن الطرق التدريسية السائدة قد لا تراعي هذه الحقيقة ، فهي تقوم غالباً على تلقين المعلومات الفنية وتحفيظها من جانب المُدَرسة ، والتلقي السلبي من جانب المتعلمة الذي أثبت تعثره في العملية التعليمية وعجزه عن اكتساب المفهوم الفني ، لذلك كان لابد من التركيز على استراتيجيات ونماذج تعليمية مناسبة لتعليم المفاهيم الفنية وتطبيقها ، إذ أن تعليم المفاهيم بحاجة إلى تبني نظريات وفلسفات عصرية ، وانتهاج أساليب ونماذج حديثة لتفعيل تعليم المفاهيم العلمية ، وإكساب الطالبات الأسلوب العلمي في التفكير ، وتنمية القدرات العقلية والمهارية وتطويرها ، واستغلال الوقت بأفضل طريقة بهدف إعدادها للمرحلة الجامعية ، وقد اختارت الباحثة (أنموذج أبلتون) للتطبيق في هذا البحث لحداثته في مجال التعليم ، إذ يُعد من النماذج المهمة والحديثة للنظرية البنائية ، وقد وضع "كين ابلتون" هذا الأنموذج الذي يولي أهمية كبيرة لدور كل من المعلم والمتعلم في عمليتي التعليم والتعلم ويركز على المتعلم كجزء من مجموعة بالاستناد إلى النظرية البنائية المعرفية ، ويتميز بأنه يعطي أهمية كبيرة لمعرفة الخصائص الفردية لكل متعلم ، ذلك لتحديد نقطة البداية التي يجب أن ينطلق منها في عملية تعلمه من خلال مجموعة من الإجراءات التي تضع المتعلم في مواقف علمية وحياتية تدفعه إلى التفكير والبحث ، ومن ثم العمل على إثبات ما توصل إليه من أفكار، إذ يعمل على تنقية أفكار المتعلم عن طريق مراجعة معلوماته السابقة ، واختيار ما يتناسب مع الموضوع الجديد ، ومن ثم العمل على توليد أفكار جديدة يجري تحقيقها في مواقف واقعية ، مما يجعل التعلم عملية مستمرة لا تقف عند نقطة محددة ، وهذا ما نطمح لبنائه في الأجيال القادمة ، وهو عدم الاكتفاء بما هو موجود بل البحث عن الأفضل والأحدث ، لذا ارتأت الباحثة تجريب هذه الأنموذج في تدريس مادة التربية الفنية للتحقق من أثره في المادة الدراسية ، وتحددت مشكلة البحث الحالي بالإجابة على السؤال الآتي: هل لأنموذج ابلتون أثر في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية ؟ .

ثانياً: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث الحالي في النقاط الآتية :

١. أنَه يتماشى مع الاتجاهات الحديثة في اختيار نماذج تدريسية ، وتوظيفها في عملية التدريس مما يسهم في رفع المستوى المعرفي للطالبات .

٢. يُعد أنموذج أبلتون من النماذج الحديثة في التدريس ضمن النظرية البنائية ، حيث يؤكد هذا الأنموذج على التحول من طرائق التدريس التقليدية التي تعتمد على المُدَرسة ، إلى دور تكون فيه الطالبة محور العملية التعليمية ، وذلك من خلال أثارة التساؤل حول ما يجري داخل عقل الطالبة ، مثل معرفتها السابقة وفهمها البسيط وقدرتها على التذكر ، وقدرتها على معالجة المعلومات وأنماط تفكيرها وكل ما يجعل التعلم ذو معنى .

٣. الحاجة الماسة لمادة التربية الفنية ، كونها من العلوم التي تعمل على نقل حضارة الأمة وثقافتها ، وهويتها ، وتقاليدها وأعرافها وميولها واتجاهاتها ، التي تجعل كل مجتمع يختلف عن المجتمع الآخر .

٤. أهمية المرحلة الإعدادية التي تسهم في إعداد الطالبات إعداداً قوياً ومؤثراً ، لتصبح فيما بعد مواطنة صالحة ومفيدة لمجتمعها .

ثالثاً: هدف البحث

يهدف البحث الحالي إلى تعرَف أثر أنموذج أبلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية.

رابعاً: فرضية البحث

للتحقق من هدف البحث وضعت الباحثة الفرضية الصفرية الآتية : (لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠،٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللواتي يدرسنَ مادة التربية الفنية على وفق أنموذج أبلتون ، ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللواتي يدرسنَ مادة التربية الفنية بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب المفاهيم البعدي) .

خامساً: حدود البحث

١. الحدود المكانية : المدارس الثانوية والإعدادية النهارية في المديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ الثانية / مركز محافظة بغداد .

٢. الحدود البشرية : طالبات الصف الرابع الإعدادي الأدبي (عينة البحث) في مدرسة إعدادية الأصيل النهارية للبنات والتابعة للمديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ الثانية .

٣. الحدود الزمانية : الكورس الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠٢٢/٢٠٢٣ .

٤. الحدود العلمية : المفاهيم الفنية التي تتضمنها الوحدات الدراسية (الأولى والثانية) ، من منهاج التربية الفنية للصف الرابع الإعدادي الأدبي والمقرر تدريسه من وزارة التربية في العراق ، تأليف لجنة وزارة التربية ، ط١، لسنة ٢٠٠٩ .

سادساً: تحديد المصطلحات

١. الأثر

عرفه (Creswell،٢٠١٢): تحديد قوة النتائج المتعلقة بالفروق والتي تظهرها التجربة ، ويقاس بالتعرف على الزيادة أو النقصان في متوسطات درجاتهم (Creswell،١٩٥.p:٢٠١٢) .

أما التعريف الإجرائي : هو التغيُّر المعرفي في الأثر الذي يحدث لدى طالبات الصف الرابع الإعدادي الأدبي "عينة البحث" ، نتيجة تعرُّضهُنَّ للمتغير المستقل "أنموذج أبلتون" ، ويقاس بدرجات اختبار اكتساب المفاهيم البعدي.

٢. الأنموذج

عرفها (زاير وداخل،٢٠١٣): خطة وصفية متكاملة تضم عملية تصميم محتوى معين أو موضوع معين وتنفيذه ، وتوجيه

عملية تعلمهُ في داخل غرفة الصف وتقويمه (زاير وداخل،٢٠١٣: ١١٤).

أما التعريف الإجرائي : هي إجراءات تدريسية مصممة بشكل منتظم ومتسلسل ، تتبعها الباحثة في تدريس مفاهيم التربية الفنية لطالبات المجموعة التجريبية من عينة البحث .

٣. أبلتون

عرفه (عطية،٢٠١٥): هو أنموذج يستند إلى النظرية البنائية لاسيما رؤية بياجيه في المواءمة وعدم الاتزان ، وآراء "كلاكستون وهوارد" حول كيفية التكييف بين الخبرات السابقة واللاحقة في داخل المنظومة المعرفية للفرد ، لاسيما الخبرات المدرسية داخل السياق المجتمعي الذي يستند عليه فيجوتسكي (عطية،٢٠١٥: ٣٤٥).

أما التعريف الإجرائي : مجموعة من الخطوات والإجراءات توظفها الباحثة في المواقف التعليمية ، في أثناء تدريسها مفاهيم التربية الفنية للمجموعة التجريبية "عينة البحث" ، وتتلخص بفرز المعلومات التي في حوزة الطالبات ، ثم معالجة المعلومات والخبرات الجديدة المقدمة في الدرس ، ثم التنقيب عن المعلومات ، ثم السياق المجتمعي .

٤. اكتساب المفاهيم

عرفه (مرزوك،٢٠١٠): بأنها المرحلة التي يكون فيها المتعلم قد تمكن من استرجاع دلالة المفهوم ، وعدد من خواصه على نحو دقيق صحيح (مرزوك،٢٠١٠: ١٤).

أما التعريف الإجرائي : هو قدرة طالبات الصف الرابع الإعدادي الأدبي على القيام بعملية تعريف وتمييز وتطبيق مفاهيم التربية الفنية ، المتضمنة في الوحدات الدراسية (الأولى والثانية) من منهاج التربية الفنية للصف الرابع الإعدادي الأدبي ، من خلال استعمال أنموذج أبلتون مقاساً بمجموعة الدرجات التي يحصلنَ عليها في اختبار اكتساب المفاهيم ، والذي يُطبق في نهاية تجربة البحث .

٥. التربية الفنية

عرفها (أبو شعيرة،٢٠٠٦): هي تعديل في سلوك الفرد بشكل مستمر مدى الحياة ، والفن يعني تشكيل الخامات المختلفة والحصول منها على أعمال جيدة متقنة إما لغرض جمالي أو تطبيقي (أبو شعيرة،٢٠٠٦: ١٧).

أما التعريف الإجرائي : بأنها المادة التي تعنى بتدريس الفن ، وتوجه سلوك الفرد توجيهاً جمالياً ونفعياً ، ومن وظائفها الرئيسية الوظيفة التعبيرية والوظيفة التطبيقية ، والتي يتم تدريسها في المرحلة الإعدادية .

٦. المرحلة الإعدادية

عرفتها (وزارة التربية،٢٠١٠): بأنها مرحلة الدراسة الإعدادية الثلاثة وتأتي بعد المرحلة المتوسطة وتكون مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ، ويكون فيها التخصص علمياً أو أدبياً (وزارة التربية،٢٠١٠: ٢٣).

الفصل الثاني ـ الإطار النظري

المبحث الأول: أنموذج أبلتون (التحليل البنائي)

وهو الأنموذج الذي أعده "كين أبلتون" **KenAppleton** المُنظَر التربوي بكلية التربية بمركز الجامعة الملكية بأستراليا عام ١٩٩٧م ، ويعتمد فيه على ثلاث مصادر بنائية تتمثل في نظرية "بياجيه" عن علم النفس ألنمائي ، وأعمال كل من "هوارد" **Howard** و"كلاكستون" **Klaxton** في علم النفس المعرفي ، ثم "أولوكن" **O'loughhkine** في البنائية الاجتماعية (عطية،٢٠١٥: ٣٤٥). استطاع "أبلتون" من خلال هذا الأنموذج أن يصل إلى إيجاد توازن بين التنظير الذي جاءت به النظرية البنائية وبين الممارسة الفعلية لها ، والتي تحدث بين الطلبة والمعلمين وبين الطلبة أنفسهم ، مما جعل من هذا الأنموذج فعالاً في عملية التدريس ، واعتمد "أبلتون" في هذا الأنموذج على إعطاء الطالب دعم مؤقت أو ما يسمى بالسقالات ، ومن ثم تركه يكمل بقية تعلمه معتمداً على نفسه ، ويتمثل هذا الدعم (السقالات) في أنشطة وتلميحات ومعلومات قليلة يقدمها المعلم ، لتساعد الطلبة على التوصل إلى الإجابة المطلوبة التي يريدون التوصل إليها

(الاسدي والمسعودي،٢٠١٥: ١٤٠).

ويتسم هذا الأنموذج بمراحل أربعة ، وهي :

١. فرز الأفكار في حوزة المتعلم : تمثل هذه الخطوة نقطة البدء في هذا الأنموذج ، إذ يتم الكشف عن الأفكار التي يمتلكها المتعلمون وفرزها قُبيل البدء بعرض محتوى التعلم ، وذلك من خلال خرائط المفاهيم أو المقابلات الشخصية أو بعض الأسئلة الاستطلاعية ، وفي ضوء النتائج تنظم تلك الخبرات في صورة أفكار ومفاهيم أو منظومات معرفية ، يمكن استخدامها والرجوع إليها في تفسير الخبرات الجديدة التي تقدَم للمتعلمين ، لأنها تعطي فكرة شاملة عن رؤية المتعلم للعالم من حوله ، وكيفية تفسيره لأحداثه وسلوكه معها ، وبذلك تنشط ذاكرة المتعلم للبحث عن أفضل فكرة ملائمة ، لتفسير الخبرة أو الموقف الجديد (زيتون،٢٠٠٦: ٣٠).

٢. معالجة المعلومات : يحاول المتعلم من خلال ما بذاكرته عن الحدث ، ومن خلال تحليله للمظاهر الملاحظة حول الحدث ، أن يحدد أفضل تفسير ملائم عنه يمكن أن يستخدمه في بناء معنى حول المعلومات الجديدة (اللامي وأمير،٢٠١٧: ٤٢٦).

وبمجرد أن تتم معالجة الفرد للمعلومات ، يكون هناك احتمالات ثلاثة :

أ. حدوث تطابق تام بين ما في بُنية المتعلم المعرفية من أفكار ، والأفكار التي يتضمنها التعلم الجديد وفي حال حصول ذلك ، فإنه يؤدي إلى حالة من الرضا والاتزان لدى المتعلم .

ب. حدوث تطابق جزئي قد يرضي المتعلمين وقد يدفع إلى المزيد .

ج. حدوث تعارض معرفي قد يسكت عنه بعض المتعلمين ، غير أنه يدفع ذوي الرغبة في التعلم فيسعون إلى البحث عن تفاصيل أكثر وصولاً إلى الفكرة الملائمة (ياسين وراجي،٢٠١٢: ١٥٢).

٣. التنقيب عن المعلومات : في هذه المرحلة يحتاج المتعلمون ممن لم يجدوا إجابات كاملة حول الموقف إلى ما يسمى بالسقالات ، والتي تتمثل بتلميحاتٍ أو نتفٍ من المعلومات ، تساعد المتعلمين في عملية الوصول إلى الإجابات الكاملة عن طريق البحث والتنقيب ، وبذلك فإن دور المعلم في هذه المرحلة يمثل المشجع الساند الذي يدفع إلى البحث ، وإن عملية التنقيب هذه كما يراها مصمم النموذج تتم بأكثر من وسيلة ، كالعروض العملية التي يقدمها المعلم أو أفكاره ، ومنها المواد التعليمية المتوافرة في بيئة التعلم ومنها أفكار الآخرين من المتعلمين والرفقاء ، وتستعمل هذه المصادر استناداً إلى منطلق السياق الاجتماعي للتدريس والتعلم الذي تراه البنائية.

(العجرش،٢٠١٣: ٥٣).

٤. السياق المجتمعي : غالباً ما يكون بناء المعرفة عند المتعلم سياقي ، أي أنه محكوم بالسياق الاجتماعي الذي ترد فيه هذه المعرفة ، ويمثل التفاعل بين المعلم والمتعلم السياق المجتمعي للدروس وتستعمل أشكال مختلفة ، فقد تكون لفظية أو تقديم أفكار مماثلة لها في ذاكرة المتعلم من أفكار ، أو لفت النظر إلى الظواهر الملاحظة في الموقف التعليمي (عطية،٢٠١٥: ٣٤٨).

مزايا أنموذج أبلتون

يمتاز أنموذج ابلتون بعدة مميزات ، يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية :

١. يجعل المتعلم محور العملية التعليمية ، فهو يكتشف ويبحث ويقوم بتنفيذ الأداء .

٢. يتيح للمتعلمين الفرصة للتفكير في أكبر عدد ممكن من الحلول للمشكلة الواحدة .

٣. التعلم سياقي فالطالب يتعلم من خلال العلاقة بين ما يعرفه وبين ما يعتقده (أحمد،٢٠١٤: ٣٦).

٤. تُتاح للمتعلم الفرصة لممارسة مهارات العلم المختلفة مثل الملاحظة والاستنتاج .

٥. تتيح إمكانية تعديل التعارض بين الخبرة السابقة والمعرفة الجديدة ، عن طريق تزويد المتعلم من المعلومات التي تساعده على إعادة تنظيم بُنيته المعرفية (أبو رياش،٢٠٠٧: ٢٨٩).

دور المعلم في أنموذج أبلتون

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

يتطلب من المعلم وفق أنموذج "أبلتون" القيام بأدوار عديدة منها :

١ . يوفر المعلم بيئة صفية تفاعلية قائمة على المناقشة ، وتبادل الأفكار بين الطلبة والمعلم وفيما بينهم.

٢ . تعرف خصائص الطلاب وتوفير خبرات وأنشطة ومهمات ومواقف تعلميه تتفق وهذه الخصائص .

٣ . توظيف الخبرات السابقة للطلبة في المواقف التعليمية ـ التعلمية الجديدة (الساعدي،٢٠١٥: ٤٥).

٤ . يسعى لتطوير الاستجابات الأولية المبدئية للطلبة ، وتشكيلها وإعادة صياغتها .

٥ . يشجع ويتقبل ذاتية استقلالية الطالب ومبادراته ، والتعبير عنها بحرية تامة (زيادة،٢٠٠٨: ٦٣).

دور المتعلم في أنموذج أبلتون

أن دور المتعلم وفق أنموذج "أبلتون" كما وصف (زيتون،٢٠٠٧) يتمثل بالنقاط الآتية :

١ . الفرد المتعلم نشط : المعرفة والفهم يكتسبان بنشاط ، والطالب يتناقش ويحاور ويسأل وفي الوقت نفسه يستمع ويصغي إلى وجهات نظر الآخرين .

٢ . الفرد المتعلم اجتماعي : المعرفة والفهم يُبنيان عن طريق التفاوض الاجتماعي ، فالطالب لا يبني المعرفة بشكل فردي ، وإنما بشكل جماعي عن طريق الحوار والمناقشة التفاوض مع الآخرين .

٣ . الفرد المتعلم مبدع : المعرفة والفهم يُبتدعان ابتداعاً ، فالطلبة يحتاجون لأن يبتدعوا المعرفة لا أن يكتفوا بافتراض دورهم فقط ، فكما قال "بياجيه" الفهم يعني الإبداع الاختراع (زيتون،٢٠٠٧: ٥٧).

المبحث الثاني: المفاهيم

تُعد المفاهيم أحد المحكات الرئيسة في تكوين البُنية المعرفية لدى الفرد ، وتقديراً للدور الذي تلعبه المفاهيم اهتم علماء النفس التربويون بتعليم المفاهيم ، لأن تعليم الطلبة لا يمكن أن يلقى نجاحاً إلا إذا كان لديهم معرفة بالمفاهيم والتعميمات ، فهي تربط بين مجموعات الأشياء كما أنها تقوي البناء المعرفي عند الطلبة ، ويعرفها بعض من التربويين على أنها " مجموعة من الأشياء أو الرموز والأحداث الخاصة التي تم تجميعها على أساس الصفات أو الخصائص المشتركة والتي تصنف في فئة محددة حسب معيار محدد" (النعيمي،٢٠٠٥: ٥٧). ويشير (حمدان،٢٠١٠) إلى أن المفاهيم تساعد على تجميع الحقائق وتصنيفها والتقليل من تعقدها ، وأن المتعلم الذي يمارس عملية التعلم ويكتسب خلالها بعض المفاهيم ، يؤدي ذلك إلى تنمية مهاراته العقلية مثل التنظيم والربط والتمييز وتحديد الخصائص المشتركة والتجريب وانتقال أثر التعلم (حمدان،٢٠١٠: ٢٢) .

أنواع المفاهيم :

تقسم المفاهيم إلى أنواع منها :

١ . مفاهيم مادية حسية : وهي المفاهيم التي تدرك بالحواس الخمس مثل مسجد ، بحيرة ، نهر ، غابة.

٢ . مفاهيم مجردة أو معنوية : وهي المفاهيم التي تدرك بالقوى العقلية ، ويعبر عنها بالكلمات أو الرموز مثل الحرية ، العدالة ، المروءة (طعيمة وآخرون،٢٠٠٩: ٢٣) .

٣ . مفاهيم معرفية : تُمثل المفاهيم التي شكّلها الإنسان بمعرفته للأشياء ومن إسهاماته في الحياة ، بالاشتراك والتواصل نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي (الخوالدة،٢٠٠٧: ٣١٠) .

عناصر المفاهيم :

يتألف المفهوم من العناصر الآتية :

١ . اسم المفهوم : وهو تسمية متفق عليها ومتعارف عليها ، تشير إلى الصنف الذي ينتمي إليه المفهوم.

٢ . تعريف المفهوم : وهي العبارة التي تحدد وتصف الخصائص الأساسية للمفهوم (السكران،٢٠٠٠: ٢٠٠) .

٣ . أمثلة المفهوم : وتنقسم إلى أمثلة إيجابية تنطبق على المفهوم وأمثلة سلبية لا تنطبق على المفهوم.

٤. سمات المفهوم : وهي السمات المميزة له وغير المميزة له ، حيث الملامح التي تميز المفهوم عن غيره من المفاهيم (قطامي وآخرون،٢٠٠٠:٦٧) .

٥. قيمة المفهوم : وهي تعبر عن مدى وجود الصفة للمفهوم ، إذ تختلف المفاهيم فيما بينها تبعاً لقيمة أو درجة توافر الصفة (سعادة،٢٠٠٨:٤٢٦) .

مراحل تعلم المفاهيم:

يُعد المفهوم أحد المستويات المعرفية التي يمكن تعلمها وقياسها ، وقد وضع عدد من الباحثين مراحل عدة لتعلمها ، حيث حدد (Dobbs ١٩٩٨)، مراحل تعلم المفهوم وفق الخطوات الآتية :

١. مرحلة جمع المعلومات ذات الصلة بالمفهوم .

٢. مرحلة توزيع المعلومات إلى أصناف على وفق أسس محددة لربطها مع سمة معينة .

٣. مرحلة استخراج اسم محدد لكل من الصفات المتشابهة التي تجمع أفراد الصنف الواحد .

(Dobbs ،.١٩٩٨:p.١٢)

العوامل المؤثرة في تعلم المفاهيم واكتسابها

هناك العديد من العوامل التي تؤثر في تعلم المفاهيم واكتسابها منها :

١. طبيعة الصفات المكونة للمفهوم .

٢. الأساس الذي تم بموجبه الربط بين الصفات المكونة للمفهوم .

٣. عدد الصفات المكونة للمفهوم (عبد الأمير ورحيم،٢٠١٥:٢٣).

٤. الأسلوب الذي أعطيت به الأمثلة الدالة على المفهوم ، فهل كانت أمثلة ايجابية أم سلبية ، مجردة أو محسوسة ، مدعومة برسوم أو غير مدعمة ، خبرات مباشرة أم غير مباشرة .

٥. قدرة المتعلم على وضع الشيء مع مجموعة أو صنف من الأشياء على أساس التمييز بين عناصرها ، كذلك قدرته على التنبؤ والتفسير وحل المشكلات (حمدان،٢٠١٠:٢٧).

خصائص المفاهيم:

تتمثل خصائص المفاهيم بمجموعة من النقاط الآتية :

١. يشير المفهوم إلى خصائص عامة حول الشيء الذي ينتمي إليه .

٢. يمكن أن يكون للمفهوم الواحد أكثر من مدلول من حيث طريقة الإدراك ، ودرجة التعقيد ومدى سهولة التعلم . (عطا الله،٢٠٠٩:١٣٨).

٣. لا تقتصر المفاهيم على الخبرة الحسية فقط ، وإنما قد تنتج من التفكير المجرد .

٤. المفاهيم تنتج من علاقة الحقائق ببعضها ، أو من علاقة المفاهيم ببعضها وهذا يطبق عليها إطار مفاهيمي .

٥. المفاهيم تنمو وتسعى إلى التكامل (اليماني،٢٠٠٩:٣٥١).

أهمية تعلم المفاهيم:

يمكن تلخيص أهمية تعلم المفاهيم في الاعتبارات الآتية :

١. تسهل طريقة التعلم ، وتسرع عمليات الاتصال مع الآخرين .

٢. تسمح بتنظيم كمية كبيرة من المعلومات وتخزينها بفاعلية ، وتزيل عملية معالجة المعلومات الجديدة على نحوٍ منفصل (سيد،٢٠١٨:٥٩) .

٣. تساعد المتعلم على استدعاء ما تعلمه ، وترسخ المبادئ الرئيسة للعلم في ذهنه ، وتحد من ضرورة إعادة التعلم.

٤. تجعل الحقائق ذات معنى ، وتساعد المتعلم على تنمية أفكاره وصقلها ، وتعوده قوة الملاحظة والموازنة .

(البهادلي،٢٠١٥:٣٧) .

الفصل الثالث ـ منهج البحث وإجراءاته:

أولاً: منهج البحث : اعتمدت الباحثة المنهج التجريبي للتوصل إلى النتائج في الدراسة الحالية ، لكونه المنهج الملائم لتحقيق هدف الدراسة .

ثانياً: التصميم التجريبي : استعملت الباحثة تصميم المجموعتين المتكافئتين ذواتي الضبط الجزئي في بعض المتغيرات وباختبار بعدي ، إذ تدرس المجموعة التجريبية بـ (أنموذج أبلتون) والمجموعة الضابطة بالطريقة الاعتيادية ، وجدول (١) يوضح ذلك .

جدول (١)

التصميم المعتمد في البحث التجريبي

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	نوع الاختبار
التجريبية	أنموذج أبلتون	اكتساب المفاهيم	بعدي
الضابطة	الطريقة الاعتيادية		

ثالثاً: مجتمع البحث : يتكون مجتمع البحث الحالي والذي اختير بصورة قصديه من المدارس الثانوية والإعدادية النهارية للبنات ، والتابعة للمديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ الثانية ، وبطريقة السحب العشوائي البسيط ظهرت مدرسة (إعدادية الأصيل للبنات) ، لتكون عينة البحث الأساسية ومجالاً لتطبيق التجربة .

رابعاً: عينة البحث : بعد أن حُددت المدرسة عشوائياً زارت الباحثة مدرسة (إعدادية الأصيل للبنات) ووجدت أن مرحلة الصف الرابع الإعدادي الأدبي تحتوي على خمس شعب على التوالي (أ،ب،ج،د،هـ) للعام الدراسي (٢٠٢٢-٢٠٢٣) ، واختارت الباحثة بطريقة السحب العشوائي البسيط أحدى الشعب وهي الشعبة (د) لتمثل المجموعة التجريبية التي ستدرس مادة التربية الفنية بـ (أنموذج أبلتون) وبواقع (٣٣) طالبة ، والشعبة (أ) لتمثل المجموعة الضابطة التي ستدرس المادة ذاتها (بالطريقة الاعتيادية) وبواقع (٣١) طالبة ، وبعد استبعاد الطالبات الراسبات إحصائياً في النتائج منهن لاكتسابهن خبرات سابقة ، وبواقع (٣) من المجموعة التجريبية و(١) من المجموعة الضابطة ، أصبح عدد طالبات كل مجموعة من مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) (٣٠) طالبة لكل مجموعة ، وجدول (٢) يوضح ذلك .

جدول (٢)

عدد طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) قبل الاستبعاد وبعده

ت	المجموعة	عدد الطالبات قبل الاستبعاد	عدد الطالبات الراسبات	عدد الطالبات بعد الاستبعاد
١.	التجريبية	٣٣	٣	٣٠
٢.	الضابطة	٣١	١	٣٠
٣.	المجموع	٦٤	٤	٦٠

خامساً: تكافؤ مجموعتي البحث

أجرت الباحثة التكافؤ لمجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في عدد من المتغيرات ، التي تعتقد أنها تؤثر في سلامة تجربة البحث قبل الشروع بها ، ومنها :

أ. **العمر الزمني للطالبات محسوباً بالشهور**: لقد حصلت الباحثة على المعلومات بهذا المتغير مباشرة من الطالبات عينة البحث عن طريق استمارة أعددتها الباحثة كما في ملحق (٢) ، ثم أدرجت الدرجات كما في ملحق (٣) وعند معالجة البيانات إحصائياً استعملت الباحثة الاختبار التائي (t–Test) لعينتين مستقلتين ثم تبين أن مجموعتي البحث متكافئتان بمتغير العمر الزمني ، وجدول (٣) يوضح ذلك .

جدول(٣)

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

القيمة التائية المحسوبة والجدولية لتكافؤ (العمر الزمني) لطالبات مجموعتي البحث

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t -Test) المحسوبة	قيمة (t -Test) الجدولية	الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
التجريبية	٣٠	١٩٥,٩	٣,٢	٥٨	٠,٣	٢,٠٠٠	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٣٠	١٩٥,٧	٢,٧				

ب. اختبار المعرفة السابقة : قامت الباحثة بإعداد اختبار المعرفة السابقة مكون من (٣٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد ، وذلك لغرض التعرف على ما تمتلكه طالبات مجموعتي البحث من معلومات سابقة متعلقة بمفاهيم التربية الفنية ، ثم طبقته الباحثة بنفسها عليهن قبل بدء التجربة في يوم الخميس الموافق ٢٠٢١/١٠/٦ في ظروف مشابهة ، وبعد تصحيح إجابات الطالبات بإعطاء درجة واحدة للإجابة الصحيحة ، وصفر للإجابة الخاطئة أو المتروكة وكانت درجات الطالبات كما في ملحق (٤) ، وعند معالجة البيانات إحصائياً استعملت الباحثة الاختبار التائي (t–Test) لعينتين مستقلتين ، وتبين أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائياً في متغير المعرفة السابقة ، وجدول (٤) يوضح ذلك .

جدول(٤)

القيمة التائية المحسوبة والجدولية لتكافؤ (اختبار المعرفة السابقة) لطالبات مجموعتي البحث

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t - Test) المحسوبة	قيمة (t - Test) الجدولية	الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
التجريبية	٣٠	٥,٩	٢,٥	٥٨	١,٤	٢,٠٠٠	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٣٠	٣,٤	٢,٨				

سادساً: ضبط المتغيرات الدخيلة : يقصد بالمتغيرات الدخيلة هي التي تتدخل ولا يستطيع الباحث أن يوقف أثرها . (عبدالرحمن وزنكنة،٢٠٠٨: ١٩٩).

حاولت الباحثة تجنب تأثير عدد من المتغيرات الدخيلة التي قد تؤثر في سير التجربة ودقة نتائجها ، إذ إن عملية ضبطها يؤدي إلى نتائج أكثر دقة ، وفيما يأتي عرض لبعض هذه المتغيرات وكيفية ضبطها :

أ. ظروف التجربة والحوادث المصاحبة : لم تتعرض طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) طيلة مدة التجربة إلى أي ظرف طارئ أو حادث ، ممكن يعرقل سير التجربة أو يؤثر في المتغير التابع بجانب تأثير المتغير المستقل ، لذا يمكن القول أن أي أثر لهذا العامل لم يكن موجوداً .

ب. اختيار أفراد العينة : حاولت الباحثة السيطرة على الفروق في اختيار أفراد العينة ، بإجراء التكافؤ الإحصائي بين طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) بعدد من المتغيرات ، لذا قامت الباحثة بالاختيار العشوائي لطالبات عينة البحث ، فضلاً عن أن الطالبات ينتمين إلى بيئة اجتماعية واقتصادية متشابهة تقريباً .

ج. الاندثار التجريبي : يقصد به الأثر الناتج من ترك عدد من الطلاب (عينه البحث) أو انقطاعهم في إثناء التجربة (الزوبعي وآخرون،١٩٨١: ٩٥). والتجربة الحالية لم تتعرض لهذه الحالات ، إذ لم تترك أي طالبة مجموعتها التجريبية أو الضابطة ، ولم تنتقل أي منهن إلى مدرسة أو شعبة أخرى طوال مدة التجربة .

د. العمليات المتعلقة بالنضج : ويقصد بها عمليات النمو الجسمي والعقلي والنفسي التي تحدث لإفراد التجربة في أثناء إجرائها (الجابري،٢٠١١: ٧٨). وقد اهتمت الباحثة بذلك من خلال أن مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) هن بأعمار متقاربة ، ومدة التجربة موحدة للمجموعتين معاً ، وهي ليست بالطويلة جداً التي يمكن أن تحدث فيها تغيرات نضجية متسارعة .

هـ. أداة القياس : استعملت الباحثة أداة موحدة لمجموعتي البحث ، وهي اختبار اكتساب المفاهيم لمادة التربية الفنية الذي أعدته الباحثة بما يتفق مع هدف البحث الحالي ، وطبقته على مجموعتي البحث في وقتٍ واحدٍ في نهاية التجربة .

سابعاً: أثر الإجراءات التجريبية : حرصت الباحثة على ضبط عدد من المتغيرات لضمان سير التجربة وسلامتها ودقة نتائجها ، وتمثلت هذه الإجراءات على النحو الآتي :

أ.المادة الدراسية : كانت المادة الدراسية في أثناء التجربة موحدة لمجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) ، والمتمثلة بالمفاهيم العلمية والبالغ عددها (٥) مفاهيم علمية والتي تتضمنها الوحدات الدراسية (الأولى والثانية) في منهاج التربية الفنية للصف الرابع الإعدادي الأدبي والمقرر تدريسه من وزارة التربية في العراق ، وبحسب نظام الكورسات للعام الدراسي ٢٠٢٢/٢٠٢٣ .

ب. توزيع الدروس : أمكن السيطرة على هذا العامل من خلال التوزيع المتساوي للدروس بين طالبات مجموعتي البحث ، حيث درست الباحثة حصة واحدة في يوم الخميس لكل من المجموعتين خلال الأسبوع .

ج. الوسائل التعليمية : حرصت الباحثة على تقديم الوسائل التعليمية التي اعتمدتها في تدريسها لطالبات مجموعتي البحث ، من حيث السبورة والأقلام الملونة واللوحات الفنية والعارضة الالكترونية .

د. مكان التجربة (بناية المدرسة) : طبقت الباحثة التجربة على طالبات مدرسة واحدة وهي (إعدادية الأصيل للبنات) ، إذ قامت الباحثة باختيار قاعتين متجاورتين لتدريس طالبات مجموعتي البحث ، وبظروف متشابهة من حيث المساحة والإضاءة والتهوية والتجهيزات .

هـ. مدة التجربة : كانت مدة التجربة واحدة في المجموعتين (التجريبية والضابطة) ومتساوية ، إذ استغرقت التجربة كورساً دراسياً كاملاً ، وهو الكورس الدراسي الأول للعام الدراسي (٢٠٢٢/٢٠٢٣) ، إذ بدأت التجربة يوم الخميس الموافق ٢٠٢٢/١٠/٦ ، وانتهت يوم الأربعاء الموافق ٢٠٢٣/١/١٩ .

و. سرية التجربة : قامت الباحثة بتدريس مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) بنفسها ، ضماناً لسلامة التجربة من تأثر الطالبات بالاختلافات الناتجة عن أساليب المُدَرسات وخصائصهن الشخصية ، إذ تم تبليغ الطالبات إن الباحثة هي مُدَرسة (مادة التربية الفنية) جديدة نقل إلى المدرسة بدلاً من المُدَرسة الأصلية ، ولها طريقة خاصة بالتدريس وذلك لتجنب شعور الطالبات أنهن تحت التجربة .

ثامناً: مستلزمات البحث : لتحقيق هدف البحث وفرضيته ، عملت الباحثة على تهيئة مستلزمات البحث الآتية :

أ. تحديد المحتوى (المادة العلمية) : قامت الباحثة بتحديد المادة العلمية التي سوف تدرسها لمجموعتي البحث في أثناء مدة التجربة ، والمتضمنة الوحدات الدراسية (الأولى والثانية) في منهاج التربية الفنية الرابع الإعدادي الأدبي ، والمقرر تدريسه من وزارة التربية في العراق ، وبحسب نظام الكورسات للعام الدراسي ٢٠٢٢/٢٠٢٣ .

ب. تحديد مفاهيم التربية الفنية : بعد أن حددت الباحثة المادة العلمية قامت بتحليل الموضوعات المتضمنة في الوحدات الدراسية (الأولى والثانية) في منهاج التربية الفنية ، وتحديد المفاهيم الموجودة ضمن محتوى تلك الموضوعات ، إذ بلغت (٥) مفاهيم ، كما في ملحق (٥) ، ولغرض تحقيق هدف البحث المتمثل باكتساب مفاهيم مادة التربية الفنية لدى طالبات الصف الرابع الإعدادي الأدبي استرشدت الباحثة بالعمليات الثلاثة التي تبنتها في تصنيف المفاهيم (تعريف المفهوم ، تمييز المفهوم ، تطبيق المفهوم) بوصفها معايير ينبغي الاعتماد عليها في تحليل المحتوى مفاهيمياً ، ثم عرضتها الباحثة على مجموعة من الخبراء في مجال التربية الفنية وطرائق تدريسها ، للتأكد من كون المفاهيم صالحة أو غير صالحة ، وبعد الأخذ بآراء الخبراء وبالاعتماد على معادلة كوبر ، أجمعوا على صلاحيتها وبنسبة اتفاق (١٠٠٪) مع إجراء بعض التعديلات البسيطة ، كما في ملحق (٥) .

ج. تحديد الأهداف السلوكية : صاغت الباحثة الأهداف السلوكية التي تخص المفاهيم الرئيسة التي تم تحديدها ضمن محتوى الموضوعات ، معتمدة على مستويات تصنيف المفاهيم (تعريف المفهوم ، تمييز المفهوم ، تطبيق المفهوم) وبلغ عددها (٣٠) هدفاً سلوكياً ، فأصبح لكل مفهوم ستة أهداف كل هدفين يمثلان مستوى كما في ملحق (٥) ، وللتأكد من صلاحيتها واستيعابها المادة الدراسية ومدى ملاءمتها لمستوى الهدف الذي تقيسه ، قامت الباحثة بعرضها على عدد من الخبراء والمتخصصين بالتربية الفنية واللغة العربية وطرائق تدريسها في العلوم التربوية والنفسية ، وبعد تحليل إجابات

الخبراء والاطلاع على ملاحظاتهم وعلى وفق معادلة كوبر حصلت جميع الأهداف السلوكية على نسبة اتفاق (٨٠٪) فأكثر من موافقة الخبراء ، ولذلك لم يحذف أي من الأهداف وإنما تم إجراء بعض التعديلات على صياغة البعض منها ، وأصبحت الأهداف السلوكية بصيغتها النهائية كما هي (٣٠) هدفاً سلوكياً موزعة على المستويات الثلاثة بواقع (١٠) أهداف للتذكر، و(١٠) أهداف للفهم ، و(١٠) أهداف للتطبيق ، وبذلك عدت الأهداف السلوكية جاهزة للتنفيذ في التجربة ، كما في ملحق (٥) .

د. إعداد الخطط التدريسية : أعدت الباحثة خططاً تدريسية لموضوعات التربية الفنية التي ستدرس في التجربة ، في ضوء الأهداف السلوكية للمادة العلمية ومحتواها المعرفي ومتغيرات البحث المتصلة بالتدريس ، إذ وزعت المادة العلمية المقرر تدريسها إلى (١٢) خطة ، بواقع (٦) خطط لطالبات المجموعة التجريبية على وفق (أنموذج أبلتون) و(٦) خطط لطالبات المجموعة الضابطة على وفق الطريقة الاعتيادية ، وللتأكد من صحة هذه الخطط وشمولها المادة المقررة ، عرضت الباحثة هذه الخطط على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في تدريس التربية الفنية وطرائق تدريسها ، وفي ضوء ملاحظاتهم ، عُدلت بعض الخطط وأصبحت جاهزة للتنفيذ ، كما في ملحق (٦) .

تاسعاً: أداة البحث (إعداد اختبار اكتساب مفاهيم التربية الفنية) : بعد أن تم تحديد المفاهيم الرئيسة الموجودة ضمن محتوى الموضوعات ، ولتحقيق هدف البحث أعدت الباحثة اختبار مفاهيمي ، للتحقق من مدى اكتساب طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) لتلك المفاهيم ، حيث يتألف الاختبار من (٣٠) فقرة اختباريه من الفقرات الموضوعية ، وقد اقتصر على نوعية أسئلة (الاختيار من متعدد ذي أربعة بدائل) ، ويعد هذا النوع من أكثر أنواع الاختبارات فاعلية لأنها تتصف بالشمولية والموضوعية ، فضلاً عن أنها أكثر الاختبارات ثباتاً في أحكامها وأكثرها شيوعاً واستعمالاً ، والإجابة عنها واضحة ومحددة (ملحم، ٢٠٠٠: ١٢١). وتم صياغة فقرات الاختبار على أساس أن كل مفهوم رئيسي يقاس بست فقرات اختباريه ، تمثل المستويات الثلاثة من تصنيف بلوم (Bloom) للمجال المعرفي (تعريف المفهوم ، تمييز المفهوم ، تطبيق المفهوم) كما في ملحق (٧) ، وللتأكد من صدق فقرات الاختبار ثم عرضها في صورتها الأولية ، مع تعليمات الإجابة عنها على مجموعة من الخبراء والمختصين ذوي الخبرة في مجال التربية الفنية واللغة العربية وطرائق تدريسها والعلوم التربوية والنفسية بغية معرفة آرائهم في صياغة فقرات الاختبار من حيث السلامة العلمية واللغوية ، ومدى قياس كل فقرة للمفهوم المحدد ، بالإضافة إلى مدى ملائمة فقرات الاختبار لطالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) ، وبعد استلام آراء الخبراء تم تعديل بعض فقرات الاختبار بناءً على ملاحظاتهم ولم يقترح الخبراء حذف أو إضافة فقرة إلى فقرات الاختبار البالغة (٣٠) فقرة ، وقد حصلت جميعها على وفق معادلة كوبر نسبة اتفاق تزيد عن ٨٠٪ فأكثر من موافقة الخبراء حول صلاحيتها ، وبذلك أصبحت فقرات الاختبار جاهزة بصيغتها النهائية كما في ملحق (٧) .

عاشراً: التطبيق الاستطلاعي (التجربة الاستطلاعية) لاختبار اكتساب المفاهيم : بغية التثبت من وضوح فقرات الاختبار ومستوى صعوبتها ، وقوة تمييزها ، وفعالية بدائلها غير الصحيحة ، والوقت المستغرق للإجابة عن فقرات الاختبار ، وللتحقق من ذلك طُبق الاختبار على عينة تكونت من (١٠٠) طالبة اختيرت عشوائياً من طالبات الصف الرابع الإعدادي الأدبي في ثانوية تبوك للبنات ، وبعد تطبيق الاختبار أتضح أن فقرات وتعليمات الاختبار واضحة ، وأن الوقت الذي استغرقته الطالبات في الإجابة عن فقرات الاختبار جميعها بلغ (٣٥) دقيقة ، ثم حُسِبَ بعد ذلك مستوى الصعوبة ، وقوة التمييز ، وفاعلية البدائل الخاطئة لفقرات الاختبار ، كما في ملحق (٨) ، والثبات بمعادلة (كيودر- ريتشاردسون ٢٠) ، إذ بلغ معامل الثبات (٠,٨٥) وهو معامل ثبات جيد ، وقد أشارت الأدبيات إلى أن الاختبار يُعد جيد إذا كان معامل الثبات بين (٠,٦٠ ,٠,٨٥) (العمراني، ٢٠١٣: ٢٩). وبعد التأكد من صدق وثبات الاختبار والتحليل الإحصائي لفقراته ، عُد الاختبار جاهزاً للتطبيق على عينة البحث .

الحادي عشر: إجراءات تطبيق التجربة : باشرت الباحثة بتطبيق التجربة على طالبات عينة البحث منذ إجراء عمليات التكافؤ على مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في يوم الخميس الموافق ٢٠٢٢/١٠/٦ ولغاية يوم الأربعاء الموافق ٢٠٢٣/١/١٩ في الكورس الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠٢٢-٢٠٢٣ ، إذ درست المجموعة التجريبية على وفق أنموذج أبلتون ، في حين درست المجموعة الضابطة في المدة الزمنية نفسها بالطريقة الاعتيادية ، وبعد الانتهاء من تدريس

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

مفردات المادة المقرر تدريسها لطالبات مجموعتي البحث ، تم تطبيق اختبار اكتساب مفاهيم التربية الفنية لطالبات مجموعتي البحث ، بعد أن قامت الباحثة بأخبار الطالبات بموعد الاختبار قبل أسبوع من إجراءه ، ثم صححت الباحثة بنفسها إجابات طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) ، وفقاً للإجابة النموذجية المُعدة سابقاً ، كما في ملحق (٩) ، وحصلت على درجات اكتساب مفاهيم التربية الفنية في الاختبار البعدي لطالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) ، كما في ملحق (١٠) .

الثاني عشر: استعملت الباحثة الوسائل الإحصائية المناسبة في البحث الحالي وكالآتي :

١. معادلة استخراج زمن الإجابة : زمن إجابة الطالب الأول + زمن إجابة الطالب الثاني ... الخ

متوسط زمن الإجابة = ـــ

عدد الطلبة الكلي

٢. معادلة كوبر لحساب الصدق الظاهري لآراء الخبراء :

معامل الاتفاق = عدد مرات الاتفاق / (عدد مرات الاتفاق + عدد مرات عدم الاتفاق) × ١٠٠ (الشواني،١٩٨٦:١٢٢).

٣. الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (t-Test):

استعملت الباحثة اختبار (t-Test) للتأكد من تكافؤ المجموعتين (التجريبية والضابطة) وإيجاد دلالة الفرق بين المتوسطات في اختبار اكتساب المفاهيم .

$$ت = \frac{\bar{س}_1 - \bar{س}_2}{\sqrt{\left[\frac{(ن_1 - 1)ع_1^2 + (ن_2 - 1)ع_2^2}{ن_1 + ن_2 - 2}\right]\left[\frac{1}{ن_1} + \frac{1}{ن_2}\right]}}$$

إذ أن: $\bar{س}_1$: الوسط الحسابي للمجموعة التجريبية
$\bar{س}_2$: الوسط الحسابي للمجموعة الضابطة
$ن_1$: عدد أفراد المجموعة التجريبية
$ن_2$: عدد أفراد المجموعة الضابطة
$ع_1^2$: التباين للمجموعة التجريبية
$ع_2^2$: التباين للمجموعة الضابطة (العزاوي وعفيش،٢٠١٠:٧٨).

٤. معادلة صعوبة الفقرة:

استعملت لحساب معامل صعوبة كل فقرة من فقرات اختبار اكتساب المفاهيم .

$$س = \frac{مر_ع + مر_د}{ك}$$

إذ أن: س: معامل صعوبة الفقرة
مر_ع: مجموع الإجابات الصحيحة في المجموعة العليا
مر_د: مجموع الإجابات الصحيحة في المجموعة الدنيا
ك: عدد الأفراد في المجموعتين العليا والدنيا (أبو جادو وآخرون،٢٠١٠:٧٨).

٥. معامل تمييز الفقرة:

استعملت لحساب قوة تمييز كل فقرة من فقرات اختبار اكتساب المفاهيم .

$$ت = \frac{مر_ع - مر_د}{\frac{1}{2}ك}$$

إذ أن: ت: قوة تمييز الفقرة
مر_ع: مجموع الإجابات الصحيحة للمجموعة العليا
مر_د: مجموع الإجابات الصحيحة للمجموعة الدنيا
$\frac{1}{2}ك$: نصف مجموع عدد الأفراد في كل من المجموعتين العليا والدنيا . (Gronlund,1976:p.125).

٦. فعالية البدائل الخاطئة:

استعملت لإيجاد فعالية البدائل الخاطئة لكل فقرة من فقرات اختبار اكتساب المفاهيم .

$$فاعلية البديل = \frac{ن_{ع_ج} - ن_{ع_د}}{ن}$$

إذ أن: $ن_{ع_ج}$: عدد الطلاب الذين اختاروا البديل الخاطئ من المجموعة العليا
$ن_{ع_د}$: عدد الطلاب الذين اختاروا البديل الخاطئ من المجموعة الدنيا
ن: عدد طلاب إحدى المجموعتين (الجابري،٢٠١١:٨٥).

٧. معادلة كيودر – ريتشاردسون ٢٠:

استعملت لحساب معامل ثبات اختبار اكتساب المفاهيم .

$$كيودر - ريتشاردسون\ ٢٠ = \frac{ن}{ن - 1}\left[1 - \frac{مج\ س(1 - س)}{ع_ك^2}\right]$$

إذ أن: ن: العينة
س: الصعوبة
1 – س: السهولة
$ع_ك^2$: تباين الأفراد (علام،٢٠٠٦:٢٥٢).

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

الفصل الرابع ـ نتائج البحث وتوصياته

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتيجة التي توصل إليها البحث الحالي وتفسيرها ، ثم إعطاء الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات في ضوء النتيجة ، وعلى النحو الآتي :

أولاً: عرض نتيجة البحث

للتحقق من الفرضية الصفرية التي صاغتها الباحثة والتي تنص على أنه : (لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠،٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللواتي يدرسنَ مادة التربية الفنية على وفق أنموذج أبلتون ، ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللواتي يدرسنَ مادة التربية الفنية بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب المفاهيم البعدي) ، وبعد رصد درجات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في اختبار اكتساب مفاهيم التربية الفنية كما في ملحق (٩) ، تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وباستعمال الاختبار التائي (t–Test) لعينتين مستقلتين ومتساويتين في العدد ، فجاءت النتائج الإحصائية وجود فرق بين درجات المجموعتين ، وكما مبين في جدول (٥) .

جدول (٥)

نتائج الاختبار التائي لمجموعتي البحث في اختبار اكتساب المفاهيم البعدي

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t - Test) المحسوبة	قيمة (t - Test) الجدولية	الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
التجريبية	٣٠	٢٧,٨	٢,٤	٥٨	٥,٧٠٢	٢,٠٠٠	دالة إحصائياً
الضابطة	٣٠	٢٢,٤	٣,٧				

يتبين من الجدول أعلاه أن القيمة التائية المحسوبة (٥,٧٠٢) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) أكبر من القيمة الجدولية البالغة (٢,٠٠٠) ، مما يعني تفوق طالبات المجموعة التجريبية التي درست بأنموذج أبلتون على طالبات المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب مفاهيم التربية الفنية البعدي ، وبذلك ترفض الفرضية الصفرية .

ثانياً: تفسير نتيجة البحث

أسفرت النتيجة التي توصلت إليها الباحثة والمتعلقة بالفرضية الصفرية ، عن تفوق طالبات المجموعة التجريبية التي درَست بـ (أنموذج أبلتون) على طالبات المجموعة الضابطة التي درَست بالطريقة الاعتيادية في اختبار اكتساب مفاهيم التربية الفنية ، الذي تم إجراؤه بعد انتهاء مدة التجربة ، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى عدة أسباب منها :

١ . إن أنموذج أبلتون المنبثق من رحم النظرية البنائية ، يعمل على تهيئة الظروف اللازمة لمساعدة المتعلمة للوصول إلى المعلومات بنفسها ، بدلاً من أن تعطى لها جاهزة عن طريق المُدَرسة من دون بذل مجهود ، الأمر الذي يجعل المتعلمة محور العملية التعليمية .

٢ . إن أنموذج أبلتون عزز إشراك الطالبات في توليد الأفكار والمعلومات ومناقشتها ، مما جعل الفهم العميق يزداد لديهن ، وبالتالي زاد من اكتسابهن لمفاهيم التربية الفنية .

٣ . أنه أنموذج للربط بين المادة الدراسية والبيئة التي تعيشها الطالبات ، مما أدى ذلك إلى تعامل طالبات المجموعة التجريبية برغبة وحماس داخل الصف الدراسي ، وهذا بدوره أدى إلى اختزان المعلومات في الذاكرة بطريقة صحيحة ، يمكن استرجاعها بسرعة وسهولة عند الحاجة إليها ، الأمر انعكس ايجابياً على اكتساب المفاهيم لديهن .

ثالثاً: الاستنتاجات

في ضوء نتيجة البحث التي توصلت إليها الباحثة ، تضع الاستنتاجات الآتية :

١ . إن اعتماد (أنموذج أبلتون) في التدريس قد أسهم في زيادة تفاعل الطالبات مع مادة التربية الفنية ، وتحملهن مسؤولية التعلم بالاعتماد على بُنيتهن المعرفية ، مما زاد اكتسابهن لمفاهيم التربية الفنية ، بالموازنة مع الطريقة الاعتيادية في التدريس .

٢. إن استعمال (أنموذج أبلتون) في العملية التعليمية أدى إلى ظهور سلوكيات مرغوبة عند الطالبات ، مثل الانتباه والتشويق والمشاركة الفعالة .

رابعاً: التوصيات

في ضوء نتيجة البحث الحالي، تقدم الباحثة عدداً من التوصيات الآتية :

١. اطلاع مدّرسي مادة التربية الفنية ومدرساتها على أسس وخطوات أنموذج أبلتون ، لأنهم اعدّوا إعداداً جامعياً لم يعنى بها ، وذلك من خلال الدورات أو الندوات التربوية أو النشرات الخاصة ، التي تشرح كيفية تدريس مفاهيم التربية الفنية على وفق هذا الأنموذج .

٢. إدخال طرائق تدريس المفاهيم وبضمنها أنموذج أبلتون ، ضمن مفردات طرائق تدريس التربية الفنية والذي يُدَرس في معاهد إعداد المعلمين والمعلمات وكليات التربية الأساسية ، لما أثبتته من دلالات إيجابية في اكتساب المفاهيم لدى الطالبات .

خامساً: المقترحات

في ضوء ما سبق واستكمالاً للبحث الحالي ، تقترح الباحثة إجراء الدراسات الآتية :

١. تعرفَ أثر أنموذج أبلتون في متغيرات تابعة أخرى مثل التفكير (الإبداعي ، الابتكاري ، الاستدلالي ، التأملي).

٢. إجراء دراسة مقارنة بين أنموذج أبلتون ، ونماذج تدريسية أخرى كأنموذج (كلوزماير، انتوستل ،جون زاهوريك) .

المصادر

أولاً: المصادر العربية

١. أبو جادو ، صالح محمد علي وآخرون ، (٢٠١٥) : علم النفس التربوي ، ط٢ ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
٢. أبو رياش ، حسين ، (٢٠٠٧) : النظم المعرفي ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن .
٣. أبو شعيرة ، خالد ، (٢٠٠٦) : المدخل إلى التربية الفنية ، ط١ ، دار جرير ، عمان ، الأردن .
٤. الجابري ، كاظم كريم رضا ، (٢٠١١) : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط١ ، مكتبة النعيمي ، بغداد ، العراق .
٥. الخوالدة ، محمد محمود ، (٢٠٠٧) : أسس بناء المناهج التربوية ، ط٢ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
٦. الزوبعي ، عبد الجليل وآخرون ، (١٩٨١) : الاختبارات والمقاييس النفسية ، دار الكتب ، الموصل ، العراق .
٧. زيادة ، مصطفى ، (٢٠٠٨) : المعلم وتنمية مهارات التفكير ، مكتبة الرشيد ، السعودية .
٨. زيتون ، عايش محمد ، (٢٠٠٧) : النظرية البنائية واستراتيجية تدريس العلوم ، ط١ ، دار الشروق للنشر ، عمان ، الأردن .
٩. زيتون ، كمال عبد الحميد ، (٢٠٠٦) : التعليم والتدريس من منظور النظرية البنائية ، ط١ ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر.
١٠. زاير ، سعد علي وداخل ، سما تركي ، (٢٠١٣) : اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية ، ط١ ، دار المرتضى للطباعة والنشر ، بغداد ، العراق .
١١. السكران ، محمد ، (٢٠٠٠) : أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، الأردن .
١٢. سعادة ، جودت أحمد ، (٢٠٠٨) : تدريس مهارات التفكير ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، الأردن .
١٣. الاسدي ، سعيد جاسم والمسعودي ، محمد حميد ، (٢٠١٥) : استراتيجيات وطرائق تدريس الحديثة في الجغرافية ، ط١ ، دار صفاء ، عمان ، الأردن .
١٤. طعيمة ، رشدي أحمد وآخرون ، (٢٠٠٩) : المفاهيم اللغوية عند الأطفال ، ط١ ، دار المسيرة للنشر ، عمان ، الأردن .
١٥. العجرش ، حيدر حاتم فالح ، (٢٠١٣) : استراتيجيات معاصرة في تدريس التاريخ ، ط١ ، دار الرضوان ، عمان ، الأردن .
١٦. العمراني , عبد الغني محمد إسماعيل ، (٢٠١٣) : مناهج البحث العلمي , ط ٣ , دار الكتاب الجامعي , صنعاء , اليمن .
١٧. عطا الله ، ميشيل كامل ، (٢٠٠٩) : طرق وأساليب تدريس العلوم ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
١٨. عطية ، محسن علي ، (٢٠١٥) : البنائية وتطبيقاتها : استراتيجيات حديثة ، ط١ ، دار صفاء ، عمان ، الأردن .
١٩. علام ، صلاح الدين محمود ، (٢٠٠٩) : القياس والتقويم في العملية التدريسية ، ط١، دار المسيرة للنشر ، عمان ، الأردن .
٢٠. عبد الأمير ، عباس ناجي ورحيم, يونس كرو ، (٢٠١٥) : تعليم الرياضيات ، دار الأيام للنشر والتوزيع ، بغداد , العراق .

٢١. عبد الرحمن ، أنور حسين وزنكنة , عدنان حقي شهاب ، (٢٠٠٨) : الأسس التصورية والنظرية في مناهج العلوم الإنسانية والتطبيقية ، دار الكتب والوثائق ، بغداد , العراق .
٢٢. قطامي ، يوسف وآخرون ، (٢٠٠٠) : المفاهيم اللغوية عند الأطفال ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
٢٣. المنيزل ، عبد الله فلاح وعايش ، موسى غرايبة ، (٢٠١٠) : الإحصاء التربوي تطبيقات باستخدام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية ، ط٤ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن .
٢٤. ملحم، سامي محمد ، (٢٠٠٠) : القياس والتقويم في التربية وعلم النفس ، ط١، دار المسيرة للنشر ، عمان ، الأردن .
٢٥. نشواتي ، عبد المجيد ، (١٩٨٦) : علم النفس التربوي ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن .
٢٦. وزارة التربية ، (٢٠١٠) : نظام المدارس الثانوية ، ط٢ ، مطبعة وزارة التربية ، بغداد ، العراق .
٢٧. اليماني ، عبد الكريم علي ، (٢٠٠٩) : استراتيجيات التعلم والتعليم ، ط١ ، زمزم ناشرون ، عمان ، الأردن .
٢٨. ياسين ، واثق عبد الكريم وراجي ، زينب حمزة ، (٢٠١٢) : المدخل البنائي نماذج واستراتيجيات في تدريس المفاهيم ، ط١ ، دار الكتب ، بغداد ، العراق .

ثانياً : الرسائل والاطاريح الجامعية

١. أحمد ، وفاء محمود ، (٢٠١٤) : أثر أنموذج أبلتون في تحصيل مادة علم الاجتماع والتفكير الناقد عند طالبات الصف الرابع الأدبي ، (رسالة ماجستير منشورة) ، كلية التربية ـ ابن رشد ، جامعة بغداد ، بغداد ، العراق .
٢. البهادلي ، محمد علوان زغير ، (٢٠١٥) : أثر استراتيجية دورة التعلم فوق المعرفية في اكتساب المفاهيم والتفكير التأملي عند طلاب الصف الخامس الأدبي ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد العراق .
٣. جاسم ، محمد جاسم ، (٢٠١١) : أثر استعمال أنموذج دانيال في اكتساب المفاهيم الإسلامية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية التربية ـ أبن رشد ، جامعة بغداد ، بغداد ، العراق .
٤. حمدان ، عماد الدين ، (٢٠١٠) : مدى مطابقة المفاهيم الرياضية المتضمنة في كتب الرياضيات في المرحلة الأساسية العليا للمعايير الدولية في فلسطين ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الأزهر ، غزة ، فلسطين
٥. الساعدي ، رمله جبار كاظم ، (٢٠١٥) : أثر أنموذجي أبلتون وثيلين في اكتساب المفاهيم الإحيائية وعمليات العلم لدى طالبات الصف الخامس العلمي ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، البصرة ، العراق .
٦. سيد ، عمر علي ، (٢٠١٨) : فاعلية استخدام برمجية في تدريس التربية الفنية على تنمية بعض المفاهيم الفنية ومهارات التعبير الفني المجسم لدى التلاميذ المعاقين عقلياً القابلين للتعلم بالمرحلة الابتدائية ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة سوهاج ، سوهاج ، مصر .
٧. مرزوك ، الحارث شاكر ، (٢٠١٠) : أثر التدريس بأنموذجي كلوزماير ورايجلوث في اكتساب المفاهيم الجغرافية لدى طالبات الصف الثاني في معاهد إعداد المعلمات ، (أطروحة دكتوراه منشورة) ، كلية التربية ـ ابن الهيثم ، جامعة بغداد ، بغداد ، العراق .
٨. النعيمي ، عصام محمود علي محمد ، (٢٠٠٥) : أثر نمطين تعليميين وفق أنموذج برونر في تحصيل الطلبة للمفاهيم الفيزيائية وتنمية تفكيرهم الاستدلالي وميلهم نحو الفيزياء ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية التربية ، جامعة الموصل ، الموصل ، العراق .

ثالثاً : البحوث والمجلات العلمية

١. اللامي ، صلاح خليفة حدادة وأمير ، علي عباس ، (٢٠١٧) : أثر أنموذج (أبلتون) في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طلاب الصف الرابع العلمي ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل ، المجلد ١٨ ، العدد ٣٤ ، بابل ، العراق .

رابعاً : المصادر الأجنبية

١. Creswell , John W. (2012) : , Educational Research , Fourth Edition , Pearson , Boston , U.S.A .
٢. Dobbs, Stephen Mark. (1998) : Learning in and Through Art, The Getty Education Institute For The Arts, USA .
٣. Gronlund , Norman E. (1976) : Measurement and Evaluation in Teaching , 3rd . ed. , Macmillan Publishing Co. , New York .

ملحق (١)

الجامعة المستنصرية
كلية التربية الأساسية
قسم التربية الفنية

م / استبانة آراء مُدرسات مادة التربية الفنية للصف الرابع الإعدادي الأدبي
أختي المدرسة الفاضلة ..... المحترمة

تحية طيبة ...

تروم الباحثة إجراء بحثها الموسوم بـ (**أثر أنموذج أبلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية**) ، ونظراً لدوركن المهم في العملية التعليمية ولغرض تحسين تدريس مادة التربية الفنية لطالبات الصف الرابع الإعدادي الأدبي ، يرجى الإجابة عن سؤال الاستبانة المرفق طياً وإبداء آرائكن القيمة ... ولكن جزيل الشكر والثناء ...

س١/ ما الطرائق التدريسية المتبعة في تدريس مادة التربية الفنية ؟

الباحثة
أفراح مكي عباس الجبوري
طـ.ت التربية الفنية

ملحق (٢)
استمارة المعلومات لطالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة)

عزيزتي الطالبة ...

يرجى تدوين المعلومات الآتية وبشكل دقيق واليكِ الشكر والتقدير ...

١. اسم الطالبة ..... .
٢. تاريخ الولادة ..... .
٣. هل أنتِ راسبة في الصف الرابع الإعدادي الأدبي ؟ نعم ..... ، لا ..... .
٤. هل أنتِ مؤجلة في الصف الرابع الإعدادي الأدبي ؟ نعم ..... ، لا ..... .

ملحق (٣)
أعمار طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) محسوبة بالشهور

المجموعة التجريبية			
ت	العمر	ت	العمر
١.	١٩٥	١٦.	١٩٧
٢.	١٩٨	١٧.	١٩٠
٣.	١٩٤	١٨.	٢٠٠
٤.	١٩٠	١٩.	١٩٨
٥.	١٩٧	٢٠.	١٩٤
٦.	١٩٢	٢١.	١٩٨
٧.	١٩٣	٢٢.	١٩٦
٨.	١٩٦	٢٣.	١٩٢
٩.	١٩٨	٢٤.	١٩٣
١٠.	١٩٥	٢٥.	١٩٧
١١.	١٩٤	٢٦.	٢٠٣
١٢.	١٩٧	٢٧.	١٩٥
١٣.	٢٠١	٢٨.	١٩٧
١٤.	١٩٨	٢٩.	١٩٦
١٥.	٢٠٠	٣٠.	١٩٤

المجموعة الضابطة			
ت	العمر	ت	العمر
١.	١٩٩	١٦.	١٩٥
٢.	١٩٧	١٧.	١٩٦
٣.	٢٠٠	١٨.	١٩٠
٤.	١٩٤	١٩.	١٩٥
٥.	١٩٦	٢٠.	١٩٨
٦.	١٩٧	٢١.	١٩٤
٧.	١٩٩	٢٢.	١٩٦
٨.	١٩٧	٢٣.	١٩٨
٩.	١٩٠	٢٤.	١٩٧
١٠.	١٩٨	٢٥.	١٩٤
١١.	١٩٣	٢٦.	١٩٠
١٢.	١٩٩	٢٧.	١٩٣
١٣.	١٩٧	٢٨.	١٩٥
١٤.	١٩٣	٢٩.	١٩٧
١٥.	١٩٦	٣٠.	١٩٨

ملحق (٤)
درجات طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في اختبار المعرفة السابقة

المجموعة الضابطة			
ت	الدرجة	ت	الدرجة
١.	٢	١٦.	٧
٢.	٢	١٧.	٥

المجموعة التجريبية			
ت	الدرجة	ت	الدرجة
١.	٧	١٦.	٣
٢.	٧	١٧.	٤
٣.	٩	١٨.	٦
٤.	٨	١٩.	٥
٥.	٤	٢٠.	١٠
٦.	٩	٢١.	٨
٧.	٢	٢٢.	١٠
٨.	٩	٢٣.	٤
٩.	٦	٢٤.	٦
١٠.	٢	٢٥.	٢
١١.	٤	٢٦.	٣
١٢.	٧	٢٧.	٥
١٣.	٤	٢٨.	٦
١٤.	١	٢٩.	٤
١٥.	٨	٣٠.	٥

٣.	٣	١٨.	٣
٤.	٤	١٩.	٩
٥.	٢	٢٠.	١
٦.	٣	٢١.	٧
٧.	٣	٢٢.	١
٨.	١	٢٣.	٥
٩.	١٠	٢٤.	٣
١٠.	٦	٢٥.	٢
١١.	٤	٢٦.	٥
١٢.	١	٢٧.	١
١٣.	٥	٢٨.	٦
١٤.	٤	٢٩.	٢
١٥.	٣	٣٠.	١

ملحق (٥)

الأهداف السلوكية للمفاهيم الخاصة بتجربة البحث

ت	المفاهيم	الأهداف السلوكية	المستوى
١.	المدرسة الانطباعية	يتعرف إلى مفهوم المدرسة الانطباعية .	تعريف
		يذكر الأساليب الفنية المتبعة في لوحات الفنانين الانطباعيين .	تعريف
		يعلل سبب تسمية المدرسة الانطباعية .	فهم
		يوضح الألوان المستعملة في تنفيذ لوحات المدرسة الانطباعية .	فهم
		يكتشف لوحات فنانوا المدرسة الانطباعية .	تطبيق
		ينسب اللوحات الفنية إلى المدرسة الانطباعية .	تطبيق
٢.	المدرسة التكعيبية	يكتب أسباب ظهور المدرسة التكعيبية .	تعريف
		يعين خصائص المدرسة التكعيبية .	تعريف
		يعبر عن المرحلة التمهيدية في المدرسة التكعيبية .	فهم
		يميز بين المرحلتين التحليلية والتركيبية في المدرسة التكعيبية .	فهم
		يعطي مثالاً على اللوحات التكعيبية للفنان بابلو بيكاسو .	تطبيق
		ينسب اللوحات الفنية التكعيبية إلى فنانيها .	تطبيق
٣.	المدرسة الرمزية	يصف المدرسة الرمزية .	تعريف
		يحدد المبدأ المشترك بين عمل الفنان الرمزي والفنان السريالي .	تعريف
		يفسر طبيعة عمل الفنان الرمزي في لوحاته الفنية .	فهم
		يلخص خصائص المدرسة الرمزية .	فهم
		يعطي مثالاً على اللوحات الرمزية للفنان أوديلو ريدون .	تطبيق
		ينسب اللوحات الفنية إلى المدرسة الرمزية .	تطبيق
٤.	المدرسة التعبيرية	يسجل تاريخ ظهور المدرسة التعبيرية .	تعريف
		يعدد سمات المدرسة التعبيرية .	تعريف
		يشرح المفهوم الأساسي للفن على وفق رأي المدرسة التعبيرية .	فهم
		يبين التقنية المتبعة في أسلوب الفنان التعبيري .	فهم
		يعطي مثالاً على اللوحات التعبيرية للفنان ادوارد مونش .	تطبيق
		ينسب اللوحات الفنية إلى المدرسة التعبيرية .	تطبيق
٥.	المدرسة الدادائية	يذكر تاريخ ظهور المدرسة الدادائية .	تعريف
		يحدد الرائد والمروج للفوضوية الفنية والموضوعية للفن الدادائي .	تعريف
		يستنتج أسباب ظهور المدرسة الدادائية .	فهم
		يترجم وجود مواد غير مألوفة في أعمال فناني المدرسة الدادائية .	فهم
		يكتشف لوحة الموناليزا للفنان مارسيل دوشامب .	تطبيق
		ينسب اللوحات الفنية إلى المدرسة الدادائية .	تطبيق

ملحق (٦)

خطة نموذجية لتدريس المجموعة التجريبية على وفق أنموذج أبلتون

المادة : التربية الفنية **الموضوع :** المدرسة التكعيبية
الصف : الرابع الإعدادي / الأدبي **الزمن :** ٤٥ دقيقة

أولاً: الهدف التعليمي : تمكين الطالبات من اكتساب المفاهيم والمبادئ والمعارف والمعلومات عن المدرسة التكعيبية.
ثانياً: الأهداف السلوكية : تستطيع الطالبة بعد دراستها للوحدة التعليمية أن تكون قادرة على أن :
١. يكتب أسباب ظهور المدرسة التكعيبية .
٢. يعين خصائص المدرسة التكعيبية .
٣. يعبر عن المرحلة التمهيدية في المدرسة التكعيبية .
٤. يميز بين المرحلتين التحليلية والتركيبية في المدرسة التكعيبية .
٥. يعطي مثالاً على اللوحات التكعيبية للفنان بابلو بيكاسو .
٦. ينسب اللوحات الفنية التكعيبية إلى فنانيها .
ثالثاً: الوسائل التعليمية :(السبورة ، أقلام ملونة ، العارضة الالكترونية ، لوحات فنية للمدرسة التكعيبية) .
رابعاً: خطوات الدرس (تنفيذ أنموذج أبلتون على وفق الخطوات الآتية) :
أ. (التمهيد / المقدمة) (٢ ــ ٣) دقائق :
من أجل تهيئة أذهان الطالبات تبدأ المدرسة (الباحثة) بتذكيرهن بمضمون الدرس السابق ، مع التأكيد على أهمية الدرس الحالي والذي سيتم تناوله بالشكل المفضل . ثم تقوم المدرسة (الباحثة) بطرح بعض الأسئلة من موضوع الدرس السابق لربطها بموضوع الدرس الجديد ، عزيزاتي الطالبات تكلمنا في الدرس السابق عن مفهوم المدرسة الانطباعية والتي تُعد من المدارس التشكيلية وتمثل حركة فنية حديثة نشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا في مجال الفن والأدب ، وقامت على مبدأ أن المهمة الحقيقية للفنان أو الأديب تقوم على نقل انطباعات بصره أو عقله إلى الجمهور المتلقي ، وتعد التأثيرية أو الانطباعية نقطة التحول المهمة في مسيرة الفن من الفنون الكلاسيكية إلى الفنون الحديثة .
ـ المدرسة (الباحثة): لماذا سميت بالمدرسة الانطباعية ؟
ـ طالبة: سميت بهذا الاسم لأنها تنقل انطباع الفنان عن المنظر المشاهد بعيداً عن الدقة والتفاصيل .
ـ المدرسة (الباحثة): أحسنتِ ، اذاً ما هي الأساليب الفنية التي تقوم عليها طرق الأداء في الحركة الانطباعية ؟ .
ـ طالبة: تتمثل الأساليب الفنية في الحركة الانطباعية بالأسلوب التنقيطي : وهو رسم اللوحة بكاملها عن طريق النقاط الملونة المتجاورة ، وكلما اقتربت النقاط كان اللون غامقاً وبالعكس .
ـ طالبة أخرى: الأسلوب التقسيمي : ويعتمد على تقسيم السطوح إلى مجموعة ألوان متجاورة وصريحة دون أن يمزج الألوان أو يخلطها ، فالأصفر هو الأصفر والأزرق هو الأزرق .
ـ طالبة أخرى: رسم الأشكال أكثر من مرة : في لحظات متغيرة من النهار ، مثلاً يرسم منظراً للطبيعة في الصباح ، ثم يعود ليرسمه في الظهيرة ، ثم يرسمه في المساء عند غروب الشمس .
ـ المدرسة (الباحثة): أحسنتن ، هل للمدرسة الانطباعية خصائص تميزها عن المدارس الأخرى ؟
ـ طالبة: نعم تميزت المدرسة الانطباعية بوضع الألوان بطبقات كثيفة على سطح اللوحة .
ـ طالبة أخرى: وكذلك التأكيد على المنظور اللوني أكثر من الخطي .
ـ طالبة أخرى: الاهتمام بوضع الألوان الفاتحة والحيادية واستبعاد الألوان الداكنة .
ـ المدرسة (الباحثة): أحسنتن ، ومن هم أشهر فنانييها ؟ .
ـ طالبة: أشهر فنانييها هم (بول سيزان وكلود مونيه واوغست رينوار وادوارد مانيه) .
ـ المدرسة (الباحثة): جيد جداً بارك الله فيكن جميعاً ، وبعد الاطلاع ومناقشة وتوضيح لوحات فناني المدرسة الانطباعية بشكل مختصر أكون قد هيأت أذهان الطالبات إلى موضوع الدرس الجديد لهذا اليوم المدرسة التكعيبية .
ب. العرض (٣٥) دقيقة
قبل البدء بخطوات التدريس على وفق أنموذج أبلتون ستقوم الباحثة بتقسيم الطالبات إلى مجموعات ، وتسميتهن بأسماء المدارس الفنية التشكيلية (الكلاسيكية، الرومانسية ، التنقيطية ، التجريدية ، المستقبلية) ، وستتم طرح الأفكار من قبل رئيسة كل مجموعة من بعد التفكير والتشاور .
الخطوة الأولى (فرز الأفكار التي بحوزة المتعلم) (٨) دقائق : تقوم المدرسة (الباحثة) في هذه الخطوة بتشخيص الأفكار التي في حوزة الطالبات عن موضوع (المدرسة التكعيبية) وفرزها قبل مرحلة المعالجة والتفسير ، إذ تلجأ المدرسة (الباحثة) في هذه الخطوة إلى توجيه طائفة من الأسئلة للطالبات لتلخيص المفاهيم الأساسية للموضوع ، وتدوينها على السبورة في صورة خريطة معرفية يتم اللجوء إليها في مرحلة المعالجة ، وتكون الأسئلة كالآتي :
ـ المدرسة (الباحثة): متى ظهرت المدرسة التكعيبية ؟
ـ طالبة: المدرسة التكعيبية هى اتجاه فنى ظهر فى فرنسا فى بدايات القرن العشرين .
ـ طالبة أخرى: يتخذ هذه الاتجاه الفني من الأشكال الهندسية أساساً لبناء العمل الفني ، إذا قامت على الاعتقاد بنظرية التبلور التعدينية التي تعتبر الهندسة أصولاً للأجسام ، وانتشرت هذه المدرسة بين ١٩٠٧م و ١٩١٤م.
ـ المدرسة (الباحثة): أحسنتما ، ما هي أسباب ظهور المدرسة التكعيبية ؟ .
ـ طالبة: ظهرت المدرسة التكعيبية نتيجة رفض الفنانون في فرنسا مبدأ محاكاة الأشكال الطبيعة .
ـ طالبة أخرى: كما سعوا إلى اختزال هذه الأشكال الطبيعية إلى أجزاء هندسية وخطوط مستقيمة ، ثم إعادة صياغتها من جديد في صور مختلفة بعيدة عن عناصرها الأصلية .
ـ طالبة أخرى: كما أنه شاهد الفنانون في الأشكال الطبيعية مكعبات ومخروطات واسطوانات .
ـ المدرسة (الباحثة): أحسنتن ، لماذا سميت بالمدرسة التكعيبية ؟ .

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

ـ **طالبة:** عرفت بهذا الاسم كون أعمالها توحي بالأشكال الهندسية .
ـ **المدرسة (الباحثة):** جيد ، هل توجد خصائص للمدرسة التكعيبية ؟ .
ـ **طالبة:** نعم .
ـ **المدرسة (الباحثة):** ومن تعدد لنا هذه الخصائص ؟ .
ـ **طالبة:** من خصائص المدرسة التكعيبية التركيز على الخط بوصفه عنصراً بنائياً هندسياً .
ـ **طالبة أخرى:** الاهتمام باللون الواحد وتدرجاته .
ـ **طالبة أخرى:** تعدد مسقط الضوء وتوزيع مناطق الظل .
ـ **طالبة أخرى:** وكذلك النظر إلى الشكل من زاوية متعددة بإلغاء المنظور الخطي .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتن ، اتخذ الاتجاه التكعيبي مراحل فنية تطور فيها الأسلوب والأداء ، فما هي هذه المراحل ؟ .
ـ **طالبة:** أولى هذه المراحل هي المرحلة التمهيدية : هذه الفترة كانت خاصة لعمل الفنان (بول سيزان) ، حيث قام بتحول الطبيعة إلى مساحات هندسية .
ـ **طالبة أخرى:** ثاني هذه المراحل هي المرحلة التحليلية : اتبعا (بابلو بيكاسو) و(جورج براك) منهجاً جديداً ، وترتبط التكعيبية بالفلسفة الفيثاغورية ونظرتها إلى الوجود المرتبطة بالهندسة والرياضيات والأرقام ، فبذلك تكون التكعيبية فيثاغورية المذهب ، ومرورها بمراحل متعددة مستلهمة من (سيزان) الذي يعمد إلى تجزئة الشكل الهندسي .
ـ **طالبة أخرى:** المرحلة التركيبية : تميزت هذه المرحلة بتقنية الإلصاق وإدخال مواد غريبة (كالرمل وغيره) إلى اللوحة قادت التكعيبية إلى تحول جديد ، كان الفنانان قدم مهدا له منذ عام ١٩١٢م ، لذا تعد هذه المرحلة هي عملية إعادة تركيب الأشكال والسطوح والألوان إلى صور جديدة واستخدام تقنية الإلصاق (الكولاج) .
ـ **المدرسة (الباحثة):** نعم بارك الله فيكن جميعاً ، ثم تدون الباحثة المفاهيم الرئيسية لموضوع (المدرسة التكعيبية) على السبورة في صورة خريطة معرفية كالأتي ؟ .

الخطوة الثانية (معالجة المعلومات) (٦) دقائق : في هذه الخطوة من الدرس توجه المدرسة (الباحثة) الطالبات إلى أن ينشطن عن طريق الخريطة المعرفية وما توصلن إليه من الأفكار الواردة في الخطوة السابقة في التوصل إلى بناء المعلومات الجديدة لديهم ، إذ توجه المدرسة (الباحثة) طائفة من الأسئلة كالأتي :
ـ **المدرسة (الباحثة):** من تُعرَف لنا المرحلة التمهيدية ؟ .
ـ **طالبة:** هي المرحلة التي ظهرت للفترة (١٩٠٧م ـ١٩٠٩م) وكانت خاصة لعمل الفنان (بول سيزان) ، حيث قام بتحول الطبيعة إلى مساحات هندسية ، فلجأ إلى تحديد المساحات والأشكال معتمداً الاسطوانة ، الكرة ، المخروط ، كتحول وكترجمة جمالية ذاتية جديدة لأشكال الطبيعة .
ـ **المدرسة (الباحثة):** جيد ، من تُعرَف لنا المرحلة التحليلية ؟ .
ـ **طالبة:** هي المرحلة التي ظهرت للفترة (١٩٠٩م ــ١٩١١م) واتبعا فيها (بابلو بيكاسو) و(جورج براك) منهجاً جديداً ، وهو تجزئة الشكل إلى مسطحات متناغمة ، ثم تجميعها ومحاولة الرؤية المزدوجة لهذا الشكل في آنٍ واحدٍ ، في هذه المرحلة اختفى فيها العنصر الإنساني وانحصر بالشكل الهندسي .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتِ ، ماذا حلت محل العنصر الإنساني في اللوحة الفنية ؟ .
ـ **طالبة:** حلت محله الطلاءات وقطع الورق الملون اللاصق ، وبما في ذلك ورق الحائط والصحف والحروف والكلمات ، إذ كانت في هذه المرحلة تفتيت الأجسام إلى مكعبات ثُمَّ تركيب هذه المكعبات في أشكال ، وقد عمد (بيكاسو ، براك) إلى معالجة المكعبات والحجوم عن طريق التلاعب بالضلال للجسم الهندسي ، لخلق منظور له من عدة زوايا .
ـ **المدرسة (الباحثة):** جيد ، هل رأى رساموا التكعيبية أن الشكل يُرى جيداً من خلال نظرة مباشرة ؟ .
ـ **طالبة:** كلا ، بل يجب أخذ خطوة إلى يمين وخطوة إلى يسار ، لتكون النظرة شمولية دقيقة الوصف عن ماهية الأشياء ، فكان استخدامهم للأشكال المنبسطة التجريدية والمقسمة بمساحات هندسية رياضية .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتِ ، من هنا نستنتج هناك ارتباط بين التكعيبية والفلسفة الفيثاغورية ، من توضح لنا ذلك؟.
ـ **طالبة:** ترتبط التكعيبية بالفلسفة الفيثاغورية ونظرتها إلى الوجود المرتبطة بالهندسة والرياضيات والأرقام ، فبذلك تكون التكعيبية فيثاغورية المذهب ومرورها بمراحل متعددة مستلهمة من (سيزان) الذي يعمد إلى تجزئة الشكل الهندسي .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتن جميعاً ، ذكرتن سابقاً هناك مرحلة تسمى بالمرحلة التركيبية ، فماذا نقصد بها ؟ .
ـ **طالبة:** هي المرحلة التي ظهرت للفترة (١٩١٣م ــ١٩١٤م) حيث استخدم (بابلو بيكاسو) و(جورج براك) تقنية الإلصاق ، وإدخال مواد غريبة (كالرمل وغيره) إلى اللوحة قادت التكعيبية إلى تحول جديد ، كان الفنانان قدم مهدا له منذ عام ١٩١٢م .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتِ ، ما هو مفهوم تقنية الإلصاق أو ما تسمى بـ (الكولاج) ؟ .
ـ **طالبة:** تُعد هذه المرحلة هي عملية إعادة تركيب الأشكال والسطوح والألوان إلى صور جديدة واستخدام تقنية الإلصاق (الكولاج) ، أن التقنية القائمة على الإلصاق وإدخال مواد غريبة كالرمل ومواد أخرى إلى اللوحة أدى إلى تحول جديد إلى نوع من تقصي التجريد ، حيث لم يعد الموضوع يرتبط بظواهر الأشياء بقدر ما يرتبط بعالم الأفكار .
ـ **المدرسة (الباحثة):** جيد ، هل توجد صلة بين أسلوب كل من (بيكاسو وبراك) و(فان كوخ) ؟ .
ـ **طالبة:** نعم ، أن تجربة (بيكاسو وبراك) في لصق قطع القماش والخيوط وحبيبات الرمل ونحو ذلك على اللوحة مباشرة ، أنما يرجع أصلاً إلى أسلوب (فان كوخ) في تنويع لمسات الفرشاة الحافلة بالألوان .

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

ـ **المدرسة (الباحثة):** نعم بارك الله فيكن جميعاً .
الخطوة الثالثة (التنقيب عن المعلومات) (١٤) دقائق : في هذه الخطوة تحتاج الطالبات ممن لم تتمكنَّ من تقديم إجابات كاملة حول المفاهيم الرئيسية للموضوع إلى ما يطلق عليها السقالات وهي تلميحات أو بعض من المعلومات تساعدهم في عملية الوصول إلى الإجابات الكاملة ، ويتمثل دور المدرسة (الباحثة) في هذه المرحلة بالمشجعة الساندة التي تدفع إلى البحث عن الإجابات الصحيحة عن طريق تزويد المتعلمات ، بمفاتيح البحث والتنقيب في الأسئلة السابقة والأفكار التي توصلن إليها الأخريات من المتعلمات والزميلات وأيضاً طرح أسئلة أخرى مكملة لها .
ـ **المدرسة (الباحثة):** والآن عزيزاتي الطالبات فلننقب في الأسئلة السابقة مع أسئلة أخرى مكملة لها ، عمل فنانوا المدرسة التكعيبية على تقسيم الأشكال إلى سطوح هندسية ، واتسامها بعدد محدد من الألوان والتسطيح في التلوين وإهمال العمق ، لذا فهل تستمد المدرسة التكعيبية أشكالها من الطبيعة ؟
ـ **طالبة:** التكعيبية تستمد أشكالها من الشيء الطبيعي وأجزاءه فلم تكن الصورة عندها نقلاً عن الطبيعة ، وإنما تصوير عالم جديد خارج إحساس الفنان ، يعبر عنه بالأجسام المكعبة والاسطوانية والمخروطية ويتحول كل شيء إلى أشكال هندسية .
ـ **طالبة أخرى:** فهي تحويل ما تراه من أشكال إلى عناصره الهندسية الأولى من دائرة ومثلث ومربع ومستطيل إلى آخره .
ـ **المدرسة (الباحثة):** نعم ، أحسنتِما ، أن الأسلوب التنفيذي للمدرسة التكعيبية اتخذ من الأشكال الهندسية أساساً لبناء العمل الفني فاستخدم فنانوها الخط المستقيم والخط المنحني ، فكانت الأشكال فيها إما أسطوانية أو كروية وكذلك ظهر المربع والأشكال الهندسية المسطحة في المساحات التي تحيط بالموضوع ، وهذا واضح من خلال التأشير على لوحات المدرسة التكعيبية ؟
ـ **طالبة:** يُعد الفنان بابلو بيكاسو من أهم فناني المدرسة التكعيبية ، حيث رسم العديد من اللوحات ذات الأشكال الهندسية .
ـ **المدرسة (الباحثة):** نعم ، جيد بارك الله فيكِ ، ما هي أهم لوحات الفنان بابلو بيكاسو ذات الطراز التكعيبي ؟
ـ **طالبة:** لوحة المرأة الباكية ولوحة الجورنيكا ولوحات كثيرة أخرى .
ـ **طالبة أخرى:** عبر الفنان (بابلو بيكاسو) في لوحته أعلاه عن الحرب الأهلية الاسبانية من خلال رسمه المرأة الباكية ، وجسد في رسمه مبادئ المدرسة التكعيبية حيث كانت السيادة في اللوحة الفنية الشكل الهندسي ، فنجده استخدم المثلث وزواياه الحادة الواضحة وهذا ظاهر في المرأة إثناء قضمها على المنديل من شدة الحزن ، أما الخلفية فقد حافظ (بيكاسو) على خطوط مستقيمة ليركز المتأمل على مثلثاته المتكسرة على وجه هذه المرأة المفجوعة .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتِ ، وهذا واضح من خلال التأشير على لوحة المرأة الباكية ؟
ـ **طالبة:** كما يعبر وجه المرأة المرسوم في هذا العمل عن الصراع والضغوط النفسية التي يعاني منها الإنسان ، فوجه المرأة كعنصر بالمعنى الأكبر يشير إلى الإنسانية بوجه عام ، وكذلك فإن إحساس الألم والمرارة في بكاء هذه المرأة يعطي دلالات عن المأسي والصراعات التي تعاني منها البشرية .
ـ **المدرسة (الباحثة):** نعم ، وهذا واضح من خلال التأشير على اللوحة ؟
ـ **طالبة:** كما استخدم الفنان مجموعة متوازنة من الألوان الساخنة والباردة على درجة من التباين حتى يؤكد على معنى الصراع النفسي من خلال الصراع اللوني ، ويكمل هذا المعنى التوظيف الجيد للخطوط السوداء الخشنة القوية
ـ **المدرسة (الباحثة):** جيداً جداً ، أحسنتِ ، وهذا واضح من خلال التأشير على اللوحة ؟
ـ **طالبة:** تُعد لوحة الجورنيكا من اللوحات التكعيبية للفنان بابلو ذات المبادئ الهندسية .
ـ **المدرسة (الباحثة):** نعم ، وعلى ماذا دلت اللوحة المرسومة أمامكم ؟
ـ **طالبة:** مثلت لوحة الجورنيكا صرخة بوجه الحرب وشهادة حية على حجم البؤس والخراب الذي تخلفه الحروب بشكل عام .
ـ **طالبة أخرى:** اللوحة تصور فراغاً تناثرت فوقه جثث القتلى وأشلاؤهم الممزقة وهناك حصان في الوسط وثور إلى أعلى اليسار بالإضافة إلى مصباح متدل من الطرف العلوي للوحة ، وعلى الأرضية تمددت أطراف مقطعة لبشر وحيوانات بينما تمسك اليد الملقاة على الأرض بوردة وبسيف مكسور وإلى أعلى يمين اللوحة ثمة يد أخرى تمسك بمصباح .
ـ **المدرسة (الباحثة):** نعم ، وعلى ماذا دلت وظيفة المصباح في اللوحة ؟
ـ **طالبة:** ويبدو أن وظيفة المصباح المعلق في أعلى اللوحة هي تسليط الضوء على الأعضاء المشوهة لتكثيف الإحساس بفظاعة الحرب وقسوتها ، أما الثور إلى يسار اللوحة فليس واضحاً بالتحديد إلى ما يرمز لكن ربما أراد (بيكاسو) استخدامه مجازياً للتعبير عن همجية المهاجمين ولا إنسانيتهم .
ـ **طالبة أخرى:** وهناك ملمح مهم في هذه اللوحة وهو خلوها تماماً من أي أثر لمرتكبي الجريمة فليس هناك طائرات أو قنابل أو جنود وبدلاً من ذلك فضّل (بيكاسو) التركيز على صور الضحايا .
ـ **طالبة أخرى:** رسم اللوحة بأسلوبه التكعيبي الشهير مصوراً حال القرية أثناء الهجوم ولكنه حرم نفسه من الألوان المحببة إلى نفسه في اللوحة كالأزرق والأحمر ، واقتصر رسمها على اللونين الأسود والأبيض ودرجات من اللون الرمادي لتكون رمزاً وطنياً وعلامة مميزة على المأساة والرعب والدمار الذي يعاني أناس جثم عليهم الرعب والدمار والموت .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتن ، بارك الله فيكنَّ جميعاً ؟
الخطوة الرابعة ــ السياق المجتمعي (٧) دقائق : تستعمل الباحثة كافة الأساليب والتلميحات اللفظية مثل (جيد ، أحسنتِ ، بارك الله فيكِ ...) وغير اللفظية مثل (هز الرأس لقبول أفكار الطالبات عن موضوع الدرس أو رفضها) ، وفي ضوء ذلك تطرح الأسئلة الآتية للتقويم النهائي .

ج. التقويم / (٥دقائق)

في نهاية المطاف وقبل أن تقوم المدرسة (الباحثة) بإعطاء الواجب البيتي للطالبات ، تتأكد من أنه تمكنت من إيصال الموضوع إلى الطالبات وتحقق فهمهن ، بتوجيه بعض الأسئلة المتعلقة بالموضوع وكالآتي :
س١/ ما هي أسباب ظهور المدرسة التكعيبية .
س٢/ عددي خصائص المدرسة التكعيبية .
س٣/ ما المقصود بالمرحلة التمهيدية في المدرسة التكعيبية .
س٤/ كيف تميزين بين المرحلتين التحليلية والتركيبية في المدرسة التكعيبية .

س٥/ أعطي مثالاً على اللوحات التكعيبية للفنان بابلو بيكاسو .
س٦/ أنسبي اللوحات الفنية التكعيبية إلى فنانيها .

خامساً : الواجب البيتي (٢) دقائق

تطلب المدرسة (الباحثة) من الطالبات مراجعة الموضوع بما فيه من شرح وتوضيح ، وإعطاءهن واجب الدرس الآتي (المدرسة الرمزية) .

خطة نموذجية لتدريس المجموعة الضابطة على وفق الطريقة الاعتيادية

المادة : التربية الفنية **الموضوع :** المدرسة التكعيبية
الصف : الرابع الإعدادي / الأدبي **الزمن :** ٤٥ دقيقة

أولاً: الهدف التعليمي : تمكين الطالبات من اكتساب المفاهيم والمبادئ والمعارف والمعلومات عن المدرسة التكعيبية.
ثانياً: الأهداف السلوكية : تستطيع الطالبة بعد دراستها للوحدة التعليمية أن تكون قادرة على أن :
١. يكتب أسباب ظهور المدرسة التكعيبية .
٢. يعين خصائص المدرسة التكعيبية .
٣. يعبر عن المرحلة التمهيدية في المدرسة التكعيبية .
٤. يميز بين المرحلتين التحليلية والتركيبية في المدرسة التكعيبية .
٥. يعطي مثالاً على اللوحات التكعيبية للفنان بابلو بيكاسو .
٦. ينسب اللوحات الفنية التكعيبية إلى فنانيها .
ثالثاً: الوسائل التعليمية :(السبورة ، أقلام ملونة ، العارضة الالكترونية ، لوحات فنية للمدرسة التكعيبية) .
رابعاً: خطوات الدرس

أ. التمهيد (٢ ـ ٣) دقائق

من أجل تهيئة أذهان الطالبات تبدأ المدرسة (الباحثة) بتذكيرهن بمضمون الدرس السابق ، مع التأكيد على أهمية الدرس الحالي والذي سيتم تناوله بالشكل المفضل . ثم تقوم المدرسة (الباحثة) بطرح بعض الأسئلة من موضوع الدرس السابق لربطها بموضوع الدرس الجديد ، عزيزاتي الطالبات تكلمنا في الدرس السابق عن مفهوم المدرسة الانطباعية والتي تُعد من المدارس التشكيلية وتمثل حركة فنية حديثة نشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا في مجال الفن والأدب ، وقامت على مبدأ أن المهمة الحقيقية للفنان أو الأديب تقوم على نقل انطباعات بصره أو عقله إلى الجمهور المتلقي ، وتعد التأثيرية أو الانطباعية نقطة التحول المهمة في مسيرة الفن من الفنون الكلاسيكية إلى الفنون الحديثة .

ـ **المدرسة (الباحثة):** لماذا سميت بالمدرسة الانطباعية ؟
ـ **طالبة:** سميت بهذا الاسم لأنها تنقل انطباع الفنان عن المنظر المشاهد بعيداً عن الدقة والتفاصيل .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتِ ، اذاً ما هي الأساليب الفنية التي تقوم عليها طرق الأداء في الحركة الانطباعية ؟ .
ـ **طالبة:** تتمثل الأساليب الفنية في الحركة الانطباعية بالأسلوب التنقيطي : وهو رسم اللوحة بكاملها عن طريق النقاط الملونة المتجاورة ، وكلما اقتربت النقاط كان اللون غامقاً وبالعكس .
ـ **طالبة أخرى:** الأسلوب التقسيمي : ويعتمد على تقسيم السطوح إلى مجموعة ألوان متجاورة وصريحة دون أن يمزج الألوان أو يخلطها ، فالأصفر هو الأصفر والأزرق هو الأزرق .
ـ **طالبة أخرى:** رسم الأشكال أكثر من مرة : في لحظات متغيرة من النهار ، مثلاً يرسم منظراً للطبيعة في الصباح ، ثم يعود ليرسمه في الظهيرة ، ثم يرسمه في المساء عند غروب الشمس .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتن ، هل للمدرسة الانطباعية خصائص تميزها عن المدارس الأخرى ؟
ـ **طالبة:** نعم تميزت المدرسة الانطباعية بوضع الألوان بطبقات كثيفة على سطح اللوحة .
ـ **طالبة أخرى:** وكذلك التأكيد على المنظور اللوني أكثر من الخطي .
ـ **طالبة أخرى:** الاهتمام بوضع الألوان الفاتحة والحيادية واستبعاد الألوان الداكنة .
ـ **المدرسة (الباحثة):** أحسنتن ، ومن هم أشهر فنانيها ؟ .
ـ **طالبة:** أشهر فنانيها هم (بول سيزان وكلود مونيه واوغست رينوار وادوارد مانيه) .
ـ **المدرسة (الباحثة):** جيد جداً بارك الله فيكن جميعاً ، وبعد الاطلاع ومناقشة وتوضيح لوحات فناني المدرسة الانطباعية بشكل مختصر أكون قد هيأت أذهان الطالبات إلى موضوع الدرس الجديد لهذا اليوم المدرسة التكعيبية .

ب. العرض (٣٥) دقيقة

تعرفتن عزيزاتي الطالبات في الدرس السابق على موضوع (المدرسة الانطباعية) ، واليوم نتعرف على موضوع جديد وهو مفهوم المدرسة التكعيبية (أسباب ظهورها ، خصائصها ، مراحلها ، أسماء فنانيها ولوحاتها الفنية) ، ثم تقدم المدرسة (الباحثة) الدرس الحالي على وفق الخطوات الآتية :

١. كتابة العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية على السبورة بخط واضح ، وإثارة أذهان الطالبات حول الموضوع مفهوم المدرسة التكعيبية (أسباب ظهورها ، خواصها ، مراحلها ، أسماء فنانيها ولوحاتها الفنية) .
٢. تشرح المدرسة (الباحثة) موضوع الدرس ، فتتكلم عن أسباب ظهور المدرسة التكعيبية وخصائصها والمراحل التي مرت بها ولوحاتها الفنية ، وباستعمال بعض وسائل الإيضاح كاللوحات الفنية التوضيحية والتي تدل على الأشكال الهندسية والتي كانت إما أسطوانية أو كروية وكذلك ظهر المربع والأشكال الهندسية المسطحة في المساحات التي تحيط بالموضوع مع مناقشات الطالبات ، ثم تسأل الطالبات الأسئلة الآتية :

س١/ لماذا سميت بالمدرسة التكعيبية ؟
س٢/ هل هناك ارتباط بين التكعيبية والفلسفة الفيثاغورية ؟
س٣/ كيف تستمد المدرسة التكعيبية أشكالها من الطبيعة ؟
س٤/ ما هو مفهوم تقنية الإلصاق أو ما تسمى بـ (الكولاج) ؟

أثر أنموذج ابلتون في اكتساب مفاهيم التربية الفنية لدى طالبات المرحلة الإعدادية

س٥/ ما هي أهم لوحات الفنان بابلو بيكاسو ذات الطراز التكعيبي ؟

وتقوم المدرسة (الباحثة) بعد تلقي الإجابات ، ومن خلال عرض المادة وطرح الأسئلة والحصول على إجابات الطالبات بتعزيز الإجابات الصحيحة ، وتصحيح الخطأ منها بمشاركة الطالبات ، وهكذا لبقية عناصر الدرس .

ج. التقويم / (٥دقائق)

في نهاية المطاف وقبل أن تقوم المدرسة (الباحثة) بإعطاء الواجب البيتي للطالبات ، تتأكد من أنه تمكنت من إيصال الموضوع إلى الطالبات وتحقق فهمهن ، بتوجيه بعض الأسئلة المتعلقة بالموضوع وكالآتي :

س١/ ما هي أسباب ظهور المدرسة التكعيبية .

س٢/ عددي خصائص المدرسة التكعيبية .

س٣/ ما المقصود بالمرحلة التمهيدية في المدرسة التكعيبية .

س٤/ كيف تميزين بين المرحلتين التحليلية والتركيبية في المدرسة التكعيبية .

س٥/ أعطي مثالاً على اللوحات التكعيبية للفنان بابلو بيكاسو .

س٦/ أنسبي اللوحات الفنية التكعيبية إلى فنانيها .

خامساً : الواجب البيتي (٢) دقائق

تطلب المدرسة (الباحثة) من الطالبات مراجعة الموضوع بما فيه من شرح وتوضيح ، وإعطاءهن واجب الدرس الآتي (المدرسة الرمزية) .

ملحق (٧)

اختبار اكتساب مفاهيم التربية الفنية بصيغته النهائية

عزيزتي الطالبة ...

بين يديكِ اختبار يتكون من (٣٠) فقرة اختباريه تمثل الموضوعات التي درستيها خلال الكورس الدراسي الأول في سؤال واحد فأمعني النظر في قراءة كل فقرة ، ثم أجيبي عنها بما تراهِ مناسباً وعلى وفق التعليمات الآتية :

١. قراءة فقرات الاختبار بدقة قبل الإجابة عنها .
٢. الإجابة عن فقرات الاختبار من دون ترك أي فقرة .
٣. اكتبي الإجابة على ورقة الاختبار نفسها .
٤. تُعامل الفقرة المتروكة مثل الفقرة الخاطئة .

ت	الفقرات الاختبارية
١.	المدرسة التي سعت إلى تطبيق النظريات الحديثة الخاصة بقوانين البصريات وفيزياء الضوء هي : أ. الانطباعية ب. الكلاسيكية ج. المستقبلية د. الوحشية
٢.	يسمى أسلوب رسم اللوحة بكاملها عن طريق النقاط الملونة المتجاورة بالأسلوب : أ. المتمازج ب. التنقيطي ج. التجريدي د. التقسيمي
٣.	يعود سبب تسمية المدرسة الانطباعية كونها تنقل انطباع الفنان عن : أ. الفنانين الآخرين ب. مزج الحلم بالواقع ج. المنظر المشاهد د. تقاليد الفنون القديمة
٤.	اهتم فنانوا المدرسة الانطباعية في لوحاتهم الفنية بوضع الألوان الفاتحة والحيادية واستبعاد الألوان : أ. الحارة ب. الباردة ج. الأحادية د. الداكنة
٥.	جسد الفنان ادوارد مونش الضوء في لوحة : أ. النوم ب. تكوين ج. غداء على الحشائش د. الجورنيكا
٦.	ظهرت المدرسة التكعيبية نتيجة رفض الفنانون مبدأ محاكاة : أ. الأشكال الطبيعية ب. الأشكال الهندسية ج. بيئة الفنان د. اللاوعي للفنان
٧.	اهتم فنانوا المدرسة التكعيبية بالشكل دون : أ. الخطوط ب. الألوان ج. المضمون د. مناطق الظل
٨.	الفنان الذي قام بتحويل الطبيعة إلى مساحات هندسية هو : أ. سلفادور دالي ب. اندريه بروتون ج. جاكسون بولوك د. بول سيزان
٩.	استعمل الفنان التكعيبي تقنية الإلصاق وإدخال مواد غريبة كالرمل وغيره إلى اللوحة في المرحلة : أ. التمهيدية ب. التركيبية ج. التحليلية د. الزرقاء
١٠.	وظف الفنان بابلو بيكاسو المثلث وزواياه الحادة في لوحة : أ. المرأة الباكية ب. منظر ريفي ج. طوافة ميدوزا د. الفتاة البيضاء
١١.	يعتمد الفنان الرمزي في رسوماته على مبدأ العقل الباطن والذي أصبح فيما بعد معتقداً : أ. للواقعيين ب. للسرياليين ج. للانطباعيين د. للكلاسيكيين
١٢.	يطلق على المدرسة التي تصور موضوعاتها العمق الداخلي من الواقع للإنسان بـ : أ. الوحشية ب. المستقبلية ج. التنقيطية د. الرمزية
١٣.	مضمون لوحات الفنان الرمزي غامض ومبهم ويميل نحو : أ. الحركة ب. اللامبالاة ج. الانفرادية د. الخيال
١٤.	لا يوجد في لوحات المدرسة الرمزية اهتمام بـ : أ. المنظور ب. القيمة اللونية ج. الشكل د. الهيئة
١٥.	أشهر أعمال الفنان أوديلو ريدون هي لوحة : أ. البشارة ب. المعتوه ج. مشهد ليل د. العاشقان
١٦.	ظهرت المدرسة التعبيرية في ألمانيا سنة : أ. ١٩٠٧ ب. ١٩٠٨ ج. ١٩٠٩ د. ١٩١٠
١٧.	تميزت لوحات المدرسة التعبيرية بالتمرد على الواقعية و : أ. التجريدية ب. الرومانسية ج. الانطباعية د. المستقبلية

١٨.	يشير مفهوم الفن على وفق المدرسة التعبيرية بأنه تعبير عن التجارب العاطفية و : أ. القيم الروحية ب. حياة البؤس ج. الطبيعة د. الحروب
١٩.	تعتمد التقنية التي يتبعها الفنان التعبيري في رسوماته الفنية على : أ. تشويه وتحريف الأشكال ب. عنف اللون الواقعي ج. استثمار مصادر الاضطرابات د. جميعها
٢٠.	يُمثل الفنان ادوارد مونش الشعور بالهواجس أو تخيلات تثير القلق في لوحته : أ. الصرخة ب. حامل القوارير ج. أقنعة د. رجل صديق
٢١.	نشأ الفن الدادائي في مقهى من مقاهي زيورخ عام : أ. ١٩١٥ ب. ١٩١٦ ج. ١٩١٧ د. ١٩١٨
٢٢.	يُعد رائد ومروج الفوضوية الفنية والموضوعية في الفن الدادائي هو : أ. كارل أندر ب. جاكسون بولوك ج. دونالد جود د. توسان تازارا
٢٣.	أن من أهم مسوغات ظهور المدرسة الدادائية هي : أ. الحرية المطلقة ب. التمرد على التطور الصناعي ج. الثورة على مجازر الحروب د. رسم الواقع
٢٤.	أدخل الفنان الدادائي مواد غير مألوفة مثل الأوراق التالفة والمجلات والأسلاك كدليل على : أ. النفايات هي الفن ب. عملية التقطير ج. ربط العمارة بالفنون د. ظهور فن ما بعد الحداثة
٢٥.	أضاف الفنان مارسيل دوشامب شاربين وذقن على وجه لوحة : أ. امرأة مع الكيتار ب. الموناليزا ج. الفتاة البيضاء د. الانسه رفيرا
٢٦.	 أ. المستقبلية ب. الرومانسية ج. الواقعية د. الانطباعية
٢٧.	 أ. التكعيبية ب. الدادائية ج. الوحشية د. السريالية
٢٨.	 أ. االميتافيزيقية ب. الرمزية ج. الانطباعية د. المستقبلية
٢٩.	 أ. التجريدية ب. الكلاسيكية ج. التعبيرية د. التنقيطية
٣٠.	 أ. الكلاسيكية ب. المستقبلية ج. الرومانسية د. الدادائية

ملحق (٨)

القوة التمييزية ومعامل الصعوبة وفعالية البدائل الخاطئة لفقرات اختبار اكتساب المفاهيم

ت	معامل الصعوبة	معامل التمييز	فعالية البدائل الخاطئة			
			أ	ب	ج	د
١.	٠,٣٣	٠,٦١	صح	- ٠,٠٤	- ٠,١٠	- ٠,٠٣
٢.	٠,٥٤	٠,٥١	- ٠,٣٤	صح	- ٠,١٠	- ٠,١٦
٣.	٠,٣٥	٠,٦٢	- ٠,١٠	- ٠,٣٠	صح	- ٠,١٦
٤.	٠,٤٤	٠,٤١	- ٠,١٠	- ٠,١٣	- ٠,١٦	صح
٥.	٠,٤٣	٠,٥٩	- ٠,١٦	- ٠,٢٦	صح	- ٠,٠٤
٦.	٠,٥٢	٠,٤١	صح	- ٠,٢٣	- ٠,١٠	- ٠,١٦
٧.	٠,٥٥	٠,٤٨	- ٠,٢٣	- ٠,١٦	- ٠,١٠	صح
٨.	٠,٥٣	٠,٦١	- ٠,٠٣	صح	- ٠,٠٤	- ٠,١٠

٠,١٢ -	صح	٠,٠٣ -	٠,١١ -	٠,٤٤	٠,٤٣	٩.
٠,٠٤ -	٠,١٤ -	٠,٠٢ -	صح	٠,٣٣	٠,٥٠	١٠.
٠,١١ -	٠,١٦ -	صح	٠,٢٣ -	٠,٤٠	٠,٤٥	١١.
صح	٠,١٣ -	٠,١١ -	٠,١٠ -	٠,٤٤	٠,٥٥	١٢.
٠,١١٦ -	صح	٠,٠٦ -	٠,١٤ -	٠,٣٨	٠,٥٢	١٣.
٠,١٠ -	٠,١١ -	٠,٠٤ -	صح	٠,٥٥	٠,٤٦	١٤.
٠,١١ -	٠,٢٣ -	صح	٠,٠٤ -	٠,٤٨	٠,٥٨	١٥.
صح	٠,١٣ -	٠,١٠ -	٠,١٦ -	٠,٥٠	٠,٥٤	١٦.
٠,١١ -	صح	٠,٣٠ -	٠,٠٤ -	٠,٥٥	٠,٤٠	١٧.
٠,٠٢ -	٠,١١ -	٠,١١ -	صح	٠,٦٢	٠,٤٩	١٨.
صح	٠,٠٢ -	٠,٠٢ -	٠,١٣ -	٠,٤٤	٠,٦٨	١٩.
٠,١٠ -	٠,١٦ -	٠,١٤ -	صح	٠,٦٢	٠,٤٠	٢٠.
٠,١٦ -	٠,١٣ -	صح	٠,١٠ -	٠,٤٥	٠,٣٥	٢١.
صح	٠,٢٦ -	٠,١٦ -	٠,٠٤ -	٠,٦٠	٠,٥٢	٢٢.
٠,١١ -	صح	٠,١٠ -	٠,١٣ -	٠,٣٨	٠,٤٨	٢٣.
٠,١٦ -	٠,١٠ -	٠,١٤ -	صح	٠,٣٨	٠,٤٢	٢٤.
٠,٠٤ -	٠,١١ -	صح	٠,٣٤ -	٠,٤٠	٠,٥٠	٢٥.
صح	٠,١٠ -	٠,٠٣ -	٠,١٣ -	٠,٤١	٠,٣٢	٢٦.
٠,٢٦ -	٠,٠٤ -	٠,١١ -	صح	٠,٣٨	٠,٣٤	٢٧.
٠,١٠ -	٠,١٣ -	صح	٠,٣٠ -	٠,٤٤	٠,٣٨	٢٨.
٠,٠٢ -	صح	٠,١١ -	٠,١٦ -	٠,٥٥	٠,٥٢	٢٩.
صح	٠,٠٢ -	٠,١٠ -	٠,١٤ -	٠,٤٠	٠,٣٤	٣٠.

ملحق (٩)
مفتاح إجابات اختبار اكتساب المفاهيم الصحيحة

مفتاح الإجابة			
ت	البديل	ت	البديل
١.	أ	١٦.	د
٢.	ب	١٧.	ج
٣.	ج	١٨.	أ
٤.	د	١٩.	د
٥.	ج	٢٠.	أ
٦.	أ	٢١.	ب
٧.	د	٢٢.	د

٨.	ب	٢٣.	ج
٩.	ج	٢٤.	أ
١٠.	أ	٢٥.	ب
١١.	ب	٢٦.	د
١٢.	د	٢٧.	أ
١٣.	ج	٢٨.	ب
١٤.	أ	٢٩.	ج
١٥.	ب	٣٠.	د

ملحق (١٠)
درجات طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في اختبار اكتساب المفاهيم البعدي

المجموعة التجريبية			
ت	الدرجة	ت	الدرجة
١.	٢٨	١٦.	٣٠
٢.	٢٢	١٧.	٣٠
٣.	٣٠	١٨.	٢٧
٤.	٢٥	١٩.	٢٧
٥.	٣٠	٢٠.	٢٦
٦.	٢٧	٢١.	٢٨
٧.	٢٥	٢٢.	٣٠
٨.	٢٨	٢٣.	٢٤
٩.	٣٠	٢٤.	٣٠
١٠.	٢٩	٢٥.	٢٨
١١.	٢٧	٢٦.	٣٠
١٢.	٢٧	٢٧.	٣٠
١٣.	٢٦	٢٨.	٢٥
١٤.	٢٧	٢٩.	٢٨
١٥.	٢٦	٣٠.	٢٩

المجموعة الضابطة			
ت	الدرجة	ت	الدرجة
١.	٢٣	١٦.	١٥
٢.	١٨	١٧.	٢٤
٣.	٢٩	١٨.	٢٥
٤.	٢٧	١٩.	٢١
٥.	٢٤	٢٠.	١٩
٦.	٢١	٢١.	٢٥
٧.	٢٦	٢٢.	٢٦
٨.	٢٧	٢٣.	٢١
٩.	٢٥	٢٤.	٢٠
١٠.	١٥	٢٥.	٢٣
١١.	٢٦	٢٦.	٢٦
١٢.	١٩	٢٧.	١٧
١٣.	١٩	٢٨.	٢٦
١٤.	١٦	٢٩.	١٥
١٥.	٢٤	٣٠.	١٩

آثر العقيدة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد الاداري

م.د. أروى مؤيد محمود العاني
الجامعة المستنصرية/كلية التربية الأساسية

المستخلص:
يهدف هذا البحث الى الكشف عن توضيح معنى الفساد الاداري، واسبابه وعن دور العقيدة في حماية المجتمع من أثاره ومفاسده وطرق علاجها بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، مؤكداً بأن الفساد الاداري جريمة يأثم فاعله، وقد أكدت على ذلك الأدلة العقلية والنقلية كما تؤكد العقيدة الإسلامية بأن الإنسان يعيش عمره في هذه الحياة التي تعد مرحلة عابرة وهي فترة اختبار وابتلاء وأن الدنيا دار امتحان، وأن حياته الحقيقية تكون في الاخرة التي يجازى فيها الناس جميعاً على أعمالهم في الدنيا يوم يقوم الناس لرب العالمين.
مشكلة البحث:تكمن مشكلات البحث في دور العقيدة الإسلامية في معالجة الفساد الاداري الذي يعد من المشاكل المهمة في افساد المجتمع.
أهمية الموضوع وسبب اختياره: توضيح "دور العقيدة الاسلامية في معالجة والحد من الفساد الاداري" من خلال زرع الوازع الديني الذي يساعده على التحكم بتصرفات الناس والتقرب من الله ، للوصول الى أخلاق راقية تسمو بها النفس عن الرذائل، أما سبب اختيار الموضوع هو الحفاظ على النفس البشرية من وساوس الشيطان بتعزيز قيمة الدين الاسلامي في نفوسهم البشر.
اهداف البحث فرضيته:يهدف البحث بشكل أساسي إلى التعرف على مفهوم الفساد الإداري واليات مكافحته والوقاية منه من خلال دور العقيدة الإسلامية، وإبراز وبيان ما سبق به الإسلام منذ قرون عدة من طرق ووسائل في الوقاية من الفساد بشكل عام (والفساد الإداري بشكل خاص) ومكافحته في المجتمع. ويهدف ايضاً الى توثيق علاقة الانسان بربه عن طريق العقيدة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية:آثار الفساد، الترهيب، التعزيز، الوقاية.

Abstract:
Praise be to God, and may blessings and peace be upon the Messenger of God, his family, his companions, and those who follow him.
This research aims to reveal the clarification of the meaning of administrative corruption, its causes, and the role of faith in protecting society from its effects and corruptions and ways to treat them by referring to the Book of God and the Sunnah of His Messenger, may God bless him and grant him peace, stressing that administrative corruption is a crime whose perpetrator is guilty of sin. This has been confirmed by rational and traditional evidence, as is confirmed by the Islamic faith. That a person lives his life in this life, which is a passing stage and is a period of testing and trial, and that this world is a testing ground, and that his true life will be in the Hereafter, in which all people will be rewarded for their deeds in this world, on the Day when people will rise up before the Lord of the Worlds.Research problem:
The research problems lie in the role of the Islamic faith in dealing with administrative corruption, which is one of the important problems that corrupt society.

آثر العقيدة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد الاداري

The importance of the topic and the reason for choosing it:
Explaining "the role of the Islamic faith in addressing and reducing administrative corruption" by instilling the religious motive that helps him control people's actions and get closer to God, may God bless him and grant him peace, to reach refined morals that lift the soul above vices. The reason for choosing the topic is to protect the human soul from the whisperings of Satan. By enhancing the value of the Islamic religion in human beings.Research objectives and hypothesis:
The research aims primarily to identify the concept of administrative corruption and the mechanisms for combating and preventing it through the role of the Islamic faith, and to highlight and explain what Islam preceded many centuries ago in ways and means of preventing corruption in general (and administrative corruption in particular) and combating it in society. It also aims to strengthen man's relationship with his God through the Islamic faith.

key words:Effects of corruption, intimidation, reinforcement, prevention.

المقدمة:

الحمدُ للهِ الذي هدنا للإسلام، وصلى الله وسلم على سيدِنا محمدٍ، وعلى آلهِ وصحبه الاخيار ومن تَبِعَهُ بإحسان أمَّا بعدُ...
إن الدين الإسلامي المتمثل بالعقيدة الإسلامية قد شخص داء الفساد الاداري ووصف الدواء لمكافحته والوقاية منه منطلقا من كتاب الله وسنة رسوله ، وجاء بقواعد وأحكام شاملة هدفت إلى الحد من هذه الظاهرة قدر ما أمكن، واعتبرت أن كل فعل أو امتناع من شأنه أن يؤدي إلى مضرة أو مفسدة أو إفساد في الأرض هو أمر محرم شرعا ووجب عقابه في الدنيا والآخرة؛ بل وقد تعدت العقيدة الإسلامية ذلك باعتبارها أن مكافحة الفساد فريضة قائمة إلى يوم القيامة أوجبها الله تعالى على الناس اجمع.

خطة البحث:

وقد تم تقسيم البحث على مقدمة مسبوقة بملخص باللغة العربية والإنكليزية يتبعاها ثلاثة مباحث وقد ضم المبحث الأول ثلاثة مطالب بينت فيها تعاريف مصطلحات البحث، وقد تناولت في المبحث الثاني والذي كان يضم ثلاثة مباحث مدلوليه الفساد الإداري في كتاب الله وسنة رسوله واثاره في المجتمع، واما المبحث الأخير فقد تناولت فيه دور العقيدة في معالجة الفساد الاداري منتهية بخاتمة وقائمة بالمصادر المستخدمة في ثنايا البحث.
وقبل الشروع في تفاصيل البحث يجب التعريف بمصطلحات البحث ومدلولاته اللغوية والاصلاحية.
تعددت تعريفات الأثر في اللغة الى عدة تعريفات منها:
"أثَرُ الشيء هو حصول ما يدل على وجوده، يقال : أثر وأثّر والجمع الآثار(١)، قال تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا)" (٢)ومنها الأثَرُ هو: "بقية الشيء وخرجت في إثْره وفي أثَرَه أي بعده، وأتَتْرْتُه وتَأَثَّرْته تبعت اثَره"(٣) .
والاثر كذلك هو: الخبر وأثَّرَ فيه تأثيرا : ترك فيه أثراً "(٤)، ومنه ايضاً: "اثر الشيء يكون بعده وعلامته تكون قبله تقول: الغيوم والرياح علامات المطر ومدافع السيول: اثار المطر"(٥).
أمّا تعريف لفظ الاثر في الاصطلاح أيضاً تعددت فيه المعاني والاقوال ومنها:

آثر العقيدة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد الاداري

ما ذكره الجرجاني في كتاب التعريفات إذ ورد تعريف الأثر بثلاثة معانٍ" الأول، بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء" (٦).

والأثر أيضاً هو: "ما بقي من رسم الشيء، فهو إثْر بالكسر والسكون وبفتحها ايضا"(٧).

وعرف الاثر ايضاً بأنه:" حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة واثرت الحديث نقلته" (٨).

ويتبين– والله تعالى أعلم– بأن كل المعاني اللغوية، والاصطلاحية للأثر بأنها تدور حول نتيجة تحصل لحدوث سبب فتترك اثراً، كالتعرض لأي حادث لا سامح الله، ينتج عنه آثر.

كما تعددت المعاني اللغوية والاصطلاحية في لفظة العقيدة، ولا يسع البحث ذكرها جميعاً لذا سأذكر البعض منها في المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

العقيدة الإسلامية لغة: العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق من عقد يعقد عقداً، والعقد هو ربط الشيء بقوة وإحكام، والعقود: عهود ويدل العقد على الشد، والربط، الثبوت على الشيء، والالتزام به، والتأكد منه، والاستيثاق به(٩).

والعقيدة لفظة مأخوذة من العقد والعقد هو: "نقيض الحل؛ عقده يعقده عقداً"(١٠)، ويأتي معنى العقيدة ايضاً: "الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده"(١١).

وقد ذكر معنى العقيدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)(١٢). (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) (١٣).

والأعقد من كان ثقيل اللسان لقوله تعالى: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي)(١٤).

وفي الحديث الشريف: ((الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ))(١٥).

العقيدة الإسلامية اصطلاحاً: جاء تعريف العقيدة في الاصطلاح بأنها: "علم يبحث فيه إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية"(١٦).

وجاءت بمعنى التصديق والاطمئنان: بمعنى "الأمور التي يجب أن يُصدّق بها قلبك، وتطمئنَّ إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك"(١٧).

والتعريف الراجح للعقيدة الاسلامية هي: "طبيعية شاملة لا ينحرف عنها إلا المتعنتون"(١٨).

والعقيدة بتعريف اخر: هي "ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل، وسمي هذا العلم بالعقيدة لأجل ذلك، بخلاف الفروع، فالمقصود منها العمل بالجوارح كالصلاة والصيام وغيرها" (١٩).

وتبين مما سبق ذكره ارتباط المعنيين اللغوي والاصطلاحي بشكل واضح، تمكن من خلاله استنتاج تعريف شامل للعقيدة الإسلامية: فهي الجزم والتصميم على الشيء، وملازمة القلب له والربط عليه بقوة حتى لا يتفلت منه أبدا.

وردت كلمة الفساد في معاجم اللغة العربية بمعان متعددة منها، أن الفساد نقيض الصلاح، فَسَدَ، يَفسُدُ ويُفسِدُ وفسُدَ فساداً وفسوداً فهو فاسد(٢٠).

والفساد في اللغة: هو أخذ المال ظلماً، والمفسدة ضد المصلحة، واستفسد: ضد استصلح(٢١).

وقال الراغب الاصفهاني: "الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج أو عنه كثيرا، ويضاده الصلاح"(٢٢).

تعددت التعريفات لمفهوم الفساد الاداري في الاصطلاح بتعدد جوانبه المتعلقة به واتجاهاته المختلفة؛ وذلك تبعاً لاختلاف الثقافات والقيم السائدة. كما يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر إليها من خلالها المهتم ما بين رؤى سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو إدارية، وهو ما يبرر الاختلاف في تحديد مفهوم الفساد(٢٣).

الفساد الاداري: هو كل المعاصي والمخالفات لأحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها والعمل بها(٢٤)، والفساد: "بتناول جميع الشر"(٢٥).

آثر العقيدة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد الاداري

والفساد الاداري: هو حالة يتم فيها صرف وسيلة قرار معين عن هدفه المعتمد حذفه لهدف ومصالح خاصة(٢٦).
ويعرف الفساد الاداري ايضاً: أنه إساءة استخدام السلطة من قبل شخص في وظيفة عامة، بهدف تحقيق نفع شخصي، أو فئوي وما إليهما(٢٧).

المبحث الأول:

مدلوليه الفساد الاداري من الكتاب والسنة وآثاره على المجتمع

إن لفظة الفساد في العقيدة الإسلامية تستمد معانيها من كتاب الله العزيز الذي تناول مدلول الفساد في آيات كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ومن ذلك ما يأتي:

أولاً: مدلوليه الفساد من القران الكريم.

ورد في القرآن الكريم مدلوليه الفساد حوالي خمسين(٥٠) مرة بهيئات الفعل وتصريفاته، والمصدر واسم الفاعل(٢٨)، كما وردت أيضاً مفاهيم أخرى تدل على الفساد في العديد من الآيات القرآنية كالغش والتبذير والإسراف والربا والاكتناز وغيرها.

وقد بين القرآن الكريم نظرته لهذه الآفة الخطيرة، وبين أن هناك شبه، وتلازم بين مصطلح الفساد وبين كلمة من مجموع الآيات، الأرض، وقد ورد هذا التلازم في نحو أربعين آية، وهي بلغة الحساب ثمانين بالمائة تقريبا والقرآن يستعمل مفردة الفساد بمعنى أوسع إذ يشمل الفساد العقائدي والسلوكي والسياسي والأخلاقي والمالي والإداري وغيرها(٢٩).

ويأتي التعبير أيضاً على مدلول (فساد) بمعان عدة وذلك بحسب موقعه في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى:

١. (وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)(٣٠). إذ تبين الآية القرآنية الكريمة عدم ظلم الناس وعدم الغش وعدم الافساد في الأرض، فلا تنقصوهم مما استحقوه شيئاً، فالخيانة والفساد في المكيال والميزان مبالغة في الفساد في الأرض(٣١).

٢. (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(٣٢).

٣. قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)(٣٣).

٤. قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)(٣٤).

٥. قوله تعالى: (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)(٣٥).

يتبين من الآيات القرآنية السابقة الذكر أنفاً أن الفساد هو معصية الله ؛ وذلك لأن من عصى الله(عزوجل) في الأرض، أو أمر بمعصية فقد أفسد في الأرض، لأن إصلاح الأرض والسماء يكون بالطاعة، وقد حذر الله(عزوجل)من الفساد(٣٦).

ويتضح من معاني الفساد الاداري الوارد في الآيات القرآنية الكريمة أن الفساد الوارد في القرآن الكريم عام وشامل، فهو يشمل جميع المعاصي والمخالفات لأحكام العقيدة والشريعة الإسلامية ومقاصدها. وقد حذر القرآن الكريم من الفساد والمفسدين في كثير من النصوص القرآنية، فقد انطلقت العقيدة الإسلامية من خلال القران الكريم لمكافحة هذا الداء الخطير ومعالجته والحذر منه.

ثانياً: مدلوليه الفساد من السنة النبوية.

وردت أحاديث كثيرة تتكلم عن مدلوليه الفساد والمفسدين، وسنكتفي بذكر طائفة من تلك الأحاديث:

١. عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول:((الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ))(٣٧).

٢. عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ،

آثر العقيدة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد الاداري

قَالُوا: بَلَى، قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ))(٣٨).

٣. عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريبا، فطوبي للغرباء، قالوا: يا رسول الله، وما الغرباء؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس))(٣٩).

ومن خلال الأحاديث النبوية الشريفة يتبين مدلوليه الفساد في السنة النبوية والتي نهت عن الفساد بكل أنواعه نهياً تاماً؛ وذلك لأن الفساد الاداري مهما كان نوعه يضر المجتمع والعقيدة الإسلامية، ويسبب فساد المجتمع فانطلقت العقيدة الاسلامية من خلال كتاب الله وسنة رسوله للحد من هذه الفة الخطيرة المضرة للمجتمع.

ثالثا: أثار الفساد الاداري في المجتمع.

تسبب الفساد الاداري في مختلف المجالات في توليد الكثير من المآسي لآلاف الملايين من البشر عبر التاريخ وعلى مر الزمن، ويحاول أهل العقيدة والمصلحون وأصحاب الضمائر الحية للحد من آثار الفساد الاداري المدمرة على المجتمعات والدول ومكافحته بجميع الوسائل وخفض مستويات الظلم المتولد عنه ووضح حد للمفسدين، ومن اثار الفساد الاداري في المجتمع(٤٠):

١. يتسبب الفساد الاداري في خفض معدلات النمو الاقتصادي مما يسبب تباطؤ مسيرة التنمية في المجتمعات، إذ يحاول الفاسدون وضع العراقيل في وجه الاستثمار للاستئثار بمجالاته وللحصول على مكاسب غير مشروعة فاسدة مما تسبب خلل كبير في مجال الاقتصاد والتنمية، مما يعود على بالخطر على الدولة والمجتمع إذ يسبب برفع تكاليف الاستثمار وخفض مستوياته ويشوه تركيبته بكل الصور. مما يتسبب به أيضا هو قصور تغطية الخدمات الحكومية والخاصة وتردي البنية الأساسية والتحتية ونوعيتها مؤدياً إلى خفض معدلات النمو الاقتصادي للدولة.

٢. ومن آثار الفساد الاداري هو زيادة البطالة مما يقود إلى خفض معدلات النمو الاقتصادي ومعدلات الانتاج الناتج عن الفساد مما يؤدي إلى تراجع معدلات نمو التوظيف وازدياد معدلات البطالة في الدولة. ويؤدي الفساد أيضاً بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى انخفاض إنتاجية العمالة وتراجع الدخول. وينتج عن فساد التوظيف تراجع مستويات المواءمة بين المهارات والوظائف مما يخفض من معدلاته الإنتاجية ويقلل من معدلات نمو الناتج المحلي.

٣. ومن آثار الفساد الاداري زيادة الفقر والمجاعة وسوء توزيع الدخل ورفع تكاليف المعيشة إذ ترفع عمولات ومدفوعات الفساد من تكاليف الأنشطة الاقتصادية والتي تضاف إلى أسعار السلع والخدمات وتدفع معدلات التضخم وتكاليف المعيشة إلى مستويات أعلى. ويؤثر الفساد بدرجة أكبر على الفقراء ويفاقم من معضلات الفقر بصورة أو باخرى، إذ يقود عدم استطاعتهم لدفع الرشا وضعف علاقاتهم بالمسؤولين الحكوميين إلى فقدانهم الكثير من حقوقهم، مما يؤدي إلى تفاقم من معضلات الفقر ويزيد من تباين الدخول بين الشرائح الاجتماعية المختلفة وتنخفض عدالة توزيع الدخل بين هذه الشرائح.

٤. ويؤدي الفساد الاداري إلى التعدي على حقوق الإنسان والمجتمع مما يقود إلى انتشار الفساد ويزيد من قوة المفسدين وتحالفهم مع السلطة إلى استخدام كافة الوسائل البشعة للوصول إلى أهدافهم بما في ذلك القتل والتعذيب والسلب والنهب والتعدي على الأعراض وسجن الأبرياء والفقراء، وغير ذلك من الوسائل التي تضر المجتمع وتخالف شريعتنا الإسلامية. إذ تكثر في الدول الفاسدة حالات الظلم والقتل والتعدي على حقوق الإنسان. وحتى لو لم تحدث هذه المظالم فإن الفساد بحد ذاته يمثل تعدياً قوياً على حقوق الإنسان من خلال الإضرار بأحوال وحقوق الضعفاء والتي يقوم بها المتجاوزون المجرمون والمعتدون الفاسدون.

٥. ويؤدي انتشار الفساد الاداري في المجتمع إلى تراجع مستويات العدالة الاجتماعية والتي تؤدي بدورها إلى تتراجع مستويات العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد الأمة بسبب الفساد الاداري، مما قد يولد حنقاً بين المكونات الاجتماعية ويهدد السلم الاجتماعي والاستقرار الامني والاجتماعي والسياسي.

٦. ومن اثار الفساد الاداري أيضاً تراجع الثقة بالمؤسسات الحكومية وغير الحكومية والتي تعتبر فعالية المؤسسات الحكومية

من المتطلبات الأساسية للتنمية والعدالة المجتمعية. وتتطلب فعالية الأنظمة الحكومية ثقة المجتمع بالمؤسسات الحكومية وقدرتها على تنفيذ البرامج الحكومية بأمانة وإخلاص(٤١).

٧. ويؤدي الفساد الاداري إلى امتناع الموظف عن تأدية العمل المطلوب منه، إذ يمتنع الموظف أو يتهرب في بعض الأحيان من ممارسة الصلاحيات المخولة له وهذا ناتج عن عدم ثقة الموظف بقدراته وخوفه من الوقوع في الخطأ وتحمل نتائجه مما يترك آثار سلبية وأزمة ما بين المواطن والموظف تقود إلى الفساد الاداري.

٨. ومن اثار الفساد الاداري سوء استخدام السلطة، إذ يعد سلوكا غير أخلاقي، إذ يستغل الموظفون العموميون مواقعهم وصلاحياتهم في ظل غياب الرقابة التي تقود إلى سوء إستغلال السلطة.

المبحث الثاني:

دور العقيدة في معالجة الفساد الاداري

لما كان الفساد نقيض الصلاح، والفساد يقع على النفس والبدن، ويوصف بالفساد أنه كل ما هو خارج عن الاستقامة والسلوك الصحيح والعقيدة الإسلامية، فإن من أعظم مقاصد العقيدة والشريعة الإسلامية هو جلب المنفعة ودرء المفسدة، وقد ذهب العلماء إلى أبعد من ذلك حين قدموا درء المفسدة على جلب المنفعة، فإن تعارضت مصلحة ومفسدة وكان لا بد من ظهور المصلحة درءٍ لوقوع المفسدة، فإن العقيدة الإسلامية تسعى دائماً لتحقيق المصلحة انطلاقاً حديث الرسول وذلك لان العقيدة اعتنت بالمنهيات أكثر من عنايتها بالمأمورات، عن أبو هريرة قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: ((فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))(٤٢)، والحديث واضح في الدعوة التي نهت عن اجتناب المنهيات كلها دون قيد، أما المأمورات فالدعوة فيها لإتيان المستطاع دون سواء، وقد حارب القرآن الكريم الفساد وتوعد المفسدين بالخزي في الدنيا والعقاب في الآخرة(٤٣).

وقد ورد في العقيدة العديد من الشواهد القرانية التي تظهر بشكل جلي ولا تدع للشك في نهيه عن فعل الفساد مهما صغر حجمه أو كبر تأثيره، إذ أن من أهم المنطلقات الشرعية والعقدية التي يرتكز عليها مجال كثير من علماء الأمة في استنباط أحكامهم الشرعية ما ورد عن النبي الكريم بقوله "لا ضرر ولا ضرار".

وقد تصدت العقيدة الإسلامية لدرء الفساد الإداري ومعالجته: العديد من الوسائل للحد من ظاهرة الفساد الاداري إذ أن الإسلام في شموله اهتم بظاهرة الفساد فشخص الداء ووصف له الدواء، فلو عدنا إلى سورة الإسراء بمفردها لوجدنا الإبداع الرباني ينبه الناس إلى كل أشكال الفساد ويحث على تفاديه، لقوله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا)(٤٤) مشيرة للفساد والإصلاح لتعطي درساً بليغاً ينبه لعن السلوك القويم.

وقد جاء الإسلام والعقيدة الإسلامية، في أولوياتها مكافحة الفساد وملاحقة المفسدين، فالله لا يحب الفساد ولا يصلح عمل المفسدين، والدار الآخرة هي من نصيب أولئك الذين قدموا أنفسهم كقرابين للصلاح ولمواجهة الفساد: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)(٤٥)؛ ولذلك تشد الإسلام في معاقبة المفسدين؛ لإعادة الحق إلى أصحابه، ولمنع حركة الفساد من أن تتوسع وتمتد من خلاله، أولا وقد كانت القدوة عبر التاريخ الإسلامي هي الأساس في تطبيق الشريعة وسيادة الفضيلة، فإذا صلح الراعي صلحت الرعية، ودور ولي الأمر في منع الجريمة أساسي، ولو صلح لصلحت الرعية، ولو فسد لفسدت الرعية(٤٦)، وفي هذا المقام التأكيد على دور (القدوة) سواء في البيت أو المدرسة أو العمل أو ما إلى ذلك في إصلاح ونجد لزاما الفرد والمجتمع، فالتنشئة الأسرية والتربية المدرسية يعتبران أول خطوات تقويم سلوك الفرد وخروجه إلى العمل ليساهم في بناء المجتمع السوي والمنتج(٤٧).

إلا أن إذا اقترف الفرد فعلا من الأفعال التي تؤدي إلى مفسدة أو فساد اداري في الأرض فإنه مردوده إلى الله ليحاسبه عن فعله وجريمته للآخرين عن تقليد هذا المقتدى وانطلقت العقيدة الإسلامية في ظل الشريعة الإسلامية بوضعت من الأدوات الدنيوية لعقاب المفسدين ومن ذلك، فقد قسمت الشريعة الإسلامية الأفعال عن طريق العقاب الدنيوي عاقب عليها إلى

آثر العقيدة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد الاداري

طوائف ثلاثة جرائم(٤٨):

الأول: جرائم الحدود وهي ما ارتكب في حق الله تعالى

الثاني: جرائم القصاص والدية أي العدوان على الأفراد كالقتل والجرح.

الثالث: جرائم التعزير وهي الجرائم المتعلقة بالاعتداء على الأفراد أو أموالهم ولم توضع لها عقوبة شرعية محددة فهي لا تدخل في الطائفتين السابقتين وسيكون العقاب عليها خاضعا لتقدير القاضي حسب جسامة الفعل المنسوب إلى المحكوم عليه، وذلك كالتوبيخ أو الغرامة أو الحبس أو الجلد، وهذه الجرائم لم تنص عليها كلها الشريعة الإسلامية بل تركت القسم الأغلب منها لأولي الأمر وأناطت بهم تحريم بعض الأفعال أو إيجاب إثبات البعض الاخر وذلك بقصد صيانة الجماعة وتنظيمها والحفاظ عليها وعلى أمنها ونظامها، بشرط أن لا يخرج أولو الأمر في ذلك عن نصوص الشريعة الغراء أو مبادئها وكلياتها.

وقد استخدمت العقيدة الإسلامية المسؤولية الأُخروية والتذكير بها كوسيلة من وسائل مكافحة الفساد الاداري والوقاية منه وتؤكد على أن الإنسان له رجعة أُخروية يحاسب فيها عن أعماله وما كسبت يداه أمام الله وهو العدل الذي لا يظلم عباده شيئا، وعملت الشريعة الغراء على التذكير الدائم بهذه الحقيقة العظمى، وهذا التذكير جاء لكي يعظم أمر الخشية من الله في قلوب عباده وبالتالي يتقي العباد الوقوع في كل أمر منهي عنه مهما صغر(٤٩).

فالدين الإسلامي هو أكثر الأديان معرفة بنفسية البشر وكيفية معالجتها، ولذلك نجده قد استخدم أسلوبين لمعالجة ذلك الفساد، وهما أسلوب الترغيب والترهيب: ويقصد بأسلوب الترغيب: استخدام أساليب التحفيز المختلفة التي من شأنها أن تجعل الموظف يقوم بعمله بشكل كامل وكان النبي يستخدم في إدارته للدولة الإسلامية أسلوب الترغيب والترهيب، فكان يحبب لهم عمل الخير وينهاهم عن فعل الشر(٥٠).

أما أسلوب الترهيب: فيعتني باستخدام أسلوب التخويف بأنواعه المتدرجة ويشار إليها في الإدارة الحديثة بالحافز السلبي، ويتمثل أسلوب الترهيب لمكافحة الفساد الإداري في مفهوم الرقابة على أداء العاملين بهدف كشف الأخطاء وتصحيح الانحرافات قبل أن تستفحل، وتبدأ الرقابة للفرد المسلم بالرقابة الذاتية التي يمارسها الموظف المسلم على نفسه بدافع من ضميره الحي، غير أن الإنسان بشر معرض للخطأ وقليل من الناس من تردعه نفسه عن الزلل ولذلك فإن المرء يحتاج إلى رقابة عليه، ولقد جعل الله تعالى مسئولية الرقابة مسؤولية جماعية تقوم بها الدولة والمجتمع المسلم بأكمله(٥١).

ومما سبق يتضح بأن الشعور الديني يعتبر خير وازع للإنسان لسلوك الطريق المستقيم وعدم ارتكاب المفاسد والمعاصي، فلو استطاع الهروب من عقاب الدنيا فهو بالتأكيد لن يتمكن من أن يفلت من عقاب صاحب التشريع السماوي، إلا أن ذلك لم يمنع النفوس الضعيفة من مخالفة أوامر الله(عزوجل)، وارتكاب نواهيه، لذا كان واجبا إيجاد الوسائل الرادعة في الدنيا لمنع مثل هؤلاء المعتدين على أوامر الله.

الخاتمة:

الحمد لله الهادي إلى الصواب، وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الوهاب، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن أحيا سنته إلى يوم الدين وبعد.

جاء الدين الإسلامي بمصادره التشريعية الأساسية (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة) ومصادره الفرعية(كالقياس والاجتهاد وسد الذرائع وغيرها) للوقاية من الفساد الاداري هذا الداء السام القاتل، مهما كان سياسياً أم إداريا ً كان أم اجتماعيا ام اقتصاديا فقد اتت العقيد الإسلامية بنظرة شمولية لمكافحة الفساد الاداري بشتى أنواعه منطلقة من الشريعة الإسلامية التي شخصت الداء وبينت الدواء في هذا الجانب.

وتم التوصل من خلال هذا البحث إلى جملة من التوصيات:

١. أهمها ضرورة الاهتمام بتنمية الوازع الديني لدى عموم المواطنين للحث على النزاهة ومحاربة الفساد الاداري عبر وسائل الإعلام المختلفة، وخطباء المساجد والعلماء والمؤسسات التعليمية وغيرها للحد من انتشار هذا الداء الخطير.

آثر العقيدة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد الاداري

٢. اعداد حملات توعية وطنية تحذر من وباء الفساد الاداري وأثاره المدمرة على المجتمع وقمع الفساد والمفسدين، وحث المواطنين على التعاون والتكاتف مع الجهات المعنية بمكافحة الفساد الاداري.

٣. الإبلاغ عن جرائم الفساد ومرتكبيها.

٤. توجيه العلماء وطلبة الإدارة والباحثين ممن لديهم سعة إطلاع في العلوم الشرعية والعقدية إلى إجراء مزيد من البحوث والدراسات التي تبين دور العقيدة الإسلامية في الحد من هذه الآفة الخطيرة وتجنب آثارها المدمرة.

٥. وضع استراتيجيات او خطط عن طريق الاهتمام بالأخلاق العامة للوظيفة من خلال غرس القيم الذاتية (الدينية، الوطنية، الأخلاقية).

فالحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آلهِ وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

الهوامش:

(١) المفردات في غريب القران، ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية، بيروت– دمشق، ط١، ١٤١٢هـ: ص ٦٢.

(٢) سورة الحديد، من الآية: ٢٧.

(٣) لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين حمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري(ت:٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، واخرون، دار المعارف القاهرة، د. ط، د. ت: ٢٥/١.

(٤) القاموس المحيط، مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتبة التراث، اشراف: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م: ص٣٤١.

(٥) معجم الفروق اللغوية، ابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيان، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ: ص ١٥.

(٦) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، تحقيق: مجموعة بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م: ص٩.

(٧) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ايوب بن موسى الحسيني الكفوي ابو البقاء الحنفي(ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، د. ت: ص٤٠.

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري(ت:١٠٣١هـ)، عالم الكتب القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م: ص٣٨.

(٩) ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت: ١٤٠/١؛ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩ هـ– ١٩٧٩م: ٨٦/٤؛ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة، دار الهداية، د. ط، د. ت: ٣٤٩/٨.

(١٠) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي.(ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، د. ت: ٢٩٦/٣.

(١١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، د. ط، د. ت: ٦٤١/٢.

(١٢) سورة المائدة، من الآية: ١.

(١٣) سورة المائدة، من الآية: ٨٩.

(١٤) سورة طه، الآية: ٢٧.

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، حديث رقم (٢٨٥٠): ٢٨/٤. صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: مجموعة مؤلفين، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر المحمية، ط١، ١٤٢٢هـ.

(١٦) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(ت:٧٩١هـ)، باكستان، دار المعارف النعمانية، د. ط، ١٤٠١هـ–١٩٨١م: ص١٦٣.

(١٧) العقائد، حسن البنا، دار القلم الشهاب، القاهرة، د. ط، د. ت: ص٧.

(١٨) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ: ص١١٧.

(١٩) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، تحقيق: مجموعة مؤلفين، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م: ص ١٥٨.

(٢٠) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٣/٣٤٥.
(٢١) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ط٣، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م: ١/٣٢٠، فصل الفاء باب الدال.
(٢٢) المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، د. ط، د. ت: ٢/٤٩١، كتاب الفاء.
(٢٣) ينظر: الفساد وآليات مكافحة، أحمد أبو دية، منشورات الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة، أمان القدس، ط١، ٢٠٠٤م: ص٢.
(٢٤) ينظر: سياسة الإسلام في الوقاية والمنع من الفساد، معاوية أحمد سيد أحمد، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المجلد الأول، ص٢١٠.
(٢٥) مجموع الفتاوى، الإمام ابن تيمية، تحقيق: عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء – المنصورة، د. ط، ١٩٩٧م: ٧/ ٨٣.
(٢٦) ينظر: الأزمات والفساد الإداري، عاصم حسين، المجلة العلمية لكلية التجارة، جامعة الأزهر بالقاهرة، العدد٢٥، ٢٠٠٣م: ص١٧٩.
(٢٧) ينظر: الفساد كظاهرة عالمية وآليات ضبطها، داود خير الله، ندوة الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية، بيروت، المعهد السويدي بالإسكندرية، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م: ص٤١٥.
(٢٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٣٦٤ هـ: ص٥١٨، ٥١٩، مادة فسد.
(٢٩) ينظر: مفهوم الفساد وأنواعه في ضوء نصوص القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، البشير علي حمد الترابي، مجلة جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية، العدد ١١، ٢٠٠٥: ص ١١١؛ التعريف بالفساد وصورة من الوجهة الشرعية، محمد أحمد الصالح، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٣م: ١/ ١٢٣.
(٣٠) سورة هود، الآية: ٨٥.
(٣١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م: ٩/ ٨٦؛ جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ .– ٢٠٠٠م: ١٥/ ٤٤٥.
(٣٢) سورة الروم، الآية: ٤١.
(٣٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.
(٣٤) سورة البقرة: الآيتان: ١١، ١٢.
(٣٥) سورة النمل، من الآية: ١٤.
(٣٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام الطبري: ١/ ٢٨٨.
(٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢): ١/٢٠.
(٣٨) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب (٥٦) حديث رقم (٢٥٠٩): ٤/٦٦٣، قال الألباني: حديث صحيح. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: مجموعة مؤلفين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
(٣٩) رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب: ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً، حديث رقم (٢٦٢٩): ٥/١٨، قال الألباني: حديث صحيح.
(٤٠) ينظر: هكذا حكم الإسلام، حمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتبى، بيروت، ط ٥، ٢٠٠٣م: ص٥٨؛ (مفهوم الفساد ومعاييره)، محمود عبد الفضيل، مجلة المستقبل العربي، بيروت، السنة (٢٧)، العدد(٣٠٩)، نوفمبر، ٢٠٠٤م: ص ٣٥.
(٤١) ينظر: (الفساد الإداري والمالي: الأسباب والنتائج، وطرق العلاج) يوسف خليفة اليوسف، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد(٣٠)، العدد (٢)، ٢٠٠٢م: ص ٢٢٢؛ الإسلام حياة أفضل، محمد تقي المدرسي، دار محبي الحسين ، كربلاء ط٢، ٢٠٠٣: ص ٦٧.
(٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ، حديث رقم (٧٢٨٨): ٩/٩٤.
(٤٣) ينظر: مفهوم الفساد وأنواعه في ضوء نصوص القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، البشير علي حمد الترابي: ص ١١٥؛ معالجة القرآن الكريم لخطر الفساد، أحمد شحروري: ص٤٩٢. موقع على النت على الرابط الاتي: http//www./localhost/mohafatha/details.php?id.
(٤٤) سورة الأسراء، الآية: ٤.
(٤٥) سورة القصص، الآية: ٨٣.
(٤٦) ينظر: رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي، نبيل موفق، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتن ة، الجزائر، ٢٠١٤م – ٢٠١٥م: ص ١٢٥؛ المنهج الإسلامي في مواجهة الفساد والمفسدين، علي عبد الباقي، منشورات موقع لواء الشريعة، ٧/٨/٢٠٠٨، على الرابط الاتي.(http//www.shareah.com) :
(٤٧) ينظر: الخدمة المدنية على ضوء الشريعة الإسلامية، محمد عبد الله الشباني، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٣٩٧ .– ١٩٧٧م: ص٦٥.
(٤٨) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوى، دار النفائس، الأردن، ١٤٢١هـ

– ٢٠٠١م: ص ٨٧؛ مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد بن سعد اليوبى، دار الهجرة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م: ص ٩٥؛ معوض، فؤاد محمد، تأديب الموظف العام في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، منشورات موقع مكتبة النشار: ص٢٠٣، على الرابط الاتي: .(http//www.sharjah.ac.ae/library/information)

(٤٩) ينظر: الرقابة على أعمال الإدارة في الشريعة الإسلامية والنظم المعاصرة، سعيد عبد المنعم، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م: ص ٢٩١.

(٥٠) ينظر: الأمانة في الأداء الإداري مهدي بن إبراهيم بن محمد مبجر، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة، السعودية، ط١، ١٩٩٤م: ص١١٣؛ الفساد الإداري ومعالجته من منظور إسلامي، يوسف بحر: ص ٢٥. على الرابط الاتي: (//http www.scc-online.net).

(٥١) ينظر: نظريات في الإدارة التربوية، فريز محمود احمد الشلعوط، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، د. ط، ٢٠٠٢م: ص ٣٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الأزمات والفساد الإداري، عاصم حسبن، المجلة العلمية لكلية التجارة، جامعة الأزهر بالقاهرة، العدد٢٥، ٢٠٠٣م.

٢. الإسلام حياة أفضل، محمد تقي المدرسي، دار محبي الحسين ،كربلاء ط٢، ٢٠٠٣.

٣. الأمانة في الأداء الإداري مهدي بن إبراهيم بن محمد مبجر، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة، السعودية، ط١، ١٩٩٤م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة، دار الهداية، د. ط، د. ت.

٥. التعريف بالفساد وصورة من الوجهة الشرعية، محمد أحمد الصالح، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٣م.

٦. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، تحقيق: مجموعة مؤلفين، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

٧. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري(ت:١٠٣١هـ)، عالم الكتب القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.

٨. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ . – ٢٠٠٠م.

٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

١٠. الخدمة المدنية على ضوء الشريعة الإسلامية، محمد عبد الله الشباني، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٣٩٧ ـ– ١٩٧٧م.

١١. رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي، نبيل موفق، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتن ة، الجزائر، ٢٠١٤م – ٢٠١٥م.

١٢. الرقابة على أعمال الإدارة في الشريعة الإسلامية والنظم المعاصرة، سعيد عبد المنعم، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.

١٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: مجموعة مؤلفين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٤. سياسة الإسلام في الوقاية والمنع من الفساد، معاوية أحمد سيد أحمد، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المجلد الأول.

١٥. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(ت:٧٩١هـ)، باكستان، دار المعارف النعمانية، د. ط، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

١٦. صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: مجموعة مؤلفين، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر المحمية، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧. العقائد، حسن البنا، دار القلم الشهاب، القاهرة، د. ط، د. ت.

١٨. الفساد الإداري والمالي: الأسباب والنتائج، وطرق العلاج يوسف خليفة اليوسف، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد(٣٠)، العدد (٢)، ٢٠٠٢م.

١٩. الفساد الإداري ومعالجته من منظور إسلامي، يوسف بحر، (http// www.scc-online.net).
٢٠. الفساد كظاهرة عالمية وآليات ضبطها، داود خير الله، ندوة الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية، بيروت، المعهد السويدي بالإسكندرية، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
٢١. الفساد وآليات مكافحة، أحمد أبو دية، منشورات الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة، أمان القدس، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٢. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.
٢٣. القاموس المحيط، مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتبة التراث، اشراف: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة–بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
٢٤. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ط٣، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.
٢٥. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت
٢٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ايوب بن موسى الحسيني الكفوي ابو البقاء الحنفي(ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، د. ط، بيروت، د. ت.
٢٧. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين حمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري(ت:٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، واخرون، دار المعارف القاهرة، د. ط د ت.
٢٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، د. ت.
٢٩. مجموع الفتاوى، الإمام ابن تيمية، تحقيق: عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء – المنصورة، د. ط، ١٩٩٧م.
٣٠. معالجة القرآن الكريم لخطر الفساد، أحمد شحروري، http//www./localhost/mohafatha/details.php?id.
٣١. معجم الفروق اللغوية، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيان، مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، ١٤١٢هـ.
٣٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٣٦٤ هـ.
٣٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، د. ط، د. ت.
٣٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩ هـ– ١٩٧٩م.
٣٥. معوض، فؤاد محمد، تأديب الموظف العام في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، منشورات موقع مكتبة النشار، (http//www.sharjah.ac.ae/library/information).
٣٦. المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، د. ط، د. ت.
٣٧. مفهوم الفساد وأنواعه في ضوء نصوص القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، البشير علي حمد الترابي، مجلة جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية، العدد ١١، ٢٠٠٥.
٣٨. مفهوم الفساد ومعاييره، محمود عبد الفضيل، مجلة المستقبل العربي، بيروت، السنة (٢٧)، العدد(٣٠٩)، نوفمبر، ٢٠٠٤م.
٣٩. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد بن سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.
٤٠. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوى، دار النفائس، الأردن، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٤١. المنهج الإسلامي في مواجهة الفساد والمفسدين، علي عبد الباقي، منشورات موقع لواء الشريعة، ٧/٨/٢٠٠٨، (http//www.shareah.com).
٤٢. نظريات في الإدارة التربوية، فريز محمود احمد الشلعوط، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، د. ط، ٢٠٠٢م.
٤٣. هكذا حكم الإسلام، حمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتبى، بيروت، ط ٥، ٢٠٠٣م.

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

م.د. قيس عداي شرامه طاهر
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) أقسام النجف الأشرف

المستخلص:
يتألف البحث من مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة،فأمّا المقدّمة فقد ركّزتُ فيها على أهميّة الموضوع،وأمّا المبحثُ الأوَّل: فقد درستُ فيهِ طريقةَ القدماء في تقسيم الحديث، وأمّا المبحثُ الثّاني: فكان بعنوان (طريقة المتأخرين في تقسيم الحديث). وقد انقسم إلى مطلبين: المطلبِ الأوَّل: تناولتُ فيهِ التَّقسيمَ الرُّباعيّ للحديث، والمطلبِ الثّاني: تناولتُ فيهِ سببَ التَّقسيمَ الرُّباعيّ للحديث،وأمّا المبحثُ الثَّالثُ: كان بعنوان (طُرق علماء الإماميّة في تصحيح الحديث)، وكان الحديث فيه من خلال مطلبين: المطلبُ الأوَّلُ: ذكرتُ فيهِ خبرَ الثّقة والخبرَ الموثوق، والمطلبُ الثَّاني: ذكرتُ فيهِ مَن قالَ بمسلك الوثاقة مِن المتأخرين، ثُمَّ أعقبتُ البحثَ بخاتمة

الكلمات المفتاحية : التقسيم ، الرباعي ، الحديث ، تأصيل ، مبنى الوثاقة

Abstract:
They search for an inequality، three topics، and a conclusion.
As for the presentation، I focused on the importance of the topic.
As for the first topic: I lost sight of the ancients' method of dividing the hadith.As for the second section: its title is (the method of the later scholars in extracting the hadith). It was divided into two requests:
The first request: I dealt with the four-part division of the hadith.
The second request: I discussed the reason for the four-part division of the hadith.The third topic: It was entitled (electronic methods of scholars in modern correction).We talk about it through two topics:
The first requirement: I mentioned trustworthy news and reliable news.The second requirement: I mentioned those of the later scholars who said of the path of trustworthiness.Then I followed the research with a conclusion

Keywords: division، components، hadith، rooting، building trust

المقدّمة:
الحمدُ للهِ على عظيمِ فضلهِ وأفضل الصّلاة وأتم السّلام على أشرفِ أنبيائهِ ورسلهِ محمّد الأمين وعلى أهلِ بيتهِ الطيبينَ الطاهرين، واللعنُ الدائمُ على أعدائِهم أجمعين من الآنَ إلى قيامِ يومِ الدّين.

وبعد ...

فإنّ الاشتغالَ بالحديث وعلومهِ وتحصيلهِ، والتّصنيف فيه خيرُ مايُشغَل به الوقت وأفضل ما يسعى اليهِ في العمر وأشرف ما يتحصل عليه؛ إذ هو المصدرُ الثّاني في التّشريع الإسلامي بعدَ كتاب الله سبحانه وتعالى، فيه فُسِّر القرآنُ الكريم، وخُصِّص عامُّهُ، وبُيِّنَ مُجملُهُ.

كما وأنّه إرث المعصومينَ(عليهم السّلام)، ومطلب العلماء وممّا لا يخفى على ذي بالٍ أن حديثَ المعصوم(عليه السّلام) لهُ منزلةٌ ومكانةٌ رفيعةٌ؛ لذلك فقد عنيت الأُمّةُ الإسلاميّةُ مُنذ عصر النَّبيّ(صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم) بحفظِ الأحاديث وكتابتها والالتزام بها علماً وعملاً، وكذلك عنيت بالرّواة والمرويّات من حيث القبول والرد، ووضعوا في ذلكَ أدقَّ قواعد النّقد العلميّ الصّحيح، ومن هذه العناية الفائقة بالحديث نشأ بما يُعرف بمسلك الوثاقة ومسلك الوثوق، وهي مسألة لابُدّ لكلّ مَن أرادَ أن يشتغلَ بعلم الحديث الإحاطة بها؛ إذ بقواعدِها يُميّز صحيح الروايات من سقيمِها، والغايةُ من ذلك صيانة

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

الأحاديث من الكَذِبِ والاختلاق، وبذلك تُصان الشّريعةُ الإسلاميّة،ولا سبيلَ إلى وصول الحديث صحيّحاً إلّا بتبني أحد هذين المسلكين والطريقين، ولذا فقد احتوى البحث على مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فأمّا المقدّمة والّتي نحن بصددِها فقد ركّزتُ فيها على أهميّة الموضوع،وأمّا المبحثُ الأوّل: فقد درستُ فيهِ طريقةَ القدماء في تقسيم الحديث.

وأمّا المبحثُ الثّاني: فكان بعنوان (طريقة المتأخرين في تقسيم الحديث). وقد انقسم إلى مطلبين: المطلبِ الأوّل: تناولتُ فيهِ التّقسيمَ الرُّباعيّ للحديث،والمطلبِ الثّاني: تناولتُ فيهِ سببَ التّقسيمَ الرُّباعيّ للحديث.

وأمّا المبحثُ الثّالثُ: كان بعنوان (طُرق علماء الإماميّة في تصحيح الحديث).

وكان الحديث فيه من خلال مطلبين:

المطلبُ الأوّلُ: ذكرتُ فيهِ خبرَ الثّقة والخبرَ الموثوق.

والمطلبُ الثّاني: ذكرتُ فيهِ مَن قالَ بمسلك الوثاقة مِن المتأخرين.

ثُمَّ أعقبتُ البحثَ بخاتمةٍ ضمنتُها خلاصةَ البحث، وأهمَّ النتائج الّتي توصَّل إليها البحث، ثُمّ تنظيم سرد للمصادر والمراجع الّتي اعتمدتُ عليها.

وختاماً فإني قد أخلصتُ العملَ لوجههِ الكريم، وبذلتُ ما استطعتُ من جهدٍ، فإن جآء على ما هو مطلوب، فمِن فضل اللهِ تعالى وجهود أساتذتي الأفاضل، وإن كان فيه تقصيرٌ فمنّي.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

المبحثُ الأوّل:

طريقةُ القدماء في تقسيم الحديث

كانَ القدماءُ (١) من الشّيعة الإماميّة يقسّمونَ أخبار الآحاد(٢) إلى قسمين، هما:

١– صحيح (أي معتبر يجوز الاستنادُ إليه): وهو ما أيّدتهُ القرآئن الداخليّة(٣)، أو القرآئن الخارجيّة(٤).

٢–غير صحيح (ضعيف، لايُمكن الرّكونُ إليهِ، وإن أمكن أن يكونَ صادراً عنهم عليهم السّلام): وهو الحديثُ الّذي لم تتوفر فيهِ تلك الميزتين(٥).

والمُلاحظ هنا أنّ هذا التّقسيم نشأَ بسبب ارتباطه بواقع السّيرة الاجتماعيّة للنّاس، ويتبيَّن ذلكَ من خلال مراجعة الوجدان، إذ نجد أنّ أيَّ خبرٍ لم يخلُ من التأثير بالمتغيرات الّتي تُحيطُ به، يقول السّبحاني بهذا الصّدد: ((وقد كثر النّقاش في إفادتهِ –خبر الواحد– اليقين بما لا يرجع إلى محصّل، وكأنّ المناقشين بُعداء عن الأحوال الاجتماعيّة الّتي تطرأُ علينا كلَّ يوم، فكم من خبر تؤيدُهُ القرآئن فيصبح خبراً ملموساً لا يشكُ فيه أحد))(٦).

وبالنظر إلى تقسيم علمائِنا الإماميّة للخبر الآحاد إلى صحيح (معتبر) وإلى ضعيف، نجد أنّ الحديث الصّحيح عندَهم قد انحصرَ بحسب التّتبع في أمرين:

الأوّل: الثّبوت أو الصّدق الناشِئين من الوثوق والاطمئنان بصدور الخبر عن المعصوم(عليهِ السّلام) وفق القرآئن الداخليّة أو الخارجيّة الّتي تدلُّ على صحتهِ وحجيتهِ.

وقد أشارَ الشّهيدُ الثّاني (٩٦٤هـ) إلى الصدق بكونهِ: ((ماطابقَ الواقعَ المحكي باللفظ))(٧).

ويقولُ صاحبُ المعالم (١٠١١هـ) بهذا الصّدد: ((إذا أُطلقت الصحّة في كلام مَن تقدّم فمرادُهم منها الثّبوت والصّدق))(٨).

ومن خلالِ النّظر في أقوال العُلماء بالنسبة للخبر الّذي احتفَّ بالقرآئن نجدُهُم يُصرحونَ بجوازِ الرّكونِ إليهِ والاطمئنان إليه.

وقد أشارَ جملةٌ من العُلماء بأنّ مسلك القُدماء في تصحيح الخبر، هو النّظر إلى ما اكتنفَهُ من قرآئن تُوجبُ الوثوقَ به والاطمئنانَ إليه، فقد ذكرَ الشّيخُ البهائي (١٠٣١هـ) . وكثير من العُلماء(٩). ما يقربُ من هذا المعنى قالَ في هذا الصّدد: ((وهذا الاصطلاح(١٠). لم يكن معروفاً بين قدمائِنا(قدّس اللهُ أرواحَهُم)، كما هو ظاهرٌ لِمَن مارسَ كلامَهُم، بل كان المتعارفُ بينَهُم اطلاق الصّحيح على كلِّ حديثٍ اعتضدَ بما يقتضي اعتمادهم عليه، أو اقترانهُ بما يُوجبُ الوثوقَ به

والركونَ إليه))(١١).

الثّاني: ماكان قطعي الصّدور

وردَ على لسانِ بعضِ علمائِنا الإماميّة القولُ بأنّ الحديثَ الصّحيحَ هو ما كانَ قطعي الصّدور عن المعصوم(عليهِ السّلام)، ومن هذا القبيل ماذهبَ إليهِ الاسترآبادي (١٠٣٣هـ) ناسباً القولَ إلى السّيّد المرتضى بأنّ: ((الحديث الصّحيح هو المعلوم الصّدور بنحوِ القطع))(١٢).

وكذا القول بصحّة الأخبار الموجودة في الكتب الأربعة وفق مبنى الاخباريين. قالَ الفيضُ الكاشاني (١٠٩١هـ): ((وقد جرى صاحبُ كتاب الكافي والفقيه على متعارف المتقدمين في اطلاق الصّحيح على ما يُركن إليه ويُعتمد عليه، فحكما بصحّةِ جميع ما أورداهُ في كتابيهِما من الأحاديث، وإن لم يكن كثيرٌ منهُ صحيحاً على مصطلح المتأخرين))(١٣).

المبحثُ الثّاني:

طريقةُ المتأخرينَ في تقسيم الحديث وسببه

تقدّم في المبحث السّابق بيان طريقة القُدماء في تقسيم الحديث وسيكونُ الكلامُ في هذا المبحث عن طريقة المتأخرين في تقسيم الحديث، وقد تضمّنَ هذا المبحث مطلبين، هما:

المطلبُ الأوّل: تناولَ فيهِ التّقسيمَ الرُّباعيّ للحديث.

المطلبُ الثّاني: تناولَ فيهِ الحديثَ عن سبب التّقسيم الرُّباعيّ للحديث.

وقبل الدّخول إلى تفاصيلِ البحث لابُدّ من بيان المقصود بالمتأخرين عند أهل الحديث، إذ يُقصد بالمتأخرين ما يُقابل القُدماء، وهم ممّن تأخّرَ عن عصر الرُّواة للأئمّة المعصومين(عليهم السّلام)، ومن تلاهم من المقربين لعصرهم، فيكونُ عصرُهم ما بعد عصر الشّيخ الطّوسيّ،... فتمتد حقبةُ المتأخرين من ((القرن السّادس الهِجري وحتّى القرن الثّالث عشر الهِجري))(١٤)، والّتي ابتدأت بالسيّد ابن طاووس (٦٦٤هـ) وتلميذه العلاّمة الحلّي (٧٢٦هـ) وابن داود (٧٤٠هـ)، وكذلك الشّهيّد الثّاني (٩٦٦هـ) والشّيخ البهائي (١٠٣١هـ)، وهؤلاء هُم الّذين أرسوا دعائمَ المصطلح الجديد(١٥)، الآتي تفصيل الكلامِ عنهُ إن شآءَ اللّهُ تعالى.

المطلبُ الأوّل: التّقسيم الرُّباعيّ للحديث

أولاً: مَن بدأَ بهِ أولاً

اختلفت كلماتُ المتأخرينَ من علمائِنا الإماميّة حولَ أوّل مَن أحدثَ التّقسيمَ الرُّباعيّ للحديث على أقوال:

الأوّل: أنّه جمال الدّين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (٦٦٤هـ)، وهو مختار الشّيّخ حسن بن الشّهيّد الثّاني، صاحب المعالم (١٠١١هـ)، إذ يقول: ((فلما اندرست تلك الآثار، واستقلّت الأسانيد بالأخبار، اضطر المتأخرونَ إلى تمييز الخالي من الريب، فاصطلحوا هذه الأنواع، ولا يكاد يُعلم وجود هذا الاصطلاح قبل زمان العلاّمة إلّا من جهة السّيّد جمال الدّين بن طاووس))(١٦)، ومال إلى هذا الرأي صاحبُ الوسائل الشّيّخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي(١٧)، وهو القولُ المشهور.

الثّاني: أنّهُ العلاّمة الحسن بن يوسف الحلّي (٧٢٦هـ)، وهو تلميذ ابن طاووس، وهو اختيارُ الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ) إذ يقول: ((وأوّل من اصطلح على ذلك، وسلك هذا المسلك العلاّمةُ الحلّي، وهذا الاصطلاح لم يكن معروفاً بين قدمائِنا)(١٨)، وكذا الشّيّخ بهاء الدّين العاملي (١٠٣١هـ) في مشرق الشّمسين، يقول بهذا الصدد: ((وأوّل من سلك هذا الطّريق من علمائِنا المتأخرين شيخنا جمال الملّة والدّين الحسن بن المطهّر الحلّي))(١٩).

وكذا السّيّد محسن الأمين (١٣٧١هـ)، يقول بهذا الشأن: ((اعلم أنّ تقسيمَ الحديث إلى أقسامهِ المشهورة كان أصلُهُ من غيرِنا، ولم يكن معروفاً بين قدماء علمائِنا... وأوّلُ مَن استعملَ ذلكَ الاصطلاح العلاّمةُ الحلّي، فقسّمَ الحديثَ إلى صحيح وحسن وموثوق وضعيف ومرسل وغير ذلك))(٢٠).

وكذا السّيّد الشّيرازي حيثُ قال: ((المشهور أنّ العلاّمةَ صنّفَ الخبرَ باعتبار اختلاف الرُّواة في الاتصاف بالإيمان والعدالة

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

والضبط وعدمِها إلى أربعةِ أقسام))(٢١).

الثّالث: التّردد بين العلّامة وشيخهِ ابن طاووس، وهو ما ذهبَ إليه صاحبُ الحدائق(٢٢)، ونقلَهُ عن جملة من المتأخرين(٢٣).

هذا وقد شنَّ الاخباريونَ حملةً شعواء على هذا التّقسيم الرُّباعيّ للخبر، وعدوه من البدع الّتي يحرمُ العملُ بها وبسطوا البحثَ في ابطالهِ واثبات صحّة جميع أخبار كتبِنا الأربعة(٢٤)، بل جميع الأخبار الّتي نقلوها عن الكتب المعتبرة؛ لأنّها محفوفة بقرآئنَ تُفيدُ الوثوقَ بصدورِها عن المعصوم(عليهِ السّلام).

وقد استدلَّ الشّيخ يوسف البحراني على ذلكَ بستةِ وجوه، وقال: ((إلى غير ذلك من الوجوه الّتي انهيناها في كتاب (المسائل) إلى اثني عشر وجهاً، وطالب الحقّ المُنصف تكفيه الاشارة والمُكابر المُتعسّف لا ينتفع ولو بألف عبارة))(٢٥).

كما استدلَّ عليهِ الشّيخ محمّد بن الحسن الحرّ باثنين وعشرين وجهاً في الفائدةِ التّاسعة الّتي عقدَها؛ لإثبات صحّة أحاديث جميع الكتب الّتي جمعَ منها كتابه (وسائل الشّيعة)، وحكمَ بوجوب العمل بها أجمع وعلى هذهِ الوتيرة جرى الفيضُ الكاشاني في كتابهِ (الوافي)(٢٦).

والحقّ صحّة هذا التّنوّع وضعف ما ذُكر؛ لإبطاله(٢٧)، كما وأنّنا ((لا نرى مبرراً لهذا التّهجّم الشّديد بعد اعتبار الأُصوليين لجميع الأقسام عدا الضعيف في مقام الاستنباط، والقُدماء أيضاً لم يعملوا بالضعيف))(٢٨)، وعلى كلٍّ ((فلسنا هنا في مقام مناقشتِهم، فإنّ ذلكَ موكولٌ إلى الأبحاث المختصّة بذلك))(٢٩).

ثانياً: طريقةُ التّقسيم

حيثُ عرفتَ تنوّع الحديث إلى الأقسام الأربعة: (الصّحيّح، والحسن، والموثق والضعيف)، فقد عرّفوا كلَّ نوعٍ بما يتميّز عن الاخر، كما وأنّهم ذكروا شروطاً لكلّ واحد منها كذلك، وهي كما يلي:

الأوّل: الحديث الصّحيّح:

هو ((ما اتّصل سندُهُ إلى المعصوم(عليهِ السّلام) بنقل العدل الإمامي عن مثلهِ في جميع الطّبقات))(٣٠)، وأضافَ إليهِ الشّهيّدُ الثّاني عبارة: ((وإن اعتراهُ شذوذ))(٣١).

شروط الحديث الصّحيّح

ذهبَ العلماء ـ في ضوءِ تعريفاتِهم للحديث الصّحيّح ـ إلى أنّ الحديثَ حتّى يكونَ صحيحاً لابُدّ أن يتصفَ بجملةٍ من الشّروط، وهي:

١– أن يكونَ السّندُ متصلاً إلى المعصوم(عليهِ السّلام)ـ المعصوم هو النّبيُّ(صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم) والأئمّةُ (عليهم السّلام) ـ أي لم يعترِ السّند أيُّ علّةٍ من علل الحديث، كالمعلق والمدلّس والمنقطع.

٢– أن يكونَ رواةُ السّندِ عدولاً، والمقصودُ بالعدالةِ هنا صدق الرّاوي، وعدم غفلته، وعدم تساهله في التّحمّلِ والأداء؛ وأمّا الضبطُ فهو قيدٌ مُستبطن ـ عند الإماميّة ـ في شرط العدالة؛ نظراً إلى أنّ مَن كثُر الخطأُ في حديثهِ استحقَّ التّركَ؛ ولأنّ المُغفّل المستحق للترك لا يعدّله أهلُ الرّجال.

٣– أن يكونَ الرّاوي ـ بحسب تعريف الإماميّة للصّحيح ـ إماميّاً، والمقصودُ به أن يكونَ مُعتقداً بإمامة الأئمّة الاثني عشر(عليهم السّلام).

٤– أن يتحقّقَ وصفُ الإماميّة في الرُّواة في كلّ طبقةٍ من الطّبقات.

٥– أن لا يكونَ الحديثُ معللاً.

الثّاني: الحديث الحسن:

هو ((الحديثُ الّذي اتّصلَ سندُهُ إلى المعصوم(عليهِ السّلام) بإمامي ممدوح من غيرِ نصٍّ على عدالتهِ، مع تحقّقِ ذلكَ في جميعِ مراتبهِ أو تحقّق ذلكَ في بعضِها، بأن كانَ فيهِم واحدٌ إماميّ ممدوح غير موثّق مع كون الباقي من الطّريق من رجال الصّحيّح))(٣٢)؛ فيُوصفُ الطّريقُ بالحسن من أجلِ ذلكَ الواحد.

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

وهذا يعني أنّ الحديثَ إنّما يُوصفُ بكونهِ حسناً إذا رواه إماميّ ممدوح في دينه مدحاً معتداً بهِ ومقبولاً عند العُقلاء من دون أن ينصَّ أحدٌ على عدالتهِ، ولا على فسقهِ وانحرافهِ عن المذهب، غير معارض بذم، مع تحقّقِ ذلكَ في جميع مراتب رواة طريقهِ أو في بعضِها انتهاءً إلى المعصوم(عليهِ السّلام).

شروط الحديث الحسن

١– أن يكونَ السّندُ متصلاً إلى المعصوم(عليه السّلام). المعصوم هو النّبيّ (صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم)، والأئمّة(عليهم السّلام) . أي لم يعتبرِ السّند أيّ علّةٍ من علل الحديث كالإنقطاع مثلاً.

٢– أن يكونَ الرّاوي إماميّاً، والمقصودُ به أن يكونَ معتقداً بإمامة الأئمّة الاثني عشر(عليهم السلام).

٣– أن يكونَ رُواة السّند ممدوحين مدحاً معتداً به في المراتب كافة، أي يكون المدحُ له دخلٌ في قوّة السّند، فلا يشملُ بذلكَ المدح في المتن أو في الأوصاف الخارجة عن السند، كقولنا: شاعر أو كوفي أو غير ذلك من الأوصاف؛ والمُرادُ بالممدوح، أن لا يكونَ فاسدَ العقيدة، ولا يكون ممدوحاً من وجهٍ ومذموماً من وجهٍ آخر، ويكون المدح بما يُخرج الرّاوي عن قسم المجهولين.

٤– أن يتحقّقَ ـ في نقل الرّواية ـ وصفا المدح وعدم النصّ على العدالة في الرُّواة في كلّ طبقةٍ من الطّبقات أو في بعضِها، بأن كانَ فيهم واحدٌ إماميّ ممدوح غير موثّق مع كون الباقي من الطّريق من رجال الصّحيح، ويُوصفُ الطّريق الحسن من أجل ذلكَ الواحد.

٥– أن يخلوَ السّندُ من الرُّواة المُتهمينَ بالكَذِب، ولا يكون الحديثُ شاذاً.

الثّالث: الحديث الموثق:

هو ((ما اتّصل سندُهُ إلى المعصوم(عليه السّلام) بمَن نصَّ الأصحابُ على توثيقهِ مع فسادِ عقيدتهِ، مع تحقّقِ ذلكَ في جميعِ رواة طريقهِ أو بعضِهم مع كون الباقين من رجال الصّحيح))(٣٣).

شروط الحديث الموثّق:

١– أن يكونَ السّندُ متصلاً إلى المعصوم(عليه السّلام) ـ المعصوم هو النّبيّ(صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم)، والأئمّة(عليهم السّلام) . أي لم يعترِ السّند أي علّةٍ من علل الحديث كالإنقطاع مثلاً.

٢– أن يكونَ مَن نصَّ على التّوثيق مع فسادِ العقيدة من أصحابِنا الإماميّة، لا ما رواه المخالفون في صحاحِهم الّتي وثّقت رواتهم؛ لأنّ العبرةَ بتوثيقِ أصحابِنا للمخالف لا بتوثيقِ غيرِنا؛ لأنّا لا نقبلُ اخبارَهم بذلك.

٣– أن يتّصفَ رواة السّندِ كلّهم أو بعضهم بفساد العقيدة، والمقصود بفسادِ العقيدة، أن يكون الرّاوي مخالفاً لمذهبِ الإماميّة وإن كان من الشّيعة.

الرّابع: الحديث الضعيف:

((وهو ما لا يجتمع فيه شروط أحد الثّلاثة المتقدمة، بأن يشتمل طريقُهُ على مجروحٍ بالفسقِ ونحوه، أو مجهول الحال أو ما دونَ ذلكَ، كالوضّاع))(٣٤).

وزادَ الشّهيدُ الثّاني وبهاء الدّين العاملي على الأقسام المتقدّمة قسماً آخر، وهو (القوي)، والّذي لم يقل شهرةً عن بقية الأقسام، فالقوي: ((هو ما رواهُ الإماميّ غير الممدوح أو المذموم، كنوح بن دراج وناحية بن عمارة الصّيداوي، وأحمد بن عبد الله الحميري وغيرهم كثيرون))(٣٥)(٣٦).

ثالثاً: ثمرةُ التّقسيم الرُّباعيّ

ذكر [بعض] أنّه لا أثرَ لهذا التّقسيم في مجال الاستنباط والحجيّة؛ لأنّ الأقسام الثّلاثة ـ أي الصّحيح والحسن والموثّق ـ حجّة يُمكن الاعتمادُ عليها في الاستنباط، ولا فرقَ بينَها في هذا المجال.

نعم، يظهر أثرُ هذا التّقسيم والفرق بينَ الأقسام في مجال التّعارض بينَ الأخبار، لو قلنا بالترجيح بصفات الرّاوي ـ كالأورعيّة

والأوثقيّة وغيرها ـ فيُقدّم الصّحيّح على غيرهِ ـ كالحسن والموثق ـ عندَ التّعارض.

نعم إذا قلنا بعدم التّرجيح بصفات الرّاوي لا يبقى أثر للتقسيم في مقام التّرجيح، ولعلّهُ لذلكَ ذهبَ بعضُهم إلى ثُنائيّة التّقسيم؛ وبعد عدم الأثر للتّقسيم الرُّباعيّ، فينقسم للخبر الموثوق الّذي حصلَ الوثوقُ بهِ وغيره، أو إلى تقسيم الخبر إلى خبر الثّقة أو خبر الموثوق به وغيره.

لذلكَ وقعَ البحثُ عند علمائِنا: هل صفات الرّاوي من جملة المُرجّحات أو لا؟

ذكرَ السّيّدُ الخوئي: ((وأمّا التّرجيحُ بالأصحيّة، وأنّ الحسنة أصحّ سنداً من الموثّقة، فيدفعه: ما ذكرناه في بحثِ التّعادل والتّراجيح، من أنّ صفات الرّاوي لا تكونُ مرجّحة في الرّواية، وإنّما هي مرجّحة في باب القضاء، على أنّنا لو قلنا بترجيح الصّحيّحة على الموثّقة، فلا نقولُ بتقديم الحسنة عليها بوجه))(٣٧).

وذكرَ السّيّدُ الخوئي رأيَهُ في عدمِ التّرجيح بصفات الرّاوي في بحث الأصول، حيثُ ذهبَ إلى حصرِ التّرجيح بالمرجّحات المنصوصة وعدم التعدّي لغيرِها مع حصر المرجّحات المنصوصة في باب الرّواية بموافقة الكتاب ومخالفة العامّة، وأمّا سائرُ المرجّحات فإمّا أنّ الرّوايات الدالة عليها غيرُ معتبرة سنداً، أو أنّها مختصّة بباب القضاء وتعارض القُضاة وأحكامِهم.

ذكرَ بعضُ العلماء (الشبيريّ): ((عند التّعارض بين الصّحيّحة والموثّقة تُقدّم الصّحيّحة)). ولم يتقبّل السّيّد الخوئي التّرجيحَ بالمُرجّح السّندي؛ لعدمِ الدّليلِ عليه.

وأمّا بعضُ الأعلام فالمهم عندهُ في المرجّح هو كلُّ ما يُوجبُ صرفَ الرّيبة الحاصلة من العلم الإجمالي بمخالفة أحدِهما للواقع من أحدهما للآخر، فيُمكن أن يشملَ المرجّح السّندي)).

ولكن السّيّد السّيستاني ذكرَ في كتاب التّعارض:))إنّ المرجّحات المنصوصة في الرّوايات المُستعرضة للمرجّحات إرشاد من الشّارع؛ لكيفيّة صرف الرّيبة من أحد الخبرين المتعارضين للآخر؛ وذلكَ لأنّه مع تعارض الخبرين في موضوعٍ واحد يحصلُ علمٌ إجماليٌّ بريبةِ أحدِهما لا على التّعيين، وأنّهُ غيرُ صادرٍ من المعصوم؛ ولذلك كلّما يُوجب صرف الرّيبة من أحدهما للآخر، بحيث يُوجبُ الوثوقَ بأنّ عدمَ الصّدور متحقّقٌ في أحدِهما دون الآخر، فيكون من المرجّحات دون أن تنحصر المرجّحات في مرجّحات معيّنة هي المنصوصة؛ ولذلكَ يُمكن التعدّي من المرجّحات المنصوصة إلى غيرِها ممّا يتوفّرُ فيها هذا العنصر، وهو صرفُ الرّيبة، وإنّما أشارت الرّوايات العلاجيّة إلى نماذجَ من هذه المرجّحات لا على سبيلِ الحصر، ولذلك ربما يشمل هذا حتّى صفات الرّاوي.

فالمهم في التّرجيح هو الوثوقُ بصرفِ الرّيبة من أحدِ الخبرين المُتعارضين الى الآخر؛ لأنّ التّعارضَ بينَهُما يُوجبُ الرّيبة في صدور أحدِهما، ومن هنا كلُّ ما أوجبَ الوثوق بعدمِ وجود الرّيبة في أحدِهما وتوجُّه الرّيبة للآخر، كان من المرجّحات، ومن هذهِ المرجّحات صفات الراوي؛ لأنّ صفات الرّاوي أحياناً تُوجب صرف الرّيبة من أحدِهما للآخر، وهذا ما يعرف بهِ الوجدان والعقلاء؛ ولذلكَ يكون هناك أثرٌ علميّ لهذا التّقسيم على هذا الرأي)). وقد ذكرَ بعضُ العلماء: ((أنّهُ عندَ التّعارض بينَ الصّحيحّة والموثّقة تُقدّم الصّحيّحة)) (٣٨)(٣٩).

المطلبُ الثّاني: سبب التّقسيم الرُّباعيّ للحديث

اختلفَ تقسيمُ الحديث عند علماءِ الحديث المتأخرين، فعدَلوا عن تقسيم القُدماء للحديث، ((والّذي بعثَهم ـ نوّرَ اللهُ مراقدَهُم–ـ على العدول عن مُتعارف القُدماء ووضع ذلكَ الاصطلاح الجديد))(٤٠)، يعودُ إلى أمورٍ عدّة، منها:

١. طول المدّة بينَ القُدماء والمتأخرين، أدّت إلى اندراس بعض الأصول المعتمدة؛ لتسلّط حكام الجور والضلال والخوف من اظهارها واستنساخها، يقول صاحبُ المعالم (١٠١١هـ): ((فلمّا اندرست تلك الآثار واستقلّت الأسانيد بالأخبار اضطر المتأخرون إلى تمييز الخالي من الرّيب وتعيين البعيد عن الشّك، فاصطلحوا على ماقدمنا بيانه))(٤١).

٢ـ اختلاط ما وصلَ إليهم من روايات الأصول المعُتبرة المأخوذة من الأصول غير المعتبرة، واشتبهت المتكررة بغير المتكررة.

٣ـ خفاء الكثير من القرآئن عليهم، الّتي كانت سببَ وثوق القُدماء بكثيرٍ من الأحاديث، ولم يمكنهم الجري على أثرهم في

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

تمييز ما يُعتمد عليه ممّا لا يُركن إليه فاحتاجوا إلى قانونٍ تتميزُ به الأحاديثُ المعتبرةُ عن غيرِها والموثوق بها عمّا سواها))(٤٢).

وقد أوردَ الحرُّ العاملي (١١٠٤هـ) على المتأخرينَ الّذين التزموا بكون السّبب الدّاعي إلى تنوّعِ الحديث هو خفاء القرآئن أو اندراسها أو فقدانها أو اختلاط الأصول بغيرها، ممّا اضطرهم إلى وضع الاصطلاح الجديد، فقال: ((وقد ادّعى بعضُ المتأخرين اختلاط الأصول بغيرها وعدم إمكان التّمييز واندراس الأصول وخفاء القرائن وأنّهم لذلكَ وضعوا الاصطلاح الجديد.

وذلك ممنوع، إن أرادَ حصولَهُ في زمن أصحاب الكتب الأربعة، بل ممنوعٌ مطلقاً... وليت شعري! كيفَ حصلَ هذا الاندراس وهذا الاختلاط في زمنِ العلاّمة وشيخهِ أحمد بن طاووس اللّذين أحدثا هذا الاصطلاح، كما صرّح بهِ صاحبُ المُنتقى وغيره، في اليوم الّذي أحدثاه فيه؟ ولم يحصل قبلَه بساعة أو يوم أو شهر أو سنة؟ بل كانوا يعملون بالاصطلاح الأوّل فيكونُ اندراس تلكَ الأصول واختلاطِها كلّه في ساعةٍ واحدةٍ أو يومٍ واحد؟

وهذا معلومُ البطلان عادةً، بل كلامُ الشّهيد الثّاني والشّيخ بهاء الدّين وغيرِهما صريحٌ في خلاف هذهِ الدّعوى وقد اعترفَ الشّيخ بهاء الدّين والشّيخ حسن وغيرهُما بأنّ المتأخرينَ. أيضاً. كثيراً ما يسلكون مسلك المتقدمين ويعملونَ باصطلاحهم، فعُلمَ أنّ ذلكَ غير متعذّر))(٤٣).

ومن الجديرِ بالذكر أنّ هذا التنوّع ـ مهما كانت دواعيه وأسبابه ـ ارتكز بالأساس على الجهة السنديّة للحديث، ولحاظ حال رواتهِ، ولم يكن لمضمون الخبر أيُّ دخلٍ في نشوء التّقسيم الرُّباعيّ للحديث وتنوّعه(٤٤).

ومن أجل ذلك قرر علماؤُنا هذه الاصطلاحات الجديدة، ووضعوا الأحاديثَ مصنّفةً كلاً بحسبِ ما اقتضاه كلّ اصطلاح(٤٥).

المبحثُ الثّالث:

طُرق علماء الإماميّة في تصحيح الأخبار

المطلبُ الأوّل: خبر الثقة والخبر الموثوق

من المعلوم أنّ وظيفةَ الفقيه هي استنباط الأحكام الشّرعيّة من مصادرها، والمصادرُ الّتي يعتمدُ عليها معظم علماء الشّيعة الإماميّة أربعة، وهي: الكتاب والسُّنّة والإجماع والعقل، ولكن في الحقيقة فإنّ المصدرَ الرّئيسي الّذي تستندُ عليه استنباطات الفقهاء هي الأخبار الواردة عن المعصومينَ(عليهم السّلام)؛ لأنّ العمدةَ في الأدلةِ الأربعة، هي الكتاب والسّنّة عند الإماميّة، وأمّا الإجماع والعقل فهما دليلانِ فرعيانِ، أمّا الإجماع فيرجع إلى السّنّة، وأمّا العقل فلا يّمكن أن يستقلَّ عن السّنّة إلّا في موردٍ واحدٍ، وهي المستقلات العقليّة ـ حسن العدل وقبح الظلم ـ فلا يبقى إلّا الكتاب والسّنّة.

وحيثُ أنّ الكتابَ الكريمَ قطعي الصّدور إلّا أنّه ظنّي الدّلالة، ولا يُشكّل شيئاً إلّا في موارد قليلة، وكذلكَ السّنّة القطعيّة؛ لأنّ أغلبَ ما موجود في الكتاب إنّما هو ظواهر، فلا يبقى إلّا أخبارُ الآحاد، وهي العُمدةُ في المقام؛ لأنّ الفعلَ والتّقريرَ لا يُعطي إلّا حكماً جزئيّاً يخصُّ موردَهُ، فلا ينفعُ لحكمٍ عامٍ أو مطلقٍ، فلا تبقى إلّا الأخبار، والأخبار منها ما يُفيدُ العلمَ، كالخبر المتواتر(٤٦)، والخبر المحفوف بالقرائن الّتي تُفيدُ العلم بصدورِه عن المعصوم(عليهِ السّلام)(٤٧)، وفي الحقيقة إنّها لا تُمثّل عند المتأخرينَ إلّا نسبةً قليلةً جداً، ومنها ما لا يُفيدُ العلمَ وهو الخبر الواحد(٤٨)، وهو الّذي يُشكّلُ العُمدةَ الّتي ترتكزُ عليها عمليّة الاستنباط.

اذاً، فعمليّة تصحيح أخبار الآحاد هي المهمّة الّتي تقعُ على عاتق الرّجاليينَ، وهي من الأعمدة المهمّة لعمليّة الاستنباط.

والمعروف أنّ هناك طريقتينِ لتصحيح الأخبار:

الأولى: البحث عن أحوال رواة الخبر وإحراز وثاقتهم وصولاً إلى المعصوم(عليهِ السّلام)، وقد أطلق علماؤُنا الإماميّة على هذا الخبر الّذي تثبت وثاقتُهُ عن هذا الطريق بـ (خبر الثّقة).

الثّانية: البحث عن الخبر المحتف بالقرائن الّتي تُفيدُ الوثوقَ بالخبر والاطمئنان بصدورِهِ عن المعصوم(عليهِ السّلام)، سواء أكانت هذه القرآئن تختصُّ بالراوي أم المروي، أم غير ذلك، وقد أطلقَ الأعلامُ على هذا الخبر بـ(الخبر الموثوق).

ولمّا كانت الغاية من عقد هذا المبحث ذكر التّقسيم الرُّباعيّ وتأصيله لمبنى الوثاقة، فالبحثُ في الحقيقة ينحصرُ في خبر

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

الثّقة، ولكن لكي تتبيَّن الفوارقُ بين الخبر الثّقة والخبر الموثوق، وجب تناول الخبر الموثوق ولو بشكل مبسّط؛ لذا فقد تضمّنَ هذا المطلبُ أمرين:

أولاً: تناولَ فيهِ خبر الثّقة.

ثانياً: تناولَ فيهِ الخبر الموثوق.

أولاً: خبر الثقة

شغلَ البحثُ عن أحوال الرُّواة عند الشّيعة الإماميّة حيزاً كبيراً في علم الدّراية وعلم الرّجال، وغيرها من العلوم الإسلاميّة واحتلَّ البحثُ عن وثاقة الرُّواة الجزءَ الأكبر في ذلك؛ وذلكَ لأنّ التثبّت من وثاقة ناقلي الخبر يستدعي الحكمَ بصحّةِ الخبر، وبالتّالي يكون مصدراً لإستنباطِ حكمٍ شرعيٍّ أو اثبات قاعدة أصوليّة أو مسألة عقائديّة ـ على خلافٍ في ثبوت المسائل الاعتقاديّة بأخبار الآحاد ـ أو غير ذلك.

لذا فإنّ الحكمَ بوثاقةِ الرُّواة يُعدُّ طريقةً من طُرق تصحيح الأحاديث عند الشّيعة الإماميّة، ولأهميتهِ وكونه جزءاً متمّماً لموضوع البحث، عُقِد هذا المطلبُ للبحث عن بعض خصوصياتهِ.

ومن المهم الإشارة هنا أنّ البحثَ في خبر الثّقة ينحصرُ في خصوص القرآئن الداخليّة الّتي تحفُ الخبرَ وأنّ النّظرَ فيه ينحصرُ في السّند فقط، لاسيما بعد التّقسيم الرُّباعيّ الّذي تقدّمَ الحديثُ عنه.

والطّريقةُ المعتادةُ والسائدةُ عند الرّجاليينَ، هي النّظرُ في أحوالِ الرُّواة، والاعتماد في التّوثيق والتّضعيف على أقوال الرّجاليينَ أمثال الشّيّخ النّجاشيّ والشّيّخ الطّوسيّ وغيرهم من القدماءِ والمتأخرينَ.

في حين أنّ البحثَ في الخبر الموثوق يتعلقُ بالقرآئن الخارجيّة وإن كانت القرآئن الداخليّة تدخلُ في تقييمِ الخبر.

المُراد من الثّقة

بغيةَ الوقوفِ على المُراد من الثّقة، لابُدّ من البحث اولاً في مقام الثّبوت عن الضوابط الّتي يحكم من خلالها بالوثاقة، فهل هي:

١– العدالة فقط.

٢– الإماميّة فقط.

٣– الضابطيّة فقط.

٤– المجموع منهم.

٥– خصوص المتحرز عن الكذب في النّقل سواء أكان إماميّاً أم غيرَ إماميّ.

٦– الثّقة المُراد منهُ بصورةٍ مطلقةٍ، بحيث يشمل تعديل الرّاوي نفسه وإن كانَ يشملُ غيرَ الإماميّة الاثني عشريّة.

هذه هي الوجوه المُتصوّرة في مقام الثّبوت في اطلاقِهم للفظ الثّقة.

أمّا في مقام الإثبات فقد اختلفت كلماتُ الأعلامِ في المراد من الثّقة، وانقسمت تبعاً لذلك أقوالُ علماءِ الدّراية وعلماء الرّجال إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأوّل: أنّ الثّقة بمعنى العدل الإمامي

المُلاحظ من كلام الأعلام الرّجاليينَ من الشيّعة الإماميّة، أنّهم حينما يُطلقونَ لفظَ الثّقة فإنّهم يعنون به العدل الضابط الإماميّ، وممّا يُؤيدُ ذلك كلامُ جملةٍ من علماءِ الإماميّة في هذا الصّدد، فمثلاً يقولُ الشّيّخ البهائي (١٠٣١هـ) في مشرق الشّمسين: ((إنّهم يُريدونَ بقولهم: إنّ فلاناً ثقة، أنّه عدلٌ ضابطٌ؛ لأنّ لفظَ ثقةٍ مُشتقٌ من الوثوق، و لا وثوق بمن تساوى سهوُهُ ذكرُهُ، أو يغلبُ سهوُهُ على ذكرِهِ، وهذا هو السرّ في عدولهم عن قولهم عدل إلى قولهم ثقة))(٤٩).

وكذا ما قالَهُ المامقاني (١٣٥١هـ) في هذا الصدد: ((اتفقَ الكل على اثبات العدالة بهذهِ الكلمة ـ الثّقة ـ من غيرِ شكٍ ولا اضطراب، وحينئذٍ فحينما تُستعملُ هذه الكلمة في كتب الرّجال مطلقاً من غيرِ تعقيبِها بما يَكشفُ عن فسادِ المذهب،

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

تكفي في إفادة التّزكية المترتب عليها التّصحيح باصطلاح المتأخرين؛ لشهادةِ جمعٍ باستقرار اصطلاحِهم على إرادة العدل الإماميّ الضابط من قولِهم ثقة))(٥٠).

الثّاني: أنّ الثّقة بمعنى المتحرز عن الكَذِب في النّقل

ذهبَ بعضُ العلماء من القُدماء والمتأخرينَ إلى أنّ لفظَ الثّقةِ في اصطلاح هذا العلم بمعنى المتحرز عن الكَذِب في النّقل، المأمون منهُ عادةً، سواء أكان من الإماميّة أم من غير الإماميّة الاثني عشريّة، كالفطحيّة والواقفيّة(٥١) وغيرهم من العامّة الّذين يُؤمَن منهم الكَذِب(٥٢)، وبذلك يكون المُراد من لفظ (الثّقة) هنا أعم من مراد أصحاب الرأي السّابق الّذين حصروهُ في خصوصِ العدل الإمامي.

فمثلاً يقولُ الشّيخ الطّوسيّ (٤٦٠هـ) في توجيه وجوب قبول خبر الثّقات من الفِرق الأخرى، كالواقفية والفطحية مانصُّهُ: ((إنّ مايرويه هؤلاءِ الثّقات يجوزُ العملُ به إذا كانوا ثقات في النّقل ـ وإن كانوا مخطئينَ في الاعتقاد (من القول بالوقف) ـ إذا عُلم من اعتقادِهم تمسكُهم بالدين، وتحرجُهم من الكَذِب ووضع الأحاديث، وهذه كانت طريقة جماعة عاصروا الأئمّة(عليهم السّلام)، نحو عبد الله بن بكير وسماعة بن مهران ونحو بني فضّال من المتأخرين عنهم وبني سماعة ومن شاكلهم، فإذا علمنا أنّ هؤلاءِ الّذين أشرنا إليهم وإن كانوا مُخطئينَ في الاعتقاد من القول بالوقف وغير ذلك، كانوا ثقات في النّقل فما يكون طريقة هؤلاء جاز العمل به))(٥٣).

ويقولُ الحرُّ العاملي (١١٠٤هـ) بهذا الصّدد: ((ودعوى بعضِ المتأخرينَ أنّ الثّقة بمعنى (العدل، الضابط) ممنوعةٌ، وهو مطالبٌ بدليلِها، وكيف؟ وهم مصرحونَ بخلافِها حيثُ يوثّقونَ مَن يعتقدون فسقه، وكفره وفساد مذهبِهِ؟ وإنّما المُراد بالثّقة: مَن يُوثق بخبرِهِ ويُؤمن منهُ الكذِب عادةً، والتّتبعُ شاهدٌ به، وقد صرّحَ بذلكَ جماعةٌ من المتقدمينَ والمتأخرينَ))(٥٤).

الثّالث: أنّ الثّقة بمعنى تعديل الرّاوي نفسه

وذهبَ بعض إلى أنّ اطلاقَ لفظ (الثّقة) لاينحصرُ في خصوصِ المتحرّزِ عن الكَذِب في النّقل، وإنّما الثّقة يشملُ تعديلَ الرّاوي نفسَهُ؛ ولذا جاء لفظ (الثّقة) في توثيقات بعض الرّجاليينَ من دونِ ذكر قرينة تقيّد اللّفظ.

يقولُ حسن الصّدر بهذا الصّدد: ((كون (ثقة) حقيقةً في العدل الإمامي عند الاطلاق محل تأمل؛ وذلك إنّا نرى المتأخرينَ من أصحابِنا إذا وجدوا أحد المشايخ نصَّ على فلانٍ بأنّه ثقة ولم يتعرض لفسادِهِ، ونصَّ آخرٌ منهم على فطحيتِهِ أو وقفِهِ ولم يتعرض لتوثيقِهِ، لم يحكموا بالتّعارض بينَ النصّينِ، مع أنّ التّوثيقَ يتضمنُ الاخبار والحكم بالإيمان، والفطحيةُ لا تجامع الإيمان، فلابُدّ من المرجّح، لا بل نراهم جمعوا بينهما وقالوا: ((هو فطحي ثقة)) معلّلين ذلكَ بعدمِ التّنافي، وقد استقرّت الطريقةُ على ذلك، وهذا ممّا يشهد بأنّ لفظَ (الثّقة) أعم من العدل))(٥٥).

ثانياً: الخبر الموثوق

تقدّمَ في المطلب السّابق الحديثُ عن إحدى الطُّرق الّتي سلكها علماءُ الشّيعة من الإماميّة في تصحيح الأخبار، وهو البحثُ في وثاقة الرّاوي، وقد سلكَ الكثيرُ من علمائِنا الإماميّة طريقةً أخرى في تصحيح الأخبار، وهي البحثُ في الخبر الموثوق الصّدور عن المعصوم(عليهِ السّلام) المحفوف بالقرائن والأمارات، والّذي يبحثُ فيه عن القرآئن الخارجيّة الّتي يحتفُ بها متنُ الخبر ومضمونه، ولهذا فإنّ البحثَ في الخبر الموثوق يُشكّل مورداً من موارد التّصحيح للحديث، لذا فقد انعقدَ هذا المطلبُ؛ لبيان بعضِ الخصوصيّات المتعلقة بهذا النّوع من الأخبار.

المُراد من الخبر الموثوق:

يُطلق هذا اللّفظ ويُراد بهِ الخبرُ الموثوقُ الصّدور عن المعصوم(عليهِ السّلام) بأيّ نحوٍ من أنحاء الصّدور، وفق القرآئن والأمارات الّتي تحفُ الخبر.

وحيثُ أنّ المقصودَ من الخبر الموثوق، هو الموثوقُ بصدورِهِ عن المعصوم(عليهِ السّلام)، فهو يرتبطُ بمعنى الحديث الصّحيح عند القدماء الّذين عرّفوه ـ كما تقدم في المبحث الثّاني ـ بأنّه: ((ما وثقوا بكونه من المعصوم(عليهِ السّلام)، أعم من أن يكونَ

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

منشأُ وثوقِهم كون الرّاوي من الثّقات أو أمارات أُخر، يظنّونَ أو يقطعون بصدورهِ عنهُ(عليهِ السّلام).
ولذا فإنّ هذا النّحو من الأخبار يكونُ البحثُ فيهِ أعم من كون الرّاوي من الإماميّة أو من غير الإماميّة، ثقة أو غير ثقة؛ لأنّ جهةَ البحث هنا تعمُّ متن الخبر ومضمونه أيضاً، ومجرد الوثوق والاطمئنان بصدور الحديث عن المعصوم(عليهِ السّلام) كافٍ في اعتماد الخبر والعمل به، وقد أشارَ إلى ذلكَ جملةٌ من علماءِ الإماميّة، فمثلاً يقولُ ابنُ أبي جمهور الاحسائي (٨٨٠هـ) بهذا الصّدد: ((إنّ المعيار هو حجيّة الخبر الموثوق بصدورهِ أيّاً من كان الرّاوي))(٥٦).
وصرّحَ السّيّد السّيستاني ـ على ما جآء في تقريرات بحثهِ ـ فيما هو الحجّة من خبر الواحد ((إنّ التّحقيق هو حجيّة الخبر الموثوق به دون خبر الثّقة، وعليه فلابُدّ من حصول الوثوق عندنا بثبوت المخبَر به، و لا يكفي مجرد وثوق المخبِر بصحّة خبره في ذلك، إذا لم يستوجب الوثوقَ لدينا))(٥٧).
وقالَ السّبحاني بهذا الشّأن: ((جرت سيرتُهُم على الأخذ بالخبر الموثوق الصّدور، وإن لم تُحرز وثاقة المخبِر؛ لأنّ وثاقةَ المخبِر طريقٌ إلى إحراز صدق الخبر، وعلى ذلك فيجوزُ الأخذُ بمطلق الموثوق بصدورهِ إذا شهدت القرآئنُ عليه... فإذا تبيَّن وانكشفَ الواقعُ انكشافاً عقلائيّاً بحيث يركن إليه العقلاء، يجوز الركون إليه والاعتماد عليه))(٥٨).
وقد ذكرَ في موضعٍ آخر الفرقَ بينَ الخبرِ الموثوق وخبر الثّقة، فقال: ((إنّ الحجّة هو الخبر الموثوق بصدورهِ عن المعصوم(عليه السّلام) لا خصوص خبر الثّقة، وبينَهما فرقٌ واضح، إذ لو قلنا بأنّ الحجّة قول الثّقة يكون المناط وثاقة الرّجل وإن لم يكن نفس الخبر موثوقاً بالصدور، ولا ملازمةَ بينَ وثاقةِ الرّاوي وكون الخبر موثوقاً بالصدور، بل ربما يكون الرّاوي ثقة، ولكن القرآئن والأمارات تشهد على عدم صدور الخبر من الإمام(عليه السّلام)، وأنّ الثّقة قد التبسَ عليه الأمرُ، وهذا بخلافِ ما لو قلنا بأنّ المناطَ هو كون الخبر موثوق الصّدور، اذ عندئذٍ تكونُ وثاقةُ الرّاوي من إحدى الأمارات على كون الخبر موثوق الصّدور، و لا تنحصر الحجيّة بخبر الثّقة، بل لو لم يحرز وثاقة الرّاوي ودلّت القرآئنُ على صدق الخبر وصحتهِ يجوزُ الأخذُ به))(٥٩).

المطلبُ الثّاني: المسيرةُ التّأريخيّة لمسلك الوثوق ومسلك الوثاقة

هذا البحث لابُدّ منهُ؛ وذلك لأنّه من الأهميّة بمكان بحيث أنّه يكشفُ لنا عن مدى ارتباطهِ بالمدارس الفقهيّة المتنوّعة زماناً ومكاناً، وتظهر آثارُه الفقهيّة جليّةً في استدلال الأعلام كما سيتضح، إن شاء اللهُ تعالى.
إنّ الطّابع العامّ لمرحلة المتقدمينَ، وتحديداً من عصر الطّبقة الرّابعة والخامسة ـ عصر أصحاب الإمامين الباقر والصّادق(عليهما السّلام)، (القرن الثّاني)ـ إلى عصر الطّبقة الثّانية عشرـ عصر الشّيّخ النّجاشيّ والطّوسيّ، (القرن الخامس)ـ، هو انتهاجُها وتبنيّها لمسلك الوثوق (المنهج الصّدوري)، وذلكَ واضحٌ من كلمات جمع من أعلام هذه المرحلة، كما هو ظاهرٌ من كلمات الشّيّخ الكليني (ت٣٢٩هـ) في مقدمة كتابهِ (الكافي).
وكذلك الشّيّخ الصّدوق(ت٣٨١هـ) في مقدمة كتابهِ (كتاب من لايحضره الفقيه)، وكذلك الشّيّخ الطّوسيّ (ت٤٦٠هـ) كما هو واضحٌ في مقدمة كتابهِ (العدّة في الأصول)، وكذلك (كتاب الاستبصار)، حيث يقول: ((وما ليس بمتواتر على ضربين، فضربٌ منهُ يوجبُ العلمَ أيضاً، وهو كلُّ خبرٍ تقترن إليه قرينة توجبُ العلم وما يجري هذا المجرى يجب أيضاً العملُ به))(٦٠).
ومن هنا قسّموا الرّوايات تقسيماً ثُنائيّاً إلى (معتبر وغير معتبر)، أو (صحيح وضعيف)...
وكان مسلكُ الوثوق واضحَ الأركان ثابت القاعدة في هذهِ الفترة وعند أغلب الحواضر العلميّة الشّيعيّة انذاك، كالكوفة وبغداد وقم...
حتّى وصلنا إلى مرحلة المحقّق الحلّي (ت٦٧٦هـ) ـ الطّبقة السّابعة عشرـ في حوزة الحلّة العلميّة، ومعاصره السّيّد أحمد بن طاووس (ت٦٧٣هـ)، فقد كان المحقّقُ من مشيّدي ومبتكري مسلك الوثاقة (المنهج السّندي) الّذي هيمن على السّاحة العلميّة عدّة قرون، وخلال عشر طبقات ـ كما سيأتي تفصيلُهُ إن شاء اللهُ تعالى ـ إلى زمان الشّيّخ (محمّد بن الحسين بن عبد الصّمد العاملي المتوفى ١٠٣٠هـ)، فقد كان محطّةً مهمّةً في إعادة الحياة إلى مسلك الوثوق (المنهج الصّدوري) من خلال

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

ما ذكره في مقدمة كتابهِ (الحبل المتين).

وتبعه في هذا المنهج جملةٌ من معاصريه كالسّيّد محمّد باقر الاسترابادي و الميرداماد، والميرزا محمّد عليّ الاسترابادي صاحب الكتب الثّلاثة في الرّجال.

ومن ثَمّ جاء بعد ذلكَ الشّيّخ العاملي (ت١١٠٤هـ) صاحبُ الوسائل، فقد اهتّم بمسلك الوثوق وعقد باباً خاصّاً سردَ فيه القرآئنَ الّتي يُمكن أن تدلّ على اثبات صدور الرّوايات(٦١).

وجاء بعدَ ذلكَ المحدّثُ البحراني (ت١١٨٦هـ) فانتهجَ عينَ المسلك، وعقد مقدّمةً مفصّلةً بهذا الشّأن في كتابهِ (الحدائق النّاظرة)(٦٢)، وجاء بعدَ ذلكَ ـ وإن كان معاصراً له زماناً ـ العلاّمة محمّد باقر الوحيد البهبهائي (ت١٢٠٦هـ) وقد تبنّى مسلكَ الوثوق بوضوح من خلال تعليقتهِ على منهج المقال للإسترابادي، وكذلك تعليقته على (مجمع الفائدة والبرهان) للمحقّق الاردبيلي، وكذلك تعليقته على (مدارك الأحكام) للسيّد محمّد العاملي.

ومن ثَمّ جاءَ بعدَ ذلكَ الميرزا أبو القاسم القميّ (ت١٢٣١هـ) كما يظهر من كتابهِ (غنائم الأيام)، وكذلك السّيّد عليّ الطّباطبائي (ت١٢٣١هـ)، صاحب (رياض المسائل)، وكذلك الملا أحمد النّراقي (ت١٢٤٥هـ) في كتابهِ (مستند الشّيعة).

ومن ثَمّ جاءَ بعدَ ذلكَ الفقيهُ المعروفُ الشّيّخ محمّد حسن النّجفيّ (ت١٢٦٦هـ)، في كتابه (جواهر الكلام)، ومن ثَمّ تبعهُ في المسلك تلميذُهُ الشّيّخ الأعظم الأنصاري (ت١٢٨١هـ) كما هو ظاهرُ كتبهِ الفقهيّة.

وسارَ على نفس المنهج الفقيه آغا رضا الهمداني (ت١٣٢٢هـ) كما عليه كتابُهُ (مصباح الفقيه)(٦٣)، وتبعهم في ذلك المحقّق السّيّد البروجردي (ت١٣٨٠هـ) والّذي يعتبر من المحطّات المهمّة في هذا المسلك.

ومن الواضح تبنّي هذه النُّخبة المهمّة من الفقهاء لمسلك الوثوق طيلة قرون عديدة، فقد اعتمدوا ـ مضافاً إلى النّصوص الرّجاليّة ـ القرآئن في توثيق الرُّواة وتصحيح الرّوايات وجعلوا المناط إنّما هو الوثوق بصدور الرّواية عن المعصوم(عليه السّلام)، أعمّ من كونهِ يمرُّ من خلال وثاقة الرّاوي أو غيره، وأمّا الكلامُ في تأريخ مسلك الوثاقة (المنهج السّندي):

فقد أشرنا ـ فيما سبق ـ إلى أنّ الإنطلاقة الأُولى لمسلك الوثاقة كانَ على يد المحقّق الحلّي (أبو القاسم نجم الدّين جعفر بن سعيد الحلّي، المتوفّى ٦٧٦هـ)، المعروف بالمحقّق على الإطلاق وممّن ساعدَ في استقرار مسلك الوثاقة في حوزة الحلّة العلميّة تبنّي السّيّد أحمد بن طاووس (ت٦٧٣هـ) لهذا المسلك.

ومن ثَمّ جاءت محطّةُ الشّهيّد الثّاني (ت٩٦٦هـ) ـ وهو من الطّبقة الخامسة والعشرين ـ، وهي محطّةٌ مهمّةٌ في تاريخ مسلك الوثاقة؛ لقيامه بتدعيم المسلك بقواعد رجاليّة ودرايتيّة.

وممّا يُحسب للشهيّد الثّاني أنّه أثّر كثيراً في جملةٍ ممّن جاء بعدَه، سواء أكانوا من أفراد أسرتهِ وأحفادهِ أو من غيرهم، فقد جاء الشّيّخ حسن صاحبُ المعالم (ابن الشّهيّد الثّاني)، (ت١٠١١هـ) فاعتمدَ مسلك والدهِ، وشرعَ بنقد الأحاديث، فأثمرت جهودُهُ كتابَهُ القيّم (مُنتقى الجمان في الأحاديث الصّحاح والحسان)، ومن ثَمّ تبعه سبطُ الشّهيّد الثّاني السّيّد محمّد العاملي (ت١٠٠٩هـ) في كتابه (المدارك)، و(نهاية المرام).

ومن بعدِهم حفيده محمّد بن الحسن بن الشّهيّد الثّاني (ت١٠٣٠هـ) أثمرت جهودُهُ بكتاب (استقصاء الاعتبار في شرح الاستبصار)، فقامَ بإعمال القواعد الرجاليّة الّتي أسّسها أبوه وجدُّهُ.

هذا فيما يخصّ عائلةَ الشّهيّد الثّاني، وأمّا فيما يخصّ خارجها، فقد تبنّى مسلكَ الوثاقةِ بعدَ الشّهيّدِ الثّاني جمعٌ منهم:

المولى أحمد الأردبيلي (ت٩٩٣هـ) في كتابه (مجمع الفائدة والبرهان)، وهو أستاذ الشّيّخ حسن العاملي، والسّيّد محمّد الموسوي العاملي.

وممّن سلكَ هذا المسلك في القرن الحادي عشر المولى التستري الّذي قامَ بجمع آراء ابنِ الغضائري، وتبعَهُ في ذلك القهبائي في (مجمع الرّجال)، والتّفريشي (ت١٠٤٤هـ) في (نقد الرّجال).

ومن ثَمّ تبنّى هذا المسلك الشّيّخ عبد النّبيّ الجزائري (ت١٠٢١هـ) صاحب كتاب (الحاوي)، كما أشارَ بنفسهِ إلى ذلكَ في

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

مقدّمةِ كتابه(٦٤)، وكان الرّجلُ شديداً على الرُّواة، وعادةً مايُشبّه بابنِ الغضائري من هذهِ الجهة.
وفي الختام لابُدّ من الإشارة إلى الأثر الكبير الّذي خلّفهُ سيّدُ مشايخِنا المحقّق الخوئي (ت١٤١٣هـ)؛ لِتنبيه مسلك الوثاقة، فكان لهُ الأثرُ الكبيرُ في تحريك عجلة الاهتمام بعلم الرّجال في حوزة النّجف الأشرف في النّصف الثّاني من القرن الرّابع عشر، فكتبَ موسوعتَهُ الشّهيرة (معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرّواة) في أكثر من ثلاثة وعشرين مجلداً، هذا من جانب.
ومن جانب آخر فمن جملة آثاره تبنّي جمعٌ من تلامذتهِ في حوزة النّجف الأشرف وقم المقدّسة لمسلكهِ هذا، ومنهم شيخُنا الأستاذ الفياض وغيره(٦٥).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الرحمة ابي القاسم محمد وعلى اله المنتجبين ، ونحمده على النعمه التي انعم بها علينا لاكمال دراستنا الاكاديميه ، وبعد هذه الرحله مع بحث التخرج وموضوعه (التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة) ، فقد توصل وتمخض البحث الى نتائج منها :

١– تبيّن أنّ القدماء من الشّيعة الإماميّة كانوا يُقسّمون أخبار الآحاد إلى قسمين هما: الصّحيّح (معتبر): وهو ما أيّدتهُ القرآئن الداخليّة أو الخارجيّة وغير الصّحيح (ضعيف): وهو الحديثُ الّذي لم تتوفر فيه تلك الميزتين.
٢–كما تبيَّن أنّ المتأخرينَ من علماء الشّيعة الإماميّة عدَلوا عن تقسيم القدماء وقسّموا أخبار الآحاد إلى الأقسام الأربعة: (الصّحيّح، الموثّق، الحسن، الضّعيف).
٣– بانَ الخلافُ حولَ أوّل مَن أحدثَ التّقسيمَ الرُّباعيّ على الأقوال المتقدّمة، من أنّه السّيّد جمال الدّين بن طاووس، كما اختارَهُ صاحبُ المعالم و جماعة، أو أنّه العلاّمةُ الحلّي، كما هو مختارُ الفيض الكاشاني و جماعة، أو أنّه مردّدٌ بينَهُما كما ذهبَ إليه صاحبُ الحدائق.
٤– تبيّن أنّ هناكَ ثمرة للتّقسيم الرُّباعيّ في مجال التّعارض على القولِ بالتّرجيح بصفات الرّاوي.
٥– اتّضحَ ممّا سبق أنّ المتأخرينَ أوعزوا سببَ ذلكَ العدول إلى عدّة أمور، منها: طول المدّة بينَهم وبينَ المتقدمين، ممّا أدى إلى اندراسِ بعضِ الأصول المُعتمدة، وغير ذلك.
٦– عرفنا أنّ هناك طريقتينِ لتصحيح الأخبار: الأولى: البحث عن أحوال رواة الخبر وإحراز وثاقتِهم وصولاً إلى المعصوم(عليه السّلام)، وهو المعبّر عنهُ في كلماتِ الأعلام بـ(خبر الثّقة)؛ والثّانية: البحث عن الخبر المحتف بالقرآئن الّتي تُفيدُ الوثوقَ بالخبر والاطمئنان بصدورِهِ عن المعصوم(عليه السّلام)، وقد اطلق الأعلامُ على هذا الخبر بـ(الخبر الموثوق).
٧– اتّضح أنّ للفظ الثّقة عدّة معانٍ، منها: العدل الإمامي، ومنها: المتحرّز عن الكذب و غير ذلك.
وأنّ المُراد من الخبر الموثوق، هو الموثوق الصّدور عن المعصوم(عليه السّلام)، بأيّ نحوٍ من أنحاء الصّدور.
٨– تبيَّن أنّ الطّابعَ العامّ لمرحلةِ المتقدمينَ، وتحديداً عصر الطّبقة الرّابعة والخامسة إلى عصر الطّبقة الثّانية عشر، هو انتهاجُها وتبنيها لمسلك الوثوق كما هو واضحٌ من كلماتِ جمعٍ من أعلام هذه المرحلة.
وأمّا مسلكُ الوثاقةِ، فإنّ الإنطلاقةَ الأولى له كانت على يد المحقّق الحلّي (ت٦٧٦هـ).

الهوامش:

١– يُراد من مصطلح القدماء –هنا– الفقهاء الّذين سبقوا المحقّق الحلّي (٦٧٦هـ)، أو العلاّمة الحلّي (٧٢٦هـ). ينظر: طباطبائي، مقدمة برفقة شيعه: ٢٩–٣٠.

٢– عُرّف خبرُ الواحد بتعريفاتٍ عدّة، والتّعريفُ الجامع بينها، هو أنّهُ: الّذي لا يبلغ حدَّ التواتر ـ سواء كثرت رواته أم قلّت ـ وليس شأنه إفادة العلم بنفسهِ، أمّا الحديثُ المتواتر فقد عُرّف بأنّهُ: خبرُ جماعةٍ بلغوا من الكثرة إلى حدّ أحالت العادةُ اتفاقَهم وتواطئهم على الكذب.
يُنظر: الشّهيد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، الرّعاية في علم الدّراية: ١٥، والعاملي، حسن بن زين الدّين، معالم الدّين وملاذ المجتهدين: ٣٤٢، وحسين عبد الصّمد، وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار: ٩٣، والمامقاني، عبد الله، مقباس الهداية ١: ١٢٥، والصّدر، محمّد باقر، دُروس في علم الأُصول ١: ٢٤١، ومحمّد صنقور عليّ، المعجم الأُصولي ٢: ٨٨.

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

٣– كوثاقةِ الرّاوي.
٤– كوجودهِ في أصلٍ معتبر معروف الانتساب إلى جماعة، كزرارة ومحمّد بن مسلم والفضل بن يسار.
٥– يُنظر: الحائري، محمّد حسين، الفصول الغرويّة في الأصول الفقهيّة: ٣٠٩، والأصفهاني، عبد الرّزاق بن عليّ رضا الحائري، الوجيز في علم الحديث ٢: ٥٣٢ والسّبحاني، جعفر، كليّات في علم الرّجال: ٣٥٨، والسّبحاني، جعفر، أُصول الحديث وأحكامه: ٣٦.
٦– السّبحاني، جعفر، أصول الحديث وأحكامه: ٣٥.
٧– الشّهيد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، الرّعاية في علم الدّراية: ٥٤.
٨– العاملي، حسن بن زين الدّين، مُنتقى الجمان: ١٤–١٥.
٩– يُنظر: الطّوسيّ، محمّد بن الحسن، عدّة الأُصول: ٣٧٢.
١٠– اصطلاح الحديث الصّحيح.
١١– البهائي، محمّد بن حسين عبد الصّمد، مشرق الشّمسين و إكسير السّعادتين: ٢٦٩.
١٢– الاسترآبادي، محمّد أمين، الفوائد المدنيّة والشّواهد المكيّة: ١٠٩.
١٣– الفيض الكاشاني، محمّد محسن بن الشّاه، الوافي ١: ١١.
١٤– يُنظر: المامقاني، عبد الله، مقباس الهداية ١: ١٣٧، الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ٤٣.
١٥– يُنظر: رضا مؤدب، دروس في علم الدّراية:٤٧، ورضا مؤدب، تاريخ الحديث: ١٢١.
١٦– العاملي، حسن بن زين الدّين، مُنتقى الجمان ١: ١٣.
١٧– الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشّيعة ٣٠: ٩٦.
١٨– الفيض الكاشاني، محمّد محسن بن الشّاه، الوافي ١: ٢٢.
١٩– البهائي، محمّد بن حسين عبد الصّمد، مشرق الشّمسين: ٣.
٢٠– الأمين، محسن، أعيان الشّيعة ٥: ٤٠١.
٢١– الشّيرازي، محمّد الحسيني، حول السُّنّة المطهّرة: ٣٩.
٢٢– يُنظر: البحراني، يوسف، الحدائق النّاظرة ١: ١٦.
٢٣– للتفصيل يُنظر: الغريفي، محي الدّين، قواعد الحديث ١: ١٨.
٢٤– الكافي للكليني، والفقيه للصدوق، والتّهذيب والاستبصار للطّوسيّ.
٢٥– البحراني، يوسف، الحدائق الناظرة ١: ١٥–٢٤.
٢٦– الفيض الكاشاني، محمّد محسن بن الشّاه، الوافي ١: ١١.
٢٧– يُنظر: الغريفي، محي الدّين، قواعد الحديث ١: ١٩–٢٠.
٢٨– الهاشمي، هاشم، أضواء على علمي الدّراية والرّجال: ٢٧.
٢٩– بركات، أكرم، دروس في علم الدّراية: ٤٧– ٤٨.
٣٠– حسين عبد الصّمد، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار: ٩٢، والشّهيد الثّاني ، زين الدّين بن عليّ، الرّعاية في علم الدّراية: ١٩، والدّاماد، محمّد باقر، الرّواشح السّماويّة: ٤٠، والمامقاني، عبد الله، مقباس الهداية: ١: ١٤٦ و١٥٧، والكني، عليّ، توضيح المقال: ٢٤٦.
٣١– الشّهيد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، المصدر نفسه: ٧٧.
٣٢– يُنظر: الشّهيد الأوّل، محمّد بن جمال الدّين، ذكرى الشّيعة في أحكام الشّريعة: ٤، والشّهيد الثّاني ، زين الدّين بن عليّ، الرّعاية في علم الدّراية: ٨١–٨٣، وحسين عبد الصّمد، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار: ٩٥–٩٧ ، والبهائي، محمّد بن حسين عبد الصّمد، الوجيزة: ٥، والدّاماد، محمّد باقر، الرّواشح السّماويّة: ٧٢.
٣٣– يُنظر: الشّهيد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، الرّعاية في علم الدّراية: ٨٤–٨٥، والبهائي، محمّد بن حسين عبد الصّمد، الوجيزة في علم الدّراية: ٥، والصّدر، حسن، نهاية الدّراية: ٢٥٩، وحسين عبد الصّمد، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار: ٩٧–٩٨، والعاملي، حسن بن زين الدّين، معالم الدّين وملاذ المجتهدين: ٢١٦، والدّاماد، محمّد باقر، الرّواشح السّماويّة: ٧٢–٧٤، والفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث: ١٠٨.

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

٣٤– يُنظر: الشّهيد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، الرّعاية في علم الدّراية: ٨٦، وحسين عبد الصّمد، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار: ٩٨ والبهائي، محمّد بن حسين عبد الصّمد، الوجيزة في علم الدّراية، ٢٢، والدّاماد، محمّد باقر، الرّواشح السّماويّة: ٤٥، والكني، عليّ، توضيح المقال: ٢٤٨.

٣٥– الشّهيد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، المصدر نفسه، ٨٥، وحسين عبد الصّمد، المصدر نفسه: ٥.

٣٦– يُنظر: السّلامي، محمّد جواد كاظم، الوجيز في علوم الحديث الشّريف: ٨٧–٩٤، والسّلامي، محمّد جواد كاظم، المنهج الغائي في تصحيّح الحديث عند الإماميّة: ٨٧–٨٩.

٣٧– الخوئيّ، أبو القاسم، التّنقيح، كتاب الصلاة، ١: ٤٥١.

٣٨– شبيريّ زنجاني، دروس خارج الفقه، عنوان البحث: تعدّد الزّوجات.

٣٩– الهاشميّ، هاشم، أضواء على علمي الدّراية والرّجال : ٢٤_ ٢٧ .

٤٠– الرّحيمي، محمّد عليّ الشّيّخ محراب، محاضرات في علم الحديث المقارن، تقريرات بحث السّيّد محمّد صادق الخرسان: ١٨.

٤١– العاملي، حسن بن زين الدّين، مُنتقى الجمان ١: ١٤.

٤٢– يُنظر: البهائي، محمّد بن حسين عبد الصّمد، مشرق الشّمسين: ٤، والمامقاني، عبد الله، مقباس الهداية: ١٤٥، والخاقاني، عليّ، رجال الخاقاني: ٢٧٠، والسّبحاني، جعفر، أصول الحديث وأحكامه: ٤٥، والسّبحاني، جعفر، كليّات في علم الرّجال، ٣٥٨، والشّيرازي، مهدي الكجوري، الفوائد الرّجاليّة: ٨٩–٩٠.

٤٣– الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشّيعة: ٣٠ : ٢٠٣–٢٠٤.

٤٤– يُنظر: السّلامي، محمّد جواد كاظم، المنهج الغائي في تصحيّح الحديث عند الإماميّة: ٩٤.

٤٥– يُنظر: السّلامي، محمّد جواد كاظم، الوجيز في علوم الحديث الشّريف: ٨٧.

٤٦– الخبر المتواتر: هو الخبرُ الّذي يبلغُ عددُ الرّواة في كلّ الطّبقات فيهِ حدّاً يمتنعُ عادةً اشتباهُهم أو تواطؤُهم على الكَذِب. يُنظر: الشّهيّد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، الرّعاية في علم الدّراية: ٦٢، و العاملي، حسن بن زين الدّين، معالم الدّين: ١٨٦، والمظفّر، محمّد رضا، أصول الفقه ٣: ٧١، ومحمّد صنقور عليّ، المعجم الأصولي ٢: ٩٠، والفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث: ٨٢.

٤٧– ويطلق عليه علماءُ الدّراية بالخبر الموثوق، وهو الّذي يحتف بقرائن تُفيد صدورَهُ عن المعصوم(عليه السّلام)، يُنظر: الصّدر، حسن، نهاية الدّراية: ١٠١، ومحمّد صنقور عليّ، المصدر نفسه ٢: ٩٠، والفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث: ٨٢.

٤٨– خبر الواحد: هو الّذي لا يبلغُ حدَّ التّواتر ـ سواء أكثرت رواتُهُ أم قلّت ـ وليس شانه إفادته العلم بنفسه.

يُنظر: الشّهيّد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، الرّعاية في علم الدّراية: ١٥، والعاملي، حسن بن زين الدّين، معالم الدّين: ٣٤٢، وحسين عبد الصّمد، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار: ٩٣، والمامقاني، عبد الله، مقباس الهداية ١: ١٢٥، والصّدر، محمّد باقر، دروس في علم الأصول ١: ٢٤١، وعليّ أكبر غفّاري، دراسات في علم الدّراية: ١٨، ومحمّد صنقور عليّ، المعجم الأصولي ٢: ٩٢.

٤٩– البهائي، محمّد بن حسن عبد الصّمد، مشرق الشّمسين: ٢٧١، يُنظر: الشّهيّد الثّاني، زين الدّين بن علي، الرّعاية في علم الدّراية، ١٨٦، والأصفهاني، محمّد رضا، وقاية الأذهان: ٥٢٨، والخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث ١: ٤١.

٥٠– المامقاني، عبد الله، مقباس الهداية ٢:ة ١٤٧، يُنظر: الشّهيّد الثّاني، زين الدّين بن عليّ، مسالك الافهام ٣: ٣٨٧، والكلباسي، محمّد بن محمّد بن إبراهيم، الرّسائل الرّجاليّة ١: ٣٤، والخوئي، أبو القاسم، مصباح الأصول، (تقريرات البهسودي) ٢: ١٩٤، والخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة ٣: ٣١٢، والصّدر، عليّ، الفوائد الرّجاليّة: ٨٣، والسّند، محمّد بن حميد، الإجتهاد والتقليد في علم الرّجال: ٢٢٥.

٥١– الواقفة: هم الواقفون على الإمام موسى بن جعفر (عليهما السّلام)، وأنّه حيٌّ يُرزق، وأنّه هو القائمُ من آل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وان غيبتَهُ كغيبةِ موسى (عليه السّلام) عن قومه، ويلزمُ من ذلك عدم انتقال الإمامة إلى ولدهِ الإمام الرّضا (عليه السّلام).

٥٢– يُنظر: الصّدر، حسن، نهاية الدّراية: ٢٨٢.

٥٣– الطّوسيّ، محمّد بن الحسن، عدّة الأصول ١: ١٣٤.

٥٤– الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشّيعة ٣٠: ٢٦٠، يُنظر: الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، الفصول المهمّة في أصول الأئمّة ١: ٥٩١، والانصاري، مرتضى، فوائد الأصول ١: ٣٠١، والعراقي، ضياء الدّين، نهاية الأفكار ٣: ١٣٤، والبجنوردي، حسن عليّ، منتهى الأصول ٢: ١١١، والخوئي: أبو القاسم، كتاب الصّلاة: ٢٨٢.

٥٥– الصّدر، حسن، نهاية الدّراية: ٣٩٠.
٥٦– الإحسائي، محمّد بن عليّ، عوالي اللئالي ١: ٤١.
٥٧– تقرير بحث السّيستاني، قاعدة لا ضرر و لا ضرار: ٨٧، يُنظر: الحائري، عبد الكريم، درر الفوائد ٢: ٣٩٢.
٥٨– السّبحاني، جعفر، كليّات في علم الرّجال: ١٥٥– ١٥٦.
٥٩– المصدر نفسه: ١٥٨.
٦٠– يُنظر: الطّوسيّ، محمّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الاستبصار، المقدمة: ٣.
٦١– يُنظر: الحرّ العامي، محمّد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشّيعة ٢٠: ٦٠.
٦٢– يُنظر: البحراني، يوسف بن أحمد (ت١١٨٦هـ)، الحدائق النّاظرة ١: ١٤.
٦٣– يُنظر: الهمداني، آغا رضا، مصباح الفقيه ٢: ١٢.
٦٤– يُنظر: الجزائري، عبد النّبيّ، حاوي الاقوال في معرفة الرّجال: ١٠٥.
٦٥– يُنظر: عادل هاشم، مختارات رجاليّة مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق: ١٠–٢٤.

المصادر:

القرآن الكريم
١– الإجتهاد والتّقليد في علم الرّجال، السّند، محمّد بن حميد(معاصر)، ط١، مطبعة وفا، قم المقدّسة، ١٤٣١هـ.
٢– أُصول الحديث، الفضليّ، عبد الهادي بن محسن(ت٢٠١٣م)، ط٢، مركز الغدير، بيروت، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٣– أُصول الحديث وأحكامه، السّبحاني، جعفر بن محمّد حسين(معاصر)، تحقيق: مؤسّسة الإمام الصّادق(عليه السّلام)، ط٥، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، قم المقدسة، ١٤١٤هـ.
٤– أصول الفقه، المظفر، محمّد رضا(ت١٣٨٨هـ)، تحقيق: عبّاس عليّ الزارعي، ط١٢، مؤسّسة بوستان كتاب، قم المقدّسة، ١٤٣٤هـ.
٥– توضيح المقال في علم الرّجال، الكّني، عليّ بن قربان بن قاسم الآملي(ت١٣٠٦هـ): تحقيق: محمد حسين مولوي، ط١، مطبعة سرور، قم المقدّسة، ١٤٢١هـ.
٦– حول السُّنة المطهّرة، الشّيرازي، محمّد الحسيني(١٣٤٧هـ)، ط١، دار العلوم، بيروت، ١٤١٤هـ.
٧– دراسات في علم الدّراية، عليّ، أكبر غفّاري(معاصر)، تحقيق: علي أكبر غفّاري، ط١، مطبعة تابش، طهران، ١٣٦٩ش.
٨– دروس في علم الأصول، الصّدر، محمّد باقر بن حيدر(ت١٤٠٠هـ)، ط٢، مطبعة النّعمان، النّجف الأشرف، ١٣٩٠هـ.
٩– دروس في علم الدّراية، أكرم بركات(معاصر)، ط٣، دار الصّفوة، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١٠– دروس في علم الدّراية، رضا مؤدب(معاصر)، ط١، مطبعة أميران، قم المقدّسة، ١٤٢٦هـ.
١١– دروس موجزة في علميّ الدّراية والرّجال، السّبحاني، جعفر بن محمّد حسين(معاصر)، ط٣، مطبعة التّوحيد، قم المقدّسة، ١٤١٤هـ.
١٢– ذكرى الشّيعة في أحكام الشّريعة، الشّهيد الأوّل، محمّد بن جمال الدّين العاملي(ت٧٨٦هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت(عليهم السّلام) لإحياء التّراث، ط١، مطبعة ستارة، قم المقدّسة، ١٤١٩هـ.
١٣– رجال الخاقاني، الخاقاني، عليّ بن حسن بن عبّاس(ت١٣٣٤هـ)، تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم، ط٢، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم المقدّسة، د.ت.
١٤– الرّسائل الرّجاليّة، الكلباسي، محمّد بن محمّد إبراهيم(ت١٣١٥هـ)، تحقيق: محمّد حسين الدّرايتي، ط١، مطبعة سرور، قم المقدّسة، ١٤٢٢هـ.
١٥– الرّعاية في علم الدّراية، الشّهيد الثّاني، زين الدّين بن عليّ العاملي (ت٩٦٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين محمّد عليّ بقال، ط٢، بهمن، قم المقدّسة، ١٤٠٨هـ.
١٦– الرّواشح السّماوية، الدّاماد، محمّد باقر بن محمّد(ت١٠٤١هـ)، تحقيق: غلام حسين، نعمة الله الجليل، ط١، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.
١٧– عدّة الأصول، الطّوسيّ، محمّد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: محمّد مهدي نجف، ط٥، مؤسّسة آل البيت(عليهم السّلام) لإحياء التّراث، قم المقدّسة، ١٤١٧هـ.
١٨– علم الدّراية المقارن، رضا مؤدب(معاصر)، ط١، مطبعة بقيع، قم المقدّسة، ١٤٢٦هـ.
١٩– عوالي اللئالي، الإحسائي، محمّد بن عليّ بن إبراهيم(ت٨٨٠هـ)، تحقيق: مجتبى العراقي، ط١، مطبعة سيّد الشّهداء، قم المقدّسة،

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

١٤٠٣هـ.
٢٠- فرائد الأصول، الأنصاري، مرتضى(ت١٢٨١هـ)، تحقيق: لجنة تحقيق تُراث الشيّخ الأعظم، ط١، مطبعة باقري، قم المقدّسة، ١٤١٩هـ.
٢١- الفصول الغرويّة في الأصول الفقهيّة، الحائري، محمّد حسين بن عبد الرّحيم(ت١١٢٥هـ)، د.ط، مطبعة ثمونه، قم المقدّسة، ١٤٠٤هـ.
٢٢- الفصول المهمّة في أصول الأئمّة(عليهم السّلام)، الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن(ت١١٠٤هـ)، تحقيق: محمّد بن محمّد الحسين القائيني، ط١، مطبعة نكين، قم المقدّسة، ١٤١٨هـ.
٢٣- الفوائد الرّجاليّة، الشّيرازيّ، مهدي الكوجري(ت١٢٩٣هـ)، تحقيق: محمّدكاظم رحمن ستايش، ط١٢، دار الحديث، قم المقدّسة، ١٤٢٤هـ.
٢٤- الفوائد المدنيّة والشّواهد المكيّة، الإسترآبادي، محمّد أمين(ت١٠٣٣هـ)، تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي، ط١، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، طهران، ١٤٢٤هـ.
٢٥- قاعدة لا ضرر ولا ضرار، السّيستاني، عليّ الحسيني (المرجع الأعلى)، تقريرات منير عدنان القطيفي، ط١، مطبعة مهر، قم المقدّسة، ١٤١٤هـ.
٢٦- قواعد الحديث، الغريفي، محيّ الدّين بن جواد(ت١٤١٢هـ)، تحقيق: محمّد رضا محيّ الدّين الغريفي، ط٥، مطبعة ثامن الحجج، سوريا، ١٤٢٩هـ.
٢٧-كتاب الصّلاة، الخوئي، أبو القاسم بن عليّ أكبر الموسويّ(ت١٤١٣هـ)، ط٣، مطبعة حيدر، قم المقدّسة، ١٤١٠هـ.
٢٨-كليّات في علم الرّجال، السّبحاني، جعفر بن محمّد حسين(معاصر)، ط٣، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، قم المقدّسة، ١٤١٤هـ.
٢٩- مختارات رجاليّة، مسلك الوثاقة ومسلك الوثوق، عادل هاشم (معاصر)، ط، مؤسّسة الصّادق(عليه السّلام)، قم المقدّسة، ١٤٤١هـ -٢٠٢٠م.
٣٠- مشرق الشّمسين وإكسير السعادتين، البهائي، محمّد بن حسين عبد الصّمد(ت١٠٣١هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، ط٢، مطبعة الاستانه الرضويّة المقدّسة، مشهد، ١٤٢٩هـ.
٣١- معالم الدّين وملاذ المجتهدين، العاملي، حسن بن زين الدّين(ت١٠١١هـ)، ط١٣، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، قم المقدّسة، ١٤٣١هـ.
٣٢- المعجم الأصوليّ، محمّد صنقور عليّ البحراني (معاصر)، ط٣، مطبعة عترت، بيروت، ١٤٢٦هـ.
٣٣- مُعجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرّواة، الخوئيّ، أبو القاسم بن عليّ أكبر الموسويّ(ت١٤١٣هـ)، ط٥، مركز الثّقافة الإسلاميّة، قم المقدّسة، ١٤١٣هـ.
٣٤- مقباس الهداية في علم الدّراية، المامقاني، عبد الله بن محمّد حسن بن عبد الله(ت١٣٥١هـ)، تحقيق: محمّد رضا المامقاني، ط١، مطبعة مهر، قم المقدّسة، ١٤١١هـ.
٣٥- منتقى الجُمان في الأحاديث الصّحاح والحسان، العامليّ، حسن بن زين الدّين(ت١٠١١هـ)، تحقيق: علي اكبر الغفاري، ط١، المطبعة الإسلاميّة، قم المقدّسة، ١٣٦٢ش.
٣٦- نهاية الأفكار، العراقيّ، ضياء الدّين(ت١٣٦١هـ)، تحقيق: أحمد أحمدي أمير كلائي، ط١، انتشارات سيّد الشّهداء، قم المقدّسة، ١٣٧٤هـ.
٣٧- نهاية الدّراية، الصّدر، حسن بن هادي(ت١٣٥١هـ)، تحقيق: ماجد الغرباوي، د.ط، مطبعة اعتماد، قم المقدّسة، ١٤٢٠هـ.
٣٨- الوافي، الفيض الكاشاني، محمّد محسن بن الشّاه(ت١٠٩١هـ)، تحقيق: ضياء الدّين الحسيني الأصفهاني، ط١، أصفهان، ١٤٠٦هـ.
٣٩- الوجيزة في علم دراية الحديث، عبد الرّزاق بن عليّ بن رضا الحائريّ(ت١٣٨٣هـ)، تحقيق: رضا قبادلو، ط١، مطبعة أمير، قم المقدّسة، ١٣٧٤ش.
٤٠- الوجيزة في علم الدّراية، البهائي، محمّد بن حسين عبد الصّمد(ت١٠٣١هـ)، تعليقات علاء الموسويّ، ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٤١- وسائل الشيّعة إلى تحصيل مسائل الشّريعة، الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن(ت١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت(عليهم السّلام) لإحياء التّراث، ط٢، مطبعة مهر، قم المقدّسة، ١٤١٤هـ.
٤٢- وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار، العامليّ، حسين عبد الصّمد(ت٩٨٤هـ)، تحقيق: عبد اللّطيف الكوهكري، ط١، الخيّام، بيروت، ١٤٠١هـ.

التقسيم الرباعي للحديث وتأصيله لمبنى الوثاقة

السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة

م. د. امتثال كاظم النقيب
جامعة بغداد/ مركز احياء التراث العلمي العربي

المستخلص:
تعد العتبة العباسية من أهم المعالم الدينية والتاريخية في العراق، وهي مرقد الإمام العباس ابن علي بن أبي طالب(عليهما السّلام)، رابع الخلفاء الراشدين. وقد شهدت العتبة العباسية المطهرة العديد من المراحل العمرانية عبر تاريخها الطويل، وقد تميزت بعض هذه المراحل بوجود سمات معمارية مميزة، مثل السمة القاجارية بالإضافة الى يُعد هذا البحث مهمًا لأنه يسلط الضوء على سمة معمارية مهمة في تاريخ العمارة الإسلامية كما أنه يساهم في فهم تاريخ عمارة العتبة العباسية المطهرة، والتي تعد من أهم المعالم الدينية والتاريخية في العالم.

الكلمات المفتاحية : السمة القاجارية ، العمارة الإسلامية ، العتبة العباسية .

Abstract:
The Abbasid Shrine، the shrine of Imam Abbas bin Ali bin Abi Talib، the fourth Rightly Guided Caliph، is one of the most important religious and historical monuments in Iraq. The threshold has witnessed many urban stages، most notably the Qajar stage، which is characterized by delicate geometric and floral decorations، bright colors، and symmetrical geometric shapes. This research sheds light on this important architectural feature in the history of Islamic architecture، which reflects the cultural and political relations between Iraq and Iran.

Keywords: Qajar character, Islamic architecture, the Abbasid shrine.

المقدمة :

مرت العتبة العباسية المطهرة، والاضرحة المقدسة وإلى يومنا هذا، بمراحل عمرانية مختلفة، وأضحت في حقب زمنية، إحدى أهم الحواضر الإسلامية البارزة من الناحية الفنية والعمرانية، وجاء ذلك نتيجة التداخل العمراني الواضح الذي يجمع بين التأثيرات الخارجية والتقاليد المحلية. فقد تركت فنون عمائر حضارات وادي الرافدين باعتبار أن هذه البقعة من الأرض جزء منها وفنون عمائر دول إسلامية تعود إلى حضارات قديمة، كالحضارة الفارسية والبيزنطية آثارها في تشكيل البنية العمرانية لهذه المدينة المقدسة، وما شيد فيها من روائع فنون العمارة الإسلامية، كالمراقد والمساجد والمدارس الدينية والأسواق والبيوت التراثية وغيرها تعد العمارة ارقى حقول المعرفة واكثرها تعبيرا عن تفاعل الانسان مع الزمان والمكان وتمثل المعنى التعبيري والرمزي لأفكار المعماريين الذين عملوا على اعمار مراقد الائمة(عليهم السّلام)ومرت العمارة الإسلامية على المراقد المقدسة عبر تاريخها الطويل بمراحل متطورة متخذه صورا متعددة جاءت انعكاساتها على فنون العمارة. وقد تعرضت بعض المراقد الشريفة بسبب عوامل بشرية للحرق والنهب من قبل الوهابيين وغيرهم فتم بعدها اجراء الاصلاحات اللازمة من اجل الحفاظ على قدسية المراقد والحفاظ على هيبتها، الا ان القاجاريين انفقوا المبالغ الطائلة من اجل الحفاظ على مراقد الائمة(عليهم السّلام)فقد قام القاجاريون بتخصيص الكثير من الاموال لعمارة المراقد وقد قام بعض القاجاريين اثناء زيارتهم الاضرحة المقدسة بانفاق الكثير من الذهب من اجل تجميل الشباك للقبر الشريف.

مشكله البحث:

تعد الزخارف عنصرا مرتبطا بفن العمارة العربية الاسلامية بجوانبها الجمالية فعال فيها وعملية تنفيذ تلك والوظيفية وليست واحدة منفصلة عنها وإنما تشكل جزءا الزخارف بأي شكل من الأشكال المعمول بها عمل تشكيلي يدخل في مضمار العمل العماري سواء كان من أساسيات البناء أم لغرض التزيين الجمالي لذا فقد عدت هذه التنوعات واحدة من أروع الإنجازات الفنية التي أبدع فيها المصمم من خلال خبرته الفنية ومهارته التصميمية في اخراج العمل الفني بأجمل صورة لتتلاءم مع المنزلة

السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة

الاعتبارية في ابواب لتلك العتبات وما هي السمات الزخرفية في العتبة العباسية المطهرة.

أهمية البحث:

١ . يسهم البحث بتحديد تنوع التكوينات للزخارف في العتبات المقدسة العراقية.

٢ . يسهم البحث في توثيق الإرث الحضاري الزخرفي المنفذ على القبة و ابواب العتبة العباسية المقدسة.

أهداف البحث:

١ .التعرف السمات الزخرفية للعتبة العباسية الشريفة.

٢ .اسباب استخدام السمات الايرانية في العمارة الاسلامية .

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي، حيث سيتم دراسة السمة القاجارية في عمارة العتبة العباسية المطهرة من خلال دراسة تاريخ هذه السمة في العمارة الإسلامية، ودراسة مراحل تطور عمارة العتبة العباسية المطهرة، ودراسة العناصر المعمارية القاجارية التي ظهرت في العتبة العباسية المطهرة .

المبحث الأول : نبذة تاريخية عن العتبة العباسية

أولاً: وصف العتبة العباسية المقدسة

تبعد الروضة العباسية حوالي ٣٠٠ متراً إلى الجهة الشمالية الشرقية من الروضة الحسينية. وتتصل بمحيطها شوارع قديمة وحديثة أهمها الساحة الواسعة لمكشوفة التي تتصل بالروضة العباسية وكذلك بشارع العباس وشارع العلقمي وشارع صاحب الزمان وشارع بغداد و تشغل ابنية الروضة العباسية أرضاً مستطيلة الشكل طولها ١١٨,٥٠ متر وعرضها ٩٣,٦٠ متر. وتتألف من بناية الحضرة ، التي تحتل القسم الوسطي من الروضة. ويبلغ طولها ٤٨ متراً وعرضها ٣٩ متراً ، تتوسطها غرفة الضريح الواسعة نسبياً ، وصحن واسع يحيط بالحضرة من جميع الجهات ، وسور يفصل الحضرة وصحنها عن الشارع المحيط بها(١).

أن تخطيط الروضة العباسية ، لا يختلف عن تخطيط الروضة الحسينية من حيث السعة والضخامة وعظمة البنيان وطرازها المعماري الإسلامي، إلا في حجم الأروقة التي تحيط بغرفة الضريح التي تعتبر بمثابة قلب الروضة. وهي على شكل مربع تقريباً ، واسعة نسبياً يبلغ طول ضلعها ١٩ متراً من الخارج. وتتسم بضخامة جدرانها وارتفاعها. ويتوسط ضريح العباس (عليه السّلام).فناء هذه الغرفة ، وهو مغطى بصندوق فضي مشبك غاية في الدقة والجمال. وتعلو غرفة الضريح قبة مرتفعة ، يبلغ قطرها ١٦ متراً من أوسع قطر لها ، وارتفاعها عن سطح أرضية الحضرة إلى أعلى السارية المعدنية التي تعلوها ٣٢,٧ متر ، وشكلها نصف كروي مدبب الرأس وذات رقبة أسطوانية طويلة قطرها ١٥,٣متر ، تتخللها نوافذ ذات عقود (أقواس) مدببة من جميع الجهات ، وقد كسيت من الداخل بتشكيلات زخرفية رائعة على شكل مقرنصات مغطاة بالكريستال وقطع من المرايا الصغيرة(٢).

أما من الخارج فقد طليت بقشرة خفيفة من الذهب. تتوسط جدران غرفة الضريح أربعة مداخل تؤدي بدورها إلى أربعة أروقة مفتوحة بعضها على بعض ، عرض كل منها خمسة أمتار تحيط بها غرف. وتفتح هذه الأروقة على صحن الروضة بواسطة ستة أبواب أهمها الباب القبلي للحضرة الذي يفتح على بهو مستطيل(٣).

واسع ، طوله ٣٠,٩٠ متر وعرضه ٦,٩٠ متر يعرف بـ(إيوان الذهب) كُسي جداره الأمامي من السقف حتى ارتفاع مترين من مستوى أرضية الإيوان ببلاطات نحاسية مطلية بقشرة خفيفة من الذهب وترتفع عند جانبي إيوان الذهب مئذنتان أسطوانيتا الشكل ، ملاصقتان لجدار الحضرة ، ارتفاع كل منهما ٣٩ متراً عن مستوى أرضية الحضرة ، وقطرها ٣,٦٥ متر عند القاعدة ، غطي قسمهما العلوي والشرفة بقشرة خفيفة من الذهب. أما قسمهما السفلي فقد كسي بتشكيلات زخرفية رائعة من البلاط المزجج (القاشاني) وكتبت في وسطهما آيات قرآنية كريمة بالخط الكوفي الجميل(٤).

ويخترق جسم كل مئذنة سُلم حلزوني ، يتم الدخول إليه من الطابق الأرضي للحضرة ، ويؤدي إلى شرفة الأذان المسقوفة

السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة

التي تقع في النصف العلوي من المئذنة ، وتستند الشرفة على صفين من المقرنصات الجميلة المتراكبة أما القسم العلوي الذي يعلو شرفة الأذان ، فهو أسطواني الشكل أيضاً. ويتميز بطوله ومتانته ولكنه أقل قطراً من جسم المئذنة حيث يبلغ قطره ٢,٧ متر ، ومتوج بقبة صغيرة بصلية الشكل ذات حافة ومؤلفة من الفصوص تعلوها سارية مكونة من كرات نحاسية متفاوتة الأحجام(٥).

ويمكن الدخول إلى صحن الروضة العباسية عن طريق ثمانية أبواب كمداخل وتتفاوت ارتفاعاتها ما بين ١١–١٢ متراً ، وواجهاتها تعلوها عقود (أقواس) مدببة ومزينة بتشكيلات زخرفية رائعة من الطابوق الآجر والقاشاني ، والأبواب هي :

باب القبلة :

ويقع في جهة القبلة للروضة في منتصف الضلع الجنوبي ويؤدي بالخارج من الروضة إلى شارع العباس ، وتعلوه ساعة كبيرة تجلس على برج أرتفاعه من أعلى الساعة إلى مستوى أرضية الصحن ٢٤ ، ٢ متر ، ويبلغ عمق مدخله ٢٢,٥٠ متر وعرضه ٣,٥٠متر ، وتتقدمه بوابة أرتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠ متر.

باب الإمام الحسن(عليه السّلام) :

وهو الباب المؤدي إلى الساحة الواسعة المكشوفة حالياً التي تربط مرقد العباس (الروضة العباسية) بمرقد الإمام الحسين (الروضة الحسينية) ويقع في الجهة الغربية من المرقد ويبلغ عمق مدخله ٧,٥٠ متر وعرضه ٣,٥٠ متر ، وتتقدمه بوابة أرتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠ متر

باب الإمام الحسين(عليه السّلام) :

وهو أيضاً يؤدي إلى الساحة الواسعة المكشوفة التي تربط المرقدين ويقع بجوار باب الإمام الحسن ، ويبلغ عمق مدخله ١٢ متراً ، وعرضه ٣,٥٠ متر يتسع عند منتصفه ، وتتقدمه بوابة أرتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠ متر(٦).

باب صاحب الزمان(عليه السّلام): وهو الباب المؤدي إلى شارع صاحب الزمان ويقع في الجهة الغربية من المرقد أيضاً وبجوار باب الإمام الحسين ، ويبلغ عمق مدخله ١٢ متراً وعرضه ٣,٥٠ متر ، وتتقدمه بوابة ارتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠متر.

باب الإمام موسى الكاظم(عليه السّلام) :

وهو الباب الذي يقع في الجهة الغربية من المرقد أيضاً ، ويبلغ عمق مدخله ٢٠ متراً وينحرف عند وصوله إلى صحن الروضة. أما عرضه فيبلغ ٦ أمتار ويقل عند وصوله إلى الصحن ، وتتقدمه بوابة ارتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠ متر (٧).

باب الإمام محمد الجواد(عليه السّلام) :

ويقع في الجهة الشمالية من المرقد ويؤدي إلى محلة باب بغداد ، ويبلغ عمق مدخله ١٠,٥٠ متر وعرضه ٤ أمتار ، يتسع عند منتصفه ليصبح ٦ أمتار ، وتتقدمه بوابة أرتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠ متر(٨).

باب الامام الهادي(عليه السّلام) :

ويقع في الجهة الشمالية من المرقد أيضاً ، ويؤدي إلى محلة باب بغداد ، ويبلغ عمق مدخله تقريباً ٧ أمتار وعرضه ٣,٥٠ متر ، وتتقدمه بوابة أرتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠ متر.

باب العلقمي :

ويسمى أيضاً بباب الإمام علي بن موسى الرضا أو باب الفرات ، وهو الباب المؤدي إلى شارع العلقمي ويقع في الجهة الشرقة من المرقد ، ويبلغ عمق مدخله ١٠,٥٠ متر وعرضه ٤ أمتار ، وتتقدمه بوابة أرتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠ متر.

باب الإمام أمير المؤمنين(عليه السّلام) :

وهو الباب المؤدي إلى سوق باب الخان ويقع في الجهة الشرقية من المرقد أيضاً ، ويبلغ عمق مدخله ٩ أمتار وعرضه ٣,٥٠ متر ، وتتقدمه بوابة أرتفاعها ٤ أمتار وعرضها ٣,٥٠ متر(٩).تأثير عامل المكان الحضاري والبيئي في بناء العتبة العباسية . يلعب عامل المكان الأثر البالغ في العمارة بالرغم من وجود جوانب أخرى ظرفية ومتغيرة كجانب الدين والمعتقد والتطورات

السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة

التقنية والتكنلوجية ،ولكن يبقى تأثير هذا العامل هو الأكثر وضوحا وتأثيرا على العمارة ان مفهوم الأثر لعامل المكان في مجال العمارة والعمراني وقد قسم إلى قسمين :

العامل الأول و يمثل الأثر الطبيعي وتشمل عاملين الجغرافي والمناخي والثاني الأثر الحضاري ويشمل كل ما يتعمق بالجوانب الدينية والاجتماعية والثقافية (١٠).

أولاً: تعتبر العمارة جزء من عملية النشوء والارتقاء الكلي للأفكار والتقاليد الحضارية والإنسانية، وان انتاج العمارة يرجع إلى عاملين أساسيين هما:

أ. العوامل الناتجة عن عالم الواقع **The World of reality** وهي التي تتعلق بالبيئة الفيزيائية والمواد البنائية والمناخ والطبوغرافية والبيئة الطبيعية بشكل عام.

ب العوامل الناتجة من التفاعل **Interaction** : وترتبط بالمجتمع والدين والعادات الاجتماعية والحضارية والسياسة بصورة عامة(١١).

مما يفترض وحدة الأجواء، وتقابلها صفة تعرف المكان وتكسبه هويته تسمى "روح" "المكان او **Genius Loci**(١٢).

ثانياً: خصائص العمارة الإسلامية في العتبة العباسية وعوامل المكان.

١. مراعاة المبادئ الإسلامية في تصميم المبنى وتتمثل تلك المبادئ باستقراء المفاهيم والتعاليم القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والروايات المتواترة عن الائمة والصالحين، ومبادئ الاخلاق وحسن الجوار وكف الأذى بجميع صوره وعدم الاسراف والاتزان في الممارسة الحياتية اليومية وكذلك في انشاء المباني.

٢. التجاوب مع البيئة جاء من خلال توظيف المواد المتوفرة محليا والحلول المناخية التي تحقق الراحة لمستخدمي المبنى والاقتصاد في الكلف والتواضع وعدم الاسراف في قوله تعالى: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ..." (١٣)، والحفاظ والتوازن مع البيئة والمحيط وما يليها(١٤)، بالإضافة الى ان طبيعة البيئة الصحراوية ساعدت في دفع الفن الإسلامي الى ان يسلك الجانب التجريدي، ففي الصحراء لا وجود للجمال بمعناه الغربي الكلاسيكي"، فلا توجد أشجار ولا طيور ولا ماء، والجمال في الصحراء مجرد غير محسوس، واصبح فن الزخرفة الإسلامي فنا ثنائي البعد وممتد بدون حد كالصحراء الممتدة وهو جانب بيئي يضاف الى الموانع الفقهية (١٥).

٣.عدم ربط الفن والعمارة بجانب عقائدي او فكرة دينية وكراهية الإسلام للتصوير التجسيمي والنحت. دفع هذا المعماريين المسلمين الى التحرر من قيود الطبيعة والبحث في جوانب جمالية أخرى كالعلاقات الفضائية والتكتلية والتجريد التي أبدعوا فيها واتقنوها، وهو ما لم يصل اليه الفن في اوربا الا في عصر النهضة في إيطاليا خلال القرن الخامس عشر(١٦).

٤.ان تأثر الفن الإسلامي بفنون الحضارات التي سبقته والتي احتواها الإسلام كان تأثرا خلاقا اذ ان الإسلام لم يقتبس العناصر والتكوينات المعمارية وينقلها مباشرة وانما أعاد صهرها وترتيبها بما يلائم العقيدة والتوجه الإسلامي وبما يتلاءم أيضا مع البيئة الطبيعية والمناخية المحيطة به(١٧).

ثالثا اهمية العتبة العباسية والمراقد الاسلامية بصورة عامة وأثرها.

أ. الاهمية الدينية والاجتماعية للمراقد الإسلامية: تلعب تلك الأهمية الدور الأساس في استمرار عمارة المرقد وتعاهدها بالزيارة من قبل الناس اذ ان التدين هو السمة العامة التي تطغى على المجتمع المحيط بأماكن وجود مراقد مقدسة او مشاهد دينية. فنلاحظ أن قداسة العتبة العباسية قد تنتقل إلى سكانه وتضفي عليهم اعتبارات خاصة بحكم قربهم منه لشخصية ذات سمات اعتبارية مهمة من الناحية العقائدية لدين او طائفة(١٨).

ماكما إن وجود المراقد المقدسة في مختلف البقاع من الأرض كان له سبب مباشر في الاختلاط والتعارف بين شعوب واقوام مختلفة تجمعهم العقيدة من خلال القصد والزيارة لتلك المراقد من مختلف بقاع العالم كما قد أثبتت الوقائع التاريخية أن الدور الذي تضطلع فيه هذه المراقد له ميزاته الحسنة التي يشعر فيها الإنسان بالراحة والطمأنينة والأمان بوجوده إلى جانبها (١٩)

ب. الأهمية الثقافية اذ تلعب العتبة العباسية دورا هاما في تنشيط حركة الثقافة من خلال نشر المعارف والعلوم من خلال الاختلاط والتبادل المباشر للمعرفة وخصوصا خلال مواسم الزيارة والتبادل الثقافي والحضاري الذي ينتج عنه دورا بارزا في التصاهر بين الثقافات وتنشيط عملية الانتقال المعرفي من مكان لأخر بالإضافة الى الحلقات الدراسية التي كانت تعقد في تلك المزارات والتي كانت تتناول العلوم بمختلف صنوفها وقد تلحق المدارس العلمية بأبنية المزارات او انها تشاد قريبة منها مستفيدة من العبق الروحي الذي تستمده من السيرة العطرة كما انه يدل على نشاط الحركة العلمية والثقافية في المدن بتأثير تواجد المراقد المقدسة فيها .

ت. الأهمية المعمارية والفنية للمراقد الإسلامية نظرا للأهمية التي أولاها الإسلام للمراقد وانشاءها وعمارتها، والذي ظهر جليا بالعناية البالغة بعمارتها ونقوشها. فقد أصبحت بعضها آية من آيات الجمال والذوق المعماري بعد أن سخرت لها جميع الامكانيات الهندسية والفنية، ودرست الجوانب التي تظهر الجمالية والصرحيه والفخامة بصورة متقنة مما حولها الى اعاجيب معمارية وهندسية استحقت بأن تكون سجلا يدون مجمل ما وصل اليه عصرها في فن الريادة و البناء(٢٠).

المبحث الثاني: اعمار العتبة العباسية ما قبل القاجاريين وبعدها

أولاً: العتبة العباسية قبل القاجاريين

وأول بناء اقيم على قبر العباس كان سنة ٣٧٢هـ (٩٨٣م) في عهد عضد الدولة البويهي الذي شيد في هذه الفترة بناء فوق القبر تعلوه قبة عالية من الطابوق (الآجر) والجص(٢١).

وفي سنة ١٢٦٦هـ (١٨٥٠م) تم إعادة بناء وتعمير مرقد العباس من جديد من قبل السلطان العثماني عبد المجيد الأول بن السلطان محمود الثاني الذي تولى الخلافة سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) وتوفي سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦١م)(٢٢).

وفي سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٣م) خلال عهد الشاه الصفوي عباس الأول حفيد الشاه طهماسب تم تزيين قبة مرقد العباس بالبلاط القاشاني الملون ووضع صندوق مشبك على القبر ونظم الرواق وكذلك الصحن المحيط بالحضرة كما شيد البهو الأمامي للحضرة أيضاً(٢٣).

لقد مر المرقد الشريف بأطوار عدة من العمارات على يد الملوك والحكام الذين تولوا حكم العراق ولكن افضل هذه العمارات كانت في سنة ١٠٣٢هـ–١٦٢٣م خلال عهد عباس الصفوي(٢٤).

حيث تم تزيين القبة بالبلاط الكاشاني الملون ووضع صندوقًا مشبكًا على القبر ونظم الرواق وأحدث أربع منائر صغيرة في زوايا سطح الروضة المقدسة، ونقل الحاج عبد الأمير القريشي عن الشيخ عباس الكشوان قوله: إن هذه المنائر الاربع هدمت لأسباب مجهولة عام ١٩٥٣م من قبل محافظ كربلاء المقدسة – آنذاك – عباس البلداوي(٢٥).

وفي سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م) تولى الشيخ عبد الحسين الطهراني الملقب بـ(شيخ العراقيين) بأمر من ناصر الدين شاه القاجاري تشييد الجهة الغربية وقسم من الجهة الشمالية للصحن. أما الجهة الشرقية والقسم الباقي من الجهة الشمالية للصحن فتولى تشييدها محمد صادق الشوشتري الشهير بالأصفهاني سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٧م) وقام أيضاً بإعادة إكساء قبة المرقد من الخارج بالبلاط القاشاني(٢٦).

وفي سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٩م) أمر السلطان العثماني عبد الحميد بإعادة تسقيف البهو الأمامي للحضرة بالخشب الصاج والزان(٢٧).

وفي سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩٢م) قامت السيدة أحترام الدولة زوجة ناصر الدين شاه القاجاري بإكساء البهو الأمامي لحضرة العباس بالذهب. وقد أكمل آصف محمد علي شاه (اللكناهوري) بإكساء البقية الباقية من الجدار الأمامي لهذا البهو بالذهب أيضاً(٢٨).

اما في سنة ١٣١١هـ (١٨٩٤م) نصبت ساعة كبيرة فوق باب القبلة لصحن مرقد الامام العباس (عليه السّلام) من قبل الحاج أمين السلطان وما تزال قائمة حالياً ، وأشرف على نصبها السيد علي قطب(٢٩).

السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة

في سنة ١٠٥٥هـ قام الوزير الصفوي حسين المرعشي الذي استوزره السلطان صفي الدين، بتعيين أوقافٍ للمشهد المشرف وخصص له ميزانية وموظفين كما قام بتعمير القبة المشرفة. في سنة ١٠٨٦هـ جرى التعمير من قبل مالك شاه السلجوقي وفي سنة١١٥٣هـ– ١٦٤٠م اهدى نادر شاه الافشاري (٣٠) الى مرقد الإمام العباس(عليه السّلام). تحفا كثيرة وزين بعض مباني المرقد المقدس وفي سنة ١١٥٦هـ – ١٧٤٤م قام نادر شاه بتغطية القبة بالكاشاني(٣١).

وفي سنة ١١٨٣هـ – ١٧٦٩م امر وزير نادر شاه الافشاري ميرزا حسين شاه زاده باعادة بناء الرواق الامامي للحضرة وصنع صندوقًا مشبكًا جديدًا للضريح(٣٢) وفي سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) تبرع النواب (بهراء) بتجديد سقف ضريح العباس بالخشب الصاج والزان ، وكان المشرف على تجديده الميرزا محمد باقر الراجه الحائري ، وقام بزخرفته النجار باشي أسطه إسماعيل(٣٣).

ثانيا :دور (القاجاريين) في عمارة العتبة العباسية (عليه السّلام).

القاجار سلالة من الشاهات حكمت في بلاد فارس (إيران) سنوات ١٧٧٩/٩٦–١٩٢٥ م. كان مقرهم في طهران منذ ١٧٨٦ م وقد ازدهر في إيران عبر عصورها المختلفة عدد كبير من المدن التي شهدت نهضة فنية في مختلف المجالات، وربما يرجع السبب في ذلك إلى تغير المراكز الصناعية والفنية من حين لآخر، وتبع ذلك نهضة فنية في العاصمة الجديدة نتيجة لانتقال الفنانين، والمصورين، وغيرهم إلى مقر الحكم الجديد؛ حيث يسيطر رعاة الفن من الشاهات والأمراء وكبار رجال الدولة– رعاة الفن عبر العصور– وهذا لا يعني انتهاء حلقات الفنون في باقي الم اركز الصناعية والفنية الأخرى، وانما استمرت لتسد حاجة السكان، أو بهدف التجارة مع مدن ودول الجوار(٣٤)

وقد ساعد الموقع الجغرافي لإيران في تشكيل وتطور فنونها، وثقافتها المتنوعة، كما ساعد على انتقال الملامح، والتأثيرات المختلفة إلى الفنون الإيارنية التى ظلت طوال عهود متتالية قبلة للرحالة، ومقصداً للقوافل التجارية، وملتقى للتيارات الفكرية، كما ساعد اتصال إيران بالمدنيات التي كانت تنهض شرقها وغربها على إكسابها العديد من المزايا التي أسهمت في قيام نهضتها ومدينتها(٣٥).

وكان للقاجاريين شهرة واسعة على مر عصورها في صناعة الخزف، وكانت هذه الصناعة من أهم الميادين التي حاز فيها الإيرانيون المكانة الأولى بين الأمم الإسلامية، وقد ساعدهم على ذلك العجينة التي امتازت بها بلادهم، والتي استطاع الخزافون من خلالها إنتاج العديد من التحف و الأواني الخزفية التي امتاز تبرقها وخفة وزنها(٣٦).

وفي العهد القاجاري وبعد هجوم الناصبيين على كربلاء، ووصول خبر هذه الجريمة البشعة إلى إيران، قدم أهالي إيران وبالتضامن مع الحكومة الإيرانية يومذاك (في عهد فتح علي شاه القاجاري) مساعدات سخيّة لهذه المدينة المنكوبة، وأعادوا بناء كل ما هدم فيها. وأعيد بناء روضة أبي الفضل العباس(عليه السّلام) بشكل أفضل مما كانت عليه، وأمر السلطان محمد شاه بن عباس مرزا بن فتح علي بصنع شباك من الفضة لضريح العباس السلام عام ١٢٢٧هـ – ١٨١٢ م (٣٧).

ولم ينقطع البناء في الروضة المقدسة طيلة العهد القاجاري وأعاد ناصر الدين شاه تزيين القبة بالقاشاني وفي عام ١٣٠٤هـ – ١٨٨٧م انتهى العمل بقاشاني الصحن الشريف، وفي ١٣٠٥هـ. انتهى العمل بتزيين القبة الطاهرة بالقاشاني). كما قام الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف بشيخ العراقيين، ببناء كثير في تلك الروضة، حيث وظف لهذه المهمة ثلث (الميرزا تقي خان أمير الكبير)(لميرزا تقي خان امير كبير: هو محمد تقي خان فرهاني الملقب بأمير كبير، ولد عام ١٨٠٧م في مدينة «هزاوة»، كان والده يعمل طباخ ا في بيت قائم مقام، صدر أعظما محمد شاه آنذاك، عمل محمد تقي خان في البلاط القاجاري، وكان يؤدي خدماته بدقة وذكاء، كما كان له دور مهم في معاهدة (ارضروم) الثانية لعام ١٨٤٧م التي عقدت بين إيران والدولة العثمانية، وفي عام ١٨٤٨م اصبح مصدرًا، عظيما لدى ناصر الدين شاه فحاول وضع برنامج للإصلاح البلاد، غير ان محاولاته الاصلاحية دفعت اعوان الشاه الذين تضررت مصالحهم الى الوشاية به، فعزل عن منصبه في ٢١ تشرين الثاني ١٨٥١م وأبعد الى (كاشان)، ثم القي القبض عليه وتم اعدامه لاستمرار الوشاية ضده(٣٨).

السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة

رئيس وزراء إيران المعروف، وفي سنة ١٢٢١هـ (١٨٠٦م) تم إكساء مئذنتي الروضة العباسية من الخارج بالبلاط القاشاني من قبل محمد حسين الصدر الأعظم الأصفهاني وفي سنة ١٢٣٦هـ (١٨٢١م) أمر فتح علي شاه القاجاري بصنع ضريح من الفضة الخالصة المرقد العباس عله لسلام وبذل لذلك ٦٠٠٠ تومان من ماله الخاص وقد تعاون لانجاز الضريح كل من الميرزا هدايت نوري المستوفي والميرزا تقي نوري المستوفي، وقد توفى فتح علي شاه قبل أن يتم الضريح وقد اكمل الضريح ونصبه في محله على الروضة المطهرة خلفه محمد شاه والد ناصر الدين شاه في سنة ١٢٤٦هـ –١٨٣١ م(٣٩).

وفي سنة (١٢٥٩هـ /١٨٤٣م) قام سلطان مملكة أودة في الهند محمد علي شاه بن السلطان ماجد علي شاه، بإكساء قبة العباس والبهو الأمامي للحضرة بالقاشاني وكذلك تجديد عمارة مبنى الرواق والصندوق المشبك فوق الضريح. وفي سنة ١٢٦٦هـ (١٨٥٠م) تم إعادة بناء وتعمير مرقد العباس من جديد من قبل السلطان العثماني عبد المجيد الأول بن السلطان محمود الثاني الذي تولى الخلافة سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) وتوفي سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦١ م)(٤٠).

وفي سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م) تولى الشيخ (عبد الحسين الطهراني الملقب) (عبد الحسين الطهراني) هو ابن علي الحائري شيخ العراقيين، من علماء الامامية، له الكثير من المنجزات والخدمات للعتبات المقدسة، وله رساله علمية طبعت سنة ١٢٨٥هـ، توفي في الكاظمية سنة ١٢٨٦هـ ونقل جثمانه الى كربلاء فدفن في الروضة الحسينية(٤١)

بأمر من ناصر الدين شاه القاجاري تشييد الجهة الغربية وقسم من الجهة الشمالية للصحن. أما الجهة الشرقية والقسم الباقي من الجهة الشمالية للصحن فتولى تشييدها محمد صادق الشوشتري الشهير بالأصفهاني سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٧م) وقام أيضاً بإعادة إكساء قبة المرقد من الخارج بالبلاط القاشاني، وفي سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٩م) أمر السلطان العثماني عبد الحميد بإعادة تسقيف البهو الأمامي للحضرة بالخشب الصاج والزان(٤٢).

وفي سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩٢م) قامت السيدة إحترام الدولة زوجة ناصر الدين شاه القاجاري بإكساء البهو الأمامي لحضرة العباس بالذهب. وقد أكمل آصف محمد علي شاه (اللكناهوري) بإكساء البقية الباقية من الجدار الأمامي لهذا البهو بالذهب أيضاً. وفي سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٤ م) نصبت ساعة كبيرة فوق باب القبلة لصحن مرقد سيدنا العباس السلام من قبل الحاج أمين السلطان وما تزال قائمة حالياً، وأشرف على نصبها السيد علي قطب (٤٣).

المبحث الثالث /مراحل تطور وعمارة العتبة (العباسية) المقدسة ما بعد القاجاريين

اشتهرت مدينة كربلاء المقدسة بمعالم حضارية ودينية تميزت بأروع فنون العمارة الإسلامية النابعة من جذورها الراسخة في القدم وأصولها الشرقية. إضافة إلى ما أستوحه من الفن الإسلامي الرفيع وأسسه الجمالية ،كالمراقد والمساجد والحسينيات والمقامات والمدارس الدينية والتي كانت لها دور بارز في الحياة الثقافية والاجتماعية للمدينة(٤٤).

إن من يمعن النظر في عمارة المراقد المقدسة والمباني الدينية الأخرى التي ازدهرت في كربلاء عبر العصور ، يرى فيها سمة إسلامية خالصة تدل بوضوح على مدى الرقي الفني الذي وصلت إليه فنون الحضارة الإسلامية في مختلف عصورها وكان بناء مرقد العباس(عليه السّلام). منذ تشييده ، يولى من الاهتمام والعناية ما كان يولى مرقد أخيه الإمام الحسين(عليه السّلام). خلال المراحل التاريخية التي مرت بها مدينة كربلاء(٤٥).

ويعتبر جامعا ومرقدا الإمام الحسين وأخيه العباس(عليهما السّلام) (الروضتان الحسينية والعباسية) أبرز معالم فنون العمارة الإسلامية البارزة في هذه المدينة ، حيث التعامل الفني مع حلل الذهب والفضة والتشكيلات الزخرفية الرائعة من الفسيفساء والقطع الصغيرة من المرايا المزججة التي تزين الروضتين وتضفي عليهما مسحة من البهاء والروعة و يُعد جامع ومرقد العباس (الروضة العباسية) ثاني أهم المعالم المعمارية الإسلامية في مدينة كربلاء المقدسة (٤٦).

و لقد تولى تشييد الروضة العباسية كل من تولى تشييد صرح الروضة الحسينية في الأدوار المتعاقبة من ملوك وأمراء ورجال اصلاح خلال المراحل التاريخية التي مرت بها مدينة كربلاء، وقد بادر (آل بويه الى تخليد ذكرى الامام الحسين وأخيه المولى أبو الفضل العباس(عليهما السّلام)الا في كل عام وخاصة عهد السلطان عضد الدولة البويهي الذي أعلن التشيع وشيد

السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة

عمارة الروضة العباسية والقبة المنورة (٤٧)، وقد تلتها عمليات الإعمار والتجديد منها :

في عام ١٤٠٠هـ انتهى العمل من إزالة جميع الأبنية الملاصقة من الخارج لصحن مرقد المولى ابو الفضل العباس(عليه السّلام)، وتشييد سور خارجي يحيط بالصحن يبلغ ارتفاعه ٩،٩٣م وتتوزع فيه الأبواب(المداخل) من جميع الجهات(٤٨).

وفي عام ١٤١٢هـ انتفض الشعب على النظام البائد، وتم اتخاذ الحرمين المقدسين كمقر للمنتفضين، مما أدى الى اقتحام العناصر الضالة أرض كربلاء وقصفت المراقد حينها بأنواع الاسلحة واقتحمتها بالأليات العسكرية واستباحت وابادت من احتمى فيها، إبان ذلك وبعد سقوط النظام البائد في عام ١٤٢٣هـ قامت لجنة المشاريع والصيانة التابعة للجنة العليا لإدارة العتبات المقدسة في كربلاء المقدسة: فتح باب جديد للحضرة يسمى (باب أم البنين) يؤدي إلى الصحن من الجهة (الشمالية) للحضرة، وقد خصص هذا الباب للنساء فقط (٤٩).

ثم فتح باب جديد يسمى (باب الإمام الرضا"عليه السّلام ") يؤدي إلى الصحن من الجهة الشرقية للحضرة، وخصص أيضاً للنساء. تصليح وترميم بعض اقسام واجهات الروضة وخاصة تغيير البلاط القاشاني وغيرها من المشاريع.

اما في عام ١٤٢٥هـ حصلت تفجيرات عاشوراء الدامية من قبل الوهابيين التكفيريين وكان احدها قريباً جدا من الروضة العباسية المقدسة لكن التفجير لم يصب الحرم بأضرار تذكر، وكما شابهتها احداث اخرى حدثت في اثرها عام ١٤٢٨هـ قام بعض الرعاع بالاعتداء على الحرم المقدس للمولى ابو الفضل السلام مثلما اعتدوا على الحرم الحسيني وحاولوا اقتحام الحضرتين لكن غلق الأبواب بوجوههم ادت الى الحفاظ على الحرمين، باستثناء بعض الاضرار التي لحقت بها بسبب هذه المجموعة الضالة كتدمير المنشآت الخارجية للحرمين واحرقوها ككابينات الامانات واصابت الاطلاقات قبة وسور وابواب الحضرة العباسية واضرار لحقت بسور الحضرة الحسينية وكادت السنة النار ان تأتي على مكتبتها النفيسة وبعد يومين من اعمال التخريب والشغب تدخل الجيش الحكومي واعاد الأمور الى نصابها (٥٠).

وبعد سنوات تم انجاز مشاريع عدة ومنها: التقوية التجريبية والفعلية لأسس الحرم. تقوية وتطوير جدران وأرضية سرداب القبر الشريف بالبناء الكونكريتي والطابوقي والتغليف بالمرمر للجدران والأرض والسقوف وتسليك شبكة كهرباء وإنارة جديدة. بناء الكتيبة القرآنية الجديدة للحرم وأروقته. عمل النقوش المغربية لبعض مداخل بهو الذهب (الطارمة) وكذلك معالجة الاجزاء المتضررة داخل الحرم. تغليف سطح الحرم، وتبديل مرايا الحرم التالفة، وفي عام ١٤٢٩هـ تم شراء ١٤٥٠ كغم فضة خالصة من البنوك السويسرية؛ لغرض ترميم الشباك الشريف، وشراء ١٠٨ كغم ذهب من البنك المركزي العراقي؛ لغرض تذهيب مآذن العتبة العباسية المقدسة (٥١).

وصهر الذهب وتقطيعه إلى قطع صغيرة لكل بلاطة والتركيب على واجهة المنارتين أنه يتم من قبل الكوادر العراقية لشركة أرض القدس في كربلاء المقدسة، وأن عمليتي الطرق واللصق لشرائح الذهب على البلاط النحاسي فقط تتمان من قبل كادر هندي متخصص، حيث يتم العمل داخل ورشة الطرق واللصق في العتبة العباسية، وقد قطعت هذه الشركة المنفذة لمشروع تذهيب منارتي العتبة العباسية المقدسة مراحل متقدمة من خلال إكمالها وخلال ٣ أشهر بعد بدء المشروع صناعة كامل الطابوق الذهبي لكلتا المنارتين وبعدد ٣٥٠٠ طابوقة تقريبًا ،كما انجز لحد الآن تصنيع ٨٥٪ من الكاشي الذهبي المطعم بالمينا (٥٢).

قد أكملت شركة أرض القدس وباشراف قسم الشؤون الهندسية والفنية في العتبة ٧٠٪ من أعمال بناء أواوين الطابق الثاني وتغليف هاته وسقوفه التابعة لمنشآت سور العتبة العباسية المقدسة من جميع أضلاعه الأربعة، ونصب المحجر المعدني لمعظم شرفات الطابق الثاني بعد أن تم إكساء واجهات أواوين الطابق الثاني لمنشآت سور العتبة بالكاشي الكربلائي الجديد وشهد ١١رمضان عام ١٤٣٢هـ والموافق أول عملية رفع ونصب للجسور والهياكل الحديدية الخاصة بمشروع التوسعة، وباشرت يوم السبت ٢٦رمضان عام ١٤٣٢هـ بعملية رفع ونصب أربع من الجسور الحديدية مع هيكلين من القباب الخاصة، ووضعها في الأماكن المخصص لها في الجانب الغربي من العتبة المقدسة من جهة باب الإمام يالحجة(عليه السّلام) عام١٤٣٢هـ . تم اكتمال وصول مواد الخاصة بمشروع توسعة حرم المولى ابو الفضل العباس بتسقيف صحنه الشريف وعن

السمات القاجارية للعتبة العباسية المقدسة

المواصفات الفنية لهذه المادة التي تتكون من طبقتين من الحديد المغلون والمصبوغ حرارياً لمقاومة الرطوبة وكافة العوامل الجوية والمناخي(٥٣).

وفي ٩ رمضان ١٤٣٣هـ، تم إنجاز الجناح الشمالي والجناح الشرقي وابتدأ العمل بالجهة الغربية والجنوبية من مشروع ترميم وصيانة أواوين الطابق الأرضي في العتبة العباسية المقدسة وهذا المشروع ستضفي بألوانه الزاهية جمالية كبيرة للمكان الطاهر إضافة إلى الشكل المعماري التراثي الذي يدل على الأصالة والعراقة لهذه العتبة المقدسة، بعد أن تم إنجاز أواوين الطابق الثاني، الذي تضمن تغليف الساحات المكشوفة بالكاشي الكربلائي وعمل الأواوين والأقواس بشكل مشابه ومطابق للطابق الأول اما في الاول من ربيع الأول ١٤٣٣هـ فقد تم الانتهاء من الأعمال الخاصة كافة بتصنيع التاج العلوي للشباك والتي يبلغ عددها ١٨ تاج (٥٤).

وقد توالت التطورات العمرانية والتجديد على العتبة العباسية حتى وصلت أوج زينتها وحلتها، وما زالت هذه المشاريع مستمرة حتى يومنا هذا تتراوح ما بين صيانة و توسعة واعادة تزيين بعض الأماكن بالزخارف الإسلامية الجميلة

الخاتمة:

إن اعمار العتبات المقدسة في العراق في العهد القاجاري وتعد العمارة من الحقول الراقية في العلم والفن الذي يعبر عن تفاعل الانسان مع الزمان والمكان وتمثل المعنى التعبيري والرمزي لا فكار المعماريين الذين عملوا على اعمار العتبة العباسية ومرت العمارة الاسلامية على المراقد المقدسة عبر تاريخها الطويل بمراحل متطورة متخذه صورا متعددة جاءت، انعكست على فنون العمارة أصبحت مراقد ومقامات الائمة بفعل عمليات الاعمار التي تم اجراؤها من قبل القاجاريين مركزا لجذب الكثير من السياح والحفاظ على الصبغة الدينية التي اتصفت بها هذه المدن.

الهوامش:

١– د. رؤوف محمد علي الأنصار : جريدة الحياة ، العدد ١٢١٤٦/ ص : ٢١ ، لندن ٢٨/ ٥/ ١٩٩٦م .
٢– حسين علي محفوظ: موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي ،ط٢ ، موسوعة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ،١٩٧٨، ج ٨ ، ص : ١٥٨.
٣– طارق جواد الجنابي : حضارة العراق طباعة دار الفكر – بيروت. ١٩٨٥، ج١٠/ ص : ٣٢١.
٤– حمد حسن مصطفى آل كليدار : مدينة الحسين ، مركز كربلاء للدراسات و البحوث العربية ، ٢٠١٦. ص ٦٣ .
٥– د. عبد الجواد الكليدار : تاريخ كربلاء و حائر الحسين ، المطبعة الحيدرية ، ٢٠١٦ ، ، ص : ٢٧٦.
٦– د. رؤوف محمد علي الأنصاري : جريدة الحياة ، العدد ١٢١٤٦/ ص : ٢١ ، لندن ٢٨/ ٥/ ١٩٩٦م.
٧– دليل العتبات المقدسة في لواء كربلاء طباعة دار الجمهورية بغداد ١٩٦٧م، ص : ١٩–٢٠.
٨– مخطط الروضة العباسية لسنة ١٩٦٨م ، ديوان الأوقاف بغداد .
٩– مدينة الحسين ، مصدر سابق ، ص ٦٠ –٦١.
١٠–جواد علي، المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الثانية، ١٩٩٣، ج١، ص٣٥.
١١– جنان عبد الوهاب، جدلية التواصل في العمارة العراقية، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م، ص ١٤٠.
١٢– جدو، ينار حسن، المذاهب الفكرية الحديثة والعمارة ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت، ، ١٩٩٣م، ص ٦٧
١٣– الأعراف، اية (٣١)
١٤– وزيري، يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة؛ الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي ، سلسلة عالم المعرفة، عدد ، ٤٠٣ الكويت، ٢٠٠٨م ، ص ٩
١٥– القحطاني، هاني محمد، مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٥١
١٦– زكي محمد حسن. اطمس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٤م ص ل.
١٧– عكاشة، ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٣٢
١٨– الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الرشيد لنشر، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص ٩٣
١٩– حيدر ناجي عطية، إمكانات تطوير مواقع المراقد المقدسة في مدينة كربلاء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة بغداد، ٢٠١٠ص ٢٨
٢٠– آل ياسين، محمد حسن، تأريخ المشيد الكاظمي، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م، ص٤٥
٢١– نفس المصدر ، ص : ١٨٢.
٢٢– الحاج علي آل كمونة : ديوان ابن كمونة ، مطبعة دار والتأليف ، النجف ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) . ص : ١٠٣

٢٣– عبد الرزاق المقرم: العباس ، دار الفردوس ، بيروت لبنان ، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) . ص : ٣٨٧
٢٤– الشاه عباس الصفوي الأول: كان الحاكم الأكثر سموا من سلالة الصفويين. كان يعرف أيضا باسم عباس الأكبر أصبح شاه إيران في بداية شهر أكتوبر عام ١٥٨٨م، بعدما تمرد على أبيه محمد الصفوي وسجنه، عين عباس الأكبر على خراسان، في عام١٥٨١م، ووصل إلى العرش الفارسي بمساعدة مرشد غولي أوستاجلو، أفرغ جهوده أولاً ضد الأوزبكيين الذين احتلوا خراسان. بعد كفاح طويل وحاد، استعاد مشهد، وهزمهم في معركة عظيمة قرب هرات في١٥٩٧م، وأبعدهم من بلاده. حرك عاصمته من قزوين إلى أصفهان في عام١٥٩٢م متوفي في التاسع عشر من يناير عام ١٦٢٩م. غلام رضا نجاتي، التاريخ الايراني المعاصر، ط ،١ترجمة: عبدالرحيم الحمراني، مؤسسة دار الكتب الاسلامي، ايران، ٢٠٠٨م، ص.٢٠
٢٥– عبد الرزاق المقرم: نفس المصدر ص : ٣٨٨
٢٦– محمد حسن مصطفى آل كليدار مصدر سابق ص : ٦٢.
٢٧– طعمة، سلمان هادي: تراث كربلاء، ط ،٢منشورات مؤسسة العالمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣ص : ٦٤
٢٨– محمد حسن مصطفى آل كليدار : نفس المصدر ، ص : ٦٢
٢٩– نفس المصدر ، ص : ٦٤
٣٠– نادر شاه الافشاري: هو مؤسس السلسلة الافشارية في ايران، ولد في محرم ١١٠٠هـ ٢٢تشرين الاول عام ١٦٨٨م وكان يعين أباه على رعي ما يملكان من قطعان الغنم والماعز، ولم يتح له من التعليم غير ما لقنته الحياة الشاقة المحفوفة بالمخاطر. فلما بلغ الثامنة عشرة وخلف أباه كبيرا لأسرته اختطفه هو وأمه المغيرون الأزبك وحملوهما إلى خيوة حيث باعوهما عبيداً وماتت الأم في ذل الأسر، ولكن نادرا هرب وأصبح زعيما لعصابة لصوص، واستولى على كالات ونيشابور ومشهد، وأعلن ولاءه وولاء هذه المدن للشاه طهماسب، وتعهد بطرد الأفغانيين من فارس ورد عرش فارس إلى طهماسب. وقد أنجز هذا كله في حملات متلاحقة١٧٣٠–١٧٢٩م ورد طهماسب إلى عرشه، فعين نادراً سلطانا على خراسان وسيستانوكرمان و مازندران غلام رضا نجاتي ،نفس المصدر ، ص.٢١
٣١– عبد الرزاق المقرم: قمر بني هاشم ، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ، ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) . ص : ١٢٦. ١٢٧
٣٢– محمد صادق محمّد الكرباسي، دائرة المعارف الحسينيّة، تاريخ المراقد، الحسين وأهل بيته وأنصاره، ج ١، ط١، إصدار المركز الحسيني للدراسات – لندن، المملكة المتحدة، ١٩٩٨م، ص ٢٤١
٣٣– سلمان هادي طعمة ،المصدر السابق ، ص : ٦٥.
٣٤– مبارك، عماد سليمان عبد السلام، "التحف المعدنية الإيرانية المحفوظة بمتحف جورجيا الوطني بمدينة تبليس (تفليس) (دراسة أثرية فنية في ضوء مجموعة جديدة")، رسالة دكتوراه، كلية الآثار/ جامعة القاهرة،١٤٤١هـ/٢٠٢٠م،ص ٣٢
٣٥– حسن، زكي محمد، الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية،١٩٤٠م، ص .٢
٣٦– ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة : عبد النعيم محمد حسنين، ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٨٥/ هـ١٤٠٥ ص١٠٧
٣٧– انتصار عبد عون السعدي ، الحياة الاجتماعية في مدينة كربلاء في العهد العثماني الاخير (١٨٦٩– ١٩١٤) م، رسالة ماجستير، كلية التربية بنات، جامعة بغداد، ٢٠١٥م ص٢٢
٣٨– مسلم محمد حمزة العميدي، امير كبير انموذج للتحديث في ايران اواسط القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،٢٠٠٧م، ص١٢
٣٩– محمد صادق الكرباسي، المصدر السابق، ص٣٠٢
٤٠– طعمة، سلمان هادي ،المصدر السابق ص٤٥
٤١– الكرباسي، نفس المصدر، ص١٦١
٤٢– مرتضى نصر الله، تخطيط عمارة المراقد الدينية في مدينة كربلاء المقدسة حتى نهاية الفترة العثمانية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠م، ص١٠٩
٤٣– طعمة، سلمان هادي ، المصدر السابق ، ص ٤٦
٤٤– د. رؤوف محمد علي الأنصاري : مجلة النور ، لندن ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)، العدد ٦١/ ص :
٤٥ – د. عبد الجواد الكليدار, المصدر السابق ص ٢٧٦.
٤٦– د. رؤوف محمد علي الأنصاري : جريدة الحياة ، ص : ٢١ ، ٢٨/ ٥/ ١٩٩٦م ، العدد ١٢١٤٦ لندن.
٤٧– طعمة، سلمان هادي: المصدر السابق ، ص٦١
٤٨– د. رؤوف محمد علي الأنصاري : مجلة النور ، العدد ٦١ ، لندن ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) ص : ٦
٤٩– http://www. Holy Karbala.net / Karbala city/ Abbas/shrine- his / build / 05.html
٥٠– http://www.shianet.info. /index.php? action =e3lan)52(&adsid=12.
٥١– د. رؤوف محمد علي الأنصاري : جريدة الحياة. العدد ١٢١٤٦ ، لندن ٢٨/ ٥/ ١٩٩٦م . ص ٢١
٥٢– http://www.iraqalyoum.net/archf/1218/iraq/pag2.)61(html

٥٣– موقع الكفيل http:// alkafeel. net/ index
٥٤– Exnews/ http://imamhussain.org. /١٤٨٦vie.htm

المصادر :

١ – آل ياسين، محمد حسن، تأريخ المشيد الكاظمي، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م
٢ – انتصار عبد عون السعدي ، الحياة الاجتماعية في مدينة كربلاء في العهد العثماني الاخير (١٨٦٩– ١٩١٤) م، رسالة ماجستير، كلية التربية بنات، جامعة بغداد، ٢٠١٥م
٣– جدو، ينار حسن، المذاهب الفكرية الحديثة والعمارة ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت، ، ١٩٩٣م
٤ – جنان عبد الوهاب، جدلية التواصل في العمارة العراقية، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م
٥– جواد علي، المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الثانية، ١٩٩٣،
٦– الحاج علي آل كمونة : ديوان ابن كمونة ، مطبعة دار والتأليف ، النجف ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)
٧– حسن، زكى محمد، الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية،١٩٤٠م
٨– حسين علي محفوظ: موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي ،ط٢ ، موسوعة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ،١٩٧٨
٩– حمد حسن مصطفى آل كليدار : مدينة الحسين ، مركز كربلاء للدراسات و البحوث العربية ، ٢٠١٦.
١٠– حيدر ناجي عطية، إمكانات تطوير مواقع المراقد المقدسة في مدينة كربلاء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة بغداد، ٢٠١٠
١١– دليل العتبات المقدسة في لواء كربلاء طباعة دار الجمهورية بغداد ١٩٦٧م، ص : ١٩–٢٠.
١٢– رؤوف محمد علي الأنصار : جريدة الحياة ، العدد ١٢١٤٦/ ص : ٢١ ، لندن ٢٨/ ٥/ ١٩٩٦م
١٣– زكي محمد حسن. اطمس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٤م
١٤– طارق جواد الجنابي : حضارة العراق طباعة دار الفكر – بيروت. ١٩٨٥
١٥– طعمة، سلمان هادي: تراث كربلاء، ط ،٢منشورات مؤسسة العالمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣
١٦– عبد الجواد الكليدار : تاريخ كربلاء و حائر الحسين ، المطبعة الحيدرية ، ٢٠١٦
١٧– عبد الرزاق المقرم: العباس ، دار الفردوس ، بيروت لبنان ، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) .
١٨– عبد الرزاق المقرم: قمر بني هاشم ، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ، ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م)
١٩– عكاشة، ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م
٢٠– غلام رضا نجاتي، التاريخ الايراني المعاصر، ط ،١ترجمة: عبدالرحيم الحمراني، مؤسسة دار الكتب الاسلامي، ايران، ٢٠٠٨م
٢١– القحطاني، هاني محمد، مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩م،
٢٢– مبارك، عماد سليمان عبد السلام، "التحف المعدنية الإيرانية المحفوظة بمتحف جورجيا الوطني بمدينة تبليس (تفليس) (دراسة أثرية فنية في ضوء مجموعة جديدة")، رسالة دكتوراه، كلية الآثار/ جامعة القاهرة، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م
٢٣– محمد صادق محمّد الكرباسي، دائرة المعارف الحسينيّة، تاريخ المراقد، الحسين وأهل بيته وأنصاره، ط١، إصدار المركز الحسيني للدراسات – لندن، المملكة المتحدة، ١٩٩٨م
٢٤– مخطط الروضة العباسية لسنة ١٩٦٨م ، ديوان الأوقاف بغداد .
٢٥– مرتضى نصر الله، تخطيط عمارة المراقد الدينية في مدينة كربلاء المقدسة حتى نهاية الفترة العثمانية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠م
٢٦– مسلم محمد حمزة العميدي، امير كبير انموذج للتحديث في ايران اواسط القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،٢٠٠٧م
٢٧– الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الرشيد لمنشر، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م
٢٨– وزيري، يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة؛ الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي ، سلسلة عالم المعرفة، عدد ، ٤٠٣الكويت، ٢٠٠٨م
٢٩– ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة : عبد النعيم محمد حسنين، ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٨٥/ ١٤٠٥هـ.

المواقع الالكترونية

١– http://www. Holy Karbala.net / Karbala city/) (Abbas/shrine– his / build / 05.html
٢– (http://www.shianet.info. /index.php? action =e3lan) (&adsid=12.
٣– موقع الكفيل http:// alkafeel. net/ index
٤– http://imamhussain.org. /Exnews/1486vie.htm

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية
في المؤسسات التعليمية الليبية.

م. د. ميلاد ابراهيم محمد الأورفلي
المؤسسة الوطنية للنفط

المستخلص:

تحاول هذه الدراسة التعرف على مفهوم الاتجاهات الحديثة وأثرها في دعم وتطوير جودة التعليم وما الإيجابيات والسلبيات الناجمة عن استخدامها .

في ظل التقدم التكنولوجي السريع، أصبحت البيئات التعليمية الإلكترونية أحدث من اتجاهات التعليم المعاصر. تسعى المؤسسات التعليمية في ليبيا إلى تطبيق الحداثة التقنية في أنظمتها التعليمية بهدف تحسين جودة التعليم وزيادة فاعلية عملية التعلم. يركز هذا المقال على دراسة واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية وأهمية الابتكار التكنولوجي في التعلم الإلكتروني.

تُعد الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني فرصة لتطبيق التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية الليبية، مما يساهم في تحسين تجربة التعلم وتحقيق نتائج أكثر تفوقًا وفعالية.

في الوقت الحاضر، يلعب تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية دورًا مهمًا في تعزيز عملية التعلم وتحقيق نتائج أكثر تفوقًا وفعالية. يواجه تطبيق بيئات التعلم الإلكتروني في ليبيا العديد من التحديات، مثل قلة البنية التحتية التقنية ونقص المهارات التقنية للمدرسين والطلاب. ومع ذلك، هناك أمثلة ناجحة توضح كيف يمكن تكامل التقنية الحديثة في المؤسسات التعليمية الليبية. على سبيل المثال، هناك مدارس تعتمد بيئات التعلم الافتراضية لتحسين تفاعل الطلاب واستيعابهم للمعلومات. كما يستخدم بعض المدارس التطبيقات والمنصات التعليمية عبر الإنترنت لتوفير تجربة تعليمية شاملة ومخصصة. وبذلك، يمكن للمؤسسات التعليمية الليبية استغلال الحداثة التقنية لتحسين جودة التعليم وتحقيق أفضل نتائج للطلاب.

الكلمات المفتاحية: التقدم التكنولوجي، الحداثة التقنية،التعلم الإلكتروني

Abstract:

This study attempts to identify the concept of modern trends and their impact on supporting and developing the quality of education، as well as the positives and negatives resulting from their use. In light of rapid technological advancement، electronic educational environments have become the latest trend in contemporary education. Educational institutions in Libya seek to apply technical modernity to their educational systems with the aim of improving the quality of education and increasing the effectiveness of the learning process. This article focuses on studying the reality of applying technical modernity in Libyan educational institutions and the importance of technological innovation in e-learning. Recent trends in e-learning environments are an opportunity to apply modern technologies in Libyan educational institutions، which contributes to improving the learning experience and achieving more superior and effective results. Nowadays، the application of technical modernity in Libyan educational institutions plays an important role in enhancing the learning process and achieving more superior and effective results. Implementing e-learning environments in Libya faces many challenges، such as the lack of technical infrastructure and the lack of technical skills for teachers and students.

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية

However، there are successful examples of how modern technology can be integrated into Libyan educational institutions. For example، there are schools that adopt virtual learning environments to improve student interaction and absorption of information. Some schools also use online educational applications and platforms to provide a comprehensive and personalized learning experience. Thus، Libyan educational institutions can exploit technological modernity to improve the quality of education and achieve the best outcomes for students.

Keywords: technological progress، technical modernity، e-learning

المقدمة:

تُعدّ تجربة استخدام التعلم الإلكتروني في برنامج التعليم عن بعد، مبادرة ابتكارية ذات أثر استراتيجي تسجل ضمن الانجازات والارتقاء بالعملية التعليمية. وأثبتت التجارب الدولية المعاصرة أن بداية التقدم الحقيقية تأتى من خلال التعليم، والذى يعتبر الركيزة الأساسية لتقدم الدول في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وإذا كان التعليم هو الركيزة الاساسية في بناء مكونات الإنسان العقلية، وتأهيله للتعامل مع العلم والمعرفة واستيعاب آليات التقدم وفهم لغة العصر، فإن مواكبة ذلك العصر ربما تحتم علينا أن لا يقتصر التعليم على ذلك النوع التقليدي الذى نسير وفقه منذ وقت طويل، بل البدء في استخدام أنواع أخرى للتعليم تكمل ذلك النوع ومن تلك الأنواع ضرورة الاعتماد على مصادر أخرى غير المدرس في تعليم المواد الدراسية ومن هذه المصادر وسائل التكنولوجيا الحديثة واتجاهاتها وطرقها .

يعد التعليم الإلكتروني من الاتجاهات الحديثة في المنظومة التعليمية ويصبح التعرف على الجوانب النظرية المرتبطة به أمراً ضروريا ليتم توظيفه في العملية التعليمية، هو وأنواع التعليم الجديدة والمتداولة كثيراً ، يعتمد التعليم الإلكتروني على العديد من التقنيات الإلكترونية، والتي يمكن استخدامها في الاتصال بين المعلمين والطلاب والمؤسسة التعليمية، وتعتمد طرق التعليم الإلكتروني على استخدام آليات حديثة ، يهدف استخدام التعليم الإلكتروني في مجال عمليتي التعليم والتعلم إلى خلق بيئة تعليمية ، وإكساب التدريسيين المهارات التقنية لاستخدام التقنية التعليمية الحديثة .وإكساب المتعلمين المهارات والكفايات اللازمة لاستخدام تقنية الاتصالات والمعلومات . ووصف أفضل الطرق التعليمية التي تعمل على تحقيق النتائج التعليمية المرغوب فيها وتطويرها. إن استخدام التقنيات الحديثة في التعليم يهدف إلى التغلب على مشكلة البعد الزماني والمكاني للوصول إلى المعرفة العلمية، بالإضافة إلى مسألة إيجابية تحققت بنجاح بفضل استخدام ، هذه التقنيات وهي التغلب على مشكلة نقص التجهيزات التعليمية التي غالبا ما كانت تطرح بحدة في ميدان تطوير البحث العلمي في كافة المستويات التعليمية.

مشكلة البحث:

إن نماذجه التعليم وتقديمه في صورة معيارية ذات طابع الالكتروني ومعتمد في وسائله على التقنيات الحديثة ، مشكلة تعاني منها الكثير من المؤسسات التعليمية ، حيث أن هنالك صعوبة في المتابعة المستمرة لما يحدث من اتجاهات تقنية حديثة في هذا ، المجال وهذا يقلل من دعم وتطوير جودة التعليم في المؤسسات التعليم الليبية .

وتتحدد مشكلة الدراسة الحالية بالتساؤل الرئيس التالي: ما الاتجاهات الحديثة القابلة للتطبيق وكيفية تطبيقها في مجالات التعليم الإلكتروني ؟ وما الرؤى المختلفة للتطوير التعليمي في هذا المجال.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى المعرفة الحديثة لما يحدث عالميا من طرق واتجاهات مدعومة تقنيا في المؤسسات التعليمية العالمية . هذه

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية

الاتجاهات تدعم المهارات والكفايات اللازمة لاستخدام تقنية الاتصالات والمعلومات، وتوسع دائرة اتصالات المتعلمين من خلال شبكات اتصال عالمية، وتدعم عملية التفاعل بين المتعلمين و التدريسيين من خلال تبادل الخبرات التعليمية ، والآراء، والمناقشات، والحوارات الهادفة، بالاستعانة بقنوات الاتصال المختلفة مثل البريد الالكتروني، المحادثة الحية وغرف الصف الافتراضية .وكذلك يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على دراسات التعليم الإلكتروني في العملية التعليمية والإسهام في تكوين رؤية أكثر شمولا تساهم في تطوير العملية التعلمية .

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في أهمية الاتجاهات التعليمية الحديثة كونها تنقل العملية التعليمية من حيز الجمود والنظرية الى حيز الحيوية والتطبيق ، وإتاحة الفرصة للطالب لأخذ دوره الكامل كمحور للعملية التعليمية والتفاعل معها من خلال بيئة تعلم تقنية وما تحتويه من وسائط متعددة ، مستفيدا بذلك من التسارع التكنولوجي الهائل وذلك في أكثر المواد أهمية وحساسية وحاجة للتفاعل الإيجابي معها وهي العلوم وتتيح للباحثين فرصة التعرف على أثر استخدام هذه البيئات في التحصيل.

وتنبع أهمية الدراسة من كونها تتبنى أساليب تعليمية حديثة، تساعد على تخطي العوائق لبعض المواقف التعليمية التي يصعب فيها استخدام الخبرات الحسية المباشرة، نظرًا لخطورتها أو ندرتها أو بعدها المكاني أو الزماني ،واستخدام الوسائط المتعددة التي تتضمنها بيئات التعلم التقنية كبديل لها.

منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي باعتباره الأكثر توافقاً مع أهداف وإجراءات البحث.

والإجابة على التساؤل السابق قسمنا محتوى هذه الورقة البحثية إلى ثلاث فصول هي :

فصول البحث:

١ – الفصل الأول : الاتجاهات التعلمية الحديثة ، تعريفها – نواعها – استخداماتها.

٢ – الفصل الثاني : دمج الاتجاهات والتقنية الحديثة بالتعليم وتوظيفها.

٣ – الفصل الثالث : قيود استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية .

٤ – النتائج والتوصيات .

١ – الاتجاهات التعلمية الحديثة، تعريفها، أنواعها، استخداماتها

تعتبر بيئات التعلم الإلكتروني من الاتجاهات الحديثة في المؤسسات التعليمية ، حيث أصبحت التكنولوجيا الحديثة جزءًا لا يتجزأ من عملية التعلم حيث تهدف بيئات التعلم الإلكتروني إلى تسهيل وتحسين عملية التعلم من خلال استخدام الأدوات والتقنيات الحديثة.

تعريف الاتجاهات التعلمية الحديثة وأهميتها

تعد الاتجاهات التعليمية الحديثة مجموعة من المنهجيات التي تهدف إلى تحسين عملية التعلم ، وتعزيز النتائج الأكاديمية والتطوير الشخصي للطالب،و تعتمد هذه الاتجاهات على الأبحاث والدراسات في عدد من العلوم لتحديد أفضل الطرق للتعليم(١).

تعتبر بيئات التعلم الإلكتروني أسلوبًا حديثًا للتعليم يستند إلى استخدام التكنولوجيا والوسائط المتعددة لنقل المعرفة وتعزيز التفاعل بين المدرب والمتعلم. و تستخدم هذه البيئات الأدوات التكنولوجية المتقدمة مثل :الأجهزة الذكية و(الكمبيوترات)، و(الإنترنت) لتوفير تجارب تعلم مُحسنة وقابلة للتخصيص.

تهدف الاتجاهات التعلمية الحديثة إلى تحسين مستوى التعلم وتعزيز التفاعل والمشاركة الفعالة للطلاب في العملية التعليمية. من خلال تحديث الطرق التقليدية للتدريس، يمكن للاتجاهات التعلمية الحديثة تلبية احتياجات الطلاب الفردية وتطوير مهارات التفكير النقدي التحليلية والإبداعية.

بالإضافة إلى ذلك، تساهم الاتجاهات التعلمية الحديثة في تعزيز التواصل والتعاون بين الطلاب، وتعزيز التقبل والاحترام

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية

للاختلافات الثقافية والاجتماعية. وبالتالي، فإن تنفيذ الاتجاهات التعلمية الحديثة يمكن أن يؤدي إلى تحسين تجربة التعلم ونجاح الطلاب في الحياة الأكاديمية والمهنية.

تشجع الاتجاهات التعلمية الحديثة التعاون بين الطلاب من خلال العمل الجماعي ومشاركة الأفكار والخبرات. و يتم تشجيع التلاميذ على العمل معًا في مشاريع ومهام تعليمية، مما يعزز التفاعل والتواصل الفعال بينهم. هذا يساهم في تعزيز مهارات التعاون والعمل الجماعي لدى الطلاب، ويساعد في تطوير قدراتهم الاجتماعية والتواصلية.

خصائص الاتجاهات التعلمية الحديثة تكون بالشكل التالي(٢).:

التكامل: حيث يتم التكامل بين استخدام تطبيقات التعلم الإلكتروني مدمجا مع التعليم الصفي (التقليدي) في عمليتي التعليم والتعلم، حيث يتم استخدام بعض أدوات التعلم الإلكتروني لجزء من التعليم داخل قاعات الدرس الحقيقية.

التنوع: يوفر بيئة تعلم متنوعة يجد فيها كل متعلم ما يناسبه ويتحقق ذلك إجرائيا بتوفير مجموعة من الخيارات والبدائل التعليمية أمام المتعلم ، وتتمثل هذه الخيارات في تقديم الأنشطة التعليمية والعروض التعليمية التقليدية كما تقدم له الأنشطة التعليمية الإلكترونية واختبارات التقويم الذاتي أثناء التعلم التقليدي والإلكتروني.

التفاعل لتصميم منهج دراسي فعال باستخدام التعليم المدمج أن يكون هناك تناغم بين الجانب المعتمد على تكنولوجيا المعلومات والتفاعل البشري المعتمد على التعليم المباشر وجها لوجه ، بحيث يكون هناك نوع من التوازن بين كلا من المكونين، وقد يختلف هذا التوازن باختلاف الأهداف التدريسية، وخصائص الطلاب، والموارد التكنولوجية المتاحة وخلفية المحاضر أو المعلم.

المرونة : حيث يوفر التعلم المدمج المرونة الكافية لمقابلة كافة الاحتياجات الفردية والجماعية وأنماط التعلم لدى المتعلمين باختلاف مستوياتهم وأعمارهم وأوقاتهم، والمرونة التي يوفرها التعلم.

مزايا تطبيق الاتجاهات التعلمية الحديثة تتمثل فيما يلي(٣):

– خفض نفقات التعلم بشكل هائل بالمقارنة بالتعلم الاعتيادي وحده.
– توفير الاتصال وجها لوجه؛ مما يزيد من التفاعل بين الطالب و المدرب، والطلاب وبعضهم البعض، والطلاب والمحتوى.
– تعزيز الجوانب الإنسانية والعلاقات الاجتماعية بين المتعلمين فيما بينهم وبين المعلمين أيضاً.
– المرونة الكافية لمقابلة كافة الاحتياجات الفردية وأنماط التعلم لدى المتعلمين باختلاف مستوياتهم وأعمارهم وأوقاتهم.
– الاستفادة من التقدم التكنولوجي في التصميم والتنفيذ والاستخدام.
– تمكين المتعلمين من الحصول على متعة التعامل مع معلميهم وزملائهم وجها لوجه.
– التحاق أفراد وجماعات من مختلف دول العالم في نفس المدى .
– توفير الوقت على مدى واسع ويمكن أن يلتقوا في مكان ما في وقت ما بكيفية ما.

أسباب الاتجاه نحو بيئات التعلم الإلكترونية.

تكمن أسباب الاتجاه نحو الدراسة من خلال بيئات التعلم الإلكترونية كما في الآتي(٤):

– السمة التي يتصف بها متعلمي هذا العصر، وهي سمة القوة المعرفية الناتجة عن وفرة المعلومات وتنوعها، وعلى المتعلم أن يخطط ويبني المحتوى وفق احتياجاته المعرفية والتي تختلف من متعلم لآخر.
– توفر البيئة القدرة على تخزين المحتوى العلمي والرجوع إليه واستخدامه لمرات عديدة، وزيادة مشاركة الطلاب في العملية التعليمية، وزيادة التواصل فيما بينهم، وحصول الطلاب على مهارات منهجية تتمثل في التنظيم الذاتي وإعداد التقارير، ومهارات الكتابة والاتصال .
– زيادة حجم المعلومات التي نستطيع الوصول إليها من خلال المصادر الإلكترونية المتنوعة .

التغيرات التي طرأت على النظم التربوية للتعلم، والتي أصبحت تركز على أن تكون أنظمة التعلم الإلكترونية في يد المتعلم.

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية

–ازدياد الحاجة للتعلم مدى الحياة نتيجة للتطور التكنولوجي والاجتماعي المتنامي.
– قلة تكاليف تصميم وتشغيل بيئة التعلم الإلكترونية.
– سهولة التعامل مع التطبيقات الحديثة (للويب) واستخدامها.
– الرغبة في تطور أنظمة إدارة التعلم لمسايرة الاتجاهات الحديثة في التعلم .
أن بيئة التعلم الإلكتروني هي "البيئة التي تتجاوز الحدود الجغرافية والزمنية لتقديم الخدمة التعليمية والاستفادة منها، وخير مثال لهذه البيئة هو التعلم القائم على الشبكات "، ويرى أنه لكي يتحقق توظيف فعال لبيئة التعلم الإلكترونية لابد من تأمين عدد من المتطلبات منها(٥):
– تبنى المؤسسات التعليمية لنظام التعليم الإلكتروني واعتباره هدف قومي تتجاوز به العديد من صعوبات التعلم التقليدي.
– تحديد جهات تمويل وإنشاء البنية الأساسية للتعلم الإلكتروني.
– إعادة النظر في المناهج والبرامج التعليمية والمواد ؛ لتتفق مع متطلبات التعليم الإلكتروني.
– تعديل الاتجاهات نحو المستحدثات التكنولوجية بصفة عامة ونظم التعليم والتعلم الإلكتروني بصفة خاصة.
– رفع كل القيود التي تضعها النظم التقليدية على التحاق المتعلمين ببرامج التعليم الإلكتروني

استخدامات الاتجاهات التعليمية الحديثة في التعليم

يمكن استخدام الاتجاهات التعلمية الحديثة في مختلف مجالات التعليم، بما في ذلك التعليم الأساسي والثانوي والجامعي والدراسات العليا يتضمن استخدام الاتجاهات التعليمية الحديثة ما يلي(٦):

التعلم النشط: والذي يشجع التلاميذ على المشاركة الفعالة في عملية التعلم من خلال اوالتحقيقات والعروض التقديمية والمشاريع العملية.

التعلم التعاوني: حيث يشجع على التعاون بين الطلاب من خلال العمل الجماعي والتعلم من بعضهم البعض وتبادل الأفكار والخبرات.

التكنولوجيا التعليمية: و التي يوظف الأدوات والتقنيات الحديثة مثل الحواسيب والإنترنت والوسائط المتعددة لتعزيز عملية التعلم وتحسين تفاعل الطلاب.

التعلم القائم على المشكلات: ذلك أنه يقوم بالتشجيع على حل المشكلات بطرق إبداعية وشاملة وتحليلية، مما يعزز مهارات التفكير النقدي والتحليلي لدى الطلاب.

حيث إن استخدام هذه الاتجاهات التعلمية الحديثة، يمكن عن طريقها تحسين تجربة التعلم وتعزيز نجاح الطلاب في تحقيق إمكاناتهم الكاملة.وتستخدم في مختلف مجالات التعليم لتحسين عملية التعلم وتطوير المهارات الأكاديمية والشخصية للطلاب.

استخدام الاتجاهات التعلمية الحديثة في تعزيز التفكير النقدي والابتكار

تعزز الاتجاهات التعلمية الحديثة التفكير النقدي والابتكار لدى الطلاب من خلال استخدام تقنيات التعلم النشط وحل المشكلات، و يتم تشجيع الطلاب على التفكير بشكل أعمق وتحليل المعلومات بطريقة نقدية. كما يتم تشجيعهم على تطوير مهارات الابتكار والاستبصار من خلال وضع أفكار جديدة وحلول إبداعية للمشكلات.

تهدف الاتجاهات التعلمية الحديثة إلى تحسين تجربة التعلم للطلاب وجعلها أكثر شمولية وفاعلية عن طريق استخدام التقنيات والأدوات المبتكرة، يتم توفير تجارب تعليمية تتيح للطلاب التعلم بطرق مختلفة وتلبية احتياجاتهم الفردية. كما تعمل هذه الاتجاهات على توفير بيئة تعليمية تشجع الاستكشاف والتفاعل وتعزز التحفيز والاندماج في العملية التعليمية.

أهمية الاتجاهات التعلمية الحديثة

يمكن الوصول إلى أهمية الاتجاهات التعلمية الحديثة من خلال الوقوف على الفوائد التي تعود على النظم التعليمية(٧) :

تحقيق الكفاءة والفاعلية : وهذا يؤدي الى زيادة درجة التفاعل بين الطلاب بعضهم البعض، وبين الطالب والمعلم، وبين

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية

الطالب ومحتوى المنهج، وتحقيق الأهداف المرجوة من عملية التعليم بصورة أكثر نجاحا فضلاً عن التحول من تركيز المنهج على المعلم إلى التركيز على الطالب؛ حيث يمكن للطلاب أن يصبحوا أكثر إيجابية. وتشجيع المشاركة في الأنشطة العملية واكتساب الثقة في إصدار الأحكام.

المرونة: سوف يمنح الطلاب المرونة والملائمة لاختيار أفضل الأوقات والأماكن للتعليم، وكلاً من الطلاب التقليدين وغير التقليدين يفضلون مبدأ الملائمة فيما يتعلق بمواعيدهم الشخصية وجداولهم الأكاديمية، وعموما يذكر الطلاب أنه يعد أكثر ملائمة مع أنماط حياتهم.

تقليل التكلفة : من الناحية العملية، فإن قلة التكلفة هي النتيجة المرغوبة للتعليم الإلكتروني؛ حيث يمكن استبدال المعمل التقليدي وجها لوجه بمعمل افتراضي؛ حيث يقلل ذلك من تكاليف توفير هيئة العمل والخامات، وأيضا يساعد ذلك على تحسين المنهج ويعطى خلفيات فورية معلوماتية للطلاب.

التأثيرات المستقبلية والتطورات المحتملة في مجال الاتجاهات التعليمية الحديثة

مع تقدم التكنولوجيا وتطور المجتمعات، من المتوقع أن يستمر استخدام الاتجاهات التعليمية الحديثة في التعليم.و قد تشهد هذه الاتجاهات تحسينات وتطورات مستقبلية، مثل استخدام الذكاء الاصطناعي وتقنيات الواقع المعزز في التعلم. فمن المحتمل أن يتم تطوير أدوات تعليمية مبتكرة أخرى تستند إلى هذه التكنولوجيات لتحسين تجربة التعلم.

ومن هنا يتعين على المعلمين والمؤسسات التعليمية الاستعداد لهذه التغييرات والاستفادة من الاتجاهات التعليمية الحديثة في تحسين جودة التعليم وتمكين الطلاب من اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة للنجاح في المستقبل.

أنواع الاتجاهات التعليمية الحديثة

لقد لعبت تكنولوجيا التعليم دورا كبيرا في تطور وتقدم التعليم وذلك منذ أن بدأت هذه التكنولوجيا بالظهور مع تطور الوسائل في العصر الحالي. وتعرف تكنولوجيا التعليم بأنها عملية متكاملة يتم من خلال هذه العملية تطبيق هيكل من العلوم والمعرفة عن التعلم الإنساني، وتستخدم تكنولوجيا التعليم مصادر بشرية وأخرى غير بشرية تؤكد من خلالها نشاط المتعلم وفرديته بمنهج أسلوب المنظمات وذلك من أجل تحقيق الأهداف التعليمية من أجل الوصول إلى تعلم أكثر فعالية .

كما قامت اليونيسكو بتعريفها بأنها منحى نظامي لتصميم العملية التعليمية وتنفيذها وتقويمها وفقا لأهداف محددة، وتنبع هذه الأهداف من نتائج الأبحاث في مجال الاتصال والتعليم البشري، وتستخدم تكنولوجيا التعليم المواد البشرية وغير البشرية وذلك من أجل أن تكسب التعليم فعالية أكبر(٨).

ويحتاج تطبيق تكنولوجيا التعليم في التدريس إلى توافر كافة الأدوات والوسائل الحديثة والتي تسهل من مهمة عمل المدرس، والتي تساعده على استخدام هذه التكنولوجيا في تسهيل العملية التعليمية.

ولقد شهدت تكنولوجيات التعليم تطورا كبيرا، وظهرت فيها مجموعة من الاتجاهات الحديثة والمتطورة، وهذه الاتجاهات الحديثة تتمثل في التالي :

الثقافة البصرية الرقمية:

ويعتمد هذا الاتجاه بشكل رئيسي على كيفية تعامل العين مع المستجدات الرقمية الحديثة.حيث تلعب الرقميات دورا كبيرا في التأثير على العين، وكيف تساهم هذه الرقميات في التعليم البصري.

ثورة الوسائط المتعددة (الإنفو ميديا):

ولقد لعبت الوسائط المتعددة دورا كبيرا في العملية التعليمية، ولقد قامت الأبحاث التربوية الحديثة في هذا المجال بدراسة الاستراتيجيات أو التقنيات الحديثة في مجال تكنولوجيا التعليم، وكيفية الاستفادة منها.لذلك يجب على الباحثين في هذا المجال أن يطلعوا على آخر المستجدات في تكنولوجيا من أجل تسخيرها في العلمية التعليمية.

المنصات التعليمية الإلكترونية:

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية

وتعد المنصات التعليمية الإلكترونية من أهم وأبرز الاتجاهات الحديثة في تكنولوجيا التعليم، ومن خلالها أصبح الطالب بمقدوره أن يتدرب عن بعد.حيث أتاحت هذه المنصات للطالب التعلم والتدرب في أي زمان ومكان يختارونه.

الشبكات التعليمية الاجتماعية

:وهي مجموعة من الشبكات الاجتماعية التي تشبه شبكات التواصل الاجتماعي في الشكل، ولكن مضمونها يختلف عنها بشكل كبير.وتتميز هذه الشبكات بأنها تجمع ما بين مزايا أنظمة إدارة التعلم الإلكتروني ومزايا الشبكات الاجتماعية التواصلية.ويوجد هناك مجموعة من الشبكات التعليمية الاجتماعية ومن أبرزها شبكة (الأدمودو).

الواقع الافتراضي وأدواته:

يعد الواقع الافتراضي أحد أهم وأبزر الاتجاهات الحديثة في تكنولوجيا التعليم، ويشتمل التعلم الافتراضي على منظومة مفاهيمي واسعة النطاق.ولقد قام الغرب بتوظيف أدوات الواقع الافتراضي في التعليم، لذلك يجب على الباحثين العرب الاستفادة منها ونقلها إلى اللغة العربية.

التعلم المؤقلم:

يعد التعلم المؤقلم واحدا من أهم وأبرز الاتجاهات الحديثة في تكنولوجيا التعليم، ويطلق على هذا النوع من التعليم اسم التعلم التكيفي (التعلم الذي يقوم على استجابة الأفراد العاملين).ومن خلال هذا النمط من التعليم يتم تقديم المحتوى بعدة طرق مختلفة، وذلك بحسب استجابة الأفراد العاملين إليها وذلك من حيث الكم، ومن حيث الكيف ومن خلال هذا النوع من التعليم يستطيع الطالب التعلم وفق الطريقة التي تتناسب مع ميوله ورغباته.

التعلم التجريبي:

وهو واحد من أهم وأبرز الاتجاهات الحديثة في تكنولوجيا التعليم، ويقوم هذا النمط من التعليم على الاستكشاف والتجربة والإبداع. ولقد استفاد هذا النوع من التعليم من مبدأ التعلم الفطري والذي يبدأ من خلال تجريب الإنسان للأشياء. ويستطيع المعلم أن يوظف مجموعة كبيرة من الأنشطة في هذا النمط التعليمي ومن أبرزها هذه الأنشطة اللعب التعليمي.

الويب المحيطي:

ويعد الويب المحيطي واحدا من أهم وأبرز الاتجاهات الحديثة في مجال تكنولوجيا التعليم، ويساهم هذا النمط في منح المتعلم فرصة للتكيف وفق بيئة تعليمية إلكترونية، وذلك نظرا لما يتميز به من توزيع للمحتوى التعليمي في المكان الذي يعيش فيه الطالب.حيث يقوم هذا النمط من التعليم بالعمل على تحويل البيئة المحيطة بالطالب إلى بيئة تعليمية، كما أنه يعمل على توظيف الأشياء الحقيقية داخل بيئة افتراضية.

الاستقدام الإلكتروني:

وهو أحد أهم وأبرز الاستراتيجيات الحديثة في تكنولوجيا التعليم، حيث يقوم النظام التعليمي باستقدام نظريات تعليمية ظهرت في بلاد أخرى وأثبتت نجاحها وفعاليتها.ويعد هذا النوع من الأنواع المهمة وذلك لأنه يعطي نتائج مضمونة شريطة أن تكون البيئة التعليمية التي يطبق فيها قريبة من البيئة التعليمية التي طبق فيها أولا.

نظرية الابتكارات الكاسحة:

وهي واحدة من أهم وأبرز الاتجاهات الحديثة في تكنولوجيا التعليم، وتقوم هذه النظرية على مبدأ تشرح من خلاله الابتكارات الحديثة، كما أنها تقوم بإسقاط الابتكارات القديمة.وتسعى هذه النظرية إلى تفعيل الابتكارات التي تحسن العلمية التعليمية وتدفعها إلى الأمام، وذلك نظرا لأنها تستخدم مع الفئات التي لم يتم تقديم أي نوع من المساعدات لها.

الويب وأدواته:

يعد الويب من أهم الاتجاهات الحديثة في تكنولوجيا التعليم، حيث يوجد العديد من الأمور التي يستطيع التعليم الاستفادة منها من خلال تكنولوجيا المعلومات.لذلك يجب أن يتم مراقبة الويب بشكل دائم للتعرف على كافة الموجود والمتاح فيه.

وهكذا نرى أن تكنولوجيا التعليم لعبت دوراكبيرا في تطوير العلمية التعليمية ودفعتها إلى الأمام، وذلك من خلال الاستفادة من هذه التكنولوجيا في مساعدة المعلم من أجل إيصال المعلومة إلى الطالب بأبسط طريقة.

كيفية تطبيق الاتجاهات الحديثة في التعليم؟

هناك عدد من الخطوات يمكن اتباعها بالخطوات التالية(٩):

– التعرف على الأدوات التكنولوجية الحديثة وكيفية استخدامها في التعليم.
– تزويد المعلمين بالتدريب والدعم اللازم للاستخدام الفعال للأدوات التكنولوجية في الفصول الدراسية.
– توفير الوصول إلى المصادر التعليمية والمواد الدراسية عبر الإنترنت وتشغيل برامج تعليمية مخصصة.
– توزيع الأدوات التكنولوجية في الفصول وتوفير الوصول إلى شبكة الإنترنت والأدوات اللازمة.
– توزيع الوظائف والمهام التعليمية عبر الإنترنت واستخدام الأدوات التكنولوجية بشكل فعال.
– التعاون مع الشركات والمؤسسات التكنولوجية لتزويد المعلمين بالدعم والتدريب.
– إضافة العناصر التكنولوجية إلى الخطط التعليمية وتحديثها بشكل دوري لمواكبة التطور التكنولوجي.

٢– دمج الاتجاهات والتقنيات الحديثة بالتعليم وتوظيفها

في عصر التقنية الحديثة الذي نعيش فيه، أصبح دمج الاتجاهات والتقنيات الحديثة في التعليم ضرورة لا غنى عنها. حيث أصبحت التكنولوجيا تلعب دورًا حاسمًا في تحسين جودة التعليم وتوسيع آفاق المعرفة والتعلم. في هذا الجزء، سنستكشف أهمية دمج الاتجاهات والتقنية الحديثة في التعليم والتحديات التي تواجه توظيفها. تعكس الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني استخدام التكنولوجيا الحديثة لتعزيز تجربة التعلم وتحقيق نتائج أفضل في المؤسسات التعليمية الليبية، فإن هذه البيئات تتيح للمدرسين فرصة توفير تعليم مخصص ومتجدد بشكل مستمر، مما يعزز جودة التعليم ورضا الطلاب.

دمج الاتجاهات والتقنية الحديثة هي أسلوب يتم فيه توظيف البرامج التقنية في مجال التربية والتعليم، بهدف زيادة فعالية العملية التعليمية وتخطيطها وتنظيمها وتقويم المخرجات الخاصة بها، فهي مجموعة من النشاطات والمعلومات التي تتعلق بإنتاج وتخزين وتشغيل وتحليل المعلومات التي تُوفر الوسائل الحديثة، ويهدف الدمج إلى(١٠).:

– توفير الوقت والجهد والتكلفة على المتعلمين والمعلمين.
– زيادة التحصيل الدراسي، وتحسين بيئة التعليم.
– تساعد التقنية في التعليم من خلال استخدام الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم على زيادة الابتكار والإبداع والمشاركة بين المعلم والمتعلم.
– التقنية في التعليم المدمج تُساعد على توفير المادة المطلوبة بشكل مرتب ومنسق.
– زادت من أهمية تكنولوجيا التعليم عن بعد، وذلك من خلال الحث على التعليم المستمر وتجاوز الأمكنة والأزمنة في تلقي المادة التعليمية.

التعلم القائم على المشروعات والمشاركة الفعالة

في عصر التكنولوجيا الحديثة، أصبح من المهم تبني أساليب تعليمية جديدة تشجع المشاركة الفعالة للطلاب وتوفر لهم فرصًا للتعلم العملي. حيث توفر أساليب التعلم القائمة على المشروعات والمشاركة الفعالة مجموعة متنوعة من الفرص التعليمية التي تساعد الطلاب على تطوير مهاراتهم العملية وتعميق المفاهيم الأكاديمية. من خلال استخدام التكنولوجيا، ومن هنا يمكن للمدارس والمعلمين تنفيذ مشاريع تعليمية تفاعلية والتعاون مع الطلاب لإنتاج المحتوى وتحقيق النتائج الموجودة في العالم الحقيقي.

استخدام التكنولوجيا في إثراء عملية التعلم

توفر التقنية الحديثة فرصًا لا حصر لها لإثراء عملية التعلم وتسهيل فهم المفاهيم الصعبة. من خلال استخدام البرامج

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية

التعليمية التفاعلية والألعاب التعليمية وبرامج المحاكاة الواقعية، يمكن للطلاب تعزيز مهاراتهم واكتساب المعرفة بطرق ممتعة وتفاعلية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام التكنولوجيا لتوفير محتوى تعليمي متاح عبر الإنترنت، مما يسمح للطلاب بتوسيع معرفتهم والوصول إلى مصادر تعليمية عالية الجودة من أي مكان وفي أي وقت.ويمكن تلخيص أهمية الاستخدام في النقاط التالية(١١) :

– القدرة على متابعة المتعلم يمكن من خلال استخدم التقنية أن يتم متابعة المتعلم أكاديمياً وتربوياً من معلميه وولي الأمر، مما يكون له الاستفادة القصوى الهدف من التعليم.

– تحسين بيئة التعليم

المقصود ببيئة التعليم المحيط الذي يحتضن العملية التعليمية وهي المدرسة، فعلى المدرسة تحقيق الفائدة بإنشاء موقع إلكتروني وإدراج الوثائق الورقية لكل متعلم ومعلم ومادة تعليمية.

– سهولة الوصول الى ملفات الطالب

تسهل التقنية الولوج إلى ملفات الطلاب، وتحديث حالة المتعلم، وعلاماته، وبذلك نحقق الفائدة الأكبر وهي قدرة المعلم والإدارة وحتى ولي الأمر على التعرف على حالة الطالب، ومراقبة تقدمه الأكاديمي وحتى سلوكه التربوي.

– القدرة على الدخول إلى المكتبة الإلكترونية

بحيث تكون هذه المكتبة مزودة ببعض الكتب المسموعة والمحاضرات العلمية المرئية، والكتب الإلكترونية المصنفة كلٌ حسب تخصصه ؛ لتسهيل إيجادها على المتعلم، وتكون متاحة للمتعلمين للاطلاع عليها من أرقامهم الخاصة، وللمعلمين لإضافة كل جديد إلى عدة البيانات الخاصة بالمكتبة.

– القدرة على التعليم عن بعد

إن استخدام التقنيات الحديثة يساعد على التواصل عن بعد مع المتعلمين على أن يتمّ التواصل بينهم على قاعدة بيانات واحدة، غالباً هي قاعدة بيانات المؤسسة التعليمية أكانت مدرسة أو جامعة أو تعليم حرّ ويتمّ عن طريق مشاهدة المتعلّم للدروس عن مواقع مجانيّة متنوّعة.

– تشجع الطالب على تقبل الاخر

وذلك من خلال المشاركة في المشاريع المشتركة في العملية التعليمية مما له أثر إيجابي في تشجيع التعاون الأكاديمي على مستوى الجامعات .

تعزيز التفاعل والمشاركة بين الطلاب

عند دمج الاتجاهات والتقنية الحديثة في التعليم، يتم تعزيز التفاعل والتشاركية بين الطلاب. من خلال استخدام الأدوات والتطبيقات التكنولوجية، مما يمكن الطلاب من التفاعل مع المحتوى التعليمي بطرق مبتكرة ومشاركة أفكارهم وآرائهم مع بقية الطلاب والمعلمين. ومن ثم يتيح للطلاب التعلم من خلال التجارب المشتركة وتبادل المعرفة والتعاون في حل المشكلات. ويساهم هذا النوع من التعلم التفاعلي في تعزيز التفكير النقدي وتنمية مهارات التواصل والعمل الجماعي.

توفير فرص التعلم الفردي والمتعدد القنوات

بفضل دمج الاتجاهات والتقنيات الحديثة في التعليم، يصبح من الممكن توفير فرص التعلم الفردي والمتعدد القنوات. يمكن للطلاب الحصول على المحتوى التعليمي عبر الإنترنت في أي وقت يناسبهم وفقًا لوتيرة تعلمهم الخاصة. كما يمكن للمعلمين توفير مواد تعليمية تفاعلية، من مقاطع فيديو تعليمية، وتطبيقات تفاعلية تسهم في تحفيز فهم الطلاب للمفاهيم الصعبة. بذلك يتم تلبية احتياجات الطلاب المختلفة وتحسين جودة التعليم في المدارس والجامعات.

عند توظيف الاتجاهات والتقنية الحديثة في التعليم، يمكن تحقيق تحسين كبير في كفاءة وجودة عملية التعلم. يجب أن يكون هناك التزام من قبل المدارس والمعلمين لتوفير التدريب والدعم اللازمين للاستفادة الكاملة من الأدوات والتكنولوجيا

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبية

المتاحة. بذلك يصبح التعليم أكثر إثراءً وتفاعلًا وتنوعًا، مما يؤهل الطلاب لتحقيق نجاح وتطور في حياتهم المهنية

استخدام الواقع الافتراضي لتجربة فعاليات التعلم

تعد تقنية الواقع الافتراضي من الأدوات المبتكرة التي يمكن توظيفها في التعليم. يمكن للمدارس والجامعات استخدام هذه التقنية لتوفير تجارب تعليمية فعالة وواقعية بعيدة عن البيئة التقليدية. من خلال استخدام النظارات الافتراضية، يمكن للطلاب الانتقال إلى بيئات افتراضية تجسد المفاهيم التعليمية المعقدة وتساعدهم على فهمها بشكل أفضل. يمكن استخدام الواقع الافتراضي في مجالات متنوعة مثل العلوم والتاريخ والفنون والهندسة، حيث يمكن للطلاب التفاعل والتعلم من خلال تجارب محاكاة واقعية.

تطبيق الذكاء الاصطناعي في تحليل أداء الطلاب وتوفير التعليم المخصص

تساهم تقنية الذكاء الاصطناعي في تحليل أداء الطلاب وتقديم تعليم مخصص وفقًا لاحتياجات كل فرد. بواسطة تقنيات التعلم الآلي، وتستطيع المدارس مراقبة وتقييم تقدم الطلاب بشكل مستمر وتحديد مناطق الضعف والقوة لكل طالب على حدة. ويمكن استخدام هذه المعلومات لتوفير التعليم المخصص والمواد التعليمية الملائمة لاحتياجات كل طالب. يعمل الذكاء الاصطناعي أيضًا على تحليل البيانات الضخمة والخوارزميات المتقدمة لتوفير ملاحظات دقيقة وشاملة للأساتذة والمعلمين حول تقدم الطلاب وكفاءة التدريس.

تعزيز أهمية الانتقال إلى البرمجيات السحابية والتخزين السحابي

تعد البرمجيات السحابية والتخزين السحابي من الاتجاهات الحديثة في التعلم الإلكتروني التي توفر الكثير من المزايا. تسمح البرمجيات السحابية للطلاب والمدرسين بالوصول إلى الموارد التعليمية والأدوات التعليمية من أي مكان وفي أي وقت. كما يتيح التخزين السحابي للمؤسسات التعليمية حفظ ومشاركة الملفات بسهولة وتوفير مساحة تخزين كبيرة للبيانات(١٢).
بواسطة توظيف الاتجاهات والتقنيات الحديثة في التعليم، وبذلك يتم توفير فرصة تعلم محسنة وفاعلة بشكل ملحوظ. يجب على الجهات المعنية بالتعليم اتخاذ الخطوات اللازمة لتعزيز تبني الاتجاهات الحديثة وتوفير التدريب والدعم اللازم للمدارس والمعلمين. مما سيعزز جودة التعليم ويمكن الطلاب من تحقيق التطور والنجاح في حياتهم الأكاديمية والمهنية.
تطوير سياسات واضحة ومبادرات داعمة لتوظيف التكنولوجيا في العملية التعليمية وتتطلب دمج الاتجاهات والتقنيات الحديثة في التعليم وجود سياسات واضحة ومبادرات داعمة من جانب الهيئات التعليمية والحكومات. يجب أن يتم تحديث المناهج الدراسية وتضمين التقنية والتكنولوجيا في المواد التعليمية.
كما يجب أيضًا إنشاء برامج ومشاريع تشجع الطلاب والمعلمين على استخدام التقنية في العملية التعليمية. يمكن توفير التدريب والدعم للمعلمين والتحفيز والتشجيع للطلاب لتوظيف التقنية في تعلمهم وتوسيع آفاق معرفتهم.
مع التغيرات المتسارعة في التكنولوجيا، وذلك بدمج الاتجاهات والتقنيات الحديثة في التعليم مما يعد مهمة ضرورية لتمكين الطلاب من التعلم والتطور في عالم متصل ومتقدم تكنولوجيًا. ولذا يجب أن تعمل الهيئات التعليمية والحكومات على التغلب على التحديات وتوفير الدعم اللازم من أجل تحقيق هذا الهدف(١٣).
باستخدام هذه الاتجاهات والتقنيات الحديثة في التعليم، يمكن تحقيق تحسين كبير في جودة التعليم وتمكين الطلاب من تطوير مهاراتهم وتحقيق إمكاناتهم الكاملة. وهذا يتطلب التزام المدارس والمعلمين في تكوين وتوفير الموارد اللازمة لتحقيق التكامل الكامل للتكنولوجيا في عملية التعلم.

مبررات دمج

تنفق الدول المتقدمة المليارات من الدولارات على دمج التقنية في التعليم، وذلك لإثارة خيال الطالب وزيادة تعزيز التعلم وتيسير اكتساب مهارات التفكير العليا لدى المتعلم، مثل التحليل والتفسير والتقويم والتعميم وحل المشكلات والإبداع، وزيادة كفاءة المعلم بحيث تساعد المعلمين على تلبية احتياجات المتعلم وتسهيل إيصال المعلومة للطلاب. ومن المبررات كما ذكرها(١٤) :

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبي

– التقنية باعتبارها وسيلة لمعالجة الصعوبات الموجودة في التدريس والتعلم.
– التقنية عاملاً للتغيير.
– التقنية–وسيلة–للحفاظ على القدرة التنافسية الاقتصادية.
وتشير الأدبيات إلى عدد من الأسباب الهامة لإدماج التقنية:
– الدمج الفعال للتقنية من الممكن أن يزيد من التعمق في محتوى ومخاطبة القدرات العقلية العليا.
– في عصر المعلومات، والتنافس الاقتصادي هناك حاجة جوهرية لمعرفة التقنية وامتلاك مهارتها .
– دمج التقنية يزيد من وقت مشاركة الطلاب الأكاديمية.
– تطبيق التقنية في سياق حقيقي يزيد من دافعية المتعلم للتعلم.
– العمل بعمق أكثر مع المحتوى، يجعل الطلاب قادرون على تجاوز المعرفة والفهم لتطبيق وتحليل المعلومات ومن ثم توليدها.
– يتعلم الطلاب أين وكيف يصلون إلى المعلومات في عالم غني بالمعلومات.
– مهارات الحاسب الآلي يجب ألا تدرس منفصلة عن المحتوى.
– تطبيق الطلاب لمهارات الاستقصاء وحل المشكلات في سياقات أصيلة.
– دعم الأداء والتواصل مع المؤسسة التعليمية والبيئة المحيطة بالنسبة للطلاب والمعلمين والإداريين.

البيئة التعليمية التقنية:

تسهم البيئة التعليمية التقنية في تطوير عمليات التعلم بشكل أفضل وتجعل من التعلم تعلما ذا معنى، والبيئة التعليمية التقنية تحتوى على مجموعة من المكونات التي تختلف باختلاف مستويات دمج التقنية في التعليم، وكذلك مستوى التجهيزات التقنية في الفصل الدراسي، ونشير هنا إلى مجموعة من مكونات البيئة التقنية القياسية(١٥) :
– تحتوي على تجهيزات بيئة تفاعلية، وتوفر مداخل متنوعة لشبكات محلية وعالمية، وبريد الكتروني، ومجموعات بريدية، والاتصالات عن بعد، والاتصال المباشر عبر الانترنت، والأقمار الاصطناعية وتلفزيونات تفاعلية.....إلخ.
– تقنيات تساعد على نشر المعلومات والوثائق إلكترونيا في صور ووسائل متعددة، مما يوفر معلومات واسعة ومتعددة المصادر والأشكال.
– تقنيات تتيح إمكانية استبدال المعلومات بأشكالها المختلفة عند الحاجة إلى ذلك.
– تطبيقات لعمليات الاتصال المباشر بين هيئة التدريس والطلاب والإدارة التعليمية والمنزل.
– تقنيات تحقق التعلم النشط من خلال المتعة القائمة على الإبداع العلمي والفاعلية، مما يسمح بتنمية الطالب من كافة الجوانب.

قيود استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية

توجد مجموعة من القيود عند عملية دمج تلك الاتجاهات مع متطلباتها التقنية في التعليم حيث تواجه بعض المعوقات التي ربما تحول دون فاعلية استخدامها بعضها مادي أو تقني .

قيود استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية

تواجه المؤسسات التعليمية العديد من التحديات والقيود عندما يتعلق الأمر باستخدام التقنيات الحديثة في البيئة التعليمية.
ومن بين هذه القيود(١٦):
التحديات التقنية: قد تواجه المؤسسات التعليمية صعوبة في توفير التحديثات التكنولوجية اللازمة لتطبيق التقنيات الحديثة في الفصول الدراسية. حيث تتطلب بعض التكنولوجيا الحديثة تحديثات متكررة ومكلفة للأجهزة والبرامج. وأوضحت بعض الدراسات أن السبب الذي جعل المعلمين يرفضون استخدام الأدوات التكنولوجية الجديدة هو عدم الثقة في استخدامها لعدم الخبرة والخوف من الفشل إذا كان الطلاب لديهم خلفية أفضل حول استخدام الكمبيوتر وغيرها من الأساليب الحديثة

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبي

وهذا يمكن التغلب عليه من خلال التدريب المكثف للمعلم لكيفية استخدام هذه التقنيات الحديثة، الحواجز التي تحول دون الاندماج الناجح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في بيئات التعليم والتعلم . – ضعف روح التنافس لدى المعلم: وهذا ينتج أحياناً عن عدم الثقة بالنفس الناتجة عن عدم المعرفة وهذا تختلف نسبته ما بين الدول المتطورة التي تنتشر فيها وسائل التكنولوجيا الحديثة في جميع مناحي الحياة وبين والدول النامية حيث الاستخدام المحدود لوسائل التكنولوجيا الحديثة في التعليم.

التحديات التنظيمية: قد تكون هناك قيود قانونية أو سياسية تحد من استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية. وقد يكون هناك قوانين لحماية بيانات الطلاب أو قيود على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي أثناء الدروس.

التحديات المادية: قد يكون استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية مكلفًا ، فبعض البرمجيات والأدوات الالكترونية تكون تكلفتها عالية لا يمكن توفرها في البيئات الأقل حظاً مادياً. قد تحتاج المؤسسات إلى تخصيص ميزانية مناسبة لشراء الأجهزة والبرامج وتوفير التدريب والدعم اللازمين. تلك المعوقات التي ترتبط بالأدوات والمواد وليست بالإنسان، نقص الموارد، قلة الوقت، ضعف الاستيعاب لدى المعاهد لأساليب التكنولوجيا الحديثة أو مشاكل شبكات الإنترنت والحاسوب. هذه المعوقات يمكن التخلص منها بتطوير البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات في المؤسسات التعليمية وتوفير الإنترنت بشكل دائم، ربما زيادة وقت الحصة الدراسية للمدارس لحل مشكلة قلة الوقت لدى المعلم من تطبيق واستخدام وسائل التكنولوجيا المختلفة.

تحديات الامتثال للقيود المرتبطة باستخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية

للمؤسسات التعليمية أيضًا تحديات في الامتثال للقيود المرتبطة باستخدام التقنيات الحديثة. قد تشمل هذه التحديات(١٧) :

١ . امتثال سياسات الخصوصية وحماية البيانات: يتعين على المؤسسات التعليمية الامتثال للقوانين والسياسات المتعلقة بحماية بيانات الطلاب وخصوصياتهم أثناء استخدام التقنيات الحديثة.

٢ . تدريب المعلمين والموظفين: قد يحتاج المعلمون والموظفون إلى تلقي التدريب اللازم للتعامل مع التقنيات الحديثة واستخدامها بطريقة فعالة في العملية التعليمية.

٣ . توفير الدعم الفني والتقني: يتطلب استخدام التقنيات الحديثة توفير الدعم الفني والتقني المستمر للمعلمين والطلاب. يجب أن تتمكن المؤسسات من توفير الاستجابة السريعة لحل المشكلات التقنية وتوفير التحديثات اللازمة.

تتطلب قيود استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية مزيدًا من التفكير والتخطيط لضمان الاندماج السلس والناجح للتقنيات الحديثة في العملية التعليمية.

قيود استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية تؤثر بشكل كبير على الجانب الأكاديمي في المدارس. تحتاج المدارس إلى الوفاء بتوجيهات قانونية وسياسية تحد من استخدام التقنيات الحديثة في الفصول الدراسية. قد تقتصر بعض المدارس على توفير تقنيات محدودة أو تفضيل استخدام أدوات تعليمية تقليدية بسبب قيود محددة. هذا يمكن أن يؤثر على توفير تجارب تعليمية متنوعة ومبتكرة للطلاب.

التأثير الإداري لقيود التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية

تواجه المؤسسات التعليمية تحديات إدارية فيما يتعلق بقيود استخدام التقنيات الحديثة. قد تحتاج المؤسسات إلى إعداد سياسات وإجراءات تنظيمية للامتثال للمتطلبات القانونية والأخلاقية المتعلقة بحماية بيانات الطلاب وخصوصيتهم. من المهم أيضًا توفير التدريب والدعم اللازم للمعلمين والموظفين لضمان مهاراتهم في التعامل مع التقنيات الحديثة. من الضروري توفير دعم فني وتقني قوي للمعلمين والطلاب لحل المشكلات التقنية وتوفير التحديثات اللازمة(١٨).

بشكل عام ، تشكل قيود استخدام التقنيات الحديثة تحديًا إضافيًا للمؤسسات التعليمية. يتعين على هذه المؤسسات التفكير في كيفية التغلب على هذه القيود وتحقيق الاستفادة القصوى من التقنيات الحديثة لتحسين جودة التعليم وتعزيز

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبي

تجربة الطلاب.

– استراتيجيات تجاوز القيود في المؤسسات التعليمية

– استخدام التقنيات البديلة للتغلب على القيود

تعد استخدام التقنيات البديلة أحد الاستراتيجيات الفعالة لتجاوز قيود استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية. بدلاً من الاعتماد على التقنيات التقليدية، يمكن للمدارس استكشاف واعتماد التقنيات البديلة مثل تقنيات التعلم عن بُعد وتكنولوجيا الواقع الافتراضي. يمكن استخدام هذه التقنيات لتأمين تجربة تعليمية متنوعة وشاملة للطلاب(١٩).

تحديث سياسات المؤسسات لمواكبة التقنيات الحديثة:

تعتبر تحديث سياسات المؤسسات ضرورة لمواكبة التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية. يجب أن تعكس هذه السياسات التوجه الحديث نحو التكنولوجيا ، وتقديم إطار عمل واضح لاستخدام التقنيات الحديثة في الفصول الدراسية. يجب أيضًا التأكد من تزويد المعلمين والموظفين بالتدريب اللازم حول كيفية استخدام التقنيات الحديثة بشكل فعال. كما يمكن لتحديث السياسات تفعيل المؤسسة وتمكينها من استخدام التقنيات الحديثة على نحو يلبي احتياجات الطلاب ويحسن تجربتهم التعليمية.

باستخدام هذه الاستراتيجيات، يمكن للمؤسسات التعليمية تحقيق تقدم حقيقي في التغلب على قيود استخدام التقنيات الحديثة. ستتمكن هذه المؤسسات من تحسين جودة التعليم وتوفير تجربة تعليمية شاملة وحديثة للطلاب.

– الفوائد والضرورات في تخطي قيود التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية

– تحسين تجربة التعلم وتعزيز التفاعل بين الطلاب والمدرسين

تتيح التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية فرصًا متنوعة لتحسين تجربة التعلم وتعزيز التفاعل بين الطلاب والمدرسين. من خلال استخدام الوسائط المتعددة والمحتوى التفاعلي، يمكن إشراك الطلاب بشكل أكبر وتنمية مهارات التفكير النقدي وحل المشكلات. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للتعليم عن بُعد وتكنولوجيا الواقع الافتراضي أن توفر تجربة تعلم غامرة وواقعية للطلاب، مما يساعدهم على فهم المفاهيم بطريقة أفضل، و تطوير مهارات التواصل والتعلم الذاتي من خلال التكنولوجيا(٢٠).

تعد التقنيات الحديثة فرصة لتطوير مهارات التواصل والتعلم الذاتي لدى الطلاب في المؤسسات التعليمية.

من خلال استخدام وسائل التواصل الرقمي والمنصات التعليمية الإلكترونية، كما يمكن للطلاب التفاعل مع بعضهم البعض ومع المحتوى بطرق جديدة. كما يمكن استخدام التكنولوجيا لتعزيز التعلم الذاتي وتنمية مهارات البحث والتنظيم والتفكير النقدي لدى الطلاب.

باستخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية، يمكن تحقيق تغيير حقيقي وملموس في تجربة التعلم للطلاب.

تتيح هذه التقنيات تطوير مهارات حيوية ورفع جودة التعليم. إنها فرصة لتحطيم القيود وتوفير تعليم شامل يستثمر في إمكانات الطلاب ويساعدهم على النجاح في مساراتهم التعليمية.

– دور الابتكار والتطوير في تجاوز القيود

لتجاوز هذه القيود، يلعب الابتكار والتطوير دورًا حاسمًا في تحسين استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات التعليمية. فيجب أن تعمل المؤسسات التعليمية على تطوير حلول مبتكرة ومستدامة لتلبية احتياجاتها التكنولوجية. على سبيل المثال، يمكن استخدام تقنيات التعلم الذكي وتطبيقات الهواتف الذكية لتحسين تفاعل الطلاب وتعزيز تجربة التعلم(٢١).

بالاعتماد على التكنولوجيا لتجاوز القيود، يمكن للمؤسسات التعليمية تقديم تعليم أكثر شمولًا وفعالية. يساعد استخدام التقنيات الحديثة في تحسين مستوى الوصول إلى المعرفة للطلاب وتطوير مهاراتهم في المجالات المختلفة. وبالتالي، ستتمكن المؤسسات التعليمية من تلبية احتياجات الطلاب ومواكبة التطور التكنولوجي في عالمنا المتغير بسرعة.

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبي

وهنالك قيود اخرى تتمثل في مجموعة من السلبيات نعرضها في النقاط التالية :

– ضعف في المهارات الأساسية :حيث إن استخدام أجهزة الحاسوب والأجهزة اللوحيّة بدلاً من الورقة والقلم أدى إلى تدنّي مستويات الطلاب في المهارات الأساسية في التعليم كالكتابة الجيدة ، حيث أصبح وجود طالب يتقن الكتابة بخط جيد أصبح نادراً حيث أن استخدام التكنولوجيا بدلاً من الكتابة اليدوية يُبطئ عملية التفكير، فعدم حصول الخلايا العصبية على أوامر يجعلها غير فعّالة.

– تقديم معلومات غير صحيحة : فالعديد من المواقع الإلكترونيّة تزود الأشخاص بمعلومات خاطئة تمّ نسخها ولصقها من مواقع ومراجع أخرى لم يتمّ التأكّد من مدى دقتها، وبالتالي يتم تضليلهم بهذه المعلومات، وهذا يرجع إلى أنّ أصحاب المواقع الإلكترونية يحرصون على حصول مواقعهم على الترتيب الأعلى ضمن قائمة تصنيفات مواقع الإنترنت بدلاً من التركيز على المحتوى الذي يتم نشره.

– تقليص دور المعلم: ساهم الإنترنت في تقليل دور المعلمين؛ فأصبح الطلاب يعتمدون على شبكة الإنترنت من أجل الحصول على معلومة ما بدلاً من سؤال المعلم عنها، كما أنّ التطور السريع والمتواصل لتقنيات التكنولوجيا شكّل عائقاً كبيراً أمام المعلم الذي لا يمتلك تلك التقنيات، ممّا شكّل عائقاً إضافياً أمام المدارس التي أصبح لزاماً عليها استقطاب خبراء التوعية التقنّية من أجل تدريب المعلمين على استخدام هذه التقنيات والمهارات ، وهذا بدوره أدى إلى زيادة النفقات.

– تأثير التكنولوجيا على الصحة : يؤثر استخدام التقنية بشكل غير منتظم على الصحة الاجتماعية والعقلية والبدنية؛ فاستخدام الأجهزة الرقميّة يسبب الإجهاد للعين ، فالعديد من الأفراد يعانون مزيد من الإرهاق في العين بعد استخدام الشاشة لأكثر من ساعتين في المرّة الواحدة"، كما أنّها تؤثر على الرأس والرقبة، وتساهم في خفض مستوى النشاط البدني.

– زيادة النفقات : إن استخدام التكنولوجيا في التعليم كبديل عن الورقة والقلم يتطلب إنفاق مبالغ ضخمة من قِبل المدارس والكليات التّعليميّة ، من أجل شراء وتوفير الموارد الضرورية كأجهزة الحاسوب وغيرها، وإنفاق المال من أجل تحديث البرامج القديمة التي لا تتوافق و التكنولوجيا الحالية.

– التأثير سلبا على علاقة الطالب بالمعلم : وذلك نتيجة لندرة اللقاء المباشر بين الطالب والمعلم حيث أنه استبدل باللقاء عبر الإنترنت مما يضعف هذه العلاقة.

النتائج والتوصيات

تهدف الحداثة التقنية في بيئات التعلم الإلكتروني إلى تطبيق أحدث الابتكارات التكنولوجية في العملية التعليمية، مثل استخدام الواقع الافتراضي والواقع المعزز والهدف التفاعلي بزيادة فعالية وتأثير التعلم على المتعلمين. وتساهم هذه التقنيات الحديثة في ربط المعرفة بشكل أفضل وتعزيز تفاعل المتعلمين وتحفيزهم لتحقيق التعلم بأفضل شكل ممكن.

وتواجه المؤسسات التعليمية الليبية تحديات كبيرة في تحسين وتطوير بيئات التعلم الإلكتروني. ولكن مع استخدام الاتجاهات الحديثة في مجال التقنية، يمكن للمؤسسات أن تحقق تقدم كبير في هذا المجال.

تعتبر التقنيات الحديثة، مثل الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات، ذات تأثير كبير على بيئات التعلم الإلكتروني في المؤسسات التعليمية الليبية. يمكن لهذه التقنيات أن توفر تجربة تعليم مخصصة لكل طالب وتحليل بيانات الطلاب لتوجيه الدروس والمواد التعليمية بشكل فردي. كما يساعد تفهم مفهوم التعلم المتكيف واستخدام تكنولوجيا التعلم الشخصي في تحقيق تفاعل أفضل وفهم أعمق للمواد التعليمية. باستخدام هذه الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني، يمكن للمؤسسات التعليمية الليبية الاستفادة من الحداثة التقنية لتحسين جودة التعليم وتحقيق أفضل نتائج للطلاب.

لتحسين بيئات التعلم الإلكتروني في المؤسسات التعليمية الليبية، نعرض هنا بعض التوصيات:

- زيادة الاستثمار في التكنولوجيا: يجب على المؤسسات التعليمية الليبية زيادة استثمارها في تكنولوجيا التعلم الإلكتروني

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبي

وتوفير التجهيزات اللازمة للطلاب والمعلمين.وضرورة اهتمام الأنظمة التعليمية بالتقنية التعليمية والمعايير التكنولوجية واستحداث مشاريع عالية الجودة لإحداث التحول المطلوب لتحقيق الجودة.

- تطوير برامج وتقنيات تعليمية مبتكرة: يجب على المؤسسات التعليمية الليبية العمل على تطوير برامج وتقنيات تعليمية مبتكرة ، تستخدم الحداثة التقنية مثل الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات.
- تدريب المعلمين على استخدام التكنولوجيا: يجب توفير التدريب المناسب للمعلمين حول كيفية استخدام التكنولوجيا في مجال التعلم الإلكتروني وتبادل أفضل الممارسات في هذا المجال.
- تحسين البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات: يجب على المؤسسات التعليمية الليبية تحسين البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات لضمان توفر الاتصال السلس والاستخدام المناسب للتكنولوجيا في البيئات التعليمية.
- العمل على الحد من المعوقات التي تواجه المعلمين في استخدام التقنية الحديثة.

لتحقيق تطبيق الحداثة التقنية الفعالة، يجب أن توفر المؤسسات التعليمية الليبية:

– التدريب والتنمية المهنية: يجب تزويد المعلمين والمدرسين بالتدريب والتنمية المهنية المستمرة في مجال استخدام التكنولوجيا التعليمية وتطبيقها بفعالية في الفصول الدراسية.

– توفير البنية التحتية التكنولوجية: يجب توفير البنية التحتية التكنولوجية المناسبة في المؤسسات التعليمية الليبية لدعم تطبيق الحداثة التقنية، مثل الشبكات اللاسلكية والأجهزة والبرامج التعليمية.

– تشجيع الابتكار والتجارب: يجب تشجيع المؤسسات التعليمية على اعتماد الابتكار والتجارب في تطبيق التكنولوجيا التعليمية، وتشجيع المعلمين والطلاب على استخدام الأفكار الإبداعية والتقنيات الحديثة.

– نقترح أن تدرس هذه الاتجاهات في أحد الفروع والتخصصات في المؤسسات التعليمية من أهم وأبرز التخصصات الجامعية الحديثة :

- أساسيات المعلومات.
- علوم الحاسبات وهندسة الكمبيوتر.
- إدارة قواعد البيانات والشبكات.
- الإدارة الإلكترونية والمعلوماتية.
- مجالات الاتصالات وبرامج الحوسبة.
- إدارة الأنظمة المعلوماتية والشبكية.

من خلال التركيز على هذه التوصيات واستخدام الحداثة التقنية، يمكن تحسين بيئات التعلم الإلكتروني في المؤسسات التعليمية الليبية وتحقيق تحسن كبير في مستوى التعليم.

الهوامش:

١ – أحمد، زاهر. (١٩٩٧) ، "وتكنولوجيا التعليم تصميم وانتاج الوسائل التعليمية " ، ج ٢، ط ١ ، المكتبة الأكاديمية. القاهرة، مصر.

٢ – إي ماير، ايتشارد. (٢٠٠١) ، تعريب: النابلسي، ليلى (٢٠٠٤) ، "التعلم بالوسائط المتعددة ". ، ط ١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣– محمود ،خالد صالح حنفي ، (٢٠١٥) ، " التصنيفات العالمية للجامعات وإمكانية إفادة الجامعات العربية منها : دراسة تحليلية نقدية " ، بحث مقدم للمؤتمر العربي الدولي الخام لضمان جودة التعليم العالي ، جامع الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ٣ –٥ مارس

٤ – العباسي، محمد أحمد ، (٢٠١٣) ، توظيف بيئة التعلم الشخصية لتلبية الاحتياجات المعرفية والمها رات البحثية لدى طلاب الدارسات العليا

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبي

بكلية التربية واتجاهاتهم نحوها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة.

٥– الخليفة ، هند سليمان ، (٢٠٠٨) ، نظم إدارة التعلم الالكتروني إلي بيئات التعلم الشخصية ،كلية علوم الحاسب والمعلومات جامعة الملك سعود ،الرياض.

٦– الترك، بسام ، (٢٠٠٠) ، "أثر استخدام طريقة التعلم المبرمج على تحصيل طلاب الصف التاسع الأساسي في مبحث الرياضيات في محافظة رام الله والبيرة" ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين.

٧– مصطفى ، مها محمود طلعت ، (٢٠٠٧) ، بيئة العمل والتعلم في النظم التعليمية الإلكترونية المستخدمة في التعليم عن بعد، المركز القومي للبحوث، مصر.

٨– https://www.btsacademy.com/blog_det.php?page=1299&title=%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D8%B2_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D9%87%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%AA%D9%83%D9%86%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85

٩– https://edustepup.com/importance-educational-technology-teacher

١٠– https://tumuhtr.com/blogs/أساليب-الدمج-في-التعليم-

١١– https://edtecharabia.com/author/ashrakat/

١٢– https://aws.amazon.com/ar/what-is/cloud-storage/

١٣– حسن ،محمد عبدالهادي و شريف، وفاء عبدالعزيز و كردي ،سميرة عبدالله و اليافي، وفاء عبد البديع ، (٢٠١٣). ، فاعلية أوعية المعرفية السحابية ودورها في دعم نظم التعليم الإلكتروني وتنمية البحث العلمي بالمملكة العربية السعودية ،المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد. تم استرجاعه في تاريخ ٢٤–٣–٢٠١٤ على الرابط http://www.eyeofriyadh.com/ar/news/details/interactive-intelligence

١٤– تيموثي ج ،نيوباي؛ دونالد أ ، ستيبتش؛ وآخرون ، (٢٠١١). ، التقنية التعليمية للتعليم والتعلم .(ترجمة .سارة العريني). الرياض، دار جامعة الملك سعود للنشر.

١٥– العريشي، جبريل بن حسن. العطاس، مها عبد الباري ، (٢٠١٢) ، فعالية استخدام الهاتف النقال في تنمية المفاهيم التقنية لدى عينة من طلاب الدراسات العليا بجامعة الملك سعود ، مجلة كلية التربية بأسوان – مصر

١٦– قديسات ، سمير يوسف فرحات، الآثار السلبية لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والإنترنت على يجيل الشباب في المجتمعات المستهلكة للتكنولوجيات. https://jilrc.com/archives/5744

١٧– عبدالعال ، عبد العزيز عبد العال زكي،(٢٠١٠)، إدارة الجودة ودورها في بناء الشركات، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في إدارة الأعمال، الجامعة الافتراضية الدولية بالمملكة المتحدة.

١٨– النداوي ، فواز جاسم ، (٢٠١٢) ، التقنيات التربوية ودورها في تطوير طرائق تدريس التربية الرياضية، في مجال التعليم العالي، مجلة جامعة كركوك للدارسات الإنسانية، المجلد السابع، العدد الثالث .

١٩– عيد، سعاد محمد ،(٢٠٢٢) ، استخدام أساليب نظرية القيود في تخطيط نظام التعليم " شجرة الإستراتيجية والتكتيك نموذجا " ، مجلة كلية التربية بالزقازيق ، دراسات تربوية ونفسية ، المجلد ٣٧ ، العدد ١١٩ .

٢٠– الزهيري، إبراهيم عباس ،(٢٠١٣) ، التخطيط الإستراتيجي لأداء متميز في مؤسسات التعليم العالي ، مؤتمر التميز في الأداء الجامعي ، فلسفته – آلياته – معاييره " التعليم المؤتمر الدولي الأول لمركز تطوير التعليم الجامعي ، جامعة بورسعيد ، ١٠ –١١ فبراير ٢٠١٣م.

٢١– https://mbse.journals.ekb.eg/article_136035.html

الاتجاهات الحديثة في بيئات التعلم الإلكتروني
دراسة في واقع تطبيق الحداثة التقنية في المؤسسات التعليمية الليبي

المصادر:

١– أحمد، زاهر. (١٩٩٧) ، "وتكنولوجيا التعليم تصميم وانتاج الوسائل التعليمية " ، ج ٢، ط ١ ، المكتبة الأكاديمية. القاهرة، مصر.

٢– الترك، بسام. (٢٠٠٠) ، "أثر استخدام طريقة التعلم المبرمج على تحصيل طلاب الصف التاسع الأساسي في مبحث الرياضيات في محافظة رام الله والبيرة"، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

٣– الخليفة ، هند سليمان (٢٠٠٨) ، نظم إدارة التعلم الالكتروني إلي بيئات التعلم الشخصية ،كلية علوم الحاسب والمعلومات جامعة الملك سعود ،الرياض.

٤– الزهيري ، إبراهيم عباس ، (٢٠١٣) ، التخطيط الإستراتيجي لأداء متميز في مؤسسات التعليم العالي ، مؤتمر التميز في الأداء الجامعي ، فلسفته – آلياته – معاييره " المؤتمر الدولي الأول لمركز تطوير التعليم الجامعي ، جامعة بورسعيد ، ١٠ –١١ فبراير.

٥– العباسي، محمد أحمد (٢٠١٣) ، توظيف بيئة التعلم الشخصية لتلبية الاحتياجات المعرفية والمها رات البحثية لدى طلاب الدراسات العليا بكلية التربية واتجاهاتهم نحوها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة.

٦– العريش، جبريل بن حسن. العطاس، مها عبد الباري ، (٢٠١٢) ، فعالية استخدام الهاتف النقال في تنمية المفاهيم التقنية لدى عينة من طلاب الدراسات العليا بجامعة الملك سعو،.1مجلة كلية التربية بأسوان – مصر.

٧– النداوي ، فواز جاسم، (٢٠١٢) ، التقنيات التربوية ودورها في تطوير طرائق تدريس التربية الرياضية، في مجال التعليم العالي، مجلة جامعة كركوك للدارسات الانسانية، المجلد السابع، العدد الثالث .

٨– إي ما ير، ريتشارد. (٢٠٠١) ، تعريب: النابلسي، ليلى (٢٠٠٤) ،"التعلم بالوسائط المتعددة ". ، ط ١ ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٩– تيموثي ج ، نيوباي ; دونالد أ ، ستيبتش ; وآخرون(٢٠١١). التقنية التعليمية للتعليم والتعلم .(ترجمة .سارة العريني). الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر.

١٠– محمود ، خالد صالح حنفي (٢٠١٥) ، " التصنيفات العالمية للجامعات وإمكانية إفادة الجامعات العربية منها : دراسة تحليلية نقدية " ، بحث مقدم للمؤتمر العربي الدولي الخام لضمان جودة التعليم العالي ، جامع الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة ٣ –٥ مارس.

١١– مصطفى ، مها محمود طلعت (٢٠٠٧) ، بيئة العمل والتعلم في النظم التعليمية الإلكترونية المستخدمة في التعليم عن بعد، المركز القومي للبحوث، مصر.

١٢– عبد العال ، عبد العزيز عبد العال زكي،(٢٠١٠)، إدارة الجودة ودورها في بناء الشركات، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في إدارة الأعمال، الجامعة الافتراضية الدولية بالمملكة المتحدة.

١٣– عيد، سعاد محمد ،(٢٠٢٢) ، استخدام أساليب نظرية القيود في تخطيط نظام التعليم " شجرة الإستراتيجية والتكتيك نموذجا " ، مجلة كلية التربية بالزقازيق ، دراسات تربوية ونفسية ، المجلد ٣٧ ، العدد ١١٩ .

المؤتمرات العلمية

١٤– حسن، محمد عبدالهادي و شريف، وفاء عبدالعزيز و كردي ،سميرة عبدالله و اليافي ،وفاء عبد البديع. (٢٠١٣) ، فاعلية أوعية المعرفية السحابية ودورها في دعم نظم التعليم الإلكتروني وتنمية البحث العلمي بالمملكة العربية السعودية، المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد ، تم استرجاعه في تاريخ ٢٤–٣–٢٠١٤ على الرابط – http://www.eyeofriyadh.com/ar/news/details/interactive-intelligence

١٥– قديسات ، سمير يوسف فرحات، الآثار السلبية لاستخدام تكنلوجيا المعلومات والإنترنت على جيل الشباب في المجتمعات المستهلكة للتكنولوجيات. https://jilrc.com/archives/٥٧٤٤

المواقع الالكترونية :

١– https://www.bts-academy.com/blog_det.php
٢– https://edustepup.com/importance-educational-technology-teacher
٣– https://tumuhtr.com/blogs/أساليب-الدمج- في- التعليم-
٤– https://aws.amazon.com/ar/what-is/cloud-storage/
٥ – https://mbse.journals.ekb.eg/article_136035.html
٦ – https://edtecharabia.com/author/ashrakat

أشجار الخشب والنباتات والعوامل المؤثرة في الإنتاج الزراعي عند الفراهيدي (١٧٠ هـ)

م.د. عمر سعدون حمود
وزاره التربية /مديرية تربية الرصافة الثالثة

المستخلص:
كان الإنسان يستعمل النباتات كغذاء وأصبح يزرعها مرة أخرى يستعملها في الحياة اليومية، وتارة أخرى يستعملها كدواء. استطاع أن يعطي صوره واسعه عن النباتات والأخشاب وهي كائنات حية لها تأثيرها، وتدخلها في حياة الإنسان وفي جميع المجالات، إن للأشجار الأخشاب فوائد وهو الحصول بالدرجة الأساس على منتجات منها وهي الأخشاب التي تختلف جودتها باختلاف نوع الشجر وكل نوع له ميزاته واستعمالاته الخاصة، وكذلك يحتم أسعارها باختلاف أهميتها من خلال المادة الخشبية، فمنها من يدخل في، صناعة السقوف، والأبواب والمنازل،والسفن، كما دأب الفراهيدي على دراسة أهم العوامل المؤثرة على النباتات بصورة عامة وعلى الأشجار بصورة خاصة .

الكلمات المفتاحية : أشجار الخشب، الانتاج الزراعي، الفراهيدي.

Abstract:
God Almighty created plants on Earth before He created man and began to make the means of living on the rest of the Earth and all living things dependent on the good things they produce. Man used plants as food until he began to cultivate them, and at other times he used them in daily life, and at other times he used them as a medicine for treatment. He was able to give his pictures. It is a broad study of plants and wood, which are living organisms that have their influence and interference in human life and in all fields. Trees and wood have benefits, which is essentially obtaining products from them, which are wood whose quality varies depending on the type of tree, and each type has its own features and uses, and their prices also depend on their importance through Wooden material, some of which is used in the manufacture of roofs, doors, houses, and ships. Al-Farahidi has also been studying the most important factors affecting plants in general and trees in particular.

Keywords: wood trees,agricultural production,Al-Farahidi

المقدمة :

خلق الله سبحانه وتعالى النباتات على الأرض قبل خلقه الإنسان وبدأ جعل أسباب معيشته على سائر الأرض وسائر الأحياء ورهوناً بما تنتجه من خيرات ، فكان الإنسان يستعمل النباتات كغذاء حتى أصبح يزرعها وتارة أخرى يستعملها في الحياة اليومية ، وتارة أخرى يستعملها كدواء للعلاج .

وبذلك تنتشر النباتات في جميع انحاء الأرض المعمورة ، وتلعب دوراً هاماً في حفظ التوازن البيئي على الأرض وبذلك تؤدي النباتات الاشجار دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية لأنها مصدر الاخشاب الذي يستخدمها الإنسان في صناعة كافة أنواع الأثاث والأبواب والشبابيك والسفن التجارية ، بالإضافة إلى أن البعض منها استخدم كمصدر للطاقة من حيث الفحم والدفء .

أشجار الخشب:

من المعروف أن مصدر الخشب هو الأشجار الخشبية ، أي: أن منشأ الخشب نباتياً، ولا تعتبر كل النباتات خشبية، وهذ الأشجار بعضها تحمل ثمار وبعضها لا تحمل، حيث استخدم أخشابها في صناعة الأبواب والشبابيك والأقداح والأسرة والمسواك والأقواس والسفن وسقوف البيوت وغيرها ، وتنتمي النباتات الخشبية إلى قسم النباتات البذرية المعمرة جذوعها ، وتختلف درجة الجودة للأخشاب باختلاف الأشجار وأنواعها ، ومن أهم الأشجار التي ذكرها الفراهيدي هي :

١– الطلح:

أشجار الخشب والنباتات والعوامل المؤثرةفي الإنتاج الزراعي عند الفراهيدي (١٧٠ هـ)

هي نوع من أنواع الأشجار العضاة ، وهي أعظم العضاة شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده(١)، طيب الرائحة(٢)، له ثور(٣)، وذكر الزبيدي(٤)، أنه لها فوائد في المجتمع حيث تكون شجرة طويلة لها ظل يستظل بها الناس والإبل(٥)، وذكر الفراهيدي (٦)، أن شجر أم غيلان هي شجر الطلح، ويكون ورقها قليلاً وأغصانها طويلة وشوكها مثل سلاء النخيل وساقها كبيراً جداً إذ لا تتلاقى عليه يد الرجل بسبب ضخامته ، والابل تأكل منه أكلاً كثيراً (٧).

وهذا ما أكده أبو الفداء(٨)، حين ذكر أن وفد من أهل اليمن أقبل على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالوا :"يا رسول الله لقد أحيانا الله ببيتين من شعر أمرئ القيس ، قال : كيف ذاك ؟ قالوا أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق اخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثاً لا نقدر على الماء فتفرقنا إلى أصول طلح وسمر يموت كل رجل منا في ظل شجرة فبينا نحن بآخر رمق إذا راكب يوضع على بعير فلما رأه بعضاً قالوا الراكب يسمعُ :

ولما رأت أن الشريعة هِمما وأن البياض من فرائصها دامي
تيممت العين التي عند خارج يعني عليها الظل عرمضها طامي

وينبت الطلح في الأرض الرملية وفي بطون الأودية، وقيل: ينبت في الأرض الغليظة الشديدة الخصبة(٩)، ثم أشار الفراهيدي(١٠)، إلى الحَعْفَعَفُ وهو ثمر الطلح، وهذا ما ذكره الرازي(١١)، ثم أشار الفراهيدي (١٢)، إلى نوع آخر في معجمه من ثمار الطلح هو (العلف)، وذكر علماء اللغة (١٣)، في معاجمهم أنواع أخرى من ثمار الطلح لم يشر إليها الفراهيدي .أما أنواع الطلح التي أشار إليها الفراهيدي(١٤)، في معجمه فهي السَّمُرُ : ضرب من شجر الطلح ، والسمر : ضرب من العضاة ، وقيل : من الشجر صغار الورق فصار شوك ... وليس من العضاة شيء أجود خشباً من السمر(١٥)، ينقل إلى القرى فتضمى به البيوت(١٦)، وخشبها مستقيم يعمل منه القصاع والأقداح، كذلك يستخدم خشبها في صناعة السفن السميرية(١٧)،

ومن أنواع الطلح، الصَّعرورة : جنس من الصمغ ، يخرج من الطلح(١٨)، وهي الصمغة الصغيرة المستديرة(١٩)، تطول وتلتوي ولا تكون صعرورة إلا ملتوية ، وهي نحو الشبر(٢٠)، وقيل: الحذال : يتشقق من خشب الطلح يشبه الصمغ(٢١).

ومن أنواع شجر الطلح التي أشار إليها الفراهيدي(٢٢)، العُرفُطُ، وهو ضرب من الطلح ينبت في الجبال ، تكون أغصانها صغيرة(٢٣)، متدانية ذات شوك كثير، بها صمغ ذات رائحة كريهة(٢٤)، ويطلق على شوك الطلح العَنَمُ(٢٥)، وشجر الطلح له فوائد طبية حيث يكون جيد لنزيف الدم(٢٦).

بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية فقد كان لشجرة الطلح أهمية تاريخية حيث كانت عندها بيعة الرضوان (٢٧).

٢– الاثل :

نوع من الشجر العام يشبه الطرفاء ، إلا أنه أعظم منها، وأجود منها عود ، تصنع منه الأقداح الصفر الجياد(٢٨)، وهي من الأشجار الدائمة الخضرة وتتحمل العطش وورقه هدب(٢٩).

طويل مستقيم الخشب ، وقيل مستطيل ، وخشبه جيد يحمل إلى القرى فتبنى عليه بيوت المدر، وليس له شوك وتصنع منه أيضاً القصاع والجفان(٣٠)، وثمرته حمراء ، يوجد في داخله حبات صغار تكون ملتصقة بعضها مع بعض ويسمى حب الاثل (٣١)، وثمر الاثل يقوي اللثة، ويسكن وجع الأسنان(٣٢)، وقيل : ينفع الاثل من تآكل الاسنان(٣٣)، ويزرع الاثل في الأرض رملية(٣٤)، ثم أشار الفراهيدي(٣٥)، إلى النُّضار : هو الاثل ، الذي ينبت دون تبع ، بل ينبت عن طريق ماء المطر ويكون طويل الشجر مستقيماً ، وقيل : ما نبت في الجبال هو أفضله(٣٦)، ويصنع من الاثل الاقداح الخشبية ذات اللون الاصفر الجيدة(٣٧)، ويسمى قدح النضار وَرْسِيَ الذي يعني أصفر اللون(٣٨)، ومن خشب الاثل اتخذ منبراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)(٣٩)، وقد أشار البكري في السنة السابعة أو التاسعة من الهجرة اتخذ المنبر لرسول الله (صلى الله عليه وآله)(٤٠).

ويسمى الاثل بالكزماج والكزمازك والجوز مازك ومعنى ذلك : عفص الطرفاء ، وسمى بذلك على سبيل التشبيه في المضاف

والمضاف إليه (٤١)، ومن فوائد الكزماج إذا نقع في الماء الحار يوماً وليلة ، وشرب بعد ذلك بالعسل أو بالسكر ، نقى المعدة وجفف رطوبتها الفضلية وأزال ما في المعدة من الفضول الغليظة المتعفنة ، وحبس البطن وقد ينقع في الشراب ، فيكون أكثر تقوية وتنقية للمعدة (٤٢)، وما طبيخه ينفع من أوجاع الكبد منفعة كبيرة وعظيمة(٤٣).

وبالإضافة إلى ما ذكر عن نبات الاثل وأهميته فإنها لا تعدوا من حيث الاهمية الكبرى من خلال ذكره في كتاب الله عز وجل من خلال قوله تعالى :(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ)(٤٤)، ويتضح مما تقدم أن فوائد الاثل أن يساهم في علاج أمراض عديدة قد يتعرض لها الإنسان من خلال البيئة ويعطي الجسم الطاقة الحرارية والنشاط ويعالج ضعف الكبد .

٣– الآراك :

شجر السواك ، وقيل : واحدته أريكة(٤٥)، وهو من الاشجار المعروفة بمكة(٤٦)، وتكون شجرته طويلة عظيمة ناعمة الملمس كثيرة الغصون والأوراق(٤٧)، وهو من الاشجار الحمضية له حمل كحمل عناقيد العنب(٤٨)، وثماره حمر وكناء في عناقيد وهي تؤكل ، ينبت في البلاد الحارة ، ويوجد في صحراء مصر الجنوبية والشرقية ، ويملأ عنقوده الكف (٤٩).

ثم أشار الفراهيدي(٥٠)، إلى ثمر الارك بعد ان ينضج وهو (المرد) اما ثمره عندما يكون صغار فقد اطلق عليه (العرمض) (٥١)، والبَدِيرُ : ثمار الاراك(٥٢)، الذي يجنى للأكل(٥٣)، والكبث ، والكبَاثُ : هو ثمر الاراك المفترق(٥٤).

ثم أشار الفراهيدي إلى أنواع أخرى من ثمار الاراك ومنها (البُرَمُ)(٥٥)، و(الخمط)(٥٦)، وهو من الاشجار التي يكثر نباته في بطون الأودية والجبال ويحتاج إلى كميات كثيرة من الماء (٥٧)، وأفضل ما اتخذ السواك من شجر الاراك ولا ينبغي أن يؤخذ السواك من شجرة مجهولة ، فربما تحتوي على السم ، ومنها استعمل باعتدال ، جلاء الاسنان وصقلها(٥٨)، ومنافعه يقوي المعدة ، ويجيد الهضم ، ويحلو البلغم ، وإذا شرب طحينه ، ادر البول ، ونقى المثانة(٥٩).

٤– الارز :

هو من أشجار السهول والجبال ، والارز معروف ، شدة وتلازم في كزازه وقلابة(٦٠)، والارز : شجرة معروفة بالعراق والشام تسمى الصنوبر ، والصنوبر ثمر الارز(٦١)، والارزة : أي الشجرة الثابتة في الأرض(٦٢)، وثماره صنفان منها من يكون حبه صغيرة أو يسمى قضم قريش(٦٣)، وهو من الاشجار الصلبة المعتدلة التي لا تتأثر بهبوب الرياح(٦٤)، وتكثر شجار الارز في مرو(٦٥)، ويستخدم خشب الارز في الحطب ، إذ يوقد بخشبه النار كما توقد الشمع ويكثر أيضاً خشب الارز في جبل فازار، وهو من الخشب العتيق الغالي(٦٦)، ويستخدم في صناعة الفحم (٦٧)، ويستخدم في بناء سقوف البيوت(٦٨)، وفي صناعة السفن(٦٩)، ويستخرج من عروقه الزفت(٧٠)، وأما عن كيفية استخراج الزفت من الارز فقد ذكر الجاحظ(٧١) (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) في كيفية لك وقال: " ولو أن انسان أراد أن يخرج الزفت من الارز لم يكن يخرج له بان يقطع العود ويدقه ويقشره ، بل يوقد لناراً بقربه ، فإذا أصابه الحر عرق وسال ... "، ومن فوائد الصنوبر ، ان ثمره فيه حرارة نافعة لقيح الصدر، وجيد لوجع المثانة والكليتين والمعدة ، ويكون غذاءٌ حسناً وسريع الانهضام(٧٢).

يتبين من ذلك ان لأشجار الاخشاب فوائد وهو الحصول بالدرجة الأولى على المنتجات الأساسية من الأشجار وهي الأخشاب والتي تختلف درجة جودتها باختلاف الاشجار وكل نوع من الاشجار له ميزاته واستعمالاته الخاصة ، وكذلك تختلف أسعارها باختلاف أهميتها ، من خلال نوع الخشب أي أن المادة الخشبية هي العامل الأساس في تحديد أهمية الشجيرة ، فمنها ما يدخل في صناعة سقوف وأبواب المنازل والسفن ومنها ما يدخل في صناعة الصموغ والاوراق بالإضافة الى كونها تدخل بالدرجة الأولى لعلاج العديد من الأمراض .

وهناك أنواع أخرى من أشجار النباتات التي لم يتطرق اليها الفراهيدي في معجمه فيما تطرق اليها علماء اللغة : ومنها الاشكل (٧٣) : وهو شجر مثل شجر العناب في شوكه وعقف أغصانه ، غير أنه أصفر ورقاً ، وأكثر أفناناً ، وهو صلب جداً ، وله نبيقة حامضة شديدة الحموضة، ينبت في أعلى الجبال ، وتصنع من أغصانه القسي أو الاقواس، وعرف القوس المصنوع من هذه الشجرة باسم

أشجار الخشب والنباتات والعوامل المؤثرةفي الإنتاج الزراعي عند الفراهيدي (١٧٠ هـ)

الصفراء شبه الى لون خشبها الاصفر(٧٤)،وإذا لم تكن شجرته عتيقة متقادمة كان عودها أصفر شديد ، واذا تقادمت شجرته واستتمت جاء عودها نصفين ، نصف شديد الصفرة ، ونصف شديد السواد(٧٥).

والقان (٧٦): وهو شجر ينبت في الجبال ويعمل منه القسي(٧٧)، والتألب(٧٨) هو نوع من الشجر معروف ، تتخذ منه القسي(٧٩) ، و الجبج(٨٠)، نوع من الاشجار ذات اوراق صفراء تعمل منها الاقداح .

الأشجار ذات الفوائد المختلفة :

١– الغار :

نوع من الأشجار ذات أوراق طوال(٨١)، طيب الرائحة(٨٢)، وثمره الدهمشت أسود القشر له لب يستخدم في الدواء(٨٣)، كذلك يستخدم ورقه في العطر ويستخرج منه دهن الغار(٨٤)، ويسمى الغار شجر الرند، وهو حار يابس ، يفتت الحصى وينفع في وجع الرأس والكبد ، وإذا جُلس في ماء طبيخه ينفع في وجع الأرحام والمثانة ، وإذا سحق حبه وعجن بالعسل نفع في عُسر النفس وقروح الرئة ، وأن خلط بسكنجبين وشرب نفع من وجع الكبد ، أما دهنه محلل للإعياء نافع من وجع الأذن والصداع والنزلة ووجع العصب والأوجاع الحادثة من البرد والحكة ، والجرب والقوباء وداء الثعلب(٨٥)، وورقه ينفع من اوجاع الأسنان إذا طبخ في الخل (٨٦).

٢– السّلم :

ضرب من الشجر العضاة دائم الخضرة في الشتاء والصيف(٨٧)، وورقه يقال له القرظ وهو الذي يدبغ به الاديم(٨٨)، وقيل : أن القرظ : ما تدبغ الاهب(٨٩)، في أرض العرب (٩٠)، ويكون السلم من الشجر ذات الشوك لها زهرة صفراء اللون وفيها حبة خضراء طيبة الريح تؤكل(٩١)، وينفع ورقه في القروح التي تكون في الفم (٩٢).

٣– الغَرْفُ:

نوع من الأشجار العضاة ، فما دام هي خضراء فهي الغرف ، فإذا أيبست تسمى الثمام (٩٣)، وقيل : الغرف والثمام شجرة واحدة(٩٤)، وقيل : الغرب يدبغ به الجلود (٩٥)، وقد عرفت الجلود التي تدبغ بها عن طريق شجر الغرف بالجلود الغرفية ومنها جلود يمانية ونجدية(٩٦)، يعمل منه القسي(٩٧)، ويكثر الغرف في الجزيرة العربية ومصر وافريقية والهند(٩٨).

ثالثاً : النباتات العطرية :

أشار الفراهيدي (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م) في كتابه العين إلى مجموعة من النباتات العطرية وأهميتها الكبرى ، حيث تتميز النباتات العطرية بالرائحة النفاذة والطعم المميز ، كما أنها تدخل في صناعة العطور ، وإعطاء النكهة لبعض الاغذية ، وفي نفس الوقت لها فوائد طبية حيث تدخل في صناعة الادوية والعقاقير الطبية ومنها :

١– النعنع أو النعناع :

هو نبات طيب الريح(٩٩)، وهو من النباتات العشبية والطبية وتكون أوراقه عطرية ، وهو انواع منه بري ومنه يزرع في البساتين وفي الأراضي الرطبة(١٠١)، وطعمه فيه حرارة على اللسان(١٠١)، وعلى الرغم من كثرة أنواعه الشائعة الاستعمال إلا أنه يستخرج من عطر النعناع(١٠٢)، ومن فوائده أيضاً أنه أفضل دواء ناجع للبواسير وينفع لعضة الكلب ولسعة العقرب ، وبسبب مرارته يقتل الدود في البطن ويقوي القلب ، ويكون جيداً لوجع الاذن(١٠٣).

٢– الزعفران:

هو نوع من النباتات الطيبة الريح(١٠٤)، وله أنواع منه بستاني يزرع ومنه بري ، وتكون زهرة الزعفران حمراء تميل إلى الصفرة أو بيضاء (١٠٥)، ويستخرج منه الصبغ للثياب وغيرها(١٠٦).

ثم ذكر الفراهيدي في ومعجمه هناك أسم آخر يطلق على الزعفران هو : الجساد(١٠٧)، وهذا ما أيده الرازي(١٠٨)، والزمخشري(١٠٩).

وذكر علماء اللغة أسماء أخرى للزعفران لم يذكرها الفراهيدي في معجمه وهي: الجادي(١١٠)، والناجود(١١١)،

والعبير(١١٢)، وللزعفران فوائده منها يستخدم كعطور خاصة بالنساء (١١٣)، والخلوق ، طيب من الزعفران ويكون للرجال والنساء (١١٤)، ومن فوائده يقوي المعدة ويهضم الطعام ويفتح سدد العروق والكبد ويدر البول (١١٥).

٣– النرجس:

هو نبات معروف طيب الريح(١١٦)، أنواعه كثيرة وأوراقه مستطيلة(١١٧)، ليست كبيرة ولها زهرة بيضاء ، وفي وسط زهرته شيء لونه أصفر وله أصل أبيض اللون مستدير الشكل وثمرته سوداء مستطيلة(١١٨).

يزرع في شهر آب(١١٩) ويدرك في شهر كانون الاول(١٢٠)، ومن فوائده أنه يقلع الكلف وينفع إذا شُمَّ من وجع الرأس الكائن من البلغم والسوداء(١٢١).

وبذلك حظيت النباتات العطرية باهتمام العرب ذات الروائح الحسن ومن ثم فشا وكثر استعمالها في الحفلات الدينية(١٢٢)، وكان العرب يكثرون من التطيب حتى تطيب العديد من الاشخاص بالطيب ، إذ يذكر لقد كان ابن مسعود إذا خرج الى المسجد عرف جيرانه بذلك بطيب ريحه(١٢٣).

العوامل المؤثرة على الانتاج الزراعي

اشار الفراهيدي إلى مجموعة من العوامل المؤثرة على الانتاج الزراعي منها الظروف الطبيعية والآفات الزراعية حيث كان لها تأثير على نسب الزيادة والنقصان في الانتاج ومن هذه العوامل :

١– العوامل الطبيعية :

تعد الرياح من العوامل المؤثرة على الانتاج الزراعي ، وللرياح اسماء كثيرة فقد أشار الفراهيدي في معجمه إلى الهيف(١٢٤)، هي كل ريح ذات سموم تعطش المال وتيبس الرطب .، وقيل : هي الريح الباردة تجيء من قبل مهب الجنوب(١٢٥)، وقيل : ريح حارة تأتي من نحو اليمن ، تعطش الحيوان ، وتنشف المياه(١٢٦)، والحاطب : هي الريح التي تحمل التراب وكذلك ما تناثر من دقِاق البرد والثلج(١٢٧).

ثم أشار الفراهيدي (١٢٨)، إلى العصف : هي الرياح الشديدة التي تثير السحاب والورق وعرق الذرع .، وفي سنة (٢٨٥هـ / ٨٩٨م)، في ربيع الأول ارتفعت بنواحي الكوفة ظلمة شديدة جداً ثم سقطت أمطار برعود وبروق لم يرقلها واصيبت بغداد برياح شديدة اقتلعت الكثير من النخيل والأشجار ، مما حول دجلة وزادت دجلة زيادة عظيمة حتى خيف على بغداد من الغرق(١٢٩).

ومن العوامل المؤثرة على الإنتاج الزراعي الحر الشديد الذي يعرض النباتات إلى الجفاف لذا أشار الفراهيدي(١٣٠) إلى العُكّة : فورة الحر الشديد في القيظ .، كذلك الصخر(١٣١): اليوم الشديد الحر .، ووهج(١٣٢)، جميعها تدل على أيام شديدة الحر لها تأثير على مستوى الانتاج الزراعي .

ومن الأمور التي تؤثر على الانتاج الزراعي ، البرد الشديد الذي يضرب النباتات ، لذا أشار الفراهيدي(١٣٣) إلى الطرد: الرياح الباردة ، أما البرد الشديد الزمهرير(١٣٤) ، وذكر ابن الجوزي (١٣٥)(ت ٥٩٨هـ) في حوادث سنة (٣١٤هـ / ٩٢٦م)، في يوم الأحد لثمان خلون من شوال وهو اليوم السابع من كانون سقط ببغداد ثلج كثير وقيل هذا اليوم بسته أيام برد الأجواء برداً كثير بدأ ثم زاد شدة بعد سقوط الثلج حتى تلف أكثر نخل بغداد وسوادها .

من العوامل الأخرى المؤثرة على الانتاج الزراعي السيول والفيضانات لذا أشار الفراهيدي(١٣٦)، إلى السيل : بانه مياه ناتجة عن كثرة سقوط الأمطار وجمعه : سيول ، ثم أشار الفراهيدي(١٣٧)، إلى اسماء السيل ومنها : العِفش، وحفش ، السيل الوادي يحفشه حفشاً من كل جانب إلى مستنقع واحد ، والفيض : الماء الكثير ونهر فياض كثير الماء(١٣٨)، وذكر ابن كثير (١٣٩)، أن في سنة (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، زاد نهر دجلة زيادة عظيمة وغطت المياه الجانب الغربي من بغداد ، مما أدى إلى سقوط دور كثيرة وغرق قرى كثيرة وهلك بسبب ذلك الحيوانات والزرع ، والشواهد في الأحداث التاريخية كثيرة لا يسع المجال لذكرها في هذا البحث ، لذات يتضح مما سبق أن كثرة سقوط الأمطار بزيادة عن النسبة المحددة للزرع يؤدي بالتالي إلى اتلاف المحاصيل

أشجار الخشب والنباتات والعوامل المؤثرةفي الإنتاج الزراعي عند الفراهيدي (١٧٠ هـ)

الزراعية بالإضافة إلى أن كثرتها تحدث سيول جارفة فتجرف التربة والكثير من المحاصيل الزراعية بالإضافة إلى زيادة مياه الأنهار والوديان التي تفيض وتضمر الأراضي الزراعية القريبة منها .

٢– الآفات الزراعية:

للآفات الزراعية تأثير سلبي على الانتاج الزراعي وبهذا الصدد ذكر الفراهيدي في معجمه العين مجموعة من الآفاق التي تصيب المحاصيل الزراعية مثل الجراد : الذي ياتي بشكل موجات كبيرة وكثيفة فيأكل كل ما يجده أمامه ، وقيل : جرد الجراد الأرض أي : أكل ما عليها من النبات ولم يترك منه شيئاً(١٤٠).

والعنظب(١٤١): هو الجراد الذكر ، اما إناثه تسمى العنضوية(١٤٢)، وأشار الفراهيدي (١٤٣) إلى الجندب : هو الذكر من الجراد ، وللجراد تأثير كبير على المحاصيل الزراعية ففي سنة (٣١١هـ/ ٩٢٣م)، كثر الجراد وعظم أمره وكثر إفساده للغلات (١٤٤)، ولذلك أثر كبير على مناطق الدولة العربية الإسلامية حتى قيبل: " في هذه السنة غلت الأسعار ووقع الوباء وواقى من الجراد الإعرابي الاسود أمر عظيم حتى بيع كل خمسين رطلاً(١٤٥) بدرهم فكان ذلك معونة للفقراء لشدة غلاء الخبز"(١٤٦).

والحال نفسه في سنة (٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) انتشر الجراد وبكثرة وافسد الكثير من المحاصيل الزراعية فغلت الأسعار في العراق والموصل وديار الجزيرة وديار بكر وغيرها وقلت الاقوات إلا أن أكثر الغلاء كان بالموصل وديار الجزيرة(١٤٧).

ومن الآفات الزراعية التي تصيب الزرع ، الارضة(١٤٨) : دويبة بيضاء تشبه النمل تأكل الخشب وتظهر ايام الربيع ، ثم ذكر ابن سيدة(١٤٩) : " الأرضة ضربان ضرب صغار مثل كبار الذر وهي آفة الخشب خاصة وضرب مثل كبار النمل ذوات اجنحة وهي آفة كل شيء من خشب ونبات غير أنها لا تعرض للرطب ، وهي ذات قوائم والجمع أرض والارض اسم للجمع وأرضت الخشبة أرضاً وأرضت أرضاً كلاهما أكلته الأرضة .

ثم أشار الفراهيدي(١٥٠)إلى الآفات التي تصيب الإنسان والنبات القَدْح أو القادحة : قيل هي الدودة التي تأكل الشجر والسنَّ أما اليرقات والأرقات : مرض يصيب الشخص، فيصبح لون جسده أصفر واليرقان : دود يصيب الزرع يؤدي إلى هلاك الزرع ويفسده(١٥١)، أما السرقة(١٥٢)، فهي دويبة صغيرة تنقب الشجر وتهلك الزرع وتبني فيه بيتاً من عيدان دقائق تجمعها وتنسج بها بيتاً مثل نسيج العنكبوت فتأكل أوراق الشجر الذي تبني فيه بيتها وتهلك ما يبقي منه بذلك النسيج ، يتضح مما تقدم أن الآفاق الحشرية التي تصيب الأراضي الزراعية لها أثر واضح في الضرر الاقتصادي والاجتماعي الناتج عن توسع غزو الآفات التي مرت بها الدولة الاسلامية ولم يكن في تلك الفترة ما يعالج غزو الآفات الزراعية إذا ما قارنا في عصرنا الحديث.

العوامل البشرية :

تأثر العوامل البشرية تأثيراً كبيراً على اقتصاديات البلدان على المستوى المعيشي لأفراد المجتمع بسبب غلاء الأسعار ولاسيما أن الصراعات السياسية المتمثلة بالفتن والاضطرابات السياسية تمثل الآفة التي تنخر في جسد الدولة لما تحدثه من اضطرابات وقلاقل تؤثر على الحياة العامة ومنها العوامل البشرية :

١– الاحتكار :

الحكر : ما احتكر من طعام ونحوه مما يؤكل(١٥٣)، والاحتكار : ان يشتري الرجل طعاماً ويحبسه ليقل فيغلو(١٥٤)، وصاحبه الذي ينتظر باحتباسه الغلاء(١٥٥)، وصاحبه المحتجن للشيء المستبد به(١٥٦).

وروي في النهي عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال :" من احتكر يريد ان يغالي بها المسلمين فهو خاطئ "(١٥٧) .

٢– الالجاء :

لجأ : لجا فلان إلى كذا ملجأ ولجأ ، و هو يلجأ ويلتجئ ، ولجأنا الأمر إلى كذا ، أي اضطرني إليه(١٥٨)، والالجاء : بمعنى التحصن والحماية ، ولجأ إلى الشيء يلجأ لجؤاً وملجأ ولجأت أمري إلى الله اسندت(١٥٩)، والالجاء هو أن يلجئ الشخص الضعيف أرضه او جزء منها إلى شخص له من القوة والنفوذ او له منصب رفيع في البلد لحمايته من كثرة الضرائب وتعسف

أشجار الخشب والنباتات والعوامل المؤثرةفي الإنتاج الزراعي عند الفراهيدي (١٧٠ هـ)

الجباة أو في حالة اضطراب الأمن (١٦٠)، ومن الروايات التاريخية التي تدل على الالجاء ، ان هناك بعض الفلاحين الجأ ضياعاً كثيرة في منطقة البطائح جنوب العراق إلى مسلمة بن عبد الملك(١٦١)، في عهد الخلافة الأموية(١٦٢).

الخاتمة:

يتضح ان الفراهيدي استطاع ان يعطي صوره واسعه عن النباتات والأخشاب وهي كائنات حية لها تأثيرها وتدخلها في حياه الإنسان وفي جميع المجالات

يتبين من ذلك أن للأشجار الأخشاب فوائد وهوه الحصول بالدرجة الأساس على منتجات منها وهي الأخشاب التي تختلف جودتها باختلاف نوع الشجر وكل نوع له ميزاته واستعمالاته الخاصة وكذلك يحتم أسعارها باختلاف أهميتها من خلال المادة الخشبية التي تحدد تلك الاهمية فمنها من يدخل في، صناعه والسقوف والأبواب ومنازل والسفن ومنها ما يدخل في، صناعه الصموغ والأوراق والعطور والاصباغ بالإضافة إلى تدخلها لعلاج العديد من الأمراض ذلك بعد التفصيل عن كل انواعها وكيفيه استخدامه

كما دأب الفراهيدي على دراسة اهم العوامل المؤثرة على النباتات بصوره عامه وعلى الأشجار بصوره خاصه بما فيها من مؤثرات طبيعية كالفيضانات ومناخيه الأمطار وبيئته وصحية كالآفات ، فضلا عن المؤثرات البشرية وما يرتبط بها في حياه واعمال الإنسان

الهوامش:

(١) الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م)، العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال ، د.ت)، ج٣، ص١٦٩ .

(٢) الكجراتي ، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي (ت ٩٨٦ هـ /١٥٧٨م)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٧م)، ج٣، ص٤٥٢ .

(٣) الأزهري ، أبو منصو محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م)، ج٤، ص٢٢٢ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، (الكويت ، دار الهداية ، د.ت)، ج٣، ص٥٧٩ .

(٥) اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٨)، ج٢، ص٢٧٨ .

(٦) العين ، ج٣، ص١٦٩ .

(٧) الفراهيدي ، العين ، ج٣ ، ص١٧٠ ؛ ينظر : ابن منظور ، محمد بن جلال الدين مكرم (ت ٧١١هـ /١٣١١م)، لسان العرب ، تحقيق : أبو القاسم محمد كرو، (دار صادر ، بيروت ، ٢٠١١م)، ط٧ ، مج٩ ، ص١٣٠ .

(٨) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان ، (بيروت ، دار الفكر ، د.ت)، ج٤، ص٢١٩.

(٩) العين ، ج١، ص٩٢ .

(١٠) الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ /١٠٠٤م)، مجمل اللغة لابن فارس ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م)، ط١ ، ص٦٠٩ ؛ ينظر : الحميري ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : د. حسن بن عبد الله العمري وآخرون ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٩م)، ج٧، ص٤٣٠ .

(١١) الفراهيدي، العين ، ج٢ ، ص١٤٤ .

(١٢) الأزدي ، علي بن الحسن الصنعاني (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م)، المنتخب من غريب كلام العرب ، تحقيق : د. محمد أحمد العمري ، (جامعة ام القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الاسمي ، ١٩٨٩م)، ج١ ، ص٤٦٨ ؛ ابن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الجراثيم ، تحقيق : محمد جاسم الحميري ، (دمشق ، وزارة الثقافة ، د.ت)، ج٢ ، ص٦١ ؛ الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص٢٤٣ .

(١٣) العين ، ج٧ ، ص٢٥٥ ؛ ينظر : الكجراتي ، مجمع بحار الأنوار ، ج٣ ، ص١١٥ .

(١٤) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١ ، ص٦٠ .

(١٥) ابن سيدة ، أبو الحسن بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م)، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م)، ج٨، ص٤٩٣ .

(١٦) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)، أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل ، (بيروت ، دار الكتب العلمية

، ١٩٩٨م)، ج١ ، ص٢١ .
(١٧) الزبيدي، تاج العروس ، ج١٢ ، ص٨٤ .
(١٨) الفراهيدي، العين، ج١، ص٢٩٨ .
(١٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٢٤٤٨ .
(٢٠) الزبيدي، تاج العروس ، ج١٢ ، ص٣١٧ .
(٢١) الشيباني ، أبو عمروا اسحاق بن مدار (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، الجيم ، تحقيق : ابراهيم الايباري ، راجعه : محمد خلف أحمد ، (القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ١٩٧٤م)، ج١ ، ص٢٠٨.
(٢٢) الفراهيدي، العين ، ج٢ ، ص٣٢٧ .
(٢٣) الشيباني ، الجيم ، ج١ ، ص٩٣ .
(٢٤) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج٣ ، ص٢٢٢ .
(٢٥) الفراهيدي، العين ، ج٢ ، ص١٦١ .
(٢٦) ابن البيطار ، أبو محمد ضياء الدين (ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والاغذية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١م)، ج١ ، ص٧٨ .
(٢٧) الكجراتي ، مجمع بحار الأنوار ، ج٣ ، ص١١٥ ؛ اليحصبي ، عياض بن موسى بن عياض (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، مشارف الأنوار على صحاح الآثار،(بيروت ، دار التراث ، د.ت)، ج٢ ، ص٢٣٣ ؛ ابن الاثير، مجد الالدين أبو السعادات محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٠٦هـ /١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق : طاهر احمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، (بيروت ، المكتبة العلمية ، ١٩٧٩م)، ج٢، ص٣٩٩ ؛ بيعة الرضوان : هي من الحوادث المهمة في التاريخ الإسلامي حدثت في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة في منطقة الحديبية حيث بايع فيها الصحابة النبي محمد ( ) عل قتال قريش ، والا يفروا حتى الموت ، بسبب ما اشيع من أن عثمان بن عفان قتلته قريش حين أرسله النبي محمد ( ) اليهم للمفاوضة . المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م)، التنبيه والاشراف ، تحقيق : عبد الله اسماعيل الصاوي ، (القاهرة ، دار الصاوي ، د.ت)، ص٣٢١ .
(٢٨) الفراهيدي، العين ، ج٨، ص٢٤١ .
(٢٩) أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، (حيدر آباد – الركن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٤م)، ج٤، ص٢٥٨ ؛ الازدي، المنجد في اللغة ، تحقيق : دكتور : أحمد مختار عمر والدكتور ضاحي عبد الباقي ، (القاهرة ، عالمك الكتب ، ١٩٨٨م)، ص٣٥٣ .
(٣٠) الرازي ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٩م)، ج١ ، ص٥٨ ؛ ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، ج١٠ ، ص١٧٩ .
(٣١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص٢٨ .
(٣٢) الفيروز آبادي، مجد الالدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)، القاموس المحيط ، ط٨ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٥م)، ص١٨٣ .
(٣٣) الحميري ، شمس العلوم ، ج١ ، ص١٧٣ .
(٣٤) الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، معجم البلدان ، (بيروت ، دار الفكر ، د.ت)، ج١ ، ص٣٩٧ .
(٣٥) العين ، ج٤، ص٤١٢ ؛ ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، ج٨٩، ص٧٨٠ .
(٣٦) الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١٢ ، ص٩ .
(٣٧) ابن سيدة ، المحكم والمحيط الاعظم ، ج٨، ص٦١٠ .
(٣٨) الفراهيدي، العين ، ج٧ ، ص٢٦ .
(٣٩) محي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، الانوار في شمائل النبي المختار ، تحقيق : الشيخ ابراهيم اليعقوبي ، (دمشق، دار المكتبي، ١٩٩م)، ج١، ص٥٦٥ .
(٤٠) بكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس، (بيروت ، دار صادر ، د.ت)، ج٢ ، ص٦٨ .
(٤١) ابن النفيس ، علاء الدين بن أبي الخرم القرني (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، الشامل في الصناعة الطبية ، تحقيق : يوسف زيدان ، (الامارات العربية المتحدة ، المجمع الثقافي ، ٢٠٠٠م)، ص١٦٧ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ص١٧١ .
(٤٣) الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣هـ/٩٢٥م)، الحاوي في الطب، تحقيق : هيثم خليفة طعيمي ، (بيروت ، دار احياء التراث العبي ، ٢٠٠٠م)، ج١، ص٤٣٤ .
(٤٤) القرآن الكريم ، سورة سبأ : آية ١٦ .
(٤٥) الفراهيدي، العين ، ج٥، ص٣٥٢ .
(٤٦) اليحصبي ، مشارق الانوار ، ج١ ، ص٢٧ .

(٤٧) ابن منظور ، لسان العرب، ج٤، ص٢٨٥١ ؛ الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد الحموي (ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، (بيروت ، المكتبة العلمية ، د.ت)، ج١، ص١٢ ؛ عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن ، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، (لا.م، دار الفضيلة ، د.ت)، ص١٢٩ .
(٤٨) الزبيدي، تاج العروس ، ج٢٧ ، ص٣٦ .
(٤٩) عبد المنعم ، معجم المصطلحات ، ص١٢٩ .
(٥٠) العين ، ج٥، ص٣٢٥ .
(٥١) العين ، ج٢ ، ص٣٢٥ .
(٥٢) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٥٩ .
(٥٣) الكجراتي ، مجمع بحار الانوار ، ج١ ، ص١٦٢ .
(٥٤) الفراهيدي، العين ، ج٥، ص٣٥٢ .
(٥٥) المصدر نفسه ، ج١٨ ، ص٢٧٢ .
(٥٦) المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٢٧ .
(٥٧) ابن النفيس ، الشامل في الصناعة الطبية ، ج١ ، ٣٤٩ .
(٥٨) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن ايوب (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، الطب النبوي ، تحقيق : السيد الجميلي ، (بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م)، ص٢٤٣ .
(٥٩) المصدر نفسه ، ص٢٧٣ .
(٦٠) الفراهيدي، العين ، ج٧، ص٣٨٣ .
(٦١) الازهري، تهذيب اللغة ، ج١٣ ، ص١٧١ .
(٦٢) الفارابي ، أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٧م)، ج٣ ، ص٨٦٣ .
(٦٣) دوزي، رينهارت ، تكملة المعاجم العربي ، نقله إلى العربية وعلق عليه : محمد سليم النعيمي،(الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والاعلام ، ٢٠٠٠م)، ج٨، ص٣٠٢ .
(٦٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص٥٩ .
(٦٥) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، (بيروت ، دار صادر ، د.ت)، ص ٢٧١ .
(٦٦) الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٩٠٠هـ /١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط٢، (بيروت ، دار لسراج ، ١٩٨٠م)، ص٤٣٥ .
(٦٧) الطنطاوي، الشيخ علي، الجامع الاموي في دمشق ، (دمشق ، مطبعة الحكومة ، د.ت)، ص١٧ .
(٦٨) عمر ، د. احمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، (بيروت ، عالم الكتب ، ٢٠٠٨م)، ج١، ص٨٣ .
(٦٩) ابن منظور ، لسان العرب ، مج١ ، ص٨٦ .
(٧٠) عمر ، معجم اللغة العربية ، ج١ ، ص٨٣ .
(٧١) عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، الحيوان ، ط٢، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ)، ج٥، ص٢٨ .
(٧٢) ابن البيطار ، الجامع للمفردات ، ج٣، ص١١٧–١١٨ .
(٧٣) ابن سيدة ، المحكم والمحيط الاعظم ، ج٦، ص٦٨٨ .
(٧٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٢٣١٢ .
(٧٥) ابن سيدة ، المحكم والمحيط الاعظم ، ج٦، ص٦٨٨ .
(٧٦) المصدر نفسه ، ج٦، ص٤٧٥ .
(٧٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص٥٧٦ .
(٧٨) الارزي ، معجم مقاييس اللغة ، ج١ ، ص٣٦٥ .
(٧٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص٤١٣ .
(٨٠) الزبيدي، تاج العروس ، ج٥ ، ص٤٥٨ .
(٨١) الفراهيدي، العين ، ج٢، ص٢٨٦ .
(٨٢) الازهري، تهذيب اللغة ، ج٨ ، ص١٦١ .
(٨٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥، ص٣٥ .
(٨٤) الزبيدي، تاج العروس ، ج١٣ ، ص٢٧٣ .
(٨٥) الحميري ، شمس العلوم ، ج٨، ص٥٠٤١ .
(٨٦) ابن سينا ، القانون في الطب ، ج٢، ص٤٦١ .
(٨٧) الفراهيدي، العين ، ج٧، ص٢٦٦ ؛ ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ج٢، ص٥٨٥ .

(٨٨) الفراهيدي، العين ، ج٧، ص٢٦٦ ؛ الازهري ، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، تحقيق : د. محمد جبر الالفي، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٩٩هـ)، ص٥٩ .
(٨٩) الاهب :
(٩٠) ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، ج٦، ص٣٤٤ .
(٩١) ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفج (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م)، غريب الحديث ، تحقيق : الدكتور : عبد المعطي أمين القلعجي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠)، ج٢، ص٢٣٤ .
(٩٢) الحميري ، شمس العلوم ، ج٨، ص٥٤٢٨ .
(٩٣) الفراهيدي، العين ، ج٤، ص٤٠٦ .
(٩٤) الشيباني ، أبو عمرو اسحاق (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، الجيم ، تحقيق : ابراهيم الابياري ،، راجعه : محمد خلف احمد ، ، (القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ١٩٧٤م)، ج٣، ص٩ .
(٩٥) ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ٢٧٦هـ/ (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الجراثيم ، تحقيق : محمد جاسم الحميري ، (دمشق ، وزارة الثقافة ، د.ت)، ج٢ ، ص٥٨ .
(٩٦) ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، ج٥، ص٤٩٨ .
(٩٧) الزبيدي، تاج العوس ، ج٤، ص٢٠٣ .
(٩٨) مصطفى ابراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، (لا.م، دار الدعوة ، د.ت)، ج٢، ص٦٥٠ .
(٩٩) الفراهيدي، العين ، ج١ ، ص٩١ .
(١٠٠) مصطفى ابراهيم ، المعجم الوسيط ، ج٢، ص٩٣٦ .
(١٠١) الزبيدي، تاج العروس ، ج٢، ص٢٦٥ .
(١٠٢) عمر ، د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة ، (بيروت ، عالم الكتب ، ٢٠٠٨ م)، ج٣، ص٢٢٤٣ .
(١٠٣) الحميري، شمس العلوم ، ج٩، ص٦٤٤٧ ؛ الزبيدي، تاج العروس ، حجد٢ ، ص٢٦٥ .
(١٠٤) الفراهيدي، العين ، ج٢ ، ص٣٣٣ .
(١٠٥) عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص٩٨٤ .
(١٠٦) الفراهيدي، العين ، ج٦ ، ص٤٨ .
(١٠٧) الجساد : الزعفران ونحوه من الصبغ الاحمر والاصفر الشديد الصفرة وثوب مجسد مشبع عُصفر أو زعفراناً . الفراهيدي، العين ، ج٦ ، ص٤٨ .
(١٠٨) معجم مقاييس اللغة ، ج١ ، ص ٤٥٧ .
(١٠٩) أساس البلاغة ، ج١ ، ص١٣٨ .
(١١٠) الجادي : الزعفران . الزراي ، معجم مقاييس اللغة ، ج١ ، ص٤٣٥ ؛ الحميري ، شمس العلوم ، ج٢، ص١٠١٣ .
(١١١) الناجود : هو الزعفران : الازهري ، تهذيب اللغة ، ج١٠ ، ص٣٥٣ ؛ الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث والأصر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، (لبنان ، دار المعرفة ، د.ت)، ج٣، ص٤١٠ .
(١١٢)العبير : هو الزعفران . ابن قتيبة ، غريب الحديث ، تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، (بغداد ، مطبعة العاني ة، ١٢٩٧هـ)، ج١، ص٥١٣ .
(١١٣) الزبيدي، تاج العروس ، جدة ، ص٢٥٧ .
(١١٤) ابو اسحاق ، غريب الحديث ، ج١ ، ص٣٤ .
(١١٥) الحميري، شمس العلوم ، ج٥ ، ص٢٧٦٩ .
(١١٦) الفراهيدي، العين ، ج ٦ ، ص٢٠١ .
(١١٧) عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج٣، ص٢١٩١ .
(١١٨) ابن البيطار ، الجامع لمفردات ، ج٤، ص٤٧٦ .
(١١٩) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر ، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ)، ج١، ص١٩٣ .
(١٢٠) المصدر نفسه ، ج٢، ص٣٩ .
(١٢١) الحميري، شمس العلوم ، ج٤، ص٢٤٣٠ .
(١٢٢) المكي ، محمد طاهر الكردي ، التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم ، (بيروت ، دار خضر للطباعة ، ٢٠٠٠م)، ج٥، ص٢٩٠ .
(١٢٣) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ)، ج١، ص٤٢١ .
(١٢٤) العين ، ج٤، ص٩٦ .
(١٢٥) القالي ، علي اسماعيل بن القاسم بن عبدون (٣٥٦هـ/٩٦٦م)، البارع في اللغة ، تحقيق : هشام الطعان ، (بيروت ن دار الحضارة العربية ، ١٩٧٥ م، ص١٦٣ .

أشجار الخشب والنباتات والعوامل المؤثرةفي الإنتاج الزراعي عند الفراهيدي (١٧٠ هـ)

(١٢٦) الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط ، إشراف : محمد نعيم، ط٨، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٥م)، ص٨٦٣ ؛ الزبيدي، تاج العروس ، ج٢٤، ص٥٠٢ .
(١٢٧) الفراهيدي، العين ، ج٣، ص١٢٤ .
(١٢٨) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٠٦ .
(١٢٩) ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، اسم الكتاب، تحقيق: عبد الله عبد المحسن الزكي ، (لا.م، دار حميد للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م)، ج١٤ ، ص٦٧٧.
(١٣٠) العين ، ج١ ، ص٦٦ .
(١٣١) المصدر نفسه ، ج٣، ص٢٩٨ .
(١٣٢) المصدر نفسه ، ج٤، ص٦٦ .
(١٣٣) العين ، ج٧، ص٩٧ .
(١٣٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٢٤ .
(١٣٥) عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، (بيروت ، دار صادر ، ١٣٥٨هـ)، ج٦، ص٣٠١ .
(١٣٦) العين ، ج٧، ص٢٩٩ .
(١٣٧) المصدر نفسه ، ج٣، ص٩٦ .
(١٣٨) العين ، ج٧، ص٦٥ .
(١٣٩) البداية والنهاية ، ج١٥، ص١١٥ .
(١٤٠) الفراهيدي، العين ، ج٦ ، ص٧٥ ؛ ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ج٢ ، ص٣٥١ ؛ الحميري ، شمس العلوم ، ج٢، ص١٠٦٢ .
(١٤١) الفراهيدي، العين ، ج٢، ص٣٢٧ .
(١٤٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٧ .
(١٤٣) المصدر نفسه ، ج٦، ص٢٠٦ .
(١٤٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦، ص١٧٢ .
(١٤٥) رطل :
(١٤٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٢١ .
(١٤٧) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبد الله القاضي، ط٢، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ)، ج١٠ ، ص٤٤٢ .
(١٤٨) الفراهيدي، العين ، ج٧، ص٥٦ .
(١٤٩) المحكم والمحيط الأعظم ، ج٨، ص٢٢١ .
(١٥٠) العين ، ج٣ ، ص٤٠ .
(١٥١) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢١٠ .
(١٥٢) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٤٤ ؛ الرازي ، معجم مقاييس اللغة ، ج٣، ص١٥٣ ؛ ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، ج٦، ص٧٠٦ .
(١٥٣) الفراهيدي، العين ، ج٣، ص٦٢ .
(١٥٤) الكجراتي ، مجمع بحار الانوار ، ج١ ، ص٥٥٠ .
(١٥٥) الفراهيدي، العين ، ج٣، ص٦٢ .
(١٥٦) الزمخشري ، أساس البلاغة ة، ج١ ، ص٢٠٥ .
(١٥٧) الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين علي (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، غاية المقصد في زوائد المسند، تحقيق : خلاف محمود عبد السميع ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١م)، ج٢ ، ص١٤٤ .
(١٥٨) الفراهيدي، العين ، ج٦، ص١٧٨ .
(١٥٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥، ص٣٩٩٧ .
(١٦٠) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١١ ، ص١٣١ .
(١٦١) مسلمة بن عبد الملك : بن مروان بن الحكم الأموي يكنى أبا سعيد وأبا الاصبغ ، ويلقب بالجرادة الصفراء ، وكان قائد جيوش ، وله آثار كبيرة في الحروب ومكانة في الروم ، توفى سنة عشرين ومائة للهجرة في الشام . ينظر : الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء ، (القاهرة ، دار الحديث ، ٢٠٠٦م)، ج٥، ص٢٤١ .
(١٦٢) البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ١٣٨٩م)، فتوح البلدان ، (بيروت ، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م)، ص٢٨١ .

المصادر والمراجع :

١. ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبد الله القاضي، ط٢، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ)
٢. ابن الاثير، مجد الالدين أبو السعادات محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٠٦هـ /١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والاثر،

أشجار الخشب والنباتات والعوامل المؤثرةفي الإنتاج الزراعي عند الفراهيدي (١٧٠ هـ)

تحقيق : طاهر احمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، (بيروت ، المكتبة العلمية ، ١٩٧٩م)
٣. ابن البيطار ، أبو محمد ضياء الدين (ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والاغذية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١م)
٤. ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفج (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م)، غريب الحديث ، تحقيق : الدكتور : عبد المعطي أمين القلعجي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠)
٥. ابن النفيس ، علاء الدين بن أبي الحرم القرني (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، الشامل في الصناعة الطبية ، تحقيق : يوسف زيدان ، (الامارات العربية المتحدة ، المجمع الثقافي ، ٢٠٠٠م)
٦. ابن سيدة ، أبو الحسن بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م)، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م)
٧. ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ٢٧٦هـ/ (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الجراثيم ، تحقيق : محمد جاسم الحميري ، (دمشق ، وزارة الثقافة ، د.ت)
٨. ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ)
٩. ابن قتيبة ، غريب الحديث ، تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، (بغداد ، مطبعة العاني ة، ١٢٩٧هـ)
١٠. ابن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الجراثيم ، تحقيق : محمد جاسم الحميري ، (دمشق ، وزارة الثقافة ، د.ت)
١١. ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن ايوب (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، الطب النبوي ، تحقيق : السيد الجميلي ، (بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م)
١٢. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، اسم الكتاب، تحقيق: عبد الله عبد المحسن الزكي ، (لا.م، دار حميد للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م)
١٣. ابن منظور ، محمد بن جلال الدين مكرم (ت ٧١١هـ /١٣١١م)، لسان العرب ، تحقيق : أبو القاسم محمدكرو، (دار صادر ، بيروت ، ٢٠١١م)
١٤. أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، (حيدر آباد – الركن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٤م)
١٥. الأزدي ، علي بن الحسن الصنعاني (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م)، المنتخب من غريب كلام العرب ، تحقيق : د. محمد أحمد العمري ، (جامعة ام القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الاسمي ، ١٩٨٩م)
١٦. الازدي، المنجد في اللغة ، تحقيق : دكتور : أحمد مختار عمر والدكتور ضاحي عبد الباقي ، (القاهرة ، عالمك الكتب ، ١٩٨٨م)
١٧. الأزهري ، أبو منصو محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م)
١٨. اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٨)
١٩. بكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس، (بيروت ، دار صادر ، د.ت)
٢٠. البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ١٣٨٩م)، فتوح البلدان ، (بيروت ، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م)
٢١. الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، معجم البلدان ، (بيروت ، دار الفكر ، د.ت)
٢٢. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان ، (بيروت ، دار الفكر ، د.ت)
٢٣. الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٩٠٠هـ /١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط٢، (بيروت ، دار لسراج ، ١٩٨٠م)
٢٤. الحميري ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : د. حسن بن عبد الله العمري وآخرون ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٩م)
٢٥. دوزي، رينهارت ، تكملة المعاجم العربي ، نقله إلى العربية وعلق عليه : محمد سليم النعيمي،(الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والاعلام ، ٢٠٠٠م)
٢٦. الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء ، (القاهرة ، دار الحديث ، ٢٠٠٦م)
٢٧. الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣هـ/٩٢٥م)، الحاوي في الطب، تحقيق : هيثم خليفة طعيمي ، (بيروت ، دار احياء التراث العبي ، ٢٠٠٠م)
٢٨. الرازي ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٩م)
٢٩. الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ /١٠٠٤م)، مجمل اللغة لابن فارس ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م)، ط١ .

٣٠. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)، أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م)
٣١. الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث والأصر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، (لبنان ، دار المعرفة ، د.ت)
٣٢. الشيباني ، أبو عمرو اسحاق (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، الجيم ، تحقيق : ابراهيم الابياري ،، راجعه : محمد خلف احمد ، ، (القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ١٩٧٤م)
٣٣. الشيباني ، أبو عمروا اسحاق بن مدار (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م)، الجيم ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، راجعه : محمد خلف أحمد ، (القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ١٩٧٤م)
٣٤. الطنطاوي، الشيخ علي، الجامع الاموي في دمشق ، (دمشق ، مطبعة الحكومة ، د.ت)
٣٥. عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، (بيروت ، دار صادر ، ١٣٥٨هـ)
٣٦. عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن ، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، (لا.م، دار الفضيلة ، د.ت)
٣٧. عمر ، د. احمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، (بيروت ، عالم الكتب ، ٢٠٠٨م)
٣٨. عمر ، د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة ، (بيروت ، عالم الكتب ، ٢٠٠٨ م)
٣٩. عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، الحيوان ، ط٢، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ)
٤٠. الفارابي ، أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٧م)
٤١. الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م)، العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال ، د.ت)
٤٢. الفراهيدي، العين ، ج٧، ص٢٦٦ ؛ الازهري ، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، تحقيق : د. محمد جبر الالفي، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٩٩هـ)
٤٣. الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط ، إشراف : محمد نعيم، ط٨، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٥م)
٤٤. الفيروز آبادي، مجد الالدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)، القاموس المحيط ، ط٨ ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٥م)
٤٥. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد الحموي (ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، (بيروت ، المكتبة العلمية ، د.ت)
٤٦. القالي ، علي اسماعيل بن القاسم بن عبدون (٣٥٦هـ/٩٦٦م)، البارع في اللغة ، تحقيق : هشام الطعان ، (بيروت ن دار الحضارة العربية ، ١٩٧٥ م)
٤٧. الكجراتي ، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي (ت ٩٨٦ هـ /١٥٧٨م)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٧م)
٤٨. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، (الكويت ، دار الهداية ، د.ت)
٤٩. محي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، الانوار في شمائل النبي المختار ، تحقيق : الشيخ ابراهيم اليعقوبي ، (دمشق، دار المكتبي، ١٩٩م)
٥٠. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م)، التنبيه والاشراف ، تحقيق : عبد الله اسماعيل الصاوي ، (القاهرة ، دار الصاوي ، د.ت)
٥١. مصطفى ابراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، (لا.م، دار الدعوة ، د.ت)
٥٢. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، (بيروت ، دار صادر ، د.ت)
٥٣. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر ، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ
٥٤. المكي ، محمد طاهر الكردي ، التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم ، (بيروت ، دار خضر للطباعة ، ٢٠٠٠م)
٥٥. الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين علي (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، غاية المقصد في زوائد المسند، تحقيق : خلاف محمود عبد السميع ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١م)
٥٦. اليحصبي ، عياض بن موسى بن عياض (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، مشارف الأنوار على صحاح الاثار،(بيروت ، دار التراث ، د.ت).

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث
كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً

م. شهد أحمد كاظم
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المستخلص:
سلطت هذه الدراسة الضوء على اهم المصادر التشريعية التي اعتمد عليها المازندراني في شرح عدد وفير من الروايات الواردة عن النبي(صلى الله عليه واله) والعترة الطاهرة (عليهم السلام) واخص بالذكر أفادته من النصوص القرآنية والحديثية لإبانة، وتقريب فهم معاني الروايات، وبيان مقاصدها وغريب الفاظها ودلالاتها.
الكلمات المفتاحية: شرح الحديث، الاستدلال القرآني، الاستدلال الحديثي.

Abstract:
This study shed light on the most important legislative sources that Al-Mazandarani relied on in explaining a large number of narrations reported from the Prophet (may God's prayers and peace be upon him and his family) and the pure family (peace be upon them)، especially mentioning his benefit from the Qur'anic and Hadith texts to clarify and bring closer the understanding of the meanings of the narrations and clarify their purposes and strange words. And its implications.
Keywords: (Explanation of Hadith، Quranic reasoning، Hadith reasoning)

أهداف البحث:
يهدف هذا البحث إلى بيان وتوضيح كيفية تعامل المازندراني مع " النص القرآني، والنص الحديثي" لتقريب فهم معنى الروايات الشريفة ، وللوصول إلى الفهم الصحيح والسليم لمعنى الروايات.

إشكالية البحث:
من خلال عنوان الدراسة " الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً" تتبلور لنا إشكالية الدراسة ، ويمكن إيجازها فيما يأتي:
١. كيف افاد المازندراني من النص القرآني وما أهميته في فهم الروايات؟
٢. كيف افاد المازندراني من النص الحديثي وما أهميته في فهم الروايات؟

سبب اختيار البحث:
١. لم اجد كتابات سابقة تُعنى ببيان استدلالات شارحي الحديث لتقريب، وتوضيح مقاصد وغوامض الفاظ الروايات .
٢. عدم وجود بحث متكامل تناول كيفية الاستدلال القرآني والحديثي في شرح الحديث.
٣. تبيين وتوضيح اهم الاستدلالات التي أفاد منها المازندراني في شرح الحديث.

منهج البحث:
لقد اعتمدت في هذا البحث على المناهج الآتية:
١. المنهج الوصفي: وذلك عند سرد الاستدلالات القرآنية والحديثية التي استند عليها في شرحه للروايات.
٢. المنهج الاستقرائي: وذلك عند تتبع الروايات التي استدل المازندراني بالنصوص القرآنية والحديثية لبيان مقاصد، ومعاني الروايات.

المقدمة:

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ، وعلى أهل بيته المصطفين وأصحابه الغر الميامين.

أما بعد:

يعدّ الدليل القرآني والحديثي من أهم المصادر الأصلية لاستنباط الأحكام الشرعية التي اشتغل بها علماء الحديث قديماً وحديثاً، إذ تنوعت مصادرهم في مجال شرح الحديث فمنهم من اهتم باستنباط الأحكام الفقهية كالمجلسي الأول في كتاب "روضة المتقين" إذ ركز في شرح روايات كتاب "من لا يحضره الفقيه" على استنباط الأحكام الفقهية من الروايات معتمداً على النصوص القرآنية الكريمة ومنهم من اعتمد على الجانب اللغوي، وغريب الألفاظ، والدليل القرآني والحديثي، وكتب التفسير كالمجلسي الثاني في كتاب "مرآة العقول"، والفيض الكاشاني في "كتاب الوافي"، ومنهم من اعتمد على الاستدلال القرآني والحديثي بشكل كبير جداً كالمازندراني في كتاب" شرح أصول الكافي" وتعد هذه الشروح واحدة من فروع المعرفة الحديثية التي لا يمكن الاستغناء عنها كونها تقدم خدمة كبيرة في تبسيط النصوص الحديثية، وتقريب فهم معانيها والذي أود بيانه من خلال هذه الدراسة بيان واستخراج اهم الاستدلالات التي استند عليها المازندراني في شرحه للروايات لذا تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة بأهم النتائج:

الأول: تضمن التعريف بشخصية المازندراني.

الثاني: التعريف بكتاب شرح أصول الكافي.

الثالث: إفادات المازندراني من النصوص القرآنية والحديثية لشرح الروايات.

المبحث الأول: التعريف بالمازندراني

أولاً: اسمه ومولده: محمد صالح بن أحمد بن شمس الدين ، حسام الدين أبو الفضائل المازندراني الأَصفهاني(١).

زوجته وأولاده: تزوج المازندراني ابنة المولى محمد تقي المجلسي آمنه بيكم، ورزقه الله تعالى منها أولاداً أكثرهم من اهل العلم(٢).

١. الشيخ محمد حسين
٢. الشيخ محمد سعيد
٣. الشيخ هادي
٤. الشيخ ملا نور الدين محمد
٥. الشيخ ملا حسن علي
٦. الشيخ ملا عبد الباقي(٣).

ثانياً: نشأته وطلبه العلم

ورد العالم الرباني أصفهان، وسكن إحدى مدارسها طالباً للعلم، وكابد شظف العيش إلَّا أنّ ذلك لم يُعقه عن التفرّغ للدراسة وإحياء الليالي بالمطالعة، فتقدّم في مدة قليلة وأخذ عن شيوخه الكثير من العلوم، ومهر في العلوم العقلية والنقلية، وحاز الرتبة العليا في العلم والفقه، واصبح من مشاهير العلماء وحَمَلَة الحديث أثنى عليه مؤلف" جامع الرواة "كثيراً، وقال في وصفه: العلَّامة المحقق المدقق، جليل القدر، رفيع الشأن، عظيم المنزلة، دقيق الفطنة متبحر في العلوم العقلية والنقلية(٤).

ثالثاً: شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ المولى المازندراني على يد جملة من العلماء الأَعيان ابرزهم:

١. المولى عبد الله التستري .
٢. حسن علي بن عبد اللَّه التستري .

٣. المولى محمّد تقي المجلسي(٥).

تلامذته:

تتلمذ عليه وروى عنه طائفة من العلماء الأجلاء أبرزهم:

١. عبد الله بن عيسى التبريزي الافندي صاحب كتاب "رياض العلماء وحياض الفضلاء".

٢. محمد محسن بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني صاحب كتاب " الوافي".

رابعاً: آثاره ومصنفاته العلمية

صنف المازندراني كتباً، وشروح كثيرة، وهذا من علو قدره وعظيم شأنه، وسمو رتبته وتبحّره في العلوم العقلية والنقلية، ودقة نظره أشهرها:

١. شرح أصول الكافي للشيخ الكليني" الأصول والروضة" في اثنى عشر مجلداً(٦) .

٢. شرح كتاب "من لا يحضره الفقيه " للشيخ الصدوق.

٣. شرح كتاب " معالم الأُصول في أُصول الفقه" للحسن بن الشهيد الثاني.

٤. شرح كتاب "زبدة الأُصول في أُصول الفقه" لبهاء الدين العاملي.

٥. حاشية " الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية " في الفقه للشهيد الثاني(٧) .

خامساً: وفاته :

توفّي المازندراني في مدينة أصبهان واختلف المؤرخين في سنة وفاته (١٠٨١ أو ١٠٨٦ هـ) والظاهر أنّ الاختلاف نشأ ممّا كتب على مزاره الشريف في تاريخ وفاته، ودفن في أصبهان في مقبرة أستاذه وصهره العلامة محمد تقي المجلسي جنب المسجد الجامع ممّا يلي رجله (رحمهما الله) (٨).

سادساً: المازندراني في نظر العلماء

عرف المازندراني بالعلم والتحقيق، ويتجلى ذلك من خلال ثناء العلماء عليه، وإشادتهم بأخلاقه، وعلمه وقدره ترجم له أغلب مصنفي كتب التراجم، وأثنى عليه علماء الرجال أبرزهم:

قال البرو جردي في طرائف المقال : الآخوند ملا محمد صالح المازندراني، كان في أصفهان موقفه ومضجعه، وهو على ما رأيته في كمال الوثاقة والعلم ، خصوصاً في الأصول ، وكان مجتهداً مسلماً له القضاوة(٩).

ووصفه الاردبيلي: رفيع الشأن عظيم المنزلة دقيق الفطنة، متبحر في العلوم العقلية والنقلية ثقة ثبت عين له أخلاق كريمة وخصائل حسنه(١٠)، وقال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق(١١).

المبحث الثاني: التعريف بكتاب شرح أصول الكافي

شرح المازندراني أصول الكافي للشيخ الكليني وروضته وبعض فروعه، ويقع شرحه في أربع مجلدات، وقد أكثر فيه الاعتراض على شرح المولى صدرا الشيرازي، وبدأ شرحه بكتاب العقل وفضل العلم منه، ثم شرح كتاب التوحيد، وكتاب الحجة، وكتاب الايمان والكفر، وكتاب الدعاء وكتاب الزكاة والصوم والخمس، وكتاب الروضة، وكان المجلد الأول من مجلداته بخط محمد حسين بن حبيب الله المازندراني إذ فرغ من كتابته في أصفهان يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة(١٠٩١ هـ) (١٢).

وقال الاصبهاني في رياض العلماء: "وشرح الكافي لم يتم منه سوى شرح الاصول والروضة، واما على الباقي فليس الا تعليقات على هامش الكتاب"(١٣).

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً

أولاً: سبب تأليف الكتاب

صرح المازندراني عن سبب تأليف كتاب شرح الكافي إذ قال: " إنّي قد رسمت على جميع أبواب الكافي تعليقات، ورقمت على جميع فنونه تحقيقات، مع قلّة البضاعة في هذه الصناعة وتشتّت البال وتفرُّق الحال فلمّا أردت جمعها وتدوينها خطر ببالي أن أشرح جميع أحاديث هذا الكتاب شرحاً متوسّطاً بين الايجاز والاطناب؛ لأنّ الأحاديث، وإن كان بعضها ظاهر الدلالة على المعنى المراد واضح الإشارة على المفهوم المستفاد، لكن قد يوجد فيه من الفرائد النفيسة والفوائد الشريفة ما لا يدركه بدء النظر"(١٤)، فضلاً عن بيان اختلاف الرواية وعللها وأسبابها، وتوسيع كتاب الحجّة لكنه لم يكمله كما صرح بذلك في مقدمة الكتاب(١٥).

ثانياً: ترتيب الكتاب:رتب المولى المازندراني كتابه الى مايأتي:

١. كتاب العقل والجهل
٢. التوحيد
٣. الحجّة
٤. الايمان والكفر
٥. الدُّعاء
٦. الزَّكاة
٧. الخمس
٨. جميع كتاب الرَّوضة(١٦) .

وقال المحدِّث النوري إنَّ السيّد حامد حسين الهندي (طاب ثراه) ذكر في بعض مكاتيبه إليَّ من بلدة "لكهنو" أنّه عثر على مجلّد من مجلّدات شرحه على الفروع، وعزم على استنساخه وإرساله إليَّ فلم يمهله الأَجل(١٧) .

ثالثاً: نسخ الكتاب

١. نسخة كاملة مصحّحة مقروءة على بعض العلماء في ثلاث مجلّدات ، تفضّل بها الفاضل الأَلمعي أبو الحسن الكتابي الأصبهاني.
٢. نسخة نفيسة ثمينة مصحّحة جدّاً ، كتبها السيد محمّد بن السيد زين العابدين وأرّخها(١٠٨٨هـ) لخزانة كتب سماحة السيد شهاب الدّين النجفي المرعشي.
٣. نسخة مصحّحة (من أوّل الكتاب إلى تمام كتاب الحجّة) لخزانة كتب المحقّق المدقّق البارع سيِّدنا الحجّة السيد موسى المازندراني.
٤. نسخ مصحّحة (شرح كتاب الحجّة) لمكتبة البحّاثة السيد محمّد مشكاة ، ونسخة أُخرى (شرح كتاب الروضة).
٥. نسخة (من كتاب الإيمان والكفر) مصحّحة لخزانة كتب العلاّمة الميرزا أبو الحسن الشعراني .
٦. نسخة مصحّحة مؤرَّخة (١٢٠٢هـ) كتبها محمّد علي بن شاه مراد التنكابني لمكتبة العلم الحجّة السيد محي الدّين العلويّ الطالقاني.
٧. نسخة نفيسة ثمينة موشّحة بالحواشي (شرح كتاب التوحيد فقط) لخزانة كتب المحقّق السيد محمّد باقر السبزواريّ.
٨. نسخة نفيسة من أوّل الكتاب إلى آخر كتاب التوحيد تاريخها سنة (١١٢٤ هـ) تفضّل بإرسالها السيد صدر الدين الجزائريّ(١٨).

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاًدراسة

المبحث الثالث: إفادات المازندراني من النصوص القرآنية والحديثية لشرح الروايات

المطلب الأول: الإفادة من النص القرآني لإبانة معنى الحديث

أولاً: الإفادة من النص القرآني لبيان معنى الحديث

كان للشواهد القرآنية في كتاب شرح أصول الكافي نصيب وافر، فقد استشهد بالنصوص القرآنية الكريمة ، لتوضيح معاني، ومقاصد كثير من الروايات الشريفة مثال ذلك:

١. محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن حمّاد عن ربعي قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : " إنَّ التفكّر يدعوا إلى البرِّ والعمل به" (١٩).

شرح المازندراني قوله (عليه السلام) : " التفكر يدعوا إلى البر والعمل به" قائلاً أن التفكر سراج القلب يرى به المتفكر خيره وشره ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا فكر فيه فهو مظلم لا يرى إلى البر دليلاً، ولا إلى العمل سبيلاً، ومن التفكر أن يتفكر لأي شيء خلق ومن أين جاء وإلى أين يقصد، ولأي شيءٍ أنزل في هذا المنزل ، وفيها سعادته وشقاوته فإن هذا التفكر أشد جاذب له إلى البر والعمل به ، واستدل المازندراني بقول الله عز وجل لتبيين وايضاح معنى التفكر في الرواية قائلاً: ومنه أن يتفكر في قوله تعالى : أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ إلى غيرها من الآيات الدالة على الترغيب في التفكر فإن التفكر فيها أقوى زاجر له عن الدنيا(٢٠).

٢. عليُّ بن محمّد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، وعليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن رجل ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال :" من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده" (٢١).

أوضح المازندراني المراد من قوله(عليه السلام) :" من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده" قائلاً: أن العاصي معبود لمن أطاعه مطلقاً سواء أطاعه في المعصية أم في غيرها بدلالة قول الله تبارك وتعالى: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ويمكن أن يكون المراد أن العاصي معبود لمن أطاعه في المعصية سواء فعلها أيضاً أو رضي بها، ومدحه عليها أو دعا له، أو لم ينكرها مع القدرة على الإنكار، وسر ذلك أن العبادة ليست إلاّ الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد، وأضاف قائلاً: وجعل الله سبحانه اتّباع الهوى وطاعة الشيطان عبادة للهوى والشيطان بدليل قوله: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ، وقال عز وجل أيضاً:(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)(٢٢).

٣. محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : "كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول : "لا يقلّ عمل مع تقوى وكيف يقلّ ما يُتقبّل" (٢٣).

أوضح المازندراني المراد من قوله(عليه السلام):" لا يقل عمل مع تقوى " قائلاً: كل عمل بنى على التقوى لا يقل لكونه عظيماً في ذاته، وكثيراً ينمو عند الله تعالى مع توقفه على كثير من الأعمال القلبية التي لا توجد إلاّ بالمجاهدات النفسانية ، ولا يهدم ولا يلحق بالنية الخسران بدليل قوله تعالى : أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ثم أكد ذلك وأشار إلى أنه لا ينبغي أن يعد قليلاً بقوله : "وكيف يقل ما يتقبل"؛ لأن العمل مع التقوى مقبول قطعاً بدلالة قوله تعالى : إنّما يتقبل الله ومن المتقين(٢٤) .

٤. قال أمير المؤمنين(عليه السلام):" والنفاق على أربع دعائم: على الهوى والهوينا والحفيظة والطمع :فالهوى على أربع شعب: على البغي والعدوان والشهوة والطغيان... والطمع على أربع شعب: الفرح والمرح واللجاجة والتّكاثر، فالفرح مكروهٌ عند الله والمرح خيلاء واللجاجة بلاء لمن اضطرّته إلى حمل الآثام والتّكاثر لهوٌ ولعبٌ وشغلٌ واستبدال الّذي هو أدنى بالّذي هو خيرٌ ، فذلك النفاق ودعائمه وشعبه..." (٢٥).

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً

قال المازندراني المراد من قوله (صلوات الله عليه) : " الفرح مكروه عند الله " هو كما قال الله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٢٦).

ثانياً: الإفادة من النص القرآني لشرح الرواية التفسيرية

لم يكتفي المازندراني من شرح النصوص الحديثية بالنص القرآني بل أفاد المازندراني من النصوص القرآنية الكريمة لتبيين معنى ومرامي الروايات التفسيرية مثال ذلك:

عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن صفوان الجمّال قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزَّ وجلَّ :(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا)فقال :" أما إنَّه ما كان ذهباً ولا فضّة وإنّما كان أربع كلمات : لا إله إلاّ أنا ، من أيقن بالموت لم يضحك سنّه ، من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه ، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلاّ الله" (٢٧).

أوضح المازندراني قوله تعالى في الرواية قائلاً: وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ قائلاً: أن الله عز وجل يحفظ الصالح في نفسه وولده، وإن بعدوا كما يشعر به قوله تعالى:(إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)(٢٨) .

ثالثاً: الإفادة من النص القرآني لبيان إيماء النص الحديثي إلى القرآن الكريم

أفاد المازندراني من النصوص القرآنية الكريمة لإبانة إيماء الروايات الشريفة إلى القرآن الكريم مثال ذلك:

ابن محبوب ، عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : " إنَّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين"(٢٩).

فسر المازندراني قوله (عليه السلام) :" أن العمل الدائم القليل على اليقين" قائلاً: أن العمل الدائم القليل أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين، ولابد من اعتبار الدوام في العمل الكثير ليكون نصاً على أن الأفضلية باعتبار اليقين، والسر في ذلك أن اليقين يوجب التقوى وكما الإخلاص والفضل يزداد بهما ، وفي الرواية إيماء إلى قوله تعالى:(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)، وإشارة إلى أن المقبول من الأعمال لا يعد قليلاً وكيف يعد قليلاً ما يضاعف وينمو عند الله تعالى"(٣٠).

المطلب الثاني : الإفادة من النصوص الحديثية لإبانة معنى الحديث

استشهد المازندراني بالروايات الشريفة في مواطن كثيرة، ومواضيع مختلفة من كتابه شرح أصول الكافي لبيان وتوضيح معنى الاحاديث مثال ذلك:

أولاً: الإفادة من النصوص الحديثية لبيان معنى كلمة في الرواية

أستحضر المازندراني النصوص الحديثية لتبيين معنى الروايات الأخرى، وتنوعت طريقته في الاستدلال الحديثي من أجل بيان وتوضيح الروايات إذ تارةً نراه يستدل بالنصوص الحديثية لايضاح معنى لفظة، ولإبانة جملة أو شرح الرواية بشكل مجمل تارةً أخرى، ولعل ذلك بحسب المقام والمكان الذي يراه مناسباً ومن أمثلة ذلك:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): " والحفيظة على أربع شعب : على الكبر والفخر والحميّة والعصبيّة ، فمن استكبر أدبر عن الحقّ ومن فخر فجر ومن حمى أصرَّ على الذُّنوب ، ومن أخذته العصبيّة جار ، فبئس الأمر أمر بين إدبار وفجور وإصرار وجور على الصراط "(٣١).

أوضح المازندراني معنى قوله (عليه السلام): " والفخر" قائلاً: الفخر هاهنا بمعنى إظهار الفرح والكمال بالمال، والحسب، والنسب ونحوها، وادعاء العظمة، والشرف بذلك، وأما ذكر آلائه وإحسانه عزَّ وجلَّ في نفسه فليس من الفخر، واستدل المازندراني بما رواه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :" أنا سيد ولد آدم ولا فخر" (٣٢).

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً

ثانياً: الإفادة من النصوص الحديثية لبيان معنى جملة في الرواية

١. محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن داود الراقي عن أبي عبيدة الحذّاء ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله عزَّ وجلَّ : " إنَّ من عبادي المؤمنين عباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلاّ بالغنى والسعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحّة البدن ، فيصلح عليهم أمر دينهم...وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجّد لي اللّيالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس اللّيلة واللّيلتين نظراً منّي له وإبقاء عليه ، فينام حتّى يصح فيقوم وهو ماقتٌ لنفسه زارئ عليها ولو أُخلّي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب"(٣٣).

قال المازندراني المراد من قوله (عليه السلام): " ولو أُخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب" هو ابتهاج الإنسان وسروره بتصور الكمال في نفسه واستعظامه إياه لا من حيث أنه من عطاياه تعالى ونعمائه عليه مع طلب زيادته ، والخوف من نقصه أو زواله، ولابدّ أن يرى لنفسه مرتبة ، وللغير مرتبة ثم يرى مرتبته فوق مرتبة غيره ، والعجب من أعظم الذنوب المهلكة واستدل المازندراني بما روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال " لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب" وفيه دلالة على أنه تعالى قد يبلوا العبد بالذنب ليدفع عنه العجب(٣٤).

٢. محمّدُ بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن سنان ، عن صالح بن عقبة عن عبد الله بن محمّد الجعفي ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : أحقُّ خلق الله أن يسلّم لما قضى الله عزّ وجلّ : من عرف الله عزَّ وجلَّ، ومن رضي بالقضاء أتى عليه القضاء وعظّم الله أجره ، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره (٣٥).

أوضح المازندراني معنى قوله (عليه السلام): "ومن رضى بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره " قائلاً: المراد من التعظيم هاهنا هو تعظيم الأجر لجريان القضاء عليه والرضا به ، فله أجر أن كاملان ، وأحتمل المازندراني المراد من الإحباط في الرواية قائلاً: يحتمل أن يكون المراد به إحباط أجر الرضا، أو إحباط أجر جريان القضاء أيضاً، والمعنى الأول اقرب ويؤيده ما روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:" ثواب المؤمن من ولده إذا مات الجنة صبر أو لم يصبر" (٣٦) .

٣. محمّدُ بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبد الله بن جبلة ، عن إسحاق بن عمّار قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) :" يا إسحاق خف الله كأنّك تراه وإن كنت لا تراه فإنّه يراك ، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ، ثمَّ برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون النّاظرين عليك" (٣٧).

قام المازندراني بإيضاح قوله(عليه السلام) :" يا إسحاق خف الله كأنك تراه، وأن كنت لا تراه فإنه يراك" قائلاً: أن المراد من الرؤية في الرواية الرؤية القلبية، وهي أشبه بالرؤية العينية قصداً للظهور والإيضاح، والأول إشارة إلى مقام المشاهدة، وهي مرتبة عين اليقين أو حق اليقين وهو أعلى مراتب السالكين ، وفي تلك المرتبة يتصل الطالب بالمطلوب اتصالاً معنوياً بحيث لا يشاهد إلا جماله وكماله، والثاني إشارة إلى مقام المراقبة وهي ثمرة الإيمان ومرتبة عظيمة من مراتب السالكين واستدل المازندراني بقول النبي الأكرم لإيضاح معنى الرؤية في الرواية قائلاً: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(٣٨).

٤. عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمّد ، عن المنقري ، عن سفيان ابن عيينة قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : "حسن الظنّ بالله أن لا ترجو إلاّ الله ولا تخاف إلاّ ذنبك" (٣٩) .

أوضح المازندراني المراد من حسن الظن في الرواية هو أن يرجو المرء الفوز بالسعادة الدنيوية من حول الله وقوته وتترقب النعماء الأخروية من فضله ورحمته، وأن حسن الظن مركب من الرجاء والخوف، فلو تخلف أحدهما عن الأخر كان ذلك

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً

خروجاً عن التوسط بالإفراط والتفريط المذمومين عقلاً ونقلاً، ويشير إلى ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : " العبد إنّما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً " (٤٠).

٥. عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن أخي عرام عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : "لا تذهب بكم المذاهب ، فو الله ما شيعتنا إلاّ من أطاع الله عزَّ وجلَّ" (٤١) .

أوضح المازندراني المراد من قوله (عليه السلام) : " لا تذهب بكم المذاهب" قائلاً: أي لا تذهبكم المذاهب إلى سبيل، واحتمل المازندراني أن يكون المراد به الأعمال القبيحة، والعقائد الكاسدة والأماني الفاسدة التي من جملتها أن تفعلوا ما تريدون وتقولوا نحن متشيعون ، ونحن نحب أهل البيت ونرجو شفاعتهم ، فإن ذلك لا ينفعكم ، واستدل المازندراني بما أشار إليه (عليه السلام) في رواية أخرى : " فو الله ما شيعتنا إلاّ من أطاع الله عز وجل " أي أطاع الله بالقلب والجوارح مع محبتنا والمتابعة لهم قولاً وفعلاً، ولا يتحقق هذا المفهوم إلا لمن أطاع الله كما أطاعوه(٤٢).

٦. عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : " إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من النّاس فيأتون باب الجنّة فيضربونه ، فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر ، فيقال لهم : على ما صبرتم ؟ فيقولون : كنّا نصبر على طاعة طاعة الله ونصبر عن معاصي الله ، فيقول الله عزَّ وجلَّ : صدقوا ، أُدخلوهم الجنّة وهو قول الله عزَّ وجلَّ :(إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب)(٤٣).

أوضح المازندراني المراد من قوله (عليه السلام): " فيقولون كنا نصبر على طاعة الله ونصبر على معاصي الله" قائلاً: أن النفوس البشرية مائلة إلى اللذات، وأن المعاصي لذات حاضرة، والطاعات مشقات ظاهرة فالنفس تريد المعاصي، وتهرب عن الطاعة فمن حاولها بحسن تقديره، وملك زمامها بلطف تدبيره حتى صرفاً عن مرامها وإستخرجها عن مقامها وصبر على مجاهدتها ملك غنيمة عظيمة هي رأس مال الصابرين، وأقوات قلوب السالكين، والزاد في السير إلى رب العالمين وأسباب الدخول في الجنة التي أعدت للمتقين ، واستدل المازندراني بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) " إن الله جعل الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط الفجرة "، وأضاف قائلاً: وإنّما جعل الطاعة غنيمة الأكياس؛ لأنّهم يأخذونها بالمحاربة مع النفس الإمارة كما يأخذ الغانمون الغنيمة بالجهاد مع الكفار بل جهادهم أعظم من الكفار كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد رجوعه من بعض الغزوات" رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهي جهاد النفس " وإذا حصلت لهم تلك الغنيمة وتمكنت فيهم هذه العزيمة أمكن لهم الدخول في الجنة قبل فراغ الناس لهم تلك الغنيمة وتمكنت فيهم هذه العزيمة أمكن لهم الدخول في الجنة قبل فراغ الناس من الحساب لأن أولئك هم المتقون الذين صبروا في دار الدنيا وأدوا حسابهم فيها(٤٤).

ثالثاً: الإفادة من النصوص الحديثية لبيان معنى الروايات التفسيرية

مثال ذلك: عن ابن محبوب ، عن داود الرقّي ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزَّ وجلَّ : ولمن خاف مقام ربّه جنّتان قال : "من علم أنَّ الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ فيحجزه ذلك عن القليح من الأعمال، فذلك الّذي خاف مقام ربّه ونهي النفس عن الهوى"(٤٥).

احتمل المازندراني المراد من جنة الخوف قائلاً: أي جنة للخوف؛ لأن عبادته فعل الطاعات، وترك المنهيات، ويشعر به ما روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "من عرضت له فاحشة أو شهوة فإجتنبها من مخافة الله عز وجل حرم الله عليه النار، وآمنه من الفرع الأكبر، وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله تعالى: وَلِمَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ فإنه ترتب استحقاق الجنتين على الخوف والاجتناب(٤٦).

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً

رابعاً: الإفادة من النص الحديثي والقرآني لشرح الحديث

أفاد المازندراني من النصوص الحديثية والقرآنية في آنٍ واحد لشرح الروايات الشريفة، وبيان مدلولاتها مثال ذلك :

محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " العلماء أُمناء ، والأتقياء حصون ، والأوصياء سادة " وفي رواية أُخرى : " العلماء منار ، والأتقياء حصون ، والأوصياء سادة "(٤٧) .

قال المازندراني المراد من قوله (عليه السلام): "والأتقياء حصون " أنّ الأتقياء هم الذين يجتنبون عمّا كره الله تعالى، ويتورّعون عمّا نهاه ، ويقومون بما أمرهم الله به خائفين وجلين ، وهم حصون الإسلام يدفع الله بهم عن أهله عذابه كما روي عن أبي جعفر الثاني(عليه السلام) قال : " إنّ الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء "، وفي رواية أخرى : " لو أنّ عبداً بكى في أُمّة لرحم الله عزّ وجلّ تلك الأُمّة ببكاء ذلك العبد" ، ويرشد إلى ذلك قوله تعالى : وما كان الله ليعذِّبهم وأنت فيهم (٤٨) .

الخاتمة :

خلص البحث إلى جملة من النتائج أبرزها:

١ . إفاد المازندراني من النصوص القرآنية لتقريب فهم الروايات، وإبانة معانيها.

٢ . إفاد المازندراني من النصوص الحديثية في شرح عدد وفير من الروايات، وبيان مقاصدها.

٣ . استعان المازندراني بالنصوص القرآنية لبيان إيماء النصوص الحديثية إلى القرآن الكريم.

٤ . افاد المازندراني من النصوص القرآنية لشرح الروايات التفسيرية وغير الروايات التفسيرية.

الهوامش:

(١)ينظر: موسوعة الفقهاء، السبحاني :٣٣١/١١، ورياض العلماء، الاصبهاني:١١٠/٥ ، وغرقاب، الشفتي:٩٥، وتكملة امل الآمل، الصدر:٥٢٣–٥٢٨.
(٢)ينظر: غرقاب، الشفتي:٩٥.
(٣)ينظر: مستدركات أعيان الشيعة، الامين:٨/٤.
(٤)ينظر: موسوعة الفقهاء، السبحاني :٣٣١/١١.
(٥)ينظر: موسوعة الفقهاء، السبحاني :٣٣١/١١.
(٦)ينظر: فهرس التراث، الجلالي: ٨٨٢/١.
(٧)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:٥/١ ، المقدمة، وموسوعة الفقهاء، السبحاني :٣٣١/١١.
(٨)ينظر: موسوعة الفقهاء، السبحاني :٣٣١/١١.
(٩)ينظر: طرائف المقال، البروجردي:٤٥/١.
(١٠) ينظر: جامع الرواة، الاردبيلي:١٣١/٢.
(١١)ينظر: امل الآمل، الحر العاملي :٢٧٦/٢.
(١٢)ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطهراني : ٩٧/١٣، وكشف الحجب والأستار، الكنتوري:٣٤٨.
(١٣)ينظر: رياض العلماء ، الأصبهاني: ١١٠/٥.
(١٤) شرح أصول الكافي، المازندراني : ١٧/١.
(١٥)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:٥٧/١–٦١. المقدمة.
(١٦)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:٨/١ المقدمة.
(١٧)ينظر: خاتمة المستدرك، النوري:/١٩٦، وشرح أصول الكافي، المازندراني:٨/١ المقدمة.
(١٨)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:٦/١ .
(١٩)شرح أصول الكافي، المازندراني:١٧٦/٨، باب التفكر ، رقم الحديث: (٥).
(٢٠)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:١٧٦/٨، باب التفكر ، رقم الحديث: (٥).
(٢١)شرح أصول الكافي، المازندراني:١٩٥/١٠، باب الشرك ، رقم الحديث: (٨).
(٢٢)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:١٩٥/١٠، باب الشرك ، رقم الحديث: (٨).

(٢٣)شرح أصول الكافي، المازندراني:٨/٢٤١، باب الطاعة والتقوى ، رقم الحديث: (٥).
(٢٤)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:٨/٢٤١، باب الطاعة والتقوى ، رقم الحديث: (٥).
(٢٥)شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٠/٨١، باب صفة النفاق والمنافق، رقم الحديث: (١).
(٢٦)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٠/٨٥، باب صفة النفاق والمنافق، رقم الحديث: (١).
(٢٧)شرح أصول الكافي، المازندراني:٨/١٩٢، باب التفكر ، رقم الحديث: (٦).
(٢٨)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:٨/١٩٢، باب التفكر ، رقم الحديث: (٦).
(٢٩) شرح أصول الكافي، المازندراني:٨/١٧٦، باب فضل اليقين ، رقم الحديث: (٣).
(٣٠)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني:٨/١٧٦، باب فضل اليقين ، رقم الحديث: (٣).
(٣١)شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٠/٨١، باب صفة النفاق والمنافق ، رقم الحديث: (١).
(٣٢)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٠/٨١، باب صفة النفاق والمنافق ، رقم الحديث: (١).
(٣٣)شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/١٩٩، باب الرضا بالقضاء ، رقم الحديث: (٤).
(٣٤)المازندراني، شرح أصول الكافي: ٨/١٩٩، باب الرضا بالقضاء ، رقم الحديث: (٤).
(٣٥)شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٠٢، باب الرضا بالقضاء ، رقم الحديث: (٩).
(٣٦)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٠٢، باب الرضا بالقضاء ، رقم الحديث: (٩).
(٣٧)شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢١٦، باب الخوف والرجاء ، رقم الحديث: (٢).
(٣٨)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢١٦، باب الخوف والرجاء ، رقم الحديث: (٢).
(٣٩)شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٢٩، باب الحسن بالظن بالله عز وجل ، رقم الحديث: (٤).
(٤٠)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٢٩، باب الحسن بالظن بالله عز وجل ، رقم الحديث: (٤).
(٤١)شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٣٥، باب الطاعة والتقوى ، رقم الحديث: (١).
(٤٢)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٣٥، باب الطاعة والتقوى ، رقم الحديث: (١).
(٤٣)شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٤٠، باب الطاعة والتقوى ، رقم الحديث: (٤).
(٤٤)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٤٠، باب الطاعة والتقوى ، رقم الحديث: (٤)
(٤٥)شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٢٥، باب الخوف والرجاء ، رقم الحديث: (١٠).
(٤٦)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٨/٢٢٥، باب الخوف والرجاء ، رقم الحديث: (١٠).
(٤٧)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٢/٣١، باب صفة العلم وفضله ، رقم الحديث: (٥).
(٤٨)ينظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٢/٣١، باب صفة العلم وفضله ، رقم الحديث: (٥).

المصادر:

• القرآن الكريم
١. امل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي(ت:١١٠٤هـ)، تحقيق : أحمد الحسيني، مؤسسة الوفاء للنشر، بيروت، ط٢،(١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).
٢. تكملة امل الآمل، حسن الصدر (ت:١٣٥٤هـ)، تحقيق: حسين علي محفوظ وآخرون بيروت ، دار المؤرخ العربي،(د.ط)،(د.ت).
٣. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد، محمد بن علي الاردبيلي (ت:١١٠١هـ)، مكتبة محمدي ،(د.ط)،(د.ت).
٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا برزك الطهراني(١٣٨٩هـ)، بيروت، دار الاضواء ط٢،(د.ت).
٥. رياض العلماء وحياض الفضلاء، عبد الله افندي الأصبهاني، تحقيق: أحمد الحسيني، قم مطبعة الخيام، (١٤٠١هـ).
٦. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني(ت:١٠٨١هـ)، تحقيق: علي عاشور وأخر، بيروت، دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر، ط١، (١٤٢١هـ–٢٠٠٠م).
٧. طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، علي أصغر بن محمد شفيع البروجردي(ت:١٣١٣هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، قم، مطبعة بهمن، ط١،(١٤١٠هـ).
٨. غرقاب تراجم أعلام القرن الحادي عشر وما بعده ، محمد مهدي الشفتي، (ت:١٣٢٦هـ) تحقيق: مهدي الباقري وأخر، مطبعة أصفهان، ط١، (١٤٣٠هـ).
٩. فهرس التراث، محمد حسين الجلالي، دار الولاء للنشر، ط٤،(١٤٣٦هـ–٢٠١٥م).
١٠. كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار ، أعجاز حسين الكنتوري (ت:١٢٨٦هـ) ، مطبعة بهمن، قم، ط٢، (١٤٠٩هـ).
١١. مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين (ت:١٣٩٩هـ)، بيروت، دار التعارف للمطبوعات،(د.ط)،(١٤٠٩هـ –١٩٨٩م).
١٢. خاتمة المستدرك، حسين النوري(ت:١٣٢٠هـ)،تحقيق: مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، قم، مطبعة سيد الشهداء، ط١، (١٤١٥هـ).

الاستدلالات القرآنية والحديثية في شرح الحديث كتاب شرح أصول الكافي للمازندراني أنموذجاً

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

م. م.اكرم حسن محسن الموسوي
أ. د. إياد عبد الحسين صيهود الخفاجي
جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية

المستخلص:
تعد سرية حمزة بن عبد المطلب من السرايا المهمة في التاريخ الاسلامي والتي طالما احاطها الغموض كونها من الحقائق التاريخية التي اذا ما كشف النقاب عنها بدقة فإنها تسبب حرجا كبيرا للسلطات الحاكمة آنذاك مما حدى بهم الى محاولة التكم عليها وعدم اعطائها من الاهمية ما تستحقه، ودراسة هذه مثل هذه السرية والوقوف على ملابساتها بدقة تعطي صورة ناصعة للحقائق الاسلامية وقد تغير مسار كثير من المسلمات التاريخية التي اصبحت من الثوابت التي لأغنى عنها اليوم ، في ان السرايا التي ارسلها رسول الله صل الله عليه واله الى المناطق الحدودية انما هي اعلان عن حدود دولته وتعريف القبائل والقوى المجاورة بمدى قوته.

الكلمات المفتاحية: الفراغ الروائي، السرية، الحدود، السياسية

Abstract:
The Hamza bin Abdul Muttalib brigade is one of the important brigades in Islamic history, which has always been shrouded in mystery . as it is one of the historical facts that . if revealed accurately, would cause great embarrassment to the ruling authorities at that time , which led them to try to conceal it and not give it the important it deserves , and to study this, such secrecy and examining its circumstances accurately gives a clear picture of Islamic facts and may change the course of many historical assumption that have become indispensable constants tody , In that the companies sent by the messenger of god , may god blees him and his family , to the border areas are an announcement of the borders of his state and the definition of the tribes , and the nighboring powers , how strong it is

Keywords : narrative space, secrecy, borders, politics

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين والصلاة واتم السلام على المبعوث رحمة للعالمين ابي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين وبعد .
يُعد موضوع سرية حمزة بن عبد المطلب من الموضوعات التي كثر فيها الكلام والتأويل والتي تحمل بين طياتها الكثير من الابعاد السياسية والفكرية فضلاً عن الامور العقائدية ، وقد انماز بحباكة عالية من قبل الرواة لسرقة حق من حقوق الله على عبادة وهو الجهاد وحماية الحدود السياسية للدولة الاسلامية، فقد قام الرواة بملء الفراغ الروائي في تلك السرية وتغيير وتبديل في مفردات الروايات من اجل تغيير مسار واهداف تلك السرية، ونظراً لعدم وقوفنا على بحث او كتاب مماثل وفق مصطلح الفراغ الروائي فأننا وجدنا من الضرورة الملحة الخوض بمعترك بعض الالفاظ التي تحمل بين طياتها ملء فراغ روائي واضح وان هدفها الطاغي هو لجعل الكثير من الغزوات والسراية هدفها مادي لا هدف حماية وتحديد وترسيم حدود الدولة الاسلامية ولذلك شرعنا بالبحث والكتابة عن كيفية تغيير لتلك المفردات.
فقد قدمنا الموضوع في مقدمة ومبحثين و خاتمة ، فقد تناول المبحث الاول دراسة في مفاهيم الفراغ الروائي من حيث اللغة والاصطلاح والولادة ، في حيث تناول المبحث الثاني سرية حمزة بن عبد المطلب وتوضيح ما فيها من علل لتلك الروايات وقد اشتمل هذا المبحث على مناقشة وتحليل الروايات التاريخية وكيف تم ملء الفراغ الروائي وما هي اسباب الملء، وجاءت الخاتمة لتبين ابرز النتائج التي توصل لها البحث.

وقد استعان البحث بالكثير من المصادر ومنها اللغوية والتاريخية فضلاً عن كتب الرجال والتراجم، واما المراجع فأن كتاب مصطلحات مستحدثة في الرواية التاريخية للدكتور اياد الخفاجي فكان خير معين ومرشد وموضح لماهية المصطلح وكيفية تطبيق تلك النظرية على الروايات التاريخية مما اسهم اسهاماً كبيراً في الوقوف على الحقائق وكشف التزييف والتزوير والوضع في المرويات التاريخية .واخيراً الحمد لله رب العالمين اولاً واخراً والصلاة على محمد واله الطيبين الطاهرين.

المبحث الأول: الفراغ الروائي لغة واصطلاحاً

شهد عصر الرسالة المحمدية الكثير من المدخلات الثقافية والفكرية وقد حدثت تلك الافتراءات في زمن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وقد حذر منها بقوله " من كذب عليّ فليتبوأ مقعدهُ من النار"(١) كما وقد حذر في مورد آخر (صلى الله عليه وآله)"... من قال عَلَيَّ ما لم اقل فليتبوأ مقعدهُ من النَّارِ "(٢)، وهنا نجد ان الكذب والافتراء والوضع قد بدأت في ايام النبي صلوات الله عليه واله واخذت هذه الظاهرة بالانتشار والتفشي في زمن الدولة الاموية ومن بعدها الدولة العباسية ولهذا نأينا بأنفسنا البحث في اغوار التاريخ لمعرفة الفراغ الروائي وكيف بدأت الايادي المأجورة بملئه ولمصلحة منَ هذا الملء ، وقبل الولوج في ذلك علينا توضيح معنى الفراغ الروائي لغةً واصطلاحاً

أولاً :الفراغ الروائي لغةً

وقبل الدخول في معترك الفراغ الروائي ارتأينا اعطاء المعنى اللغوي للمصطلح وما يطابقه في قواميس اللغة ولهذا تم تقسيم المصطلح الى قسمين ومعرفة كل جزء منه على ماذا يدل لغوياً والقسمين هما (الفراغ – الروائي) .

الفراغ في اللغة وهو مصدر كلمة فَرِغَ والفراغ هو : الخلاء ، فَرَغَ يَفْرَغَ وَ يَفْرُغُ فَراغاً و فُرُوغاً وَفَرِغَ يَفْرَغُ(٣).

اما الروائي فيعني من روى حديث او شعر اذ ورد "... ورَوَى الحديث والشعر يَروِيه رِوايَةً وتَرَوَّاهُ ... وراويةٌ كذلك ، اذا كَثُرتْ روايتُهُ ... ويقال روى فُلانٌ فُلاناً شعراً إذا رواهُ لهُ حتى حفظهُ للرواية عنهُ..."(٤).

ثانياً: الفراغ الروائي اصطلاحاً

فليس بالإمكان تجزأت المصطلح لان البعض يكمل البعض الاخر فهو : " ونقصد به الفراغ الحاصل داخل الرواية والذي انتبه اليه الراوي ليجد ضالته وينزل ما يريد من اخبار..."(٥)، ولم يكن المقصود منه خلو الرواية من كلمة او عبارة وتضاف فيما بعد كما يتعود على ذلك طلبة المدارس بوجود نقص حاصل في العبارات ومن ثم يتم ملء ذلك الفراغ بما يناسبهُ ، لا بل تعني استغلال الرواة لحلقة مفقودة وتم وضع ضالتهم فيها اذ ورد "... ان الفراغ الروائي ليس نقصاً تكوّن من كلمة ما داخل متن الرواية ، بل هو استغلال لحلقة مفقودة لم يتم تغطيتها روائياً كما يجب وحجبت حقيقتها عن الناس، فينبري لها هؤلاء لملء الفراغ الناتج عنها بما يريدون من بناءات فكرية تخدم التوجهات المذكورة..."(٦).

ولد مصطلح الفراغ الروائي في عام ٢٠١٣م على يد الدكتور الخفاجي وقد صرح هو بذلك بقوله"... كانت ولادة هذا المصطلح في عام ٢٠١٣م عندما كنتُ أُدرس طلبة الدكتوراه مادة علمية عنوانها "اساليب التدوين في المشرق الإسلامي" وقد استحدثت هذا المصطلح بعدما شاهدت فراغاً واضحاً في بعض المرويات التاريخية في بطون الكتب لاسيما المادة المرتبة بعصر صدر الاسلام وعصر الخلافة الراشدة، فقد وقفت على بعض الحلقات المفقودة التي تم مَلْؤُها عمدا. وكان حيزٌ كبيرٌ من هذا الملء بعناية كبيرة بحيث يصعب على الباحث المبتدئ كشفه، وحيزٌ آخرٌ قليلٌ منه واضح الوضع لا يحتاج جهدا في اظهاره..."(٧)، ونلاحظ ان المصطلح قد ينطبق على مراحل مهمة من التاريخ الاسلامي ولاسيما مرحلة سيرة الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله)، وهنا نجد ان البعض من الرواة قد بحثوا عن تلك الفراغات الروائية وقاموا بإقحام ما يريدون وملئها بما يخدم مصالحهم ومصالح اسيادهم سواء كان الملء في الجانب السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي او الفكري.

ولا يعني ان كل من ذكر رواية او الف كتاباً لهُ علم مسبق بوجود فراغاً روائياً في تلك المرويات، وذلك لان اغلب من اخذها ونقلها كان يأخذها على علاتها دون تحليل او نقد او تمحيص والسبب يعود في ذلك الى ان المنهج السائد في نقل الرواية يعتمد الاسلوب الجمعي اذ ورد "... ويرجع ذلك الى ان المنهج السائد في نقل الرواية (ولاسيّما في القرنين الأول والثاني الهجريين) أو المروية كان بالاعتماد على سلسلة الاسناد الرجالية اولا، ولأنه (أي المنهج) اغلبه يعتمد على أسلوب الجمعي للرواة أو

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

الاسلوب النقلي الاخباري ان صح التعبير؛ لذا ترى ان اغلب من يَنقلُ الاخبار لا يعلم انها مختلقة، ناهيك عن غياب عنصر (النقد التاريخي) الذي جاء متأخرا، اذ ورد اول مؤلف يخص بهذا النقد على يد ابن الجوزي الذي تجرأ وسمى كتابة "الموضوعات" وجاء بعده الذهبي الذي الف بالمضمون نفسه..."(٨).

وقد اكد ابن خلدون على ان العديد من الناقلين للروايات لا يعرفون القصد منها وانما ينقلها على علاتها بقوله "... ومن الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار ايضاً الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح . ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهم الصدق وهو كثير وإنما يجيء في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين ..."(٩).

وعليه فأن الفراغ الروائي يكون عندما يحتاج الراوي او واضع المروية لوضع حدث معين بما يحلو لهُ في الرواية فأنه يعمد الى تجزئة الرواية وهنا يسهل عليه ملء الفراغ الروائي بما يتناغم مع مصالحهُ سواء كانت سياسية او اقتصادية أو اجتماعية او فكرية وهنا نجدهُ مرة يضع سنداً معلول على رواية صحيحة لكي يأخذ رجالات السند الوثاقة وبعدها يضع ذلك السند على رواية فيها ملء فراغ روائي ، ومرةً يضع عبارات فيها ملء فراغ روائي في متن رواية صحيحة ويضمنها ما يُريد وهذا ما نطلق عليه ملء فراغ روائي ، وان الحدث قد وقع فعلاً ولكن الراوي انتبه الى وجود فراغاً روائياً في منطقة معينة من الرواية سواء زمانياً او مكانياً وعليها قام بملء ذلك الفراغ بما يخدم مصالحه الشخصية او قل المذهبية او غيرها، الامر الاخر الذي علينا التذكير به ان الملء لم يحدث في أول من نقل الرواية ولكننا نرجح انهُ حدث فيما بعد وعليه سارت باقي المصادر والمراجع دون تمحيص أو نقد.

المبحث الثاني : سرية حمزة بن عبد المطلب

بعد ان هاجر رسول الله صلى الله عليه واله الى المدينة المنورة واستقر فيها بدأ بتثبيت اركان دولته من بناء المسجد والمؤاخاة فأمره الباري سبحانه وتعالى القتال اي الدفاع عن بيضة الاسلام ولذلك نزلت اول اية قرآنية تبيح القتال بقوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(١٠)

وان في مثل تلك الظروف الخطيرة والتي عاشها رسول الرحمة صلى الله عليه واله مع المسلمين الاوائل بالمدينة المنورة ومن قبلها مكة المكرمة وما لاقوه من اذى من المشركين والاضطهاد فأن الله اذن لهم بالقتال اي الدفاع عن النفس وعن الاسلام وعن الممتلكات(١١).

وإن هذه الآية هي لإزاحة الباطل واقامة شعائر الله سبحانه وتعالى وأن الاذن بالقتال إنما نزل من أجل أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طريق قريش التجارية المؤدية من مكة المكرمة الى بلاد الشام وبالعكس(١٢)، وهنا اراد الراوي ان يبين بان السيطرة تتحقق و يكون لهم كيان ودولة تعمل لها قريش ومن معها الف حساب.

وإن الجهاد هو مصطلح شرعي المراد منه القتال في سبيل اعلاء كلمة الله ولإقامة العدل وتحقيق اهداف الدين الاسلامي في الارض، وان الجهاد لم يشرع في الفترة المكية وانما شُرع في العهد المدني ، وكان المسلمون في مكة المكرمة المطلوب منهم نشر الاسلام والعبادات التزاماً بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾(١٣).

ولان بدايات الاسلام في مكة المكرمة يشبه الى حداً ما النبتة الصغيرة التي بحاجة الى رعاية لكي ترسخ جذورها وتقوي اغصانها من اجل مواجهة العواصف(١٤).

وورد ان جميع ما قام به الرسول(صلى الله عليه وآله) من غزوات سبع وعشرين(١٥)، وأما السرايا والبعوث فأنها ثمان وثلاثين ما بين بعثة وسرية(١٦)، وهنا علينا ان نفرق ما بين الغزوة والسرية وقد اطلق الرواة اسم السرية على كل مجموعة من المسلمين تخرج بمهمة عسكرية او استطلاعية دون حضور النبي محمد (صلى الله عليه وآله) معهم ، أما الغزوة فهي كل مجموعة من المسلمين تخرج بمهمة بمهام استطلاعية أو حرب ويكون معهم رسول الله(صلى الله عليه وآله)(١٧)، وأن عدد

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

سرايا وغزوات النبي الكريم(صلى الله عليه وآله). ثمانون ، ومن الجدير بالاشارة اليه هنا انهُ عندما سُمّ المتوكل(٢٣٢–٢٤٧هـ) فانه نذر اذا عوفي ان يتصدق بمالٍ كثير ، وتحير العلماء والفقهاء في المبلغ فأرسل الى الامام الهادي(عليه السلام) فأجابه ان الكثير ثمانون، لقول الله تعالى : لقد نصركم الله في مواطن كثيرةٍ ، وكانت ثمانين موطناً(١٨).

وقد حرص ائمة اهل البيت عليهم السلام على تعليم مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله). لما لها من القيمة المعنوية والاعتبارية في نفوس المؤمنين فقال الامام زين العابدين علي بن الحسين(عليهم السلام). "كنا نعلم مغازي النبي (صلى الله عليه وآله)، وسراياه كما كنا نعلم السورة من القرآن "(١٩).

تعد غزوة حمزة ابن عبد المطلب الى ساحل البحر هي اول غزوة وقبل غزوة عبيدة بن الحارث اذ ورد عند ابن اسحاق ما نصه "... ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ، ساحل البحر ، من ناحية العيص، وبعض الناس يقدر غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة..."(٢٠)، وهنا نجد ان ابن اسحاق قد وقع في اشكال حول التسمية فأن السرية التي خرج بها حمزة(عليه السلام). لا يشترط ذلك في الغزوة لان مؤته تسمى غزوة ايضاً وليس فيها النبي(صلى الله عليه وآله). حسب تعريف الغزوة انفة الذكر، ولهذا يكون خروج حمزة(عليه السلام). يسمى سرية.

وتم خروج حمزة عليه السلام وعبيدة في وقت واحد او متقاربان ولهذا فقد شبه على الناس في اي منهما خرج اولاً ومن عقد لهُ اللواء اذ ورد ما نصه " ... وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله (صلى الله عليه وآله). لاحد من المسلمين . وذلك ان بعثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشبه ذلك على الناس ..."(٢١)، وهنا نجد في الرواية السابقة ملء للفراغ الروائي اذا لم يذكر من هم الناس بل ذكر بعض الناس وهذه طريقة لملء الفراغ الروائي اي جعل السند مجهول ولم يصرح به.

ان سرية حمزة(عليه السلام). خرجت في شهر رمضان بينما سرية عبيدة قد سُيرت في شهر شوال(٢٢)، ولهذا يكون الفرق واضح بين السريتين في فترة الخروج فلا يشبه على الناس ، وانما اراد الرواة ملء الفراغ الروائي مصادرة منقبة وافضلية حمزة بن عبد المطلب عليه السلام في ان يكون هو اول من خرج بسرية من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولعلنا نجد ضالتنا عند ابن هشام من حيث هيكل الرواية لا صدقها ما نصه:"... وقد زعموا ان حمزة قد قال في ذلك شعراً يذكر فيه ان رايته اول راية عقدها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فان كان حمزة قد قال ، فقد صدق ان شاء الله ، لم يكن يقول الا حقاً ، فالله اعلم اي ذلك كان، فأما ما سمعنا من اهل العلم عندنا فعبيدة بن الحارث اول من عقد له ..."(٢٣).

نجد ابن هشام يشكك في ان خروج حمزة عليه السلام قبل عبيدة لأنه ذكر كلمة زعموا وهنا لم يصرح بمن قال ذلك وهذا نوع من ملء الفراغ الروائي يحاول الراوي اخذ تلك الفضيلة من حمزة عليه السلام بطريقة وهي عدم ذكر من انكر تلك الحادثة ، الامر الاخر قوله ما سمعنا من اهل العلم ولم يصرح من هم اهل العلم وهل هم من الثقات او لا ولكنه اورد ذلك من اجل ملء الفراغ الروائي لكي يتم اخفاء هذه المنقبة.إن السرية التي قادها حمزة(عليه السلام)خرجت الى منطقة العيص (٢٤)، وكان معها ثلاثين راكباً اذ ورد ما نصه "... وبعث في مقامه ذلك ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، الى سيف البحر ، من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين، وليس فيهم من الانصار احد فلقي ابا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مئة راكب من اهل مكة . فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني(٢٥)، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال..."(٢٦). بالنظر للرواية السابقة نلاحظ ان هناك ملء فراغ روائي واضح اذ حاول الرواة ملئه من اجل اخفاء منقبة للأنصار والهدف من وراء ذلك هو التقليل من دورهم الريادي في نصرة الاسلام ورسوله (صلى الله عليه وآله)، والامر الاخر لانهم اول من وقف الى جانب الامام امير المؤمنين علي(عليه السلام)في يوم السقيفة وارادوا ان تكون الخلافة لهُ(٢٧)، ولذلك حقد عليهم البعض من الخلفاء فحاولوا اخفاء دورهم في اظهار واعلاء كلمة الحق، فعندما حج سليمان بن عبد الملك والتقى بالكاتب ابان بن عثمان(٢٨)، وطلب ان يكتب لهُ السيرة وكتبها فعندما وجد ذكر للأنصار أحرق الكتاب اذ ورد ما نصه "... قدم علينا سليمان بن عبد الملك حاجاً سنة اثنتين وثمانين، وهو ولي عهد، فمر بالمدينة ، فدخل عليه الناس ، فسلموا عليه، وركب إلى مشاهد النبي(صلى الله عليه وآله). التي صلى فيها ، وحيث اصيب اصحابه

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

بأحد، ومعهُ ابان بن عثمان ... ثم امر ابان بن عثمان ان يكتب لهُ سير النبي (صلى الله عليه وآله)، ومغازيه ، فقال ابان : هي عندي ، قد اخذتها مصححة ممن اثق به . فأمر بنسخها والقى فيها (إلى) عشرة من الكتاب فكتبوها في رق ، فلما صارت اليه نظر فإذا فيها ذكر الانصار في العقبتين ، وذكر الانصار في بدر ، فقال : ماكنت ارى لهؤلاء القوم هذا الفضل . فأما ان يكون اهل بيتي غمصوا عليهم ، واما ان يكونوا ليس هكذا . فقال ابان بن عثمان: ايها الامير لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلأنهُ، ان القول بالحق: هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا . قال : ما حاجتي إلى ان انسخ ذلك حتى أذكره لأمير المؤمنين ، لعله يخالفه ، فامر بذلك الكتاب فحرق . وقال : اسال امير المؤمنين إذا رجعتُ ، فان يوافقه ، فما ايسر نسخنه ، فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبر اباه بالذي كان من قول ابان ، فقال عبد الملك : وما حاجتك ان تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل ، تعرف اهل الشام اموراً لا نريد ان يعرفوها..." (٢٩).

وورد في الرواية السابقة ان الذين كانوا في سرية حمزة عليه السلام ثلاثين رجلاً من المهاجرين فقط ونلاحظ ان الراوي اكد على انهم كلهم من المهاجرين وليس فيهم من الانصار احد، وهنا نجد ملء فراغ روائي وهو ان الراوي ذكر ان الرجال كلهم من المهاجرين ولم يذكر من هم ومن اي قبيلة ، الامر الاخر اكد انه ليس فيهم احد من الانصار بينما ورد ان الذين ذهبوا مع حمزة عليه السلام نصفهم من الانصار "...اول لواء عقده رسول الله(صلى الله عليه وآله). بعد ان قدم المدينة لحمزة بن عبد المطلب ، بعثه في ثلاثين راكباً شطرين ، خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الانصار ..."(٣٠).

"... وقال بعضهم : كانوا شطرين من المهاجرين والانصار..."(٣١).

وبالرجوع الى رواية ابن هشام السابقة نجد انه اكد على عدم مشاركة الانصار في تلك السرية ولهذا يتبادر الى ذهن القارئ سؤال وهو كيف لم يشاركوا في تلك السرية الاستطلاعية وهم اهل المنطقة والذين يكونوا اعرف بطرقها ومناطقها ؟ وهنا يكون الجواب اراد الرواة اخفاء دورهم في تلك السرية ولكي لا تكون لهم منقبة ولان الرسول(صلى الله عليه وآله).

قد ذكرهم في العديد من الاحاديث ومنها قوله(صلى الله عليه وآله). " لو ان الانصار سلكوا واديا ، او شعباً ، لسلكت في وادي الانصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار"(٣٢).

وبمقارنة ما ذكره ابن هشام بان خروج سرية حمزة عليه السلام وسرية عبيدة في وقت واحد ، وانهُ كان مع حمزة ثلاثين رجل من المهاجرين وكان مع عبيدة نحو ستين او ثمانين من المهاجرين ، فاذا سلمنا جدلا ان السريتين خرجتا معاً فيكون مجموع ما خرج من المهاجرين نحو تسعون رجلاً او نحو مئة وعشرة رجال.

وهنا يتبادر للقارئ سؤال الا وهو كيف يكون عدد المهاجرين في السريتين تسعون رجلا او اكثر من ذلك؟ وان من شارك في معركة بدر سنة ٢هـ نحو ثلاث وثمانون مقاتلاً من المهاجرين (٣٣).في حين ورد انهم ثلاث وسبعين رجلاً(٣٤)؟ وهنا يكون الجواب ان الرواة قد ملئوا الفراغ الروائي من خلال اقصاء الانصار لان تلك السرايا هي سرايا استطلاعية الهدف منها تحديد الحدود السياسية لدولة الرسول(صلى الله عليه وآله)، ولذلك تمكن الرواة من ملء تلك الفراغات الروائية لان السرايا خالية من المواجهات القتالية ولا يوجد فيها جرحى او شهداء او قتال حتى تنقل مناقبة وورد ما نصه "... فلقي ابا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مئة راكب من اهل مكة..."(٣٥). بالنظر الى الرواية السابقة نجد ان هذا العدد مبالغ فيه وذلك لإظهار التهويل في تلك القافلة لان القافلة هي تجارية وليست عسكرية فلا تحتاج الى تلك الاعداد ولكن الراوي قد ملء الفراغ الروائي بأن جعل تلك الاعداد من اجل اظهار قوة المهاجرين على الرغم من قوتهم لا يستهان بها ولكن السرية التي خرجت الهدف منها هو معرفة الحدود السياسية وجلب الاخبار للرسول(صلى الله عليه وآله)، الامر الاخر لو كان هذا العدد موجود لحصل هناك نوع من الاصطدام العسكري او على الاقل لحصلت هناك حوارات ومشادات كلامية فلماذا لم يذكرها الرواة.

بينما ورد ان حمزة لقي ابا جهل وكان معه ثلاثين ومائة من المشركين وكما جاء بالنص الاتي "... فلقوا ابا جهل بن هشام في ثلاثين ومائة من المشركين ..."(٣٦). بالنظر الى الرواية السابقة يرى الباحث بان هذا العدد مقبول لحراسة قافلة تجارية

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

بالمقارنة مع العدد السابقة ٣٠٠رجل انه امر غير مقبول .

وبالرجوع الى الرواية التي اوردها ابن هشام والتي جاء فيها "... فلقي ابا جهل بن هشام بذلك الساحل ... فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني . وكان موادعا للفريقين جميعاً ، فانصرف القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال..."(٣٧).

إن الراوي ذكر اللقاء ما بين سرية حمزة عليه السلام والقافلة التي يرأسها ابو جهل ولكن الراوي قد ملء الفراغ الروائي من خلال انه لم يذكر ان هناك حوارات دارت بين الطرفين ام لا ، وما هو دور سرية حمزة عليه السلام ؟ كل تلك الامور لم يذكرها الراوي من اجل ملء الفراغ الروائي وهو اقصاء فضائل الانصار ، ويرى الباحث بأن سرية حمزة عليه السلام انما اخرجها رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكان الهدف منها هو للاطمئنان على الحدود السياسية للدولة والتي اسماها الدكتور اياد الخفاجي بالحريم السياسي(٣٨)، والهدف الاخر هو لكي تعرف قريش ومن حول المدينة من القبائل بان المسلمين اصبحوا دولة ولهم قوة وحدود وسيادة ، الهدف الثالث هو لأبعاد الخطر عن المدينة وذلك من خلال عقد اتفاقات ومعاهدات مع العديد من القبائل المجاورة للمدينة.

نجد ان من اطفأ نار الحرب هو مجدي الجهني لانه كان وسيط بين الطرفين ومعنى ذلك انه كان مع سرية حمزة(عليه السلام) جماعة من اهل المدينة يعرفهم وبالتالي استطاع اخماد الحرب وكما ورد ذلك "... فان عمل مجدي بن عمرو من بني جهينة خلال غزوة حمزة وقيامه بالوساطة بين المسلمين، وبين قوة ضخمة من المكيين، سببه وجود مدنيين متحالفين مع جهينة، بين المهاجمين..."(٣٩). نجد هنا ان المؤلف ذكر دور مجدي بن عمرو كان بسبب انه كان حليف لكل من أهل المدينة واهل مكة ، الامر الاخر الذي ورد في الرواية هو انه ذكر انه متحالف مع المدنيين ويعني بذلك الانصار لانهم اهل المدينة ولكنه دس السم بالعسل بقوله بين المهاجمين وانهم لم يكونوا مهاجمين بل كانوا سرية استطلاعية الهدف منها جمع المعلومات وتحديد المناطق الحدودية للمدينة.

وبعد ذلك انصرف القوم عن القوم ولم يحدث بينهم اي قتال اذ جاء ما نصه "... فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال..."(٤٠). هنا ان الراوي مرر ضالته بملء الفراغ الروائي دون ذكر اي حوارات كلامية دارت بين الطرفين والهدف من ذلك هو للتقليل من دور الانصار في تلك الطلعات الاستكشافية لحدود المدينة ، الامر الاخر ذكر انه لم يكن بينهم قتال وهذا امر طبيعي لان سرية حمزة عليه السلام انما خرجت بعدد قليل ولم يكن هدفها قطع الطريق او القتال.

وان المساحة التي جالت فيها تلك السرية حوالي(١٣٠كم) وهذه الحدود الطبيعية للمدينة اذ ورد على النحو الاتي "... الحمى الذي جال فيه حمزة ورجاله يمتد مئة وثلاثين كيلومتراً..."(٤١).

وان تلك الحدود اخذت تتوسع مع استقرار الدولة الاسلامية ولذلك كانت السرايا الاولى الهدف منها تثبيت تلك الحدود اذ ورد ما نصه "... فان هذه الحدود لم تكن نهائية وانما تتوسع بمرور الزمن من حيث اتساع رقعة الدولة ، وقد تكون الصورة اوضح من الاماكن التي تحركت عليها السرايا قبل معركة بدر..."(٤٢).

وان سرية حمزة(عليه السلام)انما خرجت من أجل تأمين الحدود وتحديدها ولم تخرج للاعتراض لقوافل قريش كما صورها البعض من المصادر(٤٣) اذ ورد "... فبلغوا سيف البحر يعترض لعير قريش قد جاءت من الشام الى مكة..." بالنظر الى الرواية السابقة نلاحظ ان الراوي قد ملء الفراغ الروائي بأن جعل سرية حمزة عليه السلام إنما خرجت للاعتراض لقافلة قريش؛ وهذا امر غير وارد اطلاقاً لان الاسلام دين آمن وأمان ولم يكن دين تهجم والدليل على ذلك ان اليهود قد عاشوا في المدينة المنورة بعد قدوم الرسول(صلى الله عليه وآله). اليها بأمن وامان ، الامر الآخر لم تكن سرية حمزة علية السلام سرية قطاع طرق ، ولان المسلمين كانوا ضمن حدودهم الجغرافية ولم يخرجوا منها بل هم داخلها الامر الاخر لم يكن للمسلمين دافع الانتقام من زعماء قريش بسبب ما لاقوه منهم ولكن كانت قوافل قريش تدخل وتسير ضمن حدود المدينة السياسية والجغرافية فاراد الرسول(صلى الله عليه وآله). اعطاءهم العلم بذلك وليس اكثر(٤٤).

"... ولم يبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله). أحداً من الانصار مبعثاً حتى غزا بنفسه الى بدر، وذلك انه ظن انهم لا

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

ينصرونه الا في الدار(٤٥)، وهو المثبت"(٤٦). نجد فيها ملء للفراغ الروائي ولم يكن هذا الملء على حساب الانصار فقط ، وانما طال رسول الرحمة(صلى الله عليه وآله).إذ أن الراوي أراد اخفاء فضيلة الانصار بمشاركتهم في نصرة النبي(صلى الله عليه وآله).واستقبالهم للمهاجرين واشراكهم في اموالهم ومنازلهم واشتراكهم في سرايا وبعوث وغزوات النبي(صلى الله عليه وآله).فحاول الرواة اخفاء كل تلك الفضائل بان ذكروا تلك الرواية التي تقول بان الرسول(صلى الله عليه وآله).لم يبعثهم قبل غزوة بدر والسبب انه يظن بانهم لا يقدمون النصرة له الا في الدار، وبهذا يكون النبي صلى الله عليه واله قد خالف القرآن الكريم وحاش رسول الله(صلى الله عليه وآله).الذي يقول فيه رب العزة ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(٤٧)، وهنا اراد الراوي اقحام الرسول(صلى الله عليه وآله). بأنه يظن بالأنصار ولهذا لم يشركهم في البعوث والسرايا واذا كان يشك فيهم وهنا يكون مخالف لقوله وحاش رسول الله (صلى الله عليه وآله).لانه يقول(صلى الله عليه وآله).

لانه القائل "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"(٤٨)، فكيف يشك فيهم وهم انصاره وكيف يشك بهم ومن ثم يشركهم في غزواته ورأى ما رأى منهم ببسالة القتال والاستشهاد والمؤازرة فيكون شكه في غير محله وهنا يتحمل اثم وحاشاه لانه لا ينطق عن الهوى بشهادة العزيز الحكيم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(٤٩)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(٥٠)﴾ وهنا اراد الراوي تحميل النبي(صلى الله عليه وآله). الاثم والظن والشك بالأنصار من اجل ملء الفراغ الروائي وهو اخفاء دورهم من اجل ارضاء لمجموعة من الناس وكان الهدف من وراء ذلك سياسي.

وخلاصة القول فان الراوي اراد الانتقاص من معرفة رسول الله(صلى الله عليه وآله). بأصحابه ،والهدف من ذلك ارضاء لبعض الشخصيات على حساب النبي (صلى الله عليه وآله).

ومن جهة اخرى بالرجوع للسند نجد فيه شخصيات لا يمكن الوثوق بها لأنها واهمة او كاذبه فكيف جزم الراوي بان الثابت عنده بعدم اشتراك الانصار ، وان الواقدي نفسه عنده اضافات ومكثر للحديث اذ ورد "... والواقدي عنده زيادات حسنةٌ ، وتاريخٌ مُحرر غالباً؛ فإنه من ائمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوقٌ في نفسهِ مكثار..."(٥١).

" ... قال بعضهم : كانوا شطرين من المهاجرين والانصار ، والمجتمع عليه انهم كانوا جميعاً من المهاجرين ، ولم يبعث رسول الله ،(صلى الله عليه وآله).، أحداً من الانصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً ، وذلك انهم شرطوا له انهم يمنعونه في دارهم ، وهذا الثبت عندنا..."(٥٢). بالنظر إلى الرواية السابقة نلاحظ ان ابن سعد لم يؤيد مشاركة الانصار في سرية حمزة(عليه السلام) بقوله "...والمجتمع عليه انهم كانوا جميعاً من المهاجرين..." ولا نعرف كيف جاء الاجماع على ان جميع من ارسل مع حمزة (عليه السلام) هم من المهاجرين اذ لم يورد السند لكي يتم التحقق منه، الامر الاخر انه في بداية الرواية اورد عبارة عوض فيها عن ذكر السند وهي قال بعضهم وهنا البعض تعني القلة وليس الاجماع ، ويتبادر للقارئ سؤال وهو من هم البعض؟ هل هم ثقات أم لا ؟ وهذه احد طرق ملء الفراغ الروائي اي إغفال ذكر رجالات السند وجعله مبهم.

من ثم ذكر ابن سعد عبارات تنفي مشاركة الانصار في تلك السرية بقوله"... ولم يبعث رسول الله ،(صلى الله عليه وآله)، أحداً من الانصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً ، وذلك انهم شرطوا له انهم يمنعونه في دارهم ، وهذا الثبت عندنا وخرج حمزة يعترض لعير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة، وفيها ابو جهل بن هشام..."(٥٣). بالنظر للعبارات السابقة نجد فيها ملء للفراغ الروائي وهو لم يبعث الرسول(صلى الله عليه وآله). أحد من الانصار .

وهنا يرد سؤال وهو لماذا لم يبعثهم النبي(صلى الله عليه وآله)؟ هل كان قد اذخرهم ليوم اخر وهذا غير معقول لان المسلمين سواسية بالحقوق والواجبات بقوله(صلى الله عليه وآله)."الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ"(٥٤)، فلا يمكن الجهاد بناس دون اخرين الا بداعي المرض أو شيء آخر يؤثر عليهم ، وبالرجوع الى رواية ابن سعد نلاحظ انه ذكر سبب اغفال اشتراكهم وذلك بدافع الشرط الذي عقدوه مع رسول الله (صلى الله عليه

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

وآله)، وإذا ما سلمنا جدلاً بانهم قد شرطوا ذلك الشرط ألا وهو "...انهم يمنعونه في دارهم ، وهذا الثبت عندنا..."(٥٥). نلاحظ ان الراوي قد وضع ذلك الشرط من اجل ملء الفراغ الروائي وبالرجوع للشرط انف الذكر نجد فيه يمنعونه اي يدافعون عنه ويحمونه ويقدمون أرواحهم فداء له من اجل الحفاظ عليه وعلى من معه وهذه من عادات العرب تحمي الضيف والمستجير بهم، الامر الاخر وهو كلمة دارهم والمراد بالدار المنطقة التي يسكنونها اي مدينتهم وليس الدار فقط مكان تواجد الرسول(صلى الله عليه وآله)، واصحابه ولهذا فان سرية حمزة عليه السلام خرجت الى منطقة العيص وهي احدى مناطق المدينة وهي عرض(٥٦). من اعراض المدينة(٥٧)، وهنا يكون قد تم ملء الفراغ الروائي بان قام الرواة بحذف مشاركة الانصار من اجل اخفاء تلك المنقبة العظيمة لهم.

كيف لم يشتركوا وهم اهل المنطقة واعرف بشعابها وطرقها ولديهم خبرة في التعامل مع الاجواء فضلاً عن انهم اهل دراية بالحرب والاستطلاع(٥٨). الامر الاخر كيف تم ذلك الشرط الم يدخل الانصار الى الاسلام؟ اذا كان الجواب انهم دخلوا الى الاسلام وهذا ما لا خلاف عليه فهنا يكون واجب عليهم الدفاع عن الاسلام ورسوله(صلى الله عليه وآله)، وهنا يجب عليهم المشاركة في الغزوات والسرايا ، واذا كان الجواب لا لم يدخلوا الى الاسلام فهذا من غير المعقول فكيف يأتي اليهم النبي صلى الله عليه واله ويأمنهم على حياته ومن معه من المهاجرين ويأمنهم على بذرة الاسلام ، وهو يعلم بوجود اليهود في تلك البقعة وما مدى حقدهم عليه وعلى دين الله.

"... فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى . وتوادع(٥٩). الفريقان على يديه ، فلم يكن بينهم قتال..."(٦٠).

بالنظر الى الرواية السابقة نجدها تخلو من السند وهذه احدى طرق ملء الفراغ الروائي الامر الاخر كيف عرف ابن عبد البر بتلك الاحداث وما بينه وبينها اربعة قرون ونصف اذا لم يكن فيها سند .

نلاحظ في النص اعلاه عبارة جديدة وهي توادع الفريقان ومعنى التوادع التصالح والتهادن فعلى اي شيء تصالحا واين بنود ذلك الصلح ،ومن شهد على ذلك التصالح، وعلى الرغم من انه لا يوجد صلح ما بين رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وما بين قريش قبل صلح الحديبية(٦هـ) فكيف عقد حمزة(عليه السلام). مع قافلة قريش صلحاً ؟ هل كان اجتهاداً منه؟ وهذا غير ممكن لأنه بهذا يكون قد خالف رسول الله(صلى الله عليه وآله)، أم أن النبي (صلى الله عليه وآله). أمره بذلك فلم تذكره المصادر(٦١).السابقة ان الرسول(صلى الله عليه وآله).أمره بذلك.

وذكرت اغلب المصادر(٦٢). إن سرية حمزة(عليه السلام). انما خرجت للتعرض لعير قريش وهذا ملء الفراغ الروائي لانهم ارادوا اعطاء اغلب الفتوحات والغزوات التي حدث بعد استشهاد رسول الله(صلى الله عليه وآله). الغطاء الشرعي بانهم اوردوا ان التعرض للناس واخذ اموالهم بدافع اجبارهم على الاسلام انما هو فعل قد قام به الرسول(صلى الله عليه وآله). من قبل وحاشاه ، وإنما أرسل السرايا والبعوث بدافع استطلاعي تفقدي لحدود المدينة ولكي يبين لقريش ومن تحالف معها انهم قوة لا يستهان بها.

الخاتمة:

وخلاصة القول ان سرية حمزة بن عبد المطلب كانت من اجل تحقيق اهداف:

١. تحديد المناطق الحدودية للمدينة المنورة اي ما اطلق عليه الدكتور اياد الخفاجي مسمى الحريم السياسي(٦٣)، والدليل على ذلك قول ابو جهل عندما رجع من لقاء سرية حمزة بن عبد المطلب(عليه السلام)اذ ورد ما نصه "... قال ابو جهل بن هشام حين قدم مكة منصرفة عن حمزة : يا معشر قريش ان محمداً قد نزل يثرب وارسل طلائعه ، وانما يريد يصيب منكم شيئاً ، فاحذروا ان تمروا طريقه ، وان تقربوه ، فانه كالأسد الضاري..."(٦٤).

٢. الهدف الاخر هو لعقد اتفاقات ومعاهدات مع القبائل المجاورة للمدينة

٣. اعلام قريش ومن حالفها واليهود بان الاسلام اصبح دولة قوية

٤. اظهار القوة العسكرية والقتالية للمسلمين امام انظار الجميع

٥.كشف حقيقة الاسلام للجميع مما دفع الكثير من القبائل الى اعتناق الاسلام(٦٥).
٦. تقوية اواصر الاخوة ما بين المقاتلين سواء من المهاجرين انفسهم او من الانصار والمهاجرين(٦٦).

الهوامش:

(١) البخاري، صحيح البخاري،ص٣٣
(٢) ابن حنبل، مسند احمد،ج١،ص٥١٢؛ البخاري، صحيح البخاري،ص٣٣
(٣) ابن منظور، لسان العرب،ج٥،ص٣٣٩٦
(٤) المصدر نفسه، ج٣،ص١٧٨٦
(٥) الخفاجي، مصطلحات مستحدثة في الرواية التاريخية،ص١٢١
(٦) عبد معين، الامامة العباسية /دراسة تاريخية تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي، ص٢
(٧) الخفاجي، مصطلحات مستحدثة في الرواية التاريخية،ص١٢٢
(٨) المصدر نفسه، ص١٢٢–١٢٣
(٩) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج١،ص٤٦
(١٠)سورة الحج ، الاية ٣٩
(١١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٧٧
(١٢) المصدر نفسه، ص١٧٧
(١٣) سورة النساء، الاية ٧٧
(١٤) العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص٣٣٧
(١٥) ابن اسحاق، السير والمغازي، ص٦٧٤؛ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٢٥٥؛ الواقدي، المغازي، ص٥؛ابن سعد ، الطبقات، ج٢،ص٥؛البيهقي ، دلائل النبوة، ج٣،ص٥؛ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص١٠٣؛النويري، نهاية الارب ،ج١٧، ص٣؛ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج١، ص٣٥٣
(١٦) ابن اسحاق، السير والمغازي ،ص٦٧٥؛ابن هشام ، السيرة النبوي، ج٤،ص٢٥٦
(١٧) العاملي، السيرة النبوية بنظر اهل البيت عليهم السلام،ج١،ص٦٠٥ ؛حمادة ، عظمة محمد وحياته، ص٢٠٢
(١٨) الكليني، الكافي،ج٧،ص٢٩٦؛ العاملي، السيرة النبوية بنظر اهل البيت عليهم السلام ،ج١،ص٦٠٦
(١٩) الخطيب البغدادي، الجامع لاخلاق الراوي واداب السامع ،ج٢،ص١٩٥؛البيهقي، دلائل النبوة ،ج٣،ص٦؛الجلالي، جهاد الامام السجاد،ص٧٥
(٢٠) ابن اسحاق ، السير والمغازي،ص٦٧٥
(٢١) ابن هشام ، السيرة النبوية،ج٢،ص٢٣٨
(٢٢) الواقدي، المغازي،ص٦–٧
(٢٣) ابن هشام، السيرة النبوية،ج٢،ص٢٣٨
(٢٤) العيص : بِكَسْرِ العين وآخره صاد مُهْمَلَة مَوْضِعٌ في بلاد سليم، يُقَالُ له العيص، به ماء يُقَالُ له ذنبان العيص، من ناحية ذي المروة على ساحل البحر، بطريق قُريش التي كانوا يأخذون إلى الشام، الهمداني، الأماكن أوما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ج١،ص٧٠٢؛ الحموي ، معجم البلدان، ج٤،ص١٧٣، وهنا يرى الباحث بان السرية ارسلت الى المناطق الحدودية للاطمئنان عليها ولتعريف القوافل التجارية والقبائل المجاورة بحدود المدينة المنورة.
(٢٥) مجدي بن عمرو الجهني لم اعثر على ترجمته
(٢٦) ابن هشام ، السيرة النبوية،ج٢،ص٢٣٧–٢٣٨
(٢٧) الطائي، نظريات الخليفتين،ص١٣٩
(٢٨) ابان بن عثمان بن عفان بن ابي العاص الاموي ، يكنى بابي سعيد ، كان عاملاً لعبد الملك بن مروان على المدينة ، توفي سنة(١٠٥هـ) ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٧،ص١٥٠.
(٢٩) ابن بكار، الموفقيات،ص٢٧٥–٢٧٦؛ العسكري، معالم المدرستين،ج١،ص٤٣١–٤٣٢.
(٣٠) الواقدي، المغازي،ص٦
(٣١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى،ج٢،ص٦
(٣٢) البخاري، صحيح البخاري، ص٦٦٥
(٣٣) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج٢،ص ٣٢٨
(٣٤) الواقدي، المغازي،ص١٥٧
(٣٥) ابن هشام ، السيرة النبوة ، ج٢،ص٢٣٨؛ الواقدي، المغازي، ص٦؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج٢،ص٦

(٣٦) البيهقي، دلائل النبوة ،ج٣،ص٩
(٣٧) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج٢٣٨،٢
(٣٨) الخفاجي، سلسلة محاضرات على طلبة الدراسات العليا ، الماجستير، ٢٠١٦م
(٣٩) مونتجومري وات، محمد في المدينة،ص٧
(٤٠) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج٢، ص٢٣٨
(٤١) جيورجيو، نظرة جديدة في سيرة رسول الله،(صلى الله عليه وآله)،٢٠١
(٤٢) وناس ،حميد، سرايا دولة الرسول (صلى الله عليه وآله)، واثرها الاقتصادي والاجتماعي في تثبيت حدود الدولة،ص٥٣
(٤٣) الواقدي، المغازي، ص٦؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج٢،ص٦؛النويري، نهاية الارب، ج١٧،ص٤
(٤٤) وناس ،حميد، سرايا دولة الرسول(صلى الله عليه وآله)، واثرها الاقتصادي والاجتماعي في تثبيت حدود الدولة،ص٥٧
(٤٥) الدار: ان هذه الكلمة تحمل العديد من المدلولات والمعان ومنها وهو المحل الذي يجمع البناء والعرصة وسميت الجنة دار السلام وتعني كل موضع حل به قومٌ فهو دارهم والدنيا دار الفناء والاخرة دار البقاء ودار السلام . ابن منظور، لسان العرب،ج٢،ص١٤٥٢ ، واذا ما سلمنا جدلاً ان الانصار قولوا لرسول الله صلى الله عليه واله تلك المقولة فهم ارادوا بذلك انهم يدافعون عن النبي صلى الله عليه واله في مدينتهم وداخل حدودها الجغرافية.
(٤٦) الواقدي، المغازي،ص٧
(٤٧) سورة الحجرات، الاية ١٢
(٤٨)مالك، الموطأ ،ج٥،ص١٣٣٣
(٤٩) سورة النجم، الاية ٣
(٥٠) سورة النجم، الاية ٤
(٥١) ابن كثير، البداية والنهاية،ج٤،ص٥٨٠
(٥٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى،ج٢،ص٦
(٥٣) المصدر نفسه،ج٢،ص٦
(٥٤) الحميدي، مسند الحميدي، ج٢،ص١٦٣
(٥٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٢،ص٦
(٥٦) عرض وهنا تعني الناحية ،ابن السكيت، اصلاح المنطق،ج١،ص٩٧
(٥٧) ابن هشام ، السيرة النبوية، ج٢،ص٢٣٨
(٥٨) وناس ،حميد ، سرايا دولة الرسول (ص) واثرها الاقتصادي والاجتماعي في تثبيت حدود الدولة،ص٥٤
(٥٩) التوادع: وهي شبة المصالحة والتصالح والعهد ، وتوادع القوم اي اعطى بعضهم بعضاً عهداً بان لا يغزوه ووادعت العدو اذا هادنته، ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص٤٧٩٨ ، والتوادع بمعنى التصالح ، الرازي ، مختار الصحاح،ص٧١٤
(٦٠) ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير ،ص١٠٤
(٦١) ابن اسحاق ، السيرة النبوية، ص٦٧٥؛ابن هشام ، السيرة النبوية، ج٢،ص٢٣٨؛الواقدي، المغازي،ص٦–٧؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى،ج٢،ص٦
(٦٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢،ص٤٠٢؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ص١٨١؛ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج٢،ص٧؛ النويري، نهاية الارب، ج١٧،ص٤؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣، ص١٩٠؛ السمهودي، وفاء الوفا،ج١،ص٤٦٥
(٦٣) الخفاجي، سلسلة محاضرات القيت على طلبة الماجستير عام ٢٠١٦م
(٦٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج٣،ص١٢٣
(٦٥) وناس ،حميد، سرايا دولة الرسول(ص) واثرها الاقتصادي والاجتماعي في تثبيت حدود الدولة، ص٥٤
(٦٦) المصدر نفسه، ص٥٤

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم
•ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني(٦٣٠هـ)
١. الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، لبنان ،بدون طبعة،٢٠١٢م.
•ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق(١٥١هـ)
٢. السير والمغازي، تحقيق احمد فريد المزيدي ،دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م
•البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم(٢٥٦هـ)

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

٣.صحيح البخاري، دار صادر، لبنان،ط١،دون تاريخ
•ابن بكار، الزبير بن بكار(٢٥٦هـ)
٤.الاخبار و الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، عالم الكتب، لبنان، ط٢، ١٩٩٦م
•البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين(٤٥٨هـ)
٥.دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ، لبنان،ط١، ١٩٨٨م
•الجلالي، محمد رضا الحسيني
٦. جهاد الامام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، شمشاد، ط١، ١٤١٨هـ
•جيورجيو،كونستانس
٧. نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب، محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط١، ١٩٨٣م
•حماده، عبد الغني
٨. عظمة محمد وحياته، المطبعة العصرية، ادلب، دون طبعة، دون تاريخ
•الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(٦٢٦هـ)
٩. معجم البلدان، دار صادر، لبنان، دون طبعة، ١٩٧٧م
•الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي(٢١٩هـ)
١٠. مسند الحميدي، تحقيق حسن سليم أسد الدَّارَانِيّ، دار السقا، دمشق – سوريا، ط١، ١٩٩٦م
•ابن حنبل، احمد بن حنبل(٢٤١هـ)
١١. مسند احمد ، تحقيق شعيب الارنؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة ، لبنان، ط١، ٢٠٠١م
•الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي(٤٦٣هـ) ٣١.
١٢.الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض، دون طبعة، دون تاريخ
•الخفاجي، اياد عبد الحسين صيهود
١٣. مصطلحات مستحدثة في الرواية التاريخية دراسة تأصيلية تطبيقية، دار الرياحين بابل، ط١، ٢٠٢٠م
١٤. الرواية التاريخية دراسة في المفهوم، سلسلة محاضرات القيت على طلبة الماجستير تاريخ اسلامي في جامعة كربلاء، سنة ٢٠١٦م
•ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون(٨٠٨هـ)
١٥. تاريخ ابن خلدون ، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، لبنان ، دون طبعة، ٢٠٠١م
•الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(٦٦٦هـ)
١٦. مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٩٩٩م
•ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع(٢٣٠هـ)
١٦. الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م
•ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق(٢٤٤هـ)
١٧. اصلاح المنطق، تحقيق محمد مرعب ، دار إحياء التراث العربي
، ط١ , ٢٠٠٢ م
•السمهودي، نور الدين علي بن عبد الله(٩١١هـ)
١٨. وفاء الوفا بإخبار دار المصطفى، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠١م
•بن سيد الناس، ابو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري(٧٣٤هـ)
١٩. عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين متو، دار التراث ، المدينة المنورة، دون طبعة
، دون تاريخ.
•الطائي، نجاح
٢٠. نظريات الخليفتين، دار الهدى لاحياء التراث، بيروت ط١، ١٤٢٦هـ .
•الطبراني ،سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)
٢١. المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة،ط٢،١٩٩٤م

•الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ)
٢٢. تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، دون تاريخ
•العاملي ، جعفر مرتضى
٢٣. الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) ، دار الهادي، لبنان، ط٤، ١٩٩٥م.
•العاملي، علي الكوراني
٢٤. السيرة النبوية بنظر اهل البيت (ع)، دار المرتضى، بيروت، دون طبعة، ٢٠٠٩م
•ابن عبد البر، ابو عمر يوسف ابن عبد البر النمري (٤٦٣هـ)
٢٥. الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دون طبعة، ١٩٦٦م
•عبد معين، رزاق حسين عبد
٢٦.الامامة العباسية / دراسة تاريخية تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي، مجلة العلوم الانسانية،كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل، المجلد ٣٨/ العدد الرابع/٢٠٢١م
•العسكري، مرتضى
٢٧. معالم المدرستين، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط٥، ١٩٩٣م.
•العمري، اكرم ضياء
٢٨. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٩٩٤م.
•ابن قيم الجوزية، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ايوب (٧٥١هـ)
٢٩.زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، السعودية، ط١، ٢٠١٨م
•ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل(٧٧٤هـ)
٣٠. البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، هجر، ط١، ١٩٩٨م
•الكليني، محمد بن يعقوب(٣٢٩هـ)
٣١. اصول الكافي، منشورات الفجر، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م
•مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني(١٧٩هـ)
٣٢.الموطأ ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ، أبو ظبي ، الإمارات ، ط١، ٢٠٠٤م
•المباركفوري، صفي الرحمن
٣٣. الرحيق المختوم، دار احياء التراث، دون طبعة، دون تاريخ.
•المقدسي، المطهر بن طاهر(٣٥٥هـ)
٣٤. البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، دون طبعة، دون تاريخ
•ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري(٧١١هـ)
٣٥. لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير واخرون، دار المعارف،
•مونتنجومري، وات
٣٦. محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات ، المكتبة العصرية، لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.
•النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(٧٣٣هـ)
٣٧. نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق يحيى الشامي، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م
•ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين(٢١٨هـ)
٣٨. السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٣، ١٩٩٠م
•الهمداني، محمد بن موسى الحازمي الهمداني(٥٨٤هـ)
٣٩. الاماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الامكنة، تحقيق حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، دون طبعة، ١٤١٥هـ
•الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله(٢٠٧هـ)
٤٠. المغازي، تحقيق مارسدن جونس، دار الاعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م
•وناس ، زمان عبيد و عائد عبد ايوب حميد

فصلية مُحَكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٠) السنة الثالثة شعبان ١٤٤٥ هـ –آذار ٢٠٢٤ م

سرية حمزة بن عبد المطلب دراسة تحليلية في ضوء مصطلح الفراغ الروائي

ابن فارس في المقاييس "دراسة في المنهج"

م.م . رنا خزعل ناجي مبارك
كلية الامام الكاظم (عليه السلام) أقسام ديالى

المستخلص:
اشتهر (ابن فارس) بمؤلفاته في مختلف أنواع المعارف المتعلقة باللغة والأدب والحديث والفقه. وكذلك كان معروفاً في عصره بآرائه المتميزة في اللغة له العديد من المصنفات. لعل ابرزها (الصاحبي في فقه اللغة). كما برز كواحد من اللغويين الذين الفوا اعمالا معجمية لازالت تحتل مراتب الصدارة من أشهرها معجم (المجمل في اللغة) و معجم(مقايس اللغة) والذي اتبع في كل واحد منهما منهجية تأليفية متباينة تماما في كل منهما، ومن الملفت أن معجم (المقاييس) نال شهرة واسعة؛ ولعل سبب هذه الشهرة أن (ابن فارس) طبق نظريتين عرف بهما فيما بعد؛ هما: نظرية الأصول أو نظرية المقاييس بالنسبة للمواد اللغوية ثنائية الأصل او ثلاثيتها، والثانية نظرية نحت المواد الرباعية الأصل والخماسية في اللغة، أما معجم (المجمل) فقد وضع لغايات معجمية بحتة، حيث يعرض الالفاظ مشيرا الى معانيها مجملة. ونقتصر دراستنا بشكل عام ومبسط على آراء (ابن فارس) في معجم (مقاييس اللغة)، وماهي فكرته ومصادره، مع نبذة عن حياة (ابن فارس) واهم ما قيل عنه كما سنتكلم عن النقد في (المقاييس)كحالة مميزة لمنهجية (ابن فارس) في مقاييسه. وقد ضمت الدراسة احاديث منقولة عن ابن فارس ومنزلته، وعن معجمه "مقاييس اللغة" وعنايته فيه بالتطور الدلالي، وأفرد بعض قضايا التطور الدلالي النظرية ومسائله، لنفرد بعض آراءه بما شهدت به الشواهد المختلفة وقضت به اللغات القديمات من أخوات العربية لان في معجمه ما يكشف الحقيقة المرجوة عن اللغة العربية واصولها ودلالاتها المختلفة، فمن يقرا ويطلع على بعض تلك التنبيهات يسول له معرفة المزيد، ويغريه جمال كلمات لغتنا الام بأكثر الطرق عناية وتعمق، لبزين له كشف المخبوء، ويحثُّه على التقصي والبحث مما يولد لدية الرغبة في التثبت والتحقّق من صحتها، وكل حقيقة يظفر بها عن تطور دلالة لفظة عربية، تخبرنا بأشياء عن تاريخ العرب المجهول ربما ما كنا لنعلمها لولاها، ومن ثم نزداد للعرب فهما وبالعربية علما.

كلمات مفتاحية: ابن فارس، مقاييس اللغة، ظواهر منهجية.

Abstract:

Ibn Faris was famous for his writing on various types of knowledge including linguistics، literature، and hadith. He was also known in his time for his distinguished views on language. Additionally، he became known as one of the linguists who wrote lexicographic works that still occupy the forefront، the most famous of which are the dictionary (The Summary of Language) and the Dictionary (Metrics of Language)، in each of which he followed a completely different compositional meth-odology. It's interesting that the dictionary " Metrics of Language" has become so well-known، Perhaps the reason for this fame is that Ibn Faris applied two theories that he became known about later. They are: the theory of origins or the theory of standards in relation to lin-guistic materials. Our study is broadly and concisely restricted to the opinions of (Ibn Faris) as found in the dictionary (Metrics of Language)، as well as his ideas and sources، together with a synopsis of his life and the most significant things that have been stated about him. We will also discuss criticism in metrics as a particular example of Ibn Faris's

standards-based technique.

Key words: Ibn Faris. Metrics of Language. Phenomenology in methodology.

المقدمة:

يقول (ابن فارس) في شأن منزلة (مقاييس اللغة) هو «باب من العلم جليل، وله خطر عظيم»(١).لذا فهي من منزلة فكرة المقاييس التي قام عليها، العلم بها، وبالطبع فان كلامه صحيح بسب ان العلم المهتم بهذه المقاييس له فوائد كبيرة منها: الترجيح بين الأقوال المتعارضة، بيان أصل بعض الكلمات وتوجيه بعض القراءات القرآنية، والوقوف على مواطن التصحيف، وتعليل التسميات،(٢). علاوة على ذلك، فهو يكشف عن الاختلافات الدلالية بين ما يعتبر مترادفات. ولما كن كل مترادف يرجع إلى غير الأصل الذي يشير إليه، فإن اختلافهما يدل على اتساق صفات أصلهما، وكان ابن فارس ممن أنكر ذلك المرادف، حيث قال وبشكل صريح: ويقول بعضهم: ليس منها اسم ولا صفة إلا ولها معنى يختلف عن المعنى الآخر، أما الأفعال نحو: (مضى) و(انطلق) و(ذهب)، و(جلس) و(قعد)، و(رقد) و(هجع) و(نام)، ففي (جلس) معنى ليس في (قعد) وكذلك القول فيما عداه(٣)، وربما كان وعيه بهذه المقاييس هو سبب اعتقاده، أو سبب اقتناعه. ومن مميزاته الرائعة أنه يسمح لك بدراسة سمة الاشتقاق للغة العربية، ذكر ابن فارس أن أجمع أهل اللغة ان للغة العرب قياسا و العرب تشتق الكلام بعضه من بعض، وعليه سائر كلام العرب علمه من علمه وجهل من جهله(٤).

من الأمور التي يفاد منها ايضا بفضل (المقاييس) هي الإعانة على تعلم اللغة وتعليمها، يقول (ابن فارس) في بيان سبب تصديره الكلام في كل مادة بأصلها: «حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيبا عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه»(٥).

من أجل ذلك كله وغيره اعطى (مقاييس اللغة) مكانا بالغ الاهمية، مفضلا اياها على سائر الكتب في بابه، وعد المعجم الوحيد الذي حاول صاحبه فيه إثبات الصلات الدلالية لما تفرع عن أكثر مواد اللغة(٦)، ومن خلال الكلام عن توسيع دلالات اللغة والنقد الموجود في المقاييس سنكون فكرة عن اراء (ابن فارس).

وجاء عن محقق (المقاييس) (عبد السلام محمد هارون): لا يختلف اثنان ان كتاب (مقاييس اللغة)هو كتاب فذٌّ في هذا الباب وهو مفخرة من المفاخر في التأليف العربي، وربما لم تحظ أي لغة في العالم بمثل هذا الضرب من التأليف(٧).

نبذة عن (ابن فارس):

"أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي" (٨). من قزوين، ولد سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين هجري (٣٢٩هـ)، من احدى قرى الزهراء تدعى: كرسف جياناباذ(٩). تجول في الارض كثيرا، ونزل في عدة بلدان، فقضى وقتا بهمذان(١٠)، وأخذ منه في ذلك الوقت بديع الزمان(١١)، ثم سار إلى الري التي نشاء فيها، بعد ان طلب منه تدريس مجد الدولة أبي طالب بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي، وبفضله اصبح مجد الدولة من النجابة المشهورين(١٢).

تتلمذ (ابن فارس) وتعلم على ايدي الكثير من العلماء اهمهم أبوه الذي كان فقيها شافعيا لغويا أديبا راويا للشعر(١٣)، فتحدث عنه في مقدمة معجمه (المقاييس)(١٤)، وأيضاً أبو بكرأحمد بن الحسن راوية ثعلب، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطّان، الذي روى عنه معجم (العين) (للخليل)(١٥)، كذلك أبو عبد الله أحمد بن طاهر المنجم، الذي قال فيه (ابن فارس):

ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه(١٦).

وبالنسبة الى مؤلفات (ابن فارس) فهي كثيرة شملت فنون متنوعة، قال (الصاحب ابن عباد): «شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف»(١٧)، وللأسف ضاع جزء منها اليوم وما بقي طبع او كان

مخطوطا(١٨)، وقد اختصت بشكل عام بالنحو واللغة وفقهها، وأصول الفقه، والتفسير، نذكر منها: (مقاييس اللغة)، و(مجمل اللغة)، و(الصاحبي)، و(الإتباع والمزاوجة)، و(الفصيح)، و(تمام الفصيح)، و(متخير الألفاظ)، و(خلق الإنسان)، و(ذخائر الكلمات)، و(الليل والنهار)، و(العم والخال)، و(كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين)، و(جامع التأويل في تفسير القرآن)، و(غريب إعراب القرآن)(١٩)، وكانت اخر محطاته الري فقد توفي ودفن فيها ، رحمه الله . سنة (ت٣٩٥هـ)(٢٠).

مما قيل في (ابن فارس):

• قال عنه القاضي (أبو زرعة الرازي): كان واسع الآداب، متبحرا في اللغة العربية، يناظر في الكلام وفي الفقه، وينصر مذهب أهل السنة ومذهب مالك، وطريقته في النحو طريقة الكوفيين. وإذا وجد فقيها أو متكلما أو نحويا، أمر أصحابه فسألوه، فإن وجده بارع الجدل، جره إلى المجادلة في اللغة فيغلبه، ومن عادته ان يشجع الفقهاء للتبحر في اللغة، ويتحاور معهم قي امور ذكرها في كتابه الذي اطلق عليه اسم (فتيا فقيه العرب)، مما يتسبب في احراجهم، فيقودهم شعورهم بالخجل لحفظ اللغة، وعنه انه قال من قصر علمه في اللغة وغولط غلط(٢١).

• وقال (أبو القاسم الزنجاني): ان (ابن فارس) من أئمة اللغة في عصره، يحتج برأيه من غير منازع(٢٢)، ومن تأمل مصنفاته وقع على بعض صفاته. وقد قال (ابن خلكان): هو امام في شتى العلوم وبالأخص اللغة منها فهو لها متقن كما ان له اشعارا جيدة(٢٣).

• كما قال عنه خير الدين الزركلي: «من أئمة اللغة والأدب»(٢٤).

• وقال عبد السلام محمد هارون: كان شاعرا يرق في شعره مما ينم عن ظرف وحسن صناعة على طريقة شعراء عصره(٢٥).

• وللثعالبي: انه من أعيان العلم وأفراد الدهر، يجمع إتقان العلماء، وظرف الكتاب والشعراء، وهو بالجبل مثل ابن خالويه بالشام وابن لنكك بالعراق وابن العلاف في غارس والخوارزمي في خراسان(٢٦).

• قال القفطي: (ابن فارس) كريم النفس جوادٌ، لا يرد سائلا، ومن رؤساء أهل السنة على مذهب أهل الحديث(٢٧).

• وقال ياقوت الحموي: «وكان كريما جوادا لا يبقي شيئا (...) وكان فقيها شافعيا فصار مالكيا»(٢٨).

• وقال الباخَرزِي: «إذا ذُكرت اللغة فهو صاحب مجملها، لا بل هو صاحبها المجمل لها»(٢٩).

مقاييس اللغة (الفكرة والمصادر):

من تمعن في تأليف ابن فارس لاحظ على الفور تقدمه في علم اللغة، وسبب اشتهاره بلقب اللغوي(٣٠)، فهو المتفنن في علوم شتى، وتشهد نصوص بعض من ترجم له ودرس علمه إتقانه إياها وإمامته فيها(٣١)، فقد كان معتنيا بها، مطلعا على أسرارها، فاهما لأصولها، مميزا لصحيحها من ضعيفها(٣٢)، وكيف لا وقد اخرج لنا (مقاييس اللغة) والذي سنتحدث عن فكرتة والمصادر التي استعملها ابا الحسين لتأليف هذه التحفة.

أولاً: فكرة (مقاييس اللغة)

استند معجم ابن فارس على فكرتين اساسيتين هما: (المقاييس) و(النحت)(٣٣)، فذكر الأولى في مقدمته حيث قال: "إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولاً تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ولا أصل من تلك الأصول"(٣٤).

أمّا الثانية فقد أعلن عنها في ثنايا المعجم فقال: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق. وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت (...) والضرب الآخر الموضوع وضعا لا مجال له في طرق القياس»(٣٥).

كما نص عليها في كتابه "الصاحبي" إذ قال: «وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت...»(٣٦).

إن الفكرتين لهما مجرى محدد، الأولى كان لها طريقة الألفاظ الثنائية المضعفة والثلاثية، ونراها غالبة داخل صفحات الكتاب؛ ولهذا اطلق عليه اسمها(٣٧)، اما بالنسبة الى الفكرة الثانية فاتخذت الألفاظ الرباعية والخماسية(٣٨)، وقسمت إلى ثلاثة

أقسام، أولها: إن أكثر هذه الألفاظ منحوت، والثانية: أن بعض هذه الألفاظ موضوع كما هو، والأخيرة: أن بعض الألفاظ الرباعية طغى فيه حرف للمبالغة، قال (ابن فارس): ومنه ما يجيء على الرباعي وهو في الأصل من الثلاثي، يزيدون حرفا فيه يريدون بذلك المبالغة، كما فعلوا في زرقُم وخَلْبنن، لكن هذه الزيادة تقع أولا وغير أول(٣٩).

ثانياً: مصادر (مقاييس اللغة)

اعتمد (ابن فارس) في تأليفه على خمس كتب رئيسة شهيرة يتفق أغلب العلماء على أنها من أكثر الكتب تميزا، واحتوت أغلب مادة لغتنا، وقد أشار اليها في مقدمة معجمه وهي: (غريب الحديث) و(الغريب المصنَّف) لأبي عبيد، و(إصلاح المنطق) لابن السكيت، و(جمهرة اللغة) لابن دريد، وكتاب (العين) للخليل، وهو أعلاها وأشرفها كما وصفه (ابن فارس). وقد أخذ كل أولئك عن مشايخه بالسند المتصل إلى أصحابها، وزاد فيه من النوادر ما اشترط أن ينسبه إلى قائله(٤٠).

وممن الممكن عند النظرة الاولى لـ (مقاييس اللغة) أن يتوهم القارئ بأن (ابن فارس) لم يسند كثيرا من الأقوال التي أوردها، إلى أصحابها، ومردّ ذلك لدى (حسين نصار) هو ميله إلى الاختصار، مع أنه يشهد أن (ابن فارس) أكثر من (ابن دريد) و(الخليل) تصريحا بأسماء اللغويين، وهذا كلام الباحث بحروفه: «وقد أورد في كثير من الأحيان تكون أقوال اللغويين دون نسبة صريحة اكتفاء بعبارة مبهمة مثل قالوا، ويقال، وقيل. ومهما يكن من أمر فإنه أكثر من الخليل وابن دريد احتفالا بأقوال غيره من اللغويين، وأكثر تصريحا بأسمائهم»(٤١).

وذكر هذا أيضا في بيان آثار إيثاره الاختصار: «عدم ذكره أسماء بعض اللغويين الذين يقتبس منهم، وخاصة الخليل وابن دريد وابن السكيت وأبي عبيد، اكتفاء بما قاله في مقدمة الكتاب»(٤٢).

ويظهر من كلام الباحث المسوق أولا أنه استدل على ترك (ابن فارس) نسبة كثير من أقوال اللغويين، بألفاظ ألفاها في (المقاييس) من مثل: قالوا، ويقال، وقيل. مع أن هذه الألفاظ لا تنصرف بالضرورة إلى اللغويين، وإنما الحاكم على ذلك السياق. وربما كان انصرافها إلى غيرهم أكثر، وهم العرب المأخوذ عنهم. كما كان يستعمل أمثال تلك الألفاظ تلويحا بضعف القول، وفي المعجم شواهد ذلك.

اتساع الدلالة في (مقاييس اللغة)

اهتم (ابن فارس) بالتطور الدلالي في معجمه "المقاييس"، حتى من دون ان يشعر بذلك، فجاء اهتمامه بسبب الغرض الذي يهدف اليه، وهو ارجاع الفروع إلى أصلها، فكشفه للدلالات التي تستجد على الكلمات يفي عنه ردها إلى الأصل المقرر، ولهذا فهو يكتفي بإرجاع الدلالة الأولى للكلمة فقط.

يقول (حسين نصار): « ومن الظواهر البارزة في المقاييس عناية المؤلف بالعبارات المجازية وهو ينبه عليها ويصرح بأنها من المجاز أو المستعار أو المشبه أو المحمول، وقد يضعها في آخر المادة..... كل هذه الأنواع المجازية يميل الى تأخيرها في المواد فلا يضع بعدها الا الشاذ عن أصوله، وربما لا يصرح المؤلف بأن الصيغة التي يتناولها مجازية لكنه يشير الى ذلك بعبارة يفهم منها ما يريد»(٤٣).

ويتحدث (فايز الداية) بشأن اهتمامات اللغويين القدماء بظاهرة التطور الدلالي وأول ما يشير إلى كتابات (ابن فارس) في (المقاييس)؛ لأنه وقف عند بداية الكثير من المواد اللغوية مرجعا إياها الى أصل أو اثنين اكثر تتفرع عنهما الفروع عن طريق المجاز والتطور الدلالي(٤٤)، ويمكن تمثيل ذلك بقوله: إن (الصاد والباء والعين) في (صبع)أصل واحد، هو إصبع الانسان، ثم يستعار فهو الأثر الحسن ايضا، وهذا مستعار(٤٥)، ومما نحن فيه قوله أيضا؛ لفظ (عين) ف(العين والياء والنون) أصل صحيح يدل على عضو الإبصار ثم يشتق من ذلك الأصل، ومنه العين الجارية من عيون الماء، تشبيها بالعين الناظرة وذلك لصفائها ومائها، ومنه السحاب المقبل من ناحية القبلة، يسمى (عينا) وهو تشبيه لمشبه سبقه؛ كونه شبه بعيون الماء التي شبهت بعيون الانسان(٤٦).

وأدرك (ابن فارس) أنواع التطور الدلالي أيضاً، فكان يشير لها بعبارات تدل على ذلك، يقول أحد الباحثين: «وقد تتبع

ابن فارس في المقاييس "دراسة في المنهج"

ابن فارس مظاهر هذا التغير وأحصاها»(٤٧)، ومثال ذلك قوله في الأصل (ركض) بأن (الراء، والكاف والضاد) "أصل واحد يدل على حركة الى قُدُم أو تحريكٍ يقال رَكَضَ الرّجُل دابتَه، وذلك ضربه اياها برجليه لتتقدم وكثر حتى قيل رَكضَ الفرسُ وليس الاصل"(٤٨)، وهذا الشكل يسمى اتساع الدلالة. سنتطرق إلى بعض الأمثلة عن اتساع الدلالة لإيضاح اراء (ابن فارس) بشكل أوسع:

أولاً: اتساع الدلالة في (الأَسير):

جاء في (مقاييس اللغة) أن (الهمزة والسين والراء) في(أسر) هي أصل مطّرد الحبس والإمساك ومنه الأسير، يشد بالقد وهو الإسار، وأسر قتَبَه إذا شدّه، وصار كل أخيذٍ (أسيرا) وإن لم يؤسر(٤٩).

نرى ان ابن فارس أرجع لفظ (الأسير) إلى دلالة الإمساك والحبس، مشيرا بوضوح انّ تفسيره: الممسك المحبوس؛ بسبب ان الأسير بمعنى المأسور، قال الجوهري: أَسَرْتُ الرّجل أَسْرا وإسَارا فهو أَسِيرٌ ومأسُور(٥٠)، وفي قول ابن فارس(من ذلك) و(منه) اشارة واضحة على الاشتقاق، وهي عبارات كثيرا ما ترد فب (المقاييس)، وربما دل على التطور الدلالي (٥١)؛ فإن (ابن فارس) لم يتقيد في التعبير، وإنما تجوز فيه اتكالا على السياق المبين؛ ولا مشاحة إذا كان المقصود ظاهرا.

وفي تعليله للتسمية هنا إيماءة إلى دلالة (الأسير) الأولى؛ وهي المقيد بالإسار، حيث اشتق له اسم منه، فسموا (أَسيرا) من كان بـ(الإسار) محبوسا. فقد دلّ الفعل (أسر) على معنى الـ(شدّ) وليس الـ(حبس)، ويفاد من هذا التعليل اذا اقترن لفظ (الأسير) بذكر الدلالة الحادثة فقط، أما اذا لم تقترن الدلالة الحادثة فهو بيان لعلة التسمية لا غير، والدلالة الحادثة اشار اليها (ابن فارس) بإرجاع (الأسير) إلى دلالة الحبس، وصرّح بها عندما قال: (فسمي كل أخيذ وإن لم يؤسر أسيرا)، ونرى انها أوسع من الأولى؛ مما يدل على ان هذا تطورا دلاليا بالاتساع.

وقد تابع (ابن فارس) من قبله في القول، ينقل (ابن السكيت) في كتابه (إصلاح المنطق) عن الأصمعي(٥٢)، وهو احد الكتب الخمس التي استعان بها (ابن فارس) كما قال في مقدمة معجمه (مقاييس اللغة)(٥٣).

ثانياً: اتساع الدلالة في (الثَّكَل):

قال (ابن فارس): إن (الثاء والكاف واللام) في (ثكل) هي أصل واحد يعني فقدان الشيء، وكأنه يختص بفقد الولد. يقال: ثكلته وتثكّله ثكلا، ولأمه الثكل فإن قيل لمن ليس له ولد فهو يحمله على ذلك(٥٤).

ولأنه ذكر كلمة واحدة فلم ينص على أصل لهذه المادة؛ وهذا عادة (ابن فارس) في شبيهاتها مثل (دمغ) او (أرج)، فهو يعطي التأصيل فقط للكلمات التي لها مشتقات، وكأن ما انتهى الينا من كلام العرب من دلالاتها ليس إلا (الثّكل).

قال عبد الكريم محمد حسن جبل: لم يعين ابن فارس دلالات محورية لبعض الجذور؛ لعدم اشتمالها على استعمالات وافرة (...) وذلك كأنها الفاظ لها استعمال واحد أو استعمالين مثلا(٥٥).

ودلالة(الثكل) عند (ابن فارس) خسارة الشيء أو فقدانه، وتعتبر دلالة عامة لم يجد لها مثيلا عند أحد من اللغويين، مع أن في طي كلامه يفهم بأنه يريد الإنسان بـ (الشيء)، فلو اراد الفقد على حقيقته للزم عنه أن فقدان المتاع ثكل كذلك، وما سمعنا بهذا في الأولين والآخرين، ونبه ابن فارس على أن أكثر ما يستعمل (الثكل) في فقدان الولد بقوله: (فكأنه)، لتي أفادت هنا الظن، ونبه كذلك على أن نسبته للأم أكثر منها للأب؛ حين اصطفاها بيانا لتصاريف فعل (الثكل)، وباستعماله (يقال) التي أفادت هنا التكثير(٥٦). كما استعمل (الحمل) هنا تبيانا للتطور الدلالي، كما يفعل في مواضع مختلفة، ويستعمله أيضا لبيان الاشتقاق(٥٧)، كما استعمل (الأصل) لبيان الدلالة الأصلية. وكثيرا ما يستعمله لبيان الدلالة المحورية، وتسليما بقول (ابن فارس) تكون دلالة (الثكل) قد تطورت بالاتساع من فقد الأم ولدها إلى فقد الإنسان حبيبه(٥٨).

النقد في مقاييس اللغة

يبدو لنا أن النقد يعد امرا مرابطا لفكرة الاصول، المنهج الذب قدمه (ابن غارس) في (مقاييس اللغة)، فأنجبت فكرته هذه أكثر الاحكام النقدية في (المقاييس)، والتي جاءت في أقسام أربع هي:(نقد المادة اللغوية، نقد الألفاظ وتفسيرها،

ابن فارس في المقاييس "دراسة في المنهج"

نقد اللغويين، ونق الشعر)، وانتهج (ابن فارس) طرق مختلفة للتعامل مع المادّ اللغوية التي تلقاها عن من سبقه من اساتذته ، ويمكن ان نلخص منهجه في نقد اللغة على ثلاث محاور؛ أولها، الحكم بالضعف والثاني، المقارنة المجردة، أما الثالث فهو المقارنة والترجيح(٥٩).

كما لاحظ الدارسون في مواضيع اللغة أن ثمة نضجا واضحا للنقد في معجم (المقاييس)(٦٠). معللين هذا النضوج بأمثلة مما ورد في المعجم من ذلك لفظ (توخ): (تاخت الإصبع مثل ثاخت)، ويرى بأنّه قد يكون تصحيفاً، يقال: (تاخت الإصبع في الشيء الرخو) وهو بالثاء(٦١)، وبالرجوع الى المقاييس مادة (ثوخ) يقول (ابن فارس) إنّ (الثاء والواو والخاء) ليست بأصل وأنها قد أبدلت من (ساخت)، وربما قالوها بالتاء (تاخت)(٦٢).

ورغم أن ظاهرة النقد في معجم (مقاييس اللغة) قد كشفت عن قدرة علمية وامكانية واضحة تميّز بها (ابن فارس)، إلا أنها لم تصل إلى هذا المستوى في كتابه (المجمل في اللغة). فقد نقد (ابن فارس)المادة اللغوية كلها في مقاييسه، ولعل نقده للأصل (بيظ) واضحا في قوله إنّ (الباء والياء والظاء) "كلمة ما اعرفها في صحيح كلام العرب ولو انهم ذكروها ما كان لإثباتها وجه: قالوا: البَيْظُ ماء الفَحْل"(٦٣)، ولم نجد نقدا لهذه المادة اللغوية في (المجمل)، فالمصنف يذكر المادة اللغوية دون اي نقد أو تشكيك، فـ(البيظُ): (ماء الفَحْل)(٦٤)، ويبدو منهج القياس الذي سلكه في عموم لم يلحظ في بعض مواضع المعجم ، مثلما حصل في مادة (تول)؛ يقول:(التاء والواو واللام) "كلمة ما احسَبُها صحيحةً لكنها قد رويت. قالوا التِوَلَةُ جنس من السَّحْر"(٦٥). نراه هنا قد شكك فيها، الا إنه وضع أوردها لأنها وصلت بالرواية فلم يسطع تجاهلها أو اغفالها بينما يورد ذات المادة اللغوية في (المجمل) من دون تشكيك(٦٦).

وقد نقد (ابن فارس) بعض الألفاظ في (مقاييس اللغة) فيما لم ينقدها عندما ذكرها في (المجمل) كما في مادة (صير)يقول: " فأما الصّير، وهو شيء يقال له الصّحْناة، فلا أحسبه عربيًّا، ولا أحسب العربَ عرفتْه، وقد ذكره أهل اللّغة، ولا معنى له" (٦٧). كما عرف عنه ترجيحاته لبعض الآراء على بعض مع التعليل، من ذلك قوله: "والظّعينة، مما يقال فيه، فقال قوم: هي المرأة، وقال آخرون: الظّعائن الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن، وهذا أصحّ القولين، لأنه من أدوات الرّحيل"(٦٨)، فكان ميله الى هذا الرأي توافقه مع المعنا الاصلي لـ(الظّعن) وهو الشخوص والانتقال من مكان لآخر.

وكان (ابن فارس) يتخير اللفظ الصحيح على اللفظ المشوب، لذا حرص على ذكر جميع الاصول التي يقتنع بها، اما الذي يشك فيه فيصفه بالشاذ او الضعيف(٦٩).

فقوله في (حدم) ان (الحاء والدال والميم) أصل واحد؛ هو اشتداد الحر، ومنه احتدمت النار ولها حدمة اذا اشتد حرها وكذلك احتدم النهار. وأحدمت (الشيء) الشمس فاحتدم، ومنه احتدام الصدر؛ اذا امتلأ غيضا غيظاً، واحتدام الدم اذا اسود من شدة حمرته، والصحيح أن يشتد حره(٧٠). كما نراه يرجح أحد قولين في الاصل (شيط)، فـ (الشين والياء والطاء) "أصلٌ يدلُّ على ذهاب الشيء، إمّا احتراقًا وإما غَيرَ ذلك. فالشَّيْط من شاط الشيء، إذا احترق، يقال شيّطت اللحم، ويقولون : شَيَّطَه إذا دَخَّنه ولم يُنْضِجه، والأوّل أصحّ وأقيس"(٧١).

الخاتمة:

يعتبر العلامة (ابن فارس) من العلماء الذين ازدانت بهم الدراسات اللغوية في القرن الرابع الهجري، كما أنه يعد من العلماء المبرّزين الذي حفظ لهم التاريخ سيرتهم وفضلهم بما تركوه للأمة من تراث خالد، ومجد تليد ومؤلفاته ومصنفاته وتراثه شاهد على ذلك.

كما ان معجم (مقاييس اللغة) من المصادر اللغوية المهمة التي لا يمكن لدارس اللغة الاستغناء عنها في دراسة المستويات اللغوية، ويكفيه فضلا وشرفا أنه أول مصدر من مصادر العربية التي أرجعت معظم مواد اللغة إلى أصل واحد تؤخذ منه وترد إليه.

ومن الجدير بالذكر أن رد استعمالات التركيب الواحد إلى أصل تحمل عليه وترد إليه يعد لونا من ألوان الاشتقاق في

ابن فارس في المقاييس "دراسة في المنهج"

اللغة العربية ومظهرا من مظاهر حيويتها، وقدرتها على التجديد، وهو أيضا مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقتها للذوق الإنساني في اعادة الجزئيات إلى كلياتها، وربط المعاني المتعددة بالمعنى الأصل الجامع الذي يجمعها من شتاتها ويؤلف بينها برباط النسب والقرابة.

وقد برزت شخصية ابن فارس في معالجة القضايا اللغوية التي تناولها في معجمة مقاييس اللغة" فلم يكن مجرد ناقل لآراء العلماء الذين استقى منهم مادة كتابه، ولكنه تناولها بعين الناقد البصير، والطبيب الحاذق الذي يشفى بدوائه ألم الداء.

الهوامش:

(١) بن فارس، مقايس اللغة، (المقدمة)، ١/١

(٢) ينظر: الحمد، محمد إبراهيم، فـقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، ٣٨٥–٣٨٧

(٣)ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، ٥٨.

(٤) ينظر: الصاحبي، ٣٣–٣٤.

(٥) مقاييس اللغة ٢/١

(٦) ينظر: نصار، حسين، المعجم العربي النشأة والتطور، ٥/٢

(٧) ينظر: مقاييس اللغة،١/ ٤٥ (مقدمة الناشر).

(٨) ابن خَلِّكَان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان،، مج١ /١١٧

(٩) ينظر: مقاييس اللغة، /١ ٣ (مقدمة الناشر).

(١٠) ينظر: الزركللي، الأعـلام، ١٩١/١

(١١) ينظر: مقاييس اللغة٦/١

(١٢) ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٤١٢/١

(١٣) ينظر: مقاييس اللغة ٨/١

(١٤) ينظر: المصدر نفسه، ٧/١.

(١٥) ينظر: الحموي، معجم الأدباء ،٤/ ١٦٤٣

(١٦) ينظر: المصدر نفسه، ٤١٠/١.

(١٧) المصدر نفسه ٤١٠/١

(١٨) النوري، محمد جواد وعلي خليل ، مقايس لغة بن فـارس تنبيهات وتصحيحات، مجلة مـجمع اللغة العربية، العدد٤٨/٩٧

(١٩) ينظر: الزركلي، ١ /١٩٣

(٢٠) ينظر: الحموي، ٤١٦/١.

(٢١) ينظر: ابن فارس، فتيا فقيه العرب، ٤٥٤–٤٥٧

(٢٢) ينظر: القفطي، إنباه الـرواة على أنباة النحاة، ١٣/١

(٢٣) ينظر: ابن خلكان، مج١، ١١٧

(٢٤) االزركلي، ١٩٢/١

(٢٥) ينظر: ابن فارس، المقاييس١١/١ (مقدمة الناشر).

(٢٦) ينظر الثعالبي، ٤٦٣/٣

(٢٧) ينظر القفطي، ١٢٩/١

(٢٨) الحموي، ٤١٠/١

(٢٩) بن فارس، المـجمل ١٣/١.

(٣٠) لُقِّب بن فارس به في: الكامل في التاريخ، وطبقات ابن الصلاح، ووفيات الأعيان، والبداية والنهاية، وطبقات النحاة واللغويين، وغيرها، اطلع على هامش بن فـارس، المجمل في اللغة، ١٠/١

(٣١) ينظر العسكري، ديوان المعاني، ٦

(٣٢) ينظر ، المقاييس ٢٣/١

(٣٣) ينظر الحمد، محمد براهيم، ٣٨٤
(٣٤) مقاييس اللغة، ٢/١
(٣٥) المصدر نفسه، ٣٢٩/١
(٣٦) الصاحبي ٢٠٩–٢١٠
(٣٧) ينظر: نصار، حسين،٤٣٦/٢
(٣٨) ينظر: المصدر نفسه، ٤٣٨/٢
(٣٩) ينظر المقاييس٣٣١/١
(٤٠) ينظر المصدر نفسه ٣/١–٥
(٤١) نصار، حسين ٢/ ٣٦٢
(٤٢) المصدر نفسه، ٢/ ٣٥٧
(٤٣) نصار، حسين ٢/ ٣٦٠–٣٦١
(٤٤) ينظر الداية، فايز، علم دلالة العربي٢٣٢
(٤٥) ينظر المقاييس ٣٢٩/٣–٣٣١
(٤٦) ينظر المقاييس ٢٠١/٤
(٤٧) طليمات، غازي٥ نظرات علم دلالة الألفاظ عند ابن فارس اللغوي، ٤٧
(٤٨) مقاييس اللغة، ٢ /٤٣٤
(٤٩) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٠٧
(٥٠) ينظر: الصحاح(اسر)، ٤٣٤/٢
(٥١) ينظر: مقاييس اللغة، ٤٣٤/١
(٥٢) ينظر ابن السكيت، إصلاح المنطق، ٣١٨
(٥٣) ينظر مقاييس اللغة ٥/١ (مقدمة الناشر).
(٥٤) ينظر نفس المصدر ١ /٣٨٢.
(٥٥) ينظر جبل/ عبد اتلكريم محمد حسن ٩٧–١٠٠
(٥٦) ينظر الزركشي، ٣ /٣٢٩
(٥٧) ينظر الأصمعي، اشتقاق الأسماء، ٩–١٣.
(٥٨) ينظر جبل، عبد الكريم محمد حسن، ٢٦.
(٥٩) ينظر. رضوان، محمد مصطفى ١٦٥
(٦٠) ينظر: رضوان محمد مصطفى ١٦٥ ، نصار، جسين ٣/ /٤٤٨ ، العاني، نورية ذاكر ٣٦.
(٦١) ينظر مقاييس اللغة.١ /٣٥٦
(٦٢) ينظر مقاييس اللغة ١/ ٣٩٥.
(٦٣) المصدر نفسه، ١/ ٣٢٦
(٦٤) مجمل اللغة ١٤٠
(٦٥) المصدر نفسه، ٣٥٩/١
(٦٦) ينظر مجمل اللغة، ٣٣٩/١.
(٦٧) مقاييس اللغة ١/ ٣٥٧
(٦٨) مقاييس اللغة، ١ /٤٥٦
(٦٩) ينظر مقاييس اللغة ٣ /١٧٥
(٧٠) ينظر المصدر نفسه، ٣٤/١
(٧١) المصدر نفسه، ص١/ ٢٣٣

ابن فارس في المقاييس "دراسة في المنهج"

المصادر:

١– الأصمعي، ابي سعيد عبد الملك بن قريب (ت٢١٦هـ)، اشتقاق الاسماء، تحقيق: رمضان عبدالتواب وصلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٢–ابن خَلِّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي، الإربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مج١.

٣–ابن السكيت. أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٣هـ)، إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ١٩٤٩.

٤– ابن فارس، احمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الفاروق الطباع. مكتبة المعارف، ط١، لبنان، ١٩٩٣.

٥– ابن فارس، احمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، فتيا فقيه العرب، تحقيق: حسين علي محفوظ ١٣٧٧هـ– ١٩٥٨م.

٦–ابن فارس، احمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢ بيروت،١٩٨٦ ج١

٧–ابن فارس، احمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٩، ج.

٨–الثعالبي ابي منصور عبد الملك النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان، ١٩٨٣.

٩–جبل، عبد الكريم محمد حسن، الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة، دراسة تحليلية نقدية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع٢٦ ج٢، ٢٠٠٠.

١٠–الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت(١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م).

١١–الحمد، محمد بن إبراهيم، فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه، دار ابن خزيمة، ط١، الرياض، ٢٠٠٥

١٢– الحمد، محمد بن إبراهيم، فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه. منقول عن: مجلة مجمع اللغة العربية ١٥/١٠ من بحث معجم "مقاييس اللغة" للأستاذ عبد السلام هارون.

١٣–الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي(ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ج٤، ١٩٩٣.

١٤–الداية، فايز، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر، ط٢ دمشق، ١٩٩٦.

١٥– رضوان، محمد مصطفى، العلامة اللغوي ابن فارس اللغوي، دار المعرف – مصر، ١٩٧١م.

١٦–الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط١، ١٩٩٤.

١٧–الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام، ج١، دار الملاين للطباعة والنشر، ط٥، ٢٠٠٢.

١٨–طليمات، مختار، نظرات في علم دلالة الألفاظ عند أحمد بن فارس اللغوي، جامعة الكويت. الكويت مجلس النشر العلمي، ١٩٩٠.

١٩– العاني، نورية ذاكر، المعجمات العربية نقد وتقويم، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط١ ١٩٩١م.

٢٠–العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران(ت نحو ٣٩٥هـ)، ديوان المعاني، تحقيق: احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ١٩٩٧، ج١

٢١–القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج١، تحقيق: محمد ابو الفضل، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٦.

٢٢–نصار، حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ط٤، ١٩٨٨.

٢٣–النوري، محمد جواد وعلي خليل حمد، مقاييس اللغة لابن فارس تنبيهات وتصحيحات، مجلة مجمع اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، طرابلس، العدد١٩٩٥، ٤٨.

بنية العنوان والمفارقة في مجموعة مثل نبيٍ يتوسَّلُ معجزةً

م.م إيمان عبد الجبار جمال
جامعة الامام جعفر الصادق (عليه السلام) كلية الاداب

المستخلص:
تعد المفارقة البناء الحديث وهي من أهم المكونات التي وظفت في الأدب العربي، وتعني ما يخرج عن المألوف، عن طريقها نتعرف على دلالات ومعاني التي يعبر بها الكاتب عمّا يجول في ذهنه، إذ وظف سلام مكي المفارقة لعتبات العنوان بأنماطها المختلفة: اللفظية، والسياقية؛ لينتج عن دلالات النصوص الخاصة بهِ.
ووظفها الشاعر؛ ليعبر عن الدلالات التي عاشها في ظل ظرف بلده، فصنع من حروفه صوراً شعرية بارعة، من خلال مفارقات العتبات النصية للعنوانات الخارجية والداخلية، فضلا عن توظيف الآيات القرآنية بصور مختلفة من القرآنية المباشرة المحورة والمباشرة غير المحورة ليضيف مسحة جمالية دينية على رونقه الأدبي.
الكلمات المفتاحية: المفارقة، المفارقة اللفظية والسياقية، عتبات العنوان ، القرآنية.

Abstract:
Irony is considered a modern construct and one of the most important components employed in Arabic literature. It means what goes outside the ordinary. Through it، we learn about the connotations and meanings with which the writer expresses what is on his mind، as Salam Maki employed irony for the title thresholds in their various styles: verbal and contextual، To result from the meanings of its texts. And the poet employed it; To express the connotations that he experienced in light of the circumstances of his country، he created brilliant poetic images from his letters، through the contrasts of the textual thresholds of the external and internal titles، as well as employing Qur'an verses in different forms، from direct، modified، and direct، unaltered، to add a religious aesthetic touch to his literary elegance.
Keywords: irony، verbal and contextual irony، title threshold، the Qur'an.

المقدمة:
تعد المجموعة ذا أهمية أدبية إذ ذكرها "ناجح معموري" حول غلافها قائلاً: يلتقط سلام مكي ما هو مذوب، ليجعل منه ما هو خاص به.. وشعره يعيد انتاج الارتباك في اللامعقول ويومئ به، أسطوريات محتشدة في كثير من نصوصه المفضية لأحلام العود الرمزي.. ويعد شاعر النواة الصغيرة، والخلايا المشكلة لوحدات شعرية صلتها باليومي واضحة.
وهو شاعر عراقي من الحلة تولد ١٩٨٦م ، حاصل على بكالوريوس قانون جامعة بابل ٢٠٠٩، وبكالوريوس تربية، قسم اللغة العربية، جامعة بابل ٢٠١٥، ويعمل عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب، وله عدة مؤلفات تم ذكرها في غلاف المجموعة التي نقوم الدراسة عليها، وسوف تدور الدراسة حول فقط هذه المجوعة على ثلاث مباحث ومنها "مفهوم بنية المفارقة، العنوان عتبة نصية، القرآنية" ، فضلا عن خاتمة تحتوي على أهم النتائج.

المبحث الأول:مفهوم بنية المفارقة
لمعرفة مفهوم البنية فيجب ان نرجع إلى الأساس في مفهومها لوجدنا أن البنية مشتاقة من أصل لاتيني بمعنى البناء التشديد(structure)، من أصل (struere)، وهذا المعنى ليس حديثاً إنما استعمل بالتراث اللساني العربي وتعرف البنية صلاحاً هي الكيفية التي تنظم بها عناصر التركيب ما(١)،ويبين هذا أن أي مجموعة تحتوي على عناصر فيجب ان

بنية العنوان والمفارقة في مجموعة مثل نبيٍ يتوسَّلُ معجزةً

تكون داخلها بنية.

فيجب العودة الى المعجم العربي لمعرفة تعريف هذه البنية وتعني ((البُنْيَةُ: ما تُبنِيَ– بُنى– ما بنىُ – بِنَىً وهي البناء، ومنه بنية الكلمة: أي صيغتها))(٢).

ما يدل هذا التفسير من بنية الكلمة هي صيغتها؛ لذلك تعد البنية مهمة جداً في النص الأدبي، أما الآن نتطرق إلى المفارقة لبيان مفهوم بنية المفارقة على نحو أوضح.

تعرف بنية المفارقة بأنها أسلوب بلاغٍ ويكون معنى متضاداً مع المعنى الآخر، ويعد مفهوم المفارقة ذا توظيف مهم في الأدب، والشعر بشكل خاص عبر المتضادات التي تنبع من نص القصيدة بدلالات مختلفة(٣).

إذ شاع هذا المفهوم في الغرب ((وظف المفارقة شعراء كبار في الغرب منهم شكسبير وإليوت.. إلخ، ولا يقتصر في الغرب إنما في العرب قديما وحديثا؛ وذلك لأن أغلب القصائد الشعر العربي تعتمد على عناصر المفارقة سواء كانت لفظية أو سياقية وتقاس المفارقة بشدة التضاد كل ما زادت زادت حدة المفارقة))(٤).

لذلك تعرف المفارقة في معجم المصطلحات الأدبية هي((تناقض ظاهري، لا يلبث أن نتبين حقيقته، وهي ذات أهمية خاصة بحكم أنها لغة شاعرة، لا مجرد محسن بديعي، فهي إثبات لقول، يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما، بالاستناد إلى اعتبار خفي على الرأي العام))(٥)، ويقصد به التناقضات في المعنى والدلالات التي توجد في النص وتنسب بحسب صياغتها ولغتها الشعرية للتعبير الخفي.

فضلاً عن تعريف الدكتور علي عشري زيد حول المفارقة ووصفها بأنها((تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين، بينهما نوع من التناقض))(٦).

وهذا تناقض له أهمية في دلالية عند الشاعر، وأصبح يتردد هذا المفهوم بكثرة في الأدب العربي المعاصر، واعتبرت المفارقة صيغة للتعبير الأسلوبي عن المعنى الخفي ضد المعنى الظاهر، وبات توظيفه شائع في الدراسات الحديثة التي تقوم على دراسة النص الأدبي واستنطاقه باحتمالات المفارقة (تضاد) المتعدد(٧).

ولمعرفة أنواع المفارقة، فالمفارقة على نمطين أساسيين همّا:

أولاً: المفارق اللفظية: ويعني من المفارق اللفظية إن((المعنى الظاهري واضحاً ولا يتسم بالغموض وذا قوة دلالة مؤثرة))(٨)، حيث يمكن للقارئ معرفتها بسهولة كونها ((تعد من أوضح الأشكال المفارقات وأبسطها في الإبداع العربي الحديث))(٩)، ووظف الشاعر سلام مكي المفارقة اللفظية في نصوصه حينما قال:

كرماح حمر
لأكون: إلهاً للحقول
التي تحصدها المناجل
قبل أوانها(١٠).

وفي قصيدة أخرى يقول:

السيف الأحمر
هوى على رأسه
كمقصلة(١١) .

نجد أن الشاعر وظف المفارقة اللفظية في صورتين شعرية الأولى (رمح حمر)، والثانية (سيف أحمر)، وأن المعنى الحقيقي الظاهر (الرمح والسيف) ليس باللون الأحمر، لكن جعل الشاعر من هذا الاختلاف مفارقة لفضية ذات دلالة على اللون الأحمر الذي يرمز إلى لون القتل والدم أي بمعنى الرمح والسيف الملطختان بالدم والموت والقتال.

ثانياً: المفارقة السياقية: وتعني مفارقة الموقف أو الحدث، وتعتمد على حس الشاعر الذي يرى به الأشياء والأحداث فيما يحيط به(١٢)، إذ وظف سلام مكي هذه المفارقة عن طريق نصوصه إذ قال:

أريد شرعاً بلا سفينة
كي أبحر إليك دون رجعة
أريد نجمة تعصمني من العتمة
ونسمة من القيظ
وصمتاً من الصراخ(١٣).

وتبرز المفارقة السياقية بين المتناقضات وبين إحساس الشاعر، فكيف تبحر السفينة من دون الشراع ؟ وهذا دلالة على روحه التي أصبحت مميتة بسبب واقع المرير، فالسفينة هي روح الشاعر، والبحر هي حياته التي عاشها التي ارد الذهاب منها دون رجعة، وهذا دلالة على الألم الذي عاشه الشاعر في ذلك الوقت .. ثم يوظف تضاد آخر في نهاية النص نفسه قائلاً: (وصمتاً من الصراخ) فالمعنى اللغوي للصمت هو متضاد مع المعنى الصراخ (الصمت x الصراخ)، إذ برز الشاعر صورة شعرية اتكئ فيها على التضاد ليصور عالم القصيدة والآلام التي عاشها فجمع بين متضادين (الصمت)، (الصراخ)، وهذا دلالة على كتمان الشاعر للألم الذي يسكن داخله رغم داخل الشاعر بركان من الألم لكن يظهر بروح ساكنة وهادئة. فضلا عن توظيف الشاعر تكنيك فني من المفارقات وهي مفارقة أسلوبية((تعد المفارقة الأسلوبية تكنيكاً فنياً لجأ إليه الشاعر المعاصر فاستخدمه لإبراز التناقض بين طرفي متقابلين بينهما نوعاً من التناقض))(١٤)، فرسم الشاعر سلام مكي تناقضات عبر نصه الشعري إذ قال:

مثل رصاصة بلا بارود
مثل ظل، بلا جسد
مثل باحة، بلا شمس
مثل قضبان، بلاسقف(١٥).

وأعتمد الشاعر في هذا النص تكنيك إطار تعبيرياً عاماً وجمع بين المتناقضات والشيء المناقض له، فكيف تكون قيمة الرصاصة من دون البارود ؟ ، وهي دلالة على أن رصاصة لم تقتل أحداً، ثم صور الشاعر الجسد بلا ظل، لمن يكون ذلك الظل إذاً؟ وهنا أيضا دلالة على عدم وجود الجسد، وذلك لعدم وجود ظل له، ثم صور الشاعر حول النفس الحبيسة رغم أنها حرة عندما قال (قضبان بلا سقف) القضبان بمعنى المعتقل، فهل يجوز المعتقل الذي يسجن فيه بلا سقف! وذلك دلالة على ان الشاعر رغم هو على قيد الحياة لكن يعيش في ظروف تجعل الشاعر يعبر عن هذه الظروف بهذه الصورة الشعرية متناقضة ذات مفارقة حادة، فالحياة التي يجب أن يكون فيها حر فعاشها الشاعر بين القضبان.

المبحث الثاني: العنوان عتبة نصية

يقع العنوان تحت ظل مصطلح العتبات النصية ويعد ذا أهمية في النص الأدبي، وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت عناية النقاد والعلماء بدراسة العتبات النصية ومن أبرز الدراسات دراسة جيرار جنيت كونه يعد ((من الأوائل الذين تبنوا قضية العتبات عن طريق بحثه المعمق في كتابه " أطلس palimpsestes" ، وكتابه "عتبات senils " عبر عن الانتقال من مركز الاهتمام في شعرية نصية إلى أخرى متعالية))(١٦).

فضلا عن تعريف جنيت للمناص في عتباته وعدُ ((نمط من أنماط المتعالية النصية وشعرية عامة يتشكل من رابطة، هي عموماً أقل ظهوراً وأكثر بعداً من المجموعة الذي يشكله عمل أدبي))(١٧)، وعن طريق هذا التعريف تبرز أهمية المتعاليات النصية الذي ينتمي لهم العنوان فضلا عن ((إن العتبات النصية في الشعر الحديث نص جديد يدعم النص الأصلي، وتقف على الصالة النص الأدبي وتفرده))(١٨)، وهذا ما يوضح تسليط الضوء على النص الحديث دون إلغاء النص القديم وأضاف

بنية العنوان والمفارقة في مجموعة مثل نبيٍ يتوسَّلُ معجزةً

العنوان في تشكيلة إضاءة للنص للكشف عن دلالات النصوص داخل العمل الأدبي.

إذ يعد العنوان هو ضمن "النص المحيطين النشري" للمناص النشري الذي يشمل كلّ من الغلاف العنوان الرئيسي واسم المؤلف والأيقونة .. إلخ(١٩).

وعندما ندرس عتبة النصية للعنوان عن طريق المفرق نجد أنه غلاف المجموعة (مثل النبي يتوسل معجزة) يشد انتباه القارئ في عالم المفارقات مما نجد التشكيل البصري يحمل العديد من المفارقات، كما موضح في هذا النحو:

كيف بجو كئيب وسماء غائمة يوجد ظل للمقعد؟ أي كيف يتولد الظل دون ضوء الشمس وسط جو غائم! ، مما نجد حمامة بيضاء اللون تحمي خلف ظل ومقعد، ونلاحظ توجد قطة سوداء اللون فوق المقعد ذا لون أحمر.

وعن طريق هذه الأيقونة تكون لنا صورة من المتناقضات التي تزيد حدة المفارقة وهي:

القطة x الحمامة

اللون الأسود xاللون الأبيض

صورة ظل x دون ضوء.

في بداية الأمر يعكس تناقضات الألوان "الأسود x ولأبيض" تناقضات إحساس الشاعر؛ لذلك وظف الشاعر في الغلاف تقنية الضوء بالألوان المتضادة ((تعد تقنية الإضاءة الأكثر فعالية في تجسيد ترجمة التحولات دراماتيكي في تسلسل البناء الدرامي للوصول إلى بث علامات الثيمة الرئيسة على نحو إشارات إيحاءات تحمل دلالات واضحة ومعروفة من قبل المشاهد، وصولا إلى الذروة الأساسية للموضوع بعد تقسيم الأبعاد الثلاثية الأشكال والكتل وتكوينات والتي بدورها تساهم في عملية الإيهام الطبيعي لخلق الأجواء الإيقاعية البصرية))(٢٠).

وان رؤية الصورة مع (ضدية العنوان) يلتمس حضور واضح للمعادل البصري في هذه المجموعة فيعكس المفارقة اللونية عن طريق " العنوان" الذي جزؤه الشاعر الى للونين (الأسود) و (الأحمر) فاختلاف اللون هنا ليس ضدي أي اللون الأسود ضد الأبيض وليس الأحمر لذلك يكون اللونين هنا موازياً من الأصل، لكن جأت مفارقة له بقسم العنوان إلى قسمين:

مثل ونبي _____ اللون الأحمر

يتوسل معجزة _____ اللون الأسود

اللون الأحمر يعد من الألوان الأساسية الساخنة وهو يدل على الروح والقوة وهو رمز للدم والنار والقتال ويعبر عاطفيا عن الحب والسعادة(٢١)، وهنا جاءت دلالة على الدم والقتل أما اللون الأسود فهو يدل على الحزن والحداد من أجل سيلان هذا الدم، رسم مشاعر المفارقة عن طريق الألوان؛ ليبرز دلالة العنوان للمجموعة الشعرية فضرب الشاعر مثالاً لصورة حية ما دلالة دينية وهي دلالة النبي ومعجزاته التي وهبه الله بها؛ لذلك جعل الشعر العنوان يمظهر على نحو كبير وبشكل متدرج أي للصعود.

كما في رمز الحمامة هي للسلام ورمز القطع السوداء للعدو اما المقعد فهو ما يترأس فيه المكان ورمز له اللون الأحمر دلالة

على القتال من أجل هذا المكان.

يتساءل المتلقي عن هوية النبي الذي توسل المعجزة، في كل الأنبياء لها معجزات هذا ما يجذب المتلقي لقراءة النصوص ومعرفة هوية هذا النبي، وسوف نوضح ذلك عن طريق تحليل النص الذي يكون مناص مع العنوان الخارجي.

في حين يتصدر اسم المؤلف سلامك فوق العنوان الخارجي وأيقونة، وهذا دلالة أن شاعر عائشة فوق كل ما تلت عليه الأيقونة والعنوان الخارجي من دلالات التي عاشها في ضوء بلده العراق.

وهذا ما يخص العنوان الخارجي أما العنوان الداخلي فيندرج تحت نوع المناص التأليفي هو نوع ثان من أنواع العتبات النصية يشمل كل ما يؤلفه المبدع من العنوان الثاني منها العناوين الفرعية والمفتتحات والتشكيل الهندسي وغير ذلك(٢٢).

يعد العنوان الداخلي للمجموعة الخيط الذي يجر المتلقي إلى النص وبيان دلالته وهو أهم عنصر من عناصر العتبات ويتكون من نوعين رئيسي كما أوضحنا في النص المحيط النشرة وثانوي(٢٣)، وسوف نتطرق إليه الآن، نجد هناك مفارقة في صياغة العنوانات الداخلية لهذه المجموعة كما في عنوان قصيدة (جنائز معلقة)(٢٤)، وهي مفارق لفظية كونها تعد باسم (جنائن معلقة) لكن إرادة الشاعر نهى لبيان المفارق دلالة على الدمار والحروب جعلت من الحدائق إلى مقبرة تعلق فيها الجثث البريئة في ظل ظروف البلد لما أصبح الموت معتم في بلده.

فضلا عن عنوان قصيدة (غيمة في المراعي)(٢٥)، ففي الحقيقة الغيمة توجد في السماء كما هو متعارف عليها وهنا مفارق فكيف لغيمة أن توجد في المراعي لكن أراد الشاعر أن يرمز إلى الغيمة بدلالة الهموم الذي سادة في مدينته .

وأيضا في عنوان قصيدة (ظل المطر)(٢٦)، حيث صور الشاعر عن طريق صورته الشعرية أن للمطر ظل وهذا غير متعارف عليه في الواقع لذلك أحدث مفارقة السياقية؛ لأنه الظل يكون ناتجاً عن ضوء الشمس وليس المطر وهذا دلالة على أن الشاعر يتأمل أن يكون هناك أمل للنهوض والمطر دلالة على الخير.

وقصيدة التي عنوانها(موجة تعزف الناي)(٢٧)، المفارق هنا هي

الموجة = البحر

والعزف= الناي

الموجةx العزف

أي صف العزف على الحياة عن طريق توظيف رمز البحر دلالة على الحياة وهذه النوع من المفارقة هي سياقية مضمرة.

وفي ضوء ذلك فإن لعلامة العنوان وظائف محددة حيث وظفها الشاعر عن طريق مجموعته الشعرية وهذه الوظائف كانت الأساس الذي أرتكن عليها جيرار جنيت ومنها:

أولا: الوظيفة التعينية:– ((وهي الوظيفة التي تحدد اسم النص أو الكتاب بصرف النظر عن محتواه وقيمته الفكرية.. وتعرف بالتعريفية كونها تشكل تسمية قد تكون اعتباطية للنص أو الكتاب تمنح للنص اسمه))(٢٨)، إذ التزم بها الشعر سلامك وجعل لكل نص تسمية، وبعد استقراء العنوانات للي الخطاب الشعري له وجدت الباحثة أنه الصياغات الفعلية أكثر من الصياغات الاسمية للعنوانات، حيث إن نسبة الفعلية (٧٠٪) والاسمية (٤٠٪) ، وهذه الهيمنة الفعلية تتعلق في مضمون النص الشعري فضلا عن توظيف العنوانات المفردة بالنسبة (٢٠٪) كما في عنوان قصيدة "امرأة" عنوان قصيدة "أبي"، وهذا دلالة على أن الشاعر وظف هذه النسبة القليلة من العنوانات المفردة فإنه إرادة من عنوانه قصائده الجميع وليس فقط هو.

ثالثاً : الوظيفة الوصفية:((هي الوظيفة التي تكشف عن محتوى النص أو الكتاب، أو تكون المرشدة أي موضوعاته))(٢٩)، وتسمى هذه الوظيفة الدلالية كأنها تدل على النص فتجعل المتلقي يتعرف على ثيمة النص ونوعاً عن طريق عنوانه، إذ وظيفة سلام مكي عنوان قصيدة "ابي" هو دلالة على النبي يعقوب (عليه السلام)، وذلك عن طريق النص

بنية العنوان والمفارقة في مجموعة مثل نبيٍ يتوسَّلُ معجزةً

حيث وردا في تحويل النص الأدبي في قصيدته:

رامى قميصه على الجدران
فلم تبصر شيئاً
تمتم بكلمات لا يفهمها
امسك معوله الهوائي
وأخذ يشتم الجميع
من أكون، حتى لا يعرفني أحد؟(٣٠).

حيث تنص دلالة هذا البيت على قصة نبينا يوسف(عليه السلام) ، عندما فقده والده نبي يعقوب(عليه السلام) فقد بصره بسبب فراقه، وكان في القميص دلالة على وجود ولده، إذ ربط الشاعر دلالة العنوان مع النص الشعري بعنوان "أبي" ووظف شاعرنا في وظيفة العنوان الوصفي

وهناك عنوان آخر أيضا موظف هو الشاعر بالوظيفة الوصفية هو" مثل نبي يتوسل معجزة" يقول في النص:

وجه صبي
يطرق الأبواب
ثم يختبئ
لينتظر صبية تخرج
أو صوتاً، يعبّد روحه الوعرة
ومرّةً، طرق باباً خاوية
فأمسكه الموت من قميصه
وتزاحم حوله الجيران والملائكة (٣١).

نجد دلالة قصة النبي يوسف (عليه السلام) أيضاً وهي قصة مذكورة في القرآن الكريم أيضا في الآية الكريمة قول تعالى: وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَاب قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٣٢)، وهذا دلالة على أن العنوان ذو وظيفة وصفية تمثل النبي هو النبي يوسف (عليه السلام) يتوسلون معجزة، أي ما تتعرض له النبي يوسف مظلوم في البر وفي بيت حاكم مصر وفي السجن كلها تدل على أن النبي كان يدعي ربه أن تنزل به معجزة يفرج عنه الظلم الذي يتعرض له من قبل إخوته وزوجة عزيز مصر، وهذا العنوان جواباً للقارئ عن اسم الكتاب الخارجي.

ثالثا: الوظيفة الإيحائية:– وهي مرتبطة بالوظيفة الوصفية؛ كونها متضمنة للوظيفة الإيحائية، وهذا الأمر خارج عن إرادة المؤلف ويتحقق دون قصد منه أي يصرح عن محتوى النص(٣٣).

كما في عنوان قصيدة "امرأة" فنجد النص يدل على قصة امرأة فالعنوان هنا يوحي للنص الاتي، يقول الشاعر:

تفتّش في حقيبتها
عن بقايا رجل
أيقن
أنه مثل شجرة
لم يغرسها أحد(٣٤).

رابعاً: الوظيفة الإغرائية : أي أن يكون العنوان عنصر جذب للقارئ يستهدفه في الأصل أن طريق التشويق والإثارة

بنية العنوان والمفارقة في مجموعة مثل نبيٍ يتوسَّلُ معجزةً

وصفه جيرار جنيت بالمضرة للنص(٣٥)، موظف الشاعر هذا النوع كما في عنوان قصيدته(سادن الإلهة)(٣٦)، وقصيدة(مالم يقوله كلكامش)(٣٧)، عن طريق هذه العناوينين جذب المتلقي نحوا من هي السادن إلاله وما هو القول الذي لم يقله كلكامش.. ، فيرجع إلى النص لمعرفة الشيء الذي انجذب له.

المبحث الثالث: القرآنية

لهيمنة هذا المصطلح مكانة عظيمة وأهمية القرآن الكريم جعل المؤلفون يكتب نصوصاً من كلامه فأصبح القرآن ذا قيمة فكرية ودينية؛ لآن ((النص القرآني يجيب عن أسئلة الوجود والأخلاق والمصير بشكل جمالي فني، ولهذا يمكن وصفه نص لغوي..، وهذه اللغة ليست مجرد مفردات وتراكيب، وإنما تحمل رؤية معينة للإنسان والحياة والكون))(٣٨)، ولهذه وظف الشاعر القرآنية أي اقتباس من النصوص القرآنية في شعره؛ لأن القرآنية تعد نمط معاصر وظفه الشعراء بدقة مع النص الشعري لا شباع نصوصهم للإبداع البلاغي بأنماط مختلفة(٣٩)، فوظف سلام مكي في نصوصه القرآنية بانماطها الثلاثة:

في قصيدته " بريد مستعجل من الله " قال الشاعر:

إن الله يأمرك أن تعيد الأمانة إلى أهلها

أنها في الشوارع، خذوا ما خف حملة، ولا تسالوا عن الآخر فالكل بلا أثمان(٤٠).

نجد الشاعر وظف القرآنية المباشرة غير محورة وهو الذي يحفظ الشكل الدلالي للنص القرآني يتم النقل الحرفي من غير تعديل أو تبديل لتمكين المعنى الشعري(٤١)، حيث وظف الشاعر النص " إن الله يأمرك أن تعد الأمانة إلى أهلها" وهو مقتبس من القرآن الكريم كما في سورة النساء قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)(٤٢)، فلم يجد الشاعر أي تبديل أو تغيير كذلك هنا هذا النص هو قرآنية مباشرة غير محاورة.

أما في قصيدة (جنائز معلقة) حيث قال الشاعر:

وجاء من أقصى القرية

رجل لا يسعى لشيء سوى الرحي(٤٣).

وهنا وظف الشاعر القرآنية المباشرة المحورة هو جعل المؤلف النص القرآني ممتزج مع النص الشعري مع تحوير في النص القرآني لفظ ودلالة وحذف(٤٤)،وظيف الشاعر النص القرآني من سورة ياسين قوله تعالى: وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ (٤٥)، فنجد الشاعر قام بتحويل الناس من رجل (يسعى) إلى رجل (لا يسعى)، و(القرية) بدل (المدينة) وهذا ما تم توظيفه من القرآنية المباشرة المحاورة أيضا في قصيدة (السقف العاري) عندما قال الشاعر :

قلت ما تلك بيمينك أيها القدر؟

قال: هي أيامك، أتوضأ بها

فرحت بعيداً (٤٦).

وهو قرآنية مباشرة محاوره مع النص القرآن من سورة طه في قول:(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)(٤٧)، وهنا جاءت القرآنية مباشرة ولكن حولها الشاعر (أيها القدر) بدلا من (موسى) و(أيامك) بدلا من (العصا).

أما في قصيدة (أبي) قال الشاعر :

وأحرق بقاياه بجمرة طائشة

رامى قميصه على الجدران

فلم تبصر شيئاً (٤٨).

حيث وظف الشاعر هنا القرآنية غير مباشره المحاورة ((تكون السلطة المنتجة للنصوص وفقا لهذه التقنية مناطة بالمبدع الجديد، أما النص القديم فمغيب عن المتلقي غياباً قد يفقد حق الملكية الإبداعية التي ورثها المبدع جديد، إذ لا تكاد تقف على صراح النص القديم الا أعلى بعض إشعارات يقوي ضوؤها))(٤٩)

نجد من هذا النص فقط إشارات إلى آية قرآنية من سورة يوسف في قوله تعالى:(اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا)(٥٠)، هنا هذه الإشارات هي التي جعلتنا نعرف قصة النص كون أن الشاعر هنا وضغط القرآنية الغير مباشرة وحولها من القوة على وجه أبي إلى رمي قميصه على الجدران، ومن يأت بصيراً إلا فيلم تبصر شيئاً، هذا ما وظف الشاعر من القرآنية غير مباشرة المحورة وظفها أيضا في نص آخر من قصيدة(رصاصة في جيبه بندقية) قال الشاعر:

وأختار منها ما يدعوني للبكاء
هل أنا كأس، لتشربني الحياة؟
هل أنا بقرة صفراء لتذبحني النومس؟ (٥١).

إذ نجد الشاعر وظف القرآنية الغير مباشرة المحاورة عن طريق إشارات في سورة البقرة في قوله تعالى:(ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا)(٥٢)، وهي إشارة إلى البقرة الصفراء ثم اختم بيته لا تذبحني النومس؟ وهذا أيضا إشارة إلى سورة البقرة عندما قال تعالى:(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)(٥٣)، وهذه الإشارات دلالة على توظيف الشاعر القرآنية الغير مباشرة وإقامة بتحويلها وجعل من البقرة ضمير أنا واستخدمه علامات الترقيم ومنها الاستفهام.

وفق ما وجدنا من إحصائية حول توظيف الشاعر إلى هذه الأنماط الثلاثة حيث وظف القرآنية المباشرة الغير المحورة بنسبة (٢٠٪) ، أما نسبة التوظيف القرآن الغير المباشرة المحورة مساوية لنسبة القرآنية الغير مباشرة وغير محورة (٤٠٪) ما أراد الشاعر من هذا إضافة مسحة دينية الخطابة والشعري.

الخاتمة:

تعرفنا على بنية الكلمة وأهميتها في النص الأدبي ؛ وذلك لكوننا لا نعرف الجمل وصور التي تكونها النصوص إلا بالرجوع إلى المباني الصرفية ومعرفة الأساس الدلالي للكلمة، مما وجدنا أن شعرية سلام مكي ترتكز على حدة المفارقة التي برز بها الإلام التي عاشها في مجتمعه، ومثل هذه المجموعة توازي ما بين معجزات وما بين مرارة الحياة؛ لذلك صاغ الشاعر عتبة العنوان بمفارقة من حيث التركيب ومن حيث اللون ليترك دلالات مختلفة يدفع القارئ للتفكير بما يقصده، ولم يقتصر عن العنوان الخارجي إنما انبثقت سلسلة تضاديات في العناوين الداخلية للمجموعة محبوكة بعمق لغوي مع ربطها بالنص الأدبي، مما عكست المفارقة الروية المزدوجة للحياة التي كان يعيشها الشاعر، أما النصوص القرآنية إضافة مسحة دينية جمالية على مجموعته الأدبية.

الهوامش:

(١) ينظر: توظيف مفهوم البنية في اللغة ، د. مزياني مريم ، مجلد ٧ ، العدد ١ ، السنة ٢٠٢٣ : ٤٥٩–٤٦٠.
(٢) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية– مصر، ط٤، ٢٠٠٤ : ٧٢.
(٣)ينظر: جماليات المفارقة النصية "قراءة بدائية في ديوان مجروح قوي لمحمد صبحي" ، أسامة عبد العزيز جاب اللهweb)).
(٤) المصدر نفسه.
(٥) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتب اللبناني، ط١، ١٩٨٥: ١٦٢.
(٦) بناء القصيدة العربية الحديثة، د.علي عشري زايد، مكتبة الأدب القاهرة،ط٤، ٢٠٠٢: ١٣٠.
(٧) بنية المفارقة وانماطها في رميات ابي فراس الحمداني، د.سالم عبد الرزاق ، مجلة السرديات، العدد٣٢، سنة ٢٠١٩: ٩٦.
(٨) جماليات المفارقة النصية "قراءة بدائية في ديوان مجروح قوي (web).
(٩) اليات اشغال المفارقة في قصة القصيرة جداً" قراءة في مجموعة جلال عبد الحبيب لسعيد بوطاجين، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات،

مجلد ٧، عدد٢، سنة ٢٠٢١: ٢٦٥.
(١٠)ديوان مثل نبي يتوسل معجزة، سلام مكي، دار الطبع شهريار، ط١، ٢٠٢١: ١٠.
(١١) المصدر نفسة :١١٢.
(١٢) جماليات المفارقة النصية "قراءة بدائية في ديوان مجروح قوي (web).
(١٣) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة، سلام مكي: ٩.
(١٤) تجليات المفارقة الأسلوبية في النص الأدبي، د. محمد حسين، مجلة الجامعة الاسمرية: ٣١٤.
(١٥) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة، سلام مكي: ٧.
(١٦) النص والنص الموازي، مقامات الحريري ومنمينات الوسطي قراءة في سيميائية الصورة: ٥٥.
(١٧) عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص ، عبد الحق بلعابد، تقديم سعيد يقطين، دار العربية للعلوم، ط١، سنة ٢٠٠٨: ٤٣–٤٤.
(١٨) العتبات النصية في شعر محمود عموش ، د. محمد عبد الباري ، دراسة سيميائية موازنة:٢.
(١٩)ينظر: الرمز في شعر احمد الشيخ علي، ايمان عبد الجبار ، جامعة بغداد، ٢٠٢٢: ٩١.
(٢٠) الخطاب البصري الجمالي والمنظومة السمعية في العرض المسرحي، طالب عبد الحسين فرحان، مجلة الأكاديمية كلية الفنون جميلة، عدد ٦٩، سنة ٢٠١٤: ١٦١.
(٢١) ينظر: الألوان ، كلود عبيد، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٣: ٧٣–٨٠.
(٢٢) العنوان مناصاً تأليفياً قراءة في انماط النص المحيطي ، د. احمد علي محمد، مجلة السلم السنة الاولى ، مجلد ١، العدد ١–٢ ، سنة ٢٠١٧: ٤٧٢.
(٢٣) ينظر: عتبات جيرار جنيت من النص الى المناص: ٦٥.
(٢٤) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ٢٧.
(٢٥) المصدر نفسة:٣١.
(٢٦)المصدر نفسة: ٤١.
(٢٧) المصدر نفسة: ١٠٧.
(٢٨) عتبات جيرار جنيت من النص الى المناص : ٨٦.
(٢٩) المصدر نفسه:٨٧.
(٣٠) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة:٩٢.
(٣١) المصدر نفسه:٤٦.
(٣٢) سورة يوسف/ ٢٥.
(٣٣) ينظر: عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص:٨٧.
(٣٤) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة : ٨٣.
(٣٥) ينظر: عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص:٨٨.
(٣٦) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة : ٧٥.
(٣٧) المصدر نفسه:٣٥.
(٣٨) النص القراني وافاق الكتابة ، ادونيس، دار الكتاب العربية : ٢٠.
(٣٩)ينظر: القرانية في شعر الرواد، احسان الشيخ حاجم التميمي، دار الشؤن الثقافية، ط١، ٢٠١٣: ٣٥.
(٤٠) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة: ١٦.
(٤١)ينظر: القرانية في شعر الرواد:٣٥.
(٤٢) سورة النساء / ٥٨.
(٤٣) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة:٢٨.
(٤٤) ينظر: القرآنية في شعر الرواد:٤٥.
(٤٥) سورة يس / ٢٠
(٤٦) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة:٥٣.

(٤٧) سورة طه/ ١٧
(٤٨) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة:٩٢.
(٤٩) تأصيل النص ، د. مشتاق عباس معن ، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٣: ١٨٣.
(٥٠) سورة يوسف/٩٣
(٥١) ديوان مثل نبي يتوسل معجزة:١٠٥.
(٥٢)سورة البقرة/ ٦٩.
(٥٣)سورة البقرة / ٧١.

المصادر:

– القرآن الكريم
– الألوان "دورها وتصنيفها ومصادرها و رمزيتها ودلاليتها" ،كلود عبيد، مراجعة وتقديم د.محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٣م.
– الرمز في شعر احمد الشيخ علي، إيمان عبد الجبار، (رسالة ماجستير) ، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠٢٢م.
– العتبات النصية في شعر محمود عموش و محمد الباري ، دراسة سيميائية موازنة، امل تحسين يحيى أبو عاصي (رسالة ماجستير)، جامعة الإسلامية – غزة ، ٢٠١٩م.
– العنوان مناصاً تأليفياً "قراءة في أنماط النص المحيطي"، د. احمد علي محمد، مجلة السلم السنة الأولى، جامعة بغداد–كلية الآداب، مجلد ١، العدد ١–٢ ، سنة ٢٠١٧م.
– القرآنية في شعر الرواد " دراسة لفاعلية النص المقدس في النص الإبداعي"، د. احسان الشيخ حاجم التميمي، دار الشؤون الثقافية، ط١، ٢٠١٣م.
– النص القرآني وأفاق الكتابة، علي احمد سعيد أدونيس، دار الكتاب العربية القاهرة، دار الأدب بيروت، (د.ط)، (د.ت).
– النص والنص الموازي، مقامات الحريري ومنمينات الوسطي قراءة في سيميائية الصورة، لبنى خشة (اطروحة)، جامعة الإخوة منتوري–كلية الآداب، قسنطينة، ٢٠١٨م.
– اليات اشغال المفارقة في قصة القصيرة جداً" قراءة في مجموعة جلال عبد الحبيب لسعيد بوطاجين، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مجلد ٧، عدد٢، سنة ٢٠٢١م.
– بناء القصيدة العربية الحديثة، د.علي عشري زايد، مكتبة الأدب القاهرة،ط٤، ٢٠٠٢م.
– بنية المفارقة وانماطها في رميات ابي فراس الحمداني، د.سالم عبد الرزاق ، مجلة السرديات، العدد٣٢، سنة ٢٠١٩م.
– تأصيل النص "قراءة في ايدلوجية التناص" ، د. مشتاق عباس معن ، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.
– تجليات المفارقة الأسلوبية في النص الأدبي، د. محمد حسين، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية ، العدد ٢٢، سنة ١١ .
– توظيف مفهوم البنية في اللغة ، د. مزياني مريم ، مجلد ٧ ، العدد ١ ، السنة ٢٠٢٣م.
– جماليات المفارقة النصية "قراءة بدائية في ديوان مجروح قوي لمحمد صبحي"، أسامة عبد العزيز جاب الله.www ((web diwanalarab.com
– ديوان مثل نبي يتوسل معجزة، سلام مكي، دار الطبع شهريار، ط١، ٢٠٢١م.
– عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، تقديم: سعيد يقطين، دار العربية للعلوم، ط١، سنة ٢٠٠٨
– معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتب اللبناني، ط١، ١٩٨٥م.
– معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية– مصر، ط٤، ٢٠٠٤م.
–الخطاب البصري الجمالي والمنظومة السمعية في العرض المسرحي، طالب عبد الحسين فرحان، مجلة الأكاديمية كلية الفنون جميلة، عدد ٦٩، سنة ٢٠١٤م.

بنية العنوان والمفارقة في مجموعة مثل نبيٍ يتوسَّلُ معجزةً

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

م. م شهلاء رمزي كاظم
جامعة الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

المستخلص:
تبين لنا من خلال اطلاعنا عن المدرسة الظاهرية في دمشق بأنها اعتبرت من المدارس العريقة التي أسسها السلطان الملك الظاهر بيبرس ،وجاء بعده ابنة الملك السعيد الذي قام بتشييدها بعد وفاه والده ،كما اعتبرت هذه المدرسة من المدراس الاسلامية التراثية التي ضمت الكثير من الكتب والمخطوطات العلمية التي نالت صدى واسع في البلاد ، كما مر على المدرسة الظاهرية سبعة قرون ونيف ولايزال هذا الصرح الحضاري يؤدي مهمته الثقافية الى يومنا هذا ويلقى العناية اللازمة من حيث التجديد والاصلاح ، اضافة لتزويده بالجديد من ما يصدر من المؤلفات والمراجع حيث تبقى قناديله مضيئة في ركن عريق في دمشق القديمة ،ليذكر بها الاجيال بماضي الامة المجيد وتراثها الخالد على مر السنين ، واعتبرت هذه المدرسة من المدارس التاريخية اذ مثلت رمزًا للعلم ومنارًا للثقافة العربية الإسلامية.

–الكلمات المفتاحية:(الملك الظاهر ، المدرسة الظاهرية ،الزخارف ،المكتبة ، دمشق)

Abstract:

Through our investigation of the Virtual School in Damascus, it became clear that it is considered one of the prestigious schools founded by Sultan King Al-Zahir Baybars. Following him was King Al-Saeed's daughter, who constructed it after her father's death. This school is also regarded as on of the traditional Islamic schools that housed numerous scientific books and manuscripts that gained wide recognition in the country. The Al-Zahiriyya School has witnessed seven and a half centuries, and this cultural monument continues to fulfill its cultural mission to this day, receiving the necessary care for renovation and maintenance. In addition, it is supplied with the latest publications and references, keeping its lights shining in a prominent corner of Old Damascus. It serves as a reminder to generations of the glorious past and the timeless heritage of the nation over the years. This school is considered a historical landmark, symbolizing knowledge and a beacon of Arab-Islamic culture.

Keywords:Al-Malik Al-Zahir,Al-Zahiriyya School, decorations, library, Damascus.

المقدمة:

في العصر الاسلامي القديم كان الجامع يأخذ مكانته في التدريس بدل المدرسة وذلك اقتداء برسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) لان مسجده في المدينة المنورة كان المدرسة الأولى في الإسلام، علّم فيه أصحابه أمور دينهم وظل المسجد كذلك بعد الرسول في عهد خلفائه حتى اصبحت المساجد بعد ذلك مدارس للعلم وكانت تقام الصلوات وتعقد حلقات الدرس وكان الشيوخ وصدور العلماء يتصدرون للتدريس فيها، فيأتون إليهم طلبة العلم من كل الدول العربية الإسلامية ويجلسون في حلقات دروسهم لأخذ العلم منهم في مراكز الثقافة الكبرى مثل المدينة المنورة، والبصرة، والكوفة وبغداد، ودمشق، والفسطاط في مصر، والقيروان في إفريقية، وفاس في المغرب وغيرها من مراكز العلم المشهورة في الإسلام(١).

وبقى أمر التعليم مرتبطا بالمساجد إلى أواسط القرن الخامس من الهجرة حين أخذت الدولة في إنشاء المدارس خارج حدود

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

المساجد وصارت تشرف عليها بنفسها وتعين لها الأساتذة المدرسين وكان الوزير المشهور نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي،أول من فكر بإنشاء مدرسة في العالم الإسلامي فقد أمر ببناء المدرسة النظامية ببغداد سنه (٤٥٧هـ)(٢).

وفي ختام المقدمة نذكر كيف تطرقنا في بحثنا عن تاريخ المدرسة الظاهرية في دمشق فقد ضم البحث ثلاث مباحث ... المبحث الاول تم ذكر موقع المدرسة الظاهرية وتاريخها وما هو دور المكتبة الظاهرية ...اما المبحث الثاني تطرقت عن اقسام المكتبة الظاهرية ومكانتها الثقافية ومحتواها الثقافي وتراثها الخطي ... والمبحث الثالث والاخير تضمن هندسة المدرسة الظاهرية وفن الزخرفة والطراز المعماري كما عززت البحث بالملاحق التي ضمت بعض الصور التوضيحية .

لتخريج الرجال الذين تحتاج إليهم الدولة في وظائفها المختلفه وهكذا ظهرت في العالم الإسلامي مؤسسة ثقافية جديدة هي المدرسة بشكل هندسي جديد يختلف عن الجامع، ويصلح مع ذلك للتدريس والصلاة معا وقد أحدثت في المدرسة عناصر لم تكن موجودة في الجامع لمنافع أخرى غير الصلاة والتدريس مثل وجود حجرات لسكن الأساتذة والطلبة وفي اواخر القرن الخامس من الهجرة أدخلوا فكرة المدرسة الجديدة إلى هذه البلاد فبتيت المنشآت الثقافية والاجتماعية العامة،كالخانقاه والرباط والبيمارستان. وكانت الغاية من إنشاء المدارس واحدة، وهي التعليم ونشر الثقافة كما اختلف في ذلك نوع التعليم فكانت هناك مدارس للقرآن، ومدارس للحديث النبوي، ومدارس جامعة بين القرآن والحديث، ومدارس لمذهب واحد من المذاهب الإسلامية، ومدارس لمذهبين منها أو ثلاثة مذاهب أو أربعة.. ومن أشهر المدارس التي شادها الأيوبيون المدرسة العادلية الكبرى بدمشق، بناها الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبي. وكانت مقر مجمع اللغة العربية بدمشق إلى عهد قريب ثم جاء المماليك بعد الأيوبيين وورثوا عنهم حكم بلاد الشام ومصر، وساروا على خطاهم في عمارة المدارس وغيرها من المنشآت ومن أشهر المدارس التي شادها المماليك المدرسة الظاهرية بدمشق(٣).

المبحث الاول:

موقع المدرسة الظاهرية

ذكرنا سابقًا ان في مصر وبلاد الشام بدأت نهضة ثقافية وازدهرت الحركة العلمية بسبب استقلال الايوبيين ثم المماليك ومن بعدها أصبح انتشار كبير في مدارس العلم واصبحت دمشق بلد العلم والثقافة(٤). اذ اقبل الكثير من الملوك والأمراء وعامة الناس على تشيد المدارس وغيرها من المنشآت الثقافية. ايضا في دمشق كان حي ثقافي ضم العديد من المعاهد والمدارس امثال (المدرسة الصادرية، والكلاسة، والفاضلية) ومدارس اخرى.. ومن اهم تلك المدارس (المدرسة الظاهرية) التي اعتبرت احدى المدارس الكبرى في الحي الثقافي(٥)، تقع في الجهة الشمالية الغربية من الجامع الاموي عند تقاطع شارع الكلاسة بشارع باب البريد الذي يفصلها عن المدرسة العادلية الكبرى، كما جاورها من جهة الشمال حمام العقيقي القديم الذي يعرف الان بحمام الملك الظاهر، كما كان يجاورها من جهة الشرق بيوت سكنية(٦).

تاريخ المدرسة الظاهرية:

سميت المدرسة الظاهرية بهذا الاسم نسبتآ للملك الظاهر، هو السلطان ركن الدين ابو الفتوح بيبرس البندقراري التركي، ملك مصر والشام وكان من أشهر مماليك البحرية(٧). أشتهر السلطان الظاهر بشجاعتة وقوتة وكان يحب العمران والإصلاح ويكرم العلماء ويقربهم ويأخذ بمشورتهم فشيد المدارس مثل غيره من السلاطين وذكر أسمة على اكثر من قلعة ومدينة، توفي في محرم سنة (٦٧٦هـ) بقصره ألابلق في دمشق ودفن في القلعة ثم نقل جثمانه ودفن في المدرسة الظاهرية ،بدىء ببناء المدرسة الظاهرية يوم السبت تاسع جمادى الاول سنه(٦٧٦هـ) أتجاه المدرسة العادلية الكبرى لتكون مدرسة وتربه الملك الظاهر في مكان دار قديمة عرفت بدار العقيقي(٨). كما أمر ببنائها الملك السعيد بن الملك الظاهر الذي تولى السلطة بعد آبيه وجعلها على المذهب الحنفي والشافعي واقام بها دار حديث أي مدرسة خاصة لتدريس الحديث النبوي ،ألا إنه أضطر الى خلع نفسة سنة (٦٧٨هـ) وبويع أخاه سلامش سلطانًا بدلًا عنه وكان في السابعة من عمرة ، فخلعة اتابكة سيف ألدين قلاوون واستولى على الحكم

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

ولقب نفسة بالملك المنصور. ولم يكن بناء المدرسة الظاهرية قد تم ،فأمرالسلطان قلاوون بأتمامها ثم تمت كتابة أسماء البانيين في الكتابة المرموقة فوق ألباب الرئيسي وجاء فيها "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين المولى السلطان الملك السعيد أبوالمعالي محمد بركة قان أبن السلطان المجاهد الشهيرالملك الظاهر المجاهد ركن الدين ابى الفتوح بيبرس الصالحي .أنشأها لدفن والده الشهير ولحق به فاحتوى الضريح على ملكين الظاهر وسعيد وأمر بإتمام عمارتها السلطان المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانة"

وتم افتتاح المدرسة الظاهرية يوم الأربعاء الثالث عشر من صفر سنه ٦٧٧ هـ والقي فيها آول درس مع أن بناءها كان قيد الانجاز ، وحضر درس الافتتاح الأمير ايدمير الظاهري نائب السلطنة بدمشق(٩)، وكان الدرس حافلًا حضرة القضاه وعامة الناس.

غير ان اوقاف الظاهرية اهملت في القرون المتأخرة فخرب بعضها واهملت وتركت المدرسة وتعرضت الى الخراب في القسم الشمالي الملاصق لحمام العقيقي ويبدو أن الرطوبة الناشئة من الحمام اثرت على اجزاء هذا القسم مما ادى آلى تداعيها .لكن بعد فترة من الزمن حدث امر طارئ اعاد المجد من جديد الى المدرسة الظاهرية في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد اذ تحولت من مدرسة الى مكتبة عامة تحتوي على الكثير من الكتب المخطوطة والمطبوعة من التراث العربي الاسلامي وبدأت بحلتها الجديدة وظهرت ولمعت بطلة ملفتة للأنظار، ومن بعدها تم جمع العديد من المخطوطات من عدت مدارس مختلفة في دمشق ووضعت في الظاهرية التي اطلق عليها اسم "المكتبة العمومية " وصنفت الكتب حسب موضوعات العلوم ووضع لها فهرس باسماء الكتب وطبع على غرارها فهارس المكتبات في إستانبول(١٠)، وتم افتتاح المكتبة سنة ١٨٨١ في قبة الملك الظاهر التي أصبحت مقرًا وقاعة للمطالعة في ان واحد، ووضعت تحت إشراف من العلماء باسم "جمعية المكتبة العمومية" وسميت الظاهرية بدار الكتب العربية في عهد الحكومة العربية التي قامت في سوريا ١٩١٩ ثم دعيت بدار الكتب الوطنية الظاهرية .

المكتبة الظاهرية:

احتوت المكتبة على العديد من الكتب والمخطوطات ذات قيمة أثرية وعلمية فضلًا عن الكتب الموغلة في القديم مثل ،كتاب القانون في الطب لابن سينا ، ولسان العرب لأبن منظور ، والكليات لأبي البقاء الكوفي الذي تمت طباعته عام ١٣٠٠م ، لكن بعدها تم نقل تلك الكتب الى (مكتبة الأسد الوطنية) اذ كانت اول واكبر مكتبة عرفت في بلاد الشام لانها كانت تحتوي على نوادر المخطوطات والكتب(١١).

كما احتوت المكتبة على ثلاث قاعات وهي (قاعة الامير مصطفى الشهابي ،وقاعة الشيخ طاهر الجزائري ، وقاعة خليل مردم) وايضا احتوت على ثلاثه مستودعات ، المستودع الاول في القبة الظاهرية يضم مجموعات كبيرة من المخطوطات من جميع العلوم(١٢)، والمستودع الثاني احتوى على الكتب المشتراة والمهداة الى الدار ، آما المستودع الثالث خصص للصحف والمجلات والتقارير العربية والاجنبية ايضا احتوت المكتبة على غرفة تصوير ضمت احدث الاجهزة لتصوير الوثائق والكتب ،كما بلغ عدد الكتب ٧٢ الف كتاب و٨٥ الف مجلة كانت مقسمة آلى اصول وفروع ،آما في مجال قسم الحديث والمخطوطات بلغت ١٣الف .اذ اعتبرت المكتبة الظاهرية من الابنية التاريخية التي مازالت تحتفظ بالكثير من الكتابات والنقوش على ابوابها وجدرانها وكانت واجهة الظاهرية من اجمل مابنى المماليك فهما كانتا مشيدتان بالاحجار المنحوتة وفي اعلاهما زخارف هندسية(١٣).

المبحث الثاني:

أقسام المكتبة الظاهرية

ضمت المكتبة على العديد من الاقسام كان أهمها:

–قسم المخطوطات

–قسم المطبوعات

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

–قسم البصريات

–قسم التصوير

ربطت المكتبة الظاهرية بدائرة الأوقاف حتى عام ١٩١٩ ثم ألحقت بديوان المعارف بعدها. بلغ عدد المخطوطات التي تلقتها الدار كهدية ٤٦١٢ مخطوطاً أما المطبوعات فبلغ ما أهدي إلى المكتبة ١٢٠٦ كتاباً (١٤) أما الذين أهدوا مكتباتهم إلى الظاهرية أو أهدى ورثتهم مكتباتهم إليها فهم:

– مكتبة عبد الغني القادري ٩٤٦ كتاباً.
– مكتبة محمد طاهر أبو حرب ٩١٩ كتاباً.
– مكتبة الدكتور رشاد الجاسم ٤٦٤ كتاباً.
– مكتبة محمد عارف المنير ٢٤٤ كتاباً.
– من المكتبة البريكية ١٧٩ كتاباً.
– مكتبة رفيق التميمي ١٧٣ كتاباً.

وتضم المكتبة ثلاث قاعات، وهي قاعة الأمير مصطفى الشهابي وقاعة الشيخ طاهر الجزائري وقاعة خليل مردم. وتستقبل المكتبة الطلاب من المرحلة الإعدادية حتى الجامعية أما قاعة مردم فهي خاصة بالباحثين والمؤلفين حيث توضع تحت تصرفهم كافة المراجع والمخطوطات والكتب القيمة لانجاز أبحاثهم.

ويبلغ رواد المكتبة في العام الواحد وسطيا حوالي ٤٥ ألف طالب علم، بينما يبلغ عدد الكتب المعارة في السنة الواحدة حوالي ٣٠ ألف كتاب. ويزورها سنويا سياح عرب وأجانب، يبلغ عددهم وسطيا ٥٠٠٠ سائح.

مكانتها الثقافية:

كان للمدارس في ذلك الوقت أهمية كبيرة اعتاد العلماء والباحثين على زيارتها ليستفيدوا من علمها. وقد زادت هذه المدارس والمكتبات من مكانة دمشق الثقافية في ذلك العصر. تأسست المكتبة الظاهرية كمدرسة لتعليم العلوم الإسلامية الخاصة بالمذهب الشافعي والحنفي، وتشمل كنوزها الثقافية كتب عربية قديمة ومخطوطات عتيقة ومجلات دورية فرنسية وانكليزية وعربية (١٥)، بالإضافة لمستندات وخطابات مكتوبة بخط اليد. استفاد منها آلاف من العلماء والباحثين من داخل سوريا وخارجها مثل ابن خلدون وابن مالك، وما زالت حتى يومنا هذا تلعب دورًا كبيرًا في تقديم الخدمات الثقافية والعلمية لروادها حيث يسجل رقم الطلاب الذين يزورونها بحوالي ٤٥٠٠٠ بالسنة ويبلغ عدد الكتب حوالي ٣٠٠٠٠ كتاب.

محتواها الثقافي:

تحتوي المكتبة على ٧٠ ألف عنوان بالعربي، وحوالي ١٠٠ ألف مجلد، وفيها صحف قديمة جداً منذ عام ١٨٧٨م ((بحسب وزارة الثقافة السورية)) وبعد أن كانت هذه المدرسة ذات طابع ديني، تحولت إلى مدرسة ابتدائية لتعليم الأطفال، اطلق عليها أسم "مدرسة الملك الظاهر"، ومن ثم تحولت لمكتبة عامة عام ١٨٧٧م. بالطبع فإن ثراء هذه المكتبة بالمخطوطات والكتب الثمينة لم يكن محض صدفة، حيث تم جمع الكتب لها من حوالي عشر مكتبات وهم : المكتبة العمرية، مكتبة باشا العظم ،المكتبة السليمانية، ومكتبة المُلا عثمان الكردي، والمرادية، والسميساطية، والياغوشية، ومكتبة الخياطين، ومكتبة الأوقاف، ومكتبة بيت الخطابة، والعديد من المكاتب الأخرى(١٦). كما تم شراء الكتب من الغرب لإغنائها وهذا ما حصل في زمن رؤوف بك والي دمشق أوائل القرن الماضي، بالإضافة إلى تلقيها الكثير من الهدايا. تذخر المكتبة بالكتب من علوم مختلفة كالطب، الزراعة، الأدب، الشعر، التاريخ، الدين والجغرافيا. وكانت محتوياتها من المخطوطات والذخائر العلمية تفوق ما في مكتبات المدن الأخرى في الدول الإسلامية، ولكن قد ضاع القسم الأكبر منها، بين سرقة واختلاس،

وإهداء للسلاطين، فكان لا بد من اتخاذ خطوة جادة للحفاظ على بقية الكتب والمخطوطات المهمة وقد ترأس هذه العملية الشيخ طاهر الجزائري.

التراث الخطي في دار الكتب الظاهرية بدمشق

كان للقرن التاسع عشر الميلادي في دمشق أثره البارز من الناحية العلمية والثقافية كما شهد وجود علماء متميزين برعوا في جوانب تخصصية عرفوا بها، كما أعطوا للكتاب أهمية بالغة وذلك لشعورهم بقيمته في ازدهار الحضارة وقد عد رئيسُ مجمع اللغة العربية محمد كرد علي هذا القرن بداية نهضة بلادالشام(١٧)، و شهد هذا القرن قيام دار الكتب الظاهرية التي سعى لإنشائها هؤلاء العلماء الذين أشرنا إليهم، لذا يمكن أن نقول إن هذا القرن وضع دمشق على عتبة نهوض شهدته في أيامها المقبلة ولو أن الأوضاع السياسية كانت مضطربة،وكان الجو العام في المدينة في اتجاه، والتطور العلمي والثقافي كان في اتجاه آخر.

وتأتي أهمية هذا البحث في بيان قيمة المكتبة الظاهرية وملابسات قيامها، والكشف عن قيمة السماعات في مخطوطاتها، والاستفادة منها في طريقة جديدة لكتابة التراجم وتعطي قيمًا جديدة فيها .

وتزخر دار الكتب الظاهرية بمخطوطات فريدة قيّمة جُمِعت من أماكن عديدة في دمشق لكن البعض منها قد سرق وبفضل جهود علماء مخلصين على رأسهم الشيخ طاهر الجزائري، وأعضاء الجمعية الخيرية من أمثال الشيخ علاء الدين عابدين والشيخ محمود حمزاوي والشيخ سليم البخاري(١٨)،وهم الذين بينوا للوالي مدحت باشا وفرة ما تحتويه مرافق الوقف من خطيات تتعرض للاندثار، واقترحوا عليه أن يأمر بتخصيص مكان لحفظها من الضياع فكتب إلى السلطان عبد الحميد يقول: لما كانت الكتب الموقوفة والمشروطة لاستفادة العموم قد حُصِرت بأيدي المتولين، وحُرِم الناسُ من مطالعتها، فكان من اللازم جمعها وجعلها في مكان مخصوص ليكون الانتفاع بها عامًّا.

وبذلك استطاع الوالي الحصول على قرار بجمعها في تربة الملك الظاهر في شباط (١٢٩٥) شرقية نظرًا لمناسبتها لتلك الغاية، وحين عُزِل مدحت باشا عن الولاية وخَلَفه حمدي باشا حوَّل الجمعية الخيرية إلى مجلس معارف برئاسة مفتي الشام العلامة محمود حمزة، فاشترك مع الشيخ علاء الدين عابدين والشيخ سليم العطار والشيخ محمد المنينيفي إثارة موضوع الكتب الوقفية، وأفهموه ضرورة جمعها في تربة الملك الظاهر بخزانة مخصوصة تحت متناول القراء والباحثين،فوافق الوالي، وأصدر أمره بما طلبوا، على أن تكون تحت إشراف أهل العلم المعنيين، وذلك في ١٥ / شباط / ١٢٩٥ شرقية.

لم يكن جمع هذه الخطيات بالأمر الهيّن، إذ وقف في وجه العلماء مُتوَلُّو الأوقاف ومَن استحل سرقتها، حتى إنهم هددوا الشيخ طاهر بالقتل. ولم يكن جمعُ المخطوطاتِ عملًا هينًا، وإنما دل على أن أهل العلم على بصيرة بما كانت تتضمن المرافق الوقفية، ولولا هذه الجهود لخسرت دمشق تلك البقية المهمة من الخطيات، فكانت بداية الجمع من عشر مكتبات على النحو الآتي:

١. كتب المدرسة العمرية التي أسسها في صالحية دمشق أبو عمر المقدسي محمد ابن أحمد بن قدامة –٦٠٧هـ ، وكانت أشهر الخزائن من قبل تلاعب أيدي المختلسين(١٩)، وتمتاز خطياتها بتضمنها خطوط مؤلفيها، وعليها سماعاتهم،وهي نادرة لا مثيل لها، وكثير منها مخطوطات وحيدة، فنُقِلَ منها إلى الظاهرية (٦٦٠) مخطوطة(٢٠).

٢. خزانة مدرسة عبد الله باشا العظم في مدخل سوق البزوريين، وقفها سنة (١١٩٠هـ)، ونقل منها (٤٦١) مخطوطة(٢١).

٣. مكتبة مدرسة اسماعيل باشا وكان فيها كتب وقفها ابنه الوالي أسعد باشا العظم بعد سنة (١١٦٥هـ)، أخلي منها إلى الظاهرية (٣٧٥) خطية،بعد أن رفض الناظر تسليمها، ورفع منها أنفس المخطوطات(٢٢).

٤. خطيات المدرسة السليمانية، وقفها فيها الملا عثمان الكردي، وجد فيها (٣١٢) مخطوطة.

٥. مخطوطات المدرسة السليمانية الجوانية في جادة السليمانية(٢٣)، كان فيها كثير من المخطوطاتبقي ما لا يزيد عن (١٣٠) مخطوطة كان وقفها سليمان باشا العظم (١١٩٦هـ).

٦. مخطوطات المدرسة المرادية في حارة الورد المؤدية إلى سوق ساروجة، وكان أنشأها الشيخ مراد بن علي الحنفي النقشبندي سنة (١١٠٨هـ) عرفت من قبل باسم أزهر دمشق، وقد سُرِق أكثر موجوداتها،ولم يبق منها سوى (٢٦٠) مخطوطة(٢٤).
٧. خطيات الخانقاه السمسياطية(٢٥)، وعثر فيها على (٨١) مخطوطة.
٨. خزانة كتب بيت الخطابة بالجامع الأموي وحوت على (٧٣) مخطوطة.
٩. مكتبة الأوقاف عثر فيها على مخطوطات آلت إليها من خزائن متفرقة وضمت (٦٤) مخطوطة(٢٦).
١٠. موجودات جامع السياغوشية لم يكن فيها سوى (١١) مخطوطة(٢٧). هذا وقد قُدِّمَ للظاهرية عدد من مخطوطات أخرى ضمت إلى ما ذكر حتى بلغت ما آل إليها سنة (١٨٨٠م–١٢٩٨هـ) (٢٤٠٠) مخطوطة غير الكتب المطبوعة، ووضع للظاهرية نظام، وعين لها مشرفون وموظفين اثنين حتى افتتحت رسميًا للقراء والباحثين سنة (١٨٧٨م–١٢٩٦هـ).

المبحث الثالث:

هندسة المدرسة الظاهرية

أشرف على هندسة المدرسة المهندس "أبراهيم بن غانم" اذ سار هذا المهندس في بناء المدرسة على تقاليد فن البناء الاسلامي العربي وأقتبس أقتباس شديد في تشيدها من المدرسة العادلية الكبرى التي كانت تقع مقابيل المدرسة الظاهرية وهي من انشاء الملك العادل "ابي بكربن أيوب "اخو صلاح الدين(٢٨)، وكانت العادلية اقدم من الظاهرية .وكان مخطط بناء الظاهرية يحتوي على فناء مكشوف مستطيل الشكل يبلغ طولة ١٨عشرمترآ وعرضة ١٢مترآ واحاطت ثلاثة اواوين بالفناء الخارجي واضافة الى هذه الاواوين قوس المدخل الرئيسي فأصبحت أربعة اواوين متقابلة على الطريقه المعروفة في فن البناء العربي الاسلامي القديم ،أيضًا جعل المهندس للمدرسة الظاهرية جبهتين جبهة غربية مطلة على شارع البريد يبلغ طولها ٣٢ مترًا والأخرى جنوبية على شارع الكلاسة تمتد إلى أخر تربة الملك الظاهر وكانت الجبهة الغربية هي الرئيسية .آما شكل القبة الرئيسية للمدرسة كانت محمولة على عنقين لكل منهما ثمانية أضلاع تحتوي على نوافذ مزدوجة على كل جانب من جوانبها الثمانية بينما تتناوب هذه النوافذ في اضلاع العنق السفلي الأكثر ارتفاعا لتشغيل اربعآ من اوجهة الثمانية .
كما كان للمدرسة محراب جميل في الجدار تحتوي جدرانه من الداخل ألواحا من الفسيفساء اذ ظهر فيها الكثير من الجاذبية والمحراب عادةً يكون من اغنى عناصر العمائر الاسلامية بالزخارف ان لم يكن أغناها على الاطلاق ولايشذ محراب الظاهرية عن هذه القاعدة(٢٩)، أما موقع المحراب يقع في الجدار القبلي لتربة الظاهر بيبرس بين نافذتين يعلوهما عقدان مدببان الوان فقراتهما متكونة من اللون "الابيض ، والاسود ، والاحمر" كما يقع تجويف المحراب بين سويريتين طويليتين يكتنفهما لوحان كبيران مستطيلان من الزخارف الرخامية الهندسية المتعددة الألوان(٣٠).

فن الزخرفة في المدرسة الظاهرية

احتوى المدخل الرئيسي للمدرسة وتربة الملك الظاهر بالعديد من المنقوشات والزخارف الفنية المتنوعة وكانت هذه الزخارف منها معماري نحت على الحجر وايضا زخارف جدارية كانت مكسوة بالأحجار ومزينة باللوحات الجدارية التي تحتوي على الرخام والفسيفساء(٣١).
كما كانت هناك أيضًا عناية بالجبهتين الغربية والجنوبية نقشت عليها بعض الزخارف الفنية الزاهية آلتي أضافت بريقًا مشرفًا للجبهتين كما شيدت الجبهتان بالاحجار المنحوتة واحاطت بهما زخارف من الإشكال الهندسية ،كما وجدت لوحات مؤلفة من الرخام الملون غطت الاركان الاربعة للقاعة وكانت تحتوي في اعلاها احزمة من النقوش الهندسية الملونة بكل الالوان .
فلننظر الآن إلى هذه الأقسام الثلاثة من بناء الظاهرية لنرى ما فيها من الزخارف:
١. الجبهتان مشيدتان بالأحجار الكبيرة المنحوتة بإتقان، وتنتهيان في أعلاهما بطنف مشرف قليلا، يبدو كالإطار لهما، وتبدوان جميلتين مشرقتين، بل هما من أجمل ما بنى المماليك من أوابد البناء. وفي وسط الجبهة الجنوبية وهو الجدار الجنوبي لتربة الملك الظاهر، ووسط القسم الجنوبي من الجبهة الغربية وهو الجدار الغربي للتربة يكون منفذ مستدير يقوم مقام النافذة،

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

وتُحيط به زخارف من أشكال هندسية مؤلفة من دوائر متداخلة حفرت في الحجر بإتقان ونظام.

٢. والمدخل الرئيس مزين بزخارف معمارية أيضا، ويبدو كأنه لوحة فنية علقت في وسط الجبهة الغربية، وقد امتزج فيها اللون الأبيض باللون الأسود، لأن المهندس قصد الموالاة بين مداميك البناء، فجعل مدماكا من الحجر الأبيض ثم مدماكا من الحجر الأسود، فتوالت المداميك بين بيضاء وسوداء كأ سطور واستطاع المهندس بذلك أن يبعث في الحجارة الصماء حياة خاصة، وأن يعطيها حركة دائمة، يشعر بها الإنسان، ولكن لا يدركه وهذا هو السر العبقري الكامن في الفن الأصيل. وتبدو سطور الكتابة بين مداميك البناء كالأحزمة المنقوشة المزينة بالجواهر الكريمة. ولهذه الكتابة غرض تاريخي وآخر تزييني وينتهي المدخل في أعلاه بنصف قبة داخلية معقودة بمقرنصات بديعة، مؤلفة من عدة طبقات فيها قبيبات وشمعدانات مدلاة ومحاريب تتوجها جميعا صدفة مضلعة.

٣. أما التربة فهي الموضع الوحيد الحافل بالزخارف والزينة في المدرسة الظاهرية، والزخارف هنا جدارية، والمادة الأساسية المستعملة فيها هي الرخام ثم الفسيفساء، والغرض منها هو تغطية الجدران وتزيينها. ونلاحظ السخاء المفرط في استخدام الرخام هنا، حتى إن القاعة لتبدو كأنها معرض حافل بالرخام من كل نوع وكل لون، وقد عمد الفنانون الذين تولوا تزيين القاعة إلى تأليف لوحات فنية ذات موضوعات هندسية، تتناظر فيها الأشكال والألوان في كل المساحات الفارغة في الجدران. وتبدأ الزخارف من الباب مباشرة، فهناك لوحتان متناظرتان على جانبي الباب من الداخل في الجدار الشمالي، ومؤلفتان من قطع مربعة ومستطيلة ذات أحجام وألوان مختلفة من الرخام، بين أبيض ووردي وأسود معرق وأخضر معرق. وهناك لوحتان أخريان متناظرتان، وهما أكبر من الأوليين، شكلهما مربع طول ضلعه متران وخمسة وثمانون بالمئة من المتر. إحداهما في الجدار الغربي بين النافذتين، والثانية في الجدار الشرقي، وما يلفت النظر في هاتين اللوحتين هو أنه تتوسط كل واحدة منهما لوحة كبيرة من الرخام النادر الوردي اللون بطول متر وثمانين بالمئة من المتر وعرض ثمانين بالمئة من المتر. وهناك لوحات أخرى مؤلفة من الرخام الملون أيضا، وهي متشابهة ومتناظرة تغطي وجوه قوائم الأركان الأربعة للقاعة، وفي أعلاها أحزمة من النقوش والزخارف الهندسية الملونة بكل لون. ونوافذ القاعة عالية، ترتفع إلى أربعة أمتار، وكلها ذات عقود مجزعة بقطع الرخام الأبيض والأخضر والوردي(٣٢).

فن الطراز المعماري في المدرسة الظاهرية

إن طابع التقشف والجد والصرامة والبعد عن الزخرف والزينة هو الغالب على مجموع بناء المدرسة الظاهرية سوى تربة الملك الظاهر. والحقيقة أن مجموع البناء قد أُقيم بأحجار كبيرة غشيمة غير منحوتة سوى الجبهتين الغربية والجنوبية، وهو يذكرنا، بمدخله الضخم وحجارته الكبيرة وجدرانه العالية، بمنظر القلاع والحصون الحربية، ولا شيء فيه يدعونا إلى أن نتصور للوهلة الأولى أنه بني ليكون مدرسة للعلم والمعرفة. فحيثما نقلنا أنظارنا رأينا جدرانا ضخمة بنيت بأحجار كبيرة صماء، حتى إن عقود الأواوين نفسها قد اقيمت بالحجارة الكبيرة الغشيمة التي بنيت والجدران، خالية تماما من كل زخرف أو تلوين بالأحجارالمختلفة الألوان سوى المدخل الرئيس. وهذا هو طابع البناء الذي ساد في الأبنية التاريخية على عهد الأتابكة من السلاجقة والأيوبيين وأوائل عهد المماليك من بعدهم. ويبدو لنا أن طول أمد الحرب الصليبية في هذه العصور، واضطرار الحكام فيها والأمة من ورائهم إلى الجهاد والمواجهة العسكرية الدائمة لأعدائهم من الصليبيين هو السبب في طبع الأبنية في هذه العصور بطابع القوة والصرامة، فلما انتهت الحروب الصليبية، واستقرت البلاد وأَمنت، مال المهندسون والفنانون في عصر المماليك، منذ بداية القرن الثامن من الهجرة، إلى الاهتمام بالأناقة والزينة في بناء الدور والمدارس وغيرها من المنشآت، ويتجلّى ذلك مثلا في المدرسة الجقمقية التي بناها الأمير جقمق نائب السلطنة بدمشق سنة (٨٢٣هـ) أي بعد قرن ونصف من بناء المدرسة الظاهرية، وهي قريبة منها تقع وراء الباب الشمالي للجامع الأموي. ومن الطبيعي أن تزدهر الفنون في أيام السلم والاستقرار، ويميل الناس إلى الترف والزينة، فالمدرسة الجقمقية بزخارفها، حافلة بأنواع الزينة في جميع أقسامها، ولا يضاهيها في ذلك أي بناء(٣٣).

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

الملاحق

السلطان الملك الظاهر بيبرس

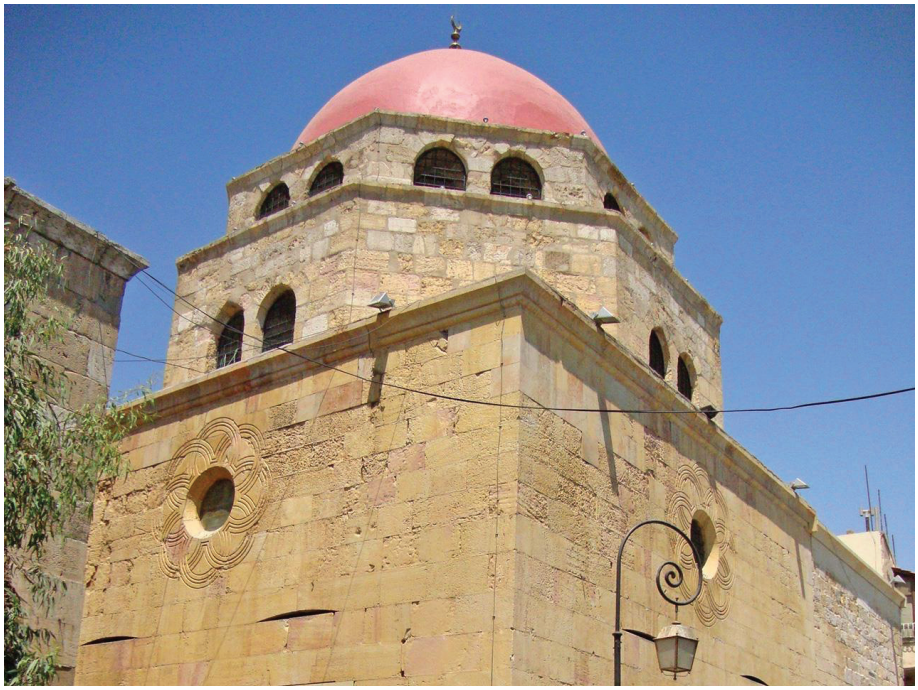

الشكل الخارجي للمدرسة الظاهرية

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

محراب الصلاة في المدرسة الظاهرية

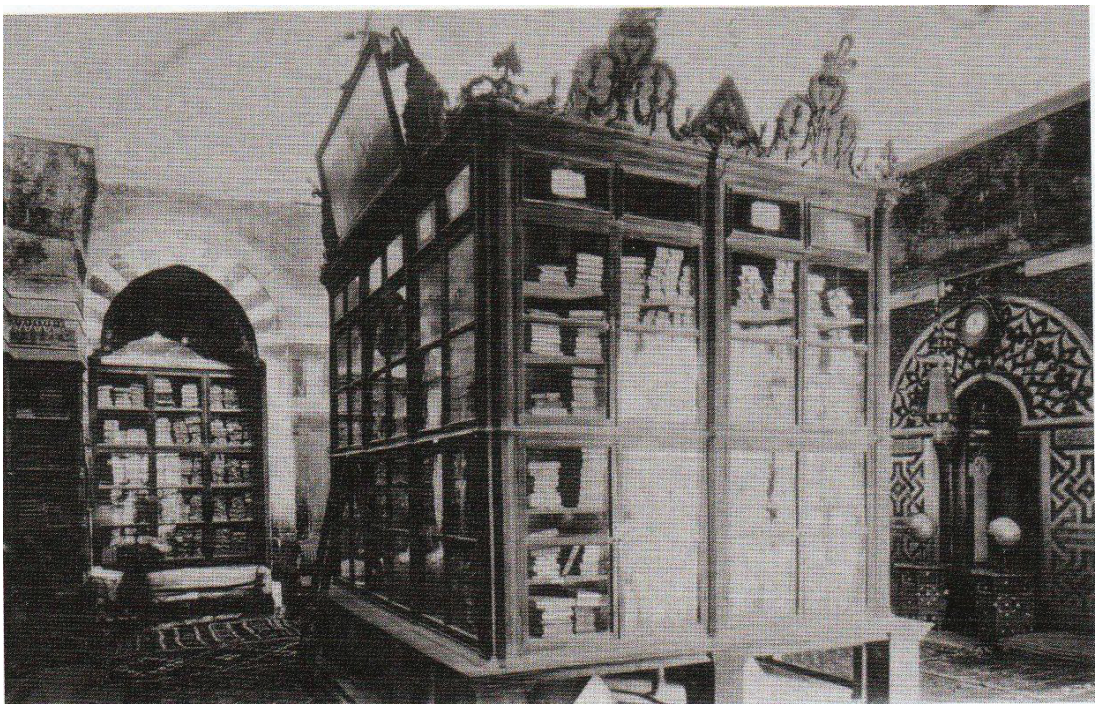

المكتبة الظاهرية

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

الخاتمة:

وفي الختام أتضح من خلال هذا البحث أن المدرسة الظاهرية عدت من اهم المدارس التاريخية الاسلامية القديمة التي تميزت بعراقتها واصالتها واعتبرت تحفة معمارية رائعة لاتزال قائمة الى يومنا هذا.( )، ومازال لها صدى واسع في دمشق برغم انها تحولت من مدرسة الى مكتبة لكن بقى يشع منها نور العلم ومازالت رمزًا تراثيًا عريقًا خلده التاريخ وسوف تبقى ذكراها خالدة على مر السنين.

الهوامش:

(١) عزة حسن ، المدرسة الظاهرية بدمشق (دار الكتب الظاهرية) ،مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلد ٨٢ ،ج ٧ ، ص١٧١
(٢) عزة حسن ،المصدر نفسه ص ١٧٢
(٣) عزة حسن ، المصدر السابق ، ص ١٧٣
(٤) عزة حسن، المصدر السابق ، ص١٧٣
(٥) الحنبلي, أبي الفلاح عبدالحي بن العماد , شذرات الذهب في اخبار من ذهب , مكتبة القدسي , القاهرة,سنة ١٣٥١ هـ
(٦) عزة حسن، المصدر السباق ، ص١٧٥
(٧) عزة حسن ، المصدر نفسه ،ص١٧٥
(٨) النعيمي ، الدارس في المدارس ،ج١،ص٣٥١
(٩) النعيمي ،نفسه المصدر السابق ،ج١،ص٣٥١
(١٠) ابن بدران،عبدالقادر بن احمد بن مصطفى بن محمد، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، المكتبة الاسلامية ١٩٦٠،ص١٢١،١١٩،١٢٠
(١١) موقع اللغة العربية بدمشق
(١٢) موقع وزارة الاوقاف بدمشق
(١٣) نرمين علي ، المدارس القديمة في دمشق "الظاهرية مثالها الحي " ،٢٠١٩
(١٤) Alforqaan.net,٢٠١٧,موقع واي باك مشين
(١٥) سارة رضا, "مقالة" المدرسة الظاهرية تحف اقدم عواصم التاريخ, موقع زينيت ٢٠١٨ , ص٣
(١٦) سارة رضا, المصدر السابق ,ص٤
(١٧) محمد كرد علي ، خطط الشام ،تاريخ النشر ١٩٢٥
(١٨) الحافظ ، محمد مطيع ،تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ،دمشق دار الفكر ،مجلد ١
(١٩)محمد الحافظ, نفس المصدر السابق, مجلد ١
(٢٠) الحمصي، اسماء ،المدرسة الظاهرية ،دار الكتب الوطنية , ص٤٠
(٢١) الحافظ ،محمدمطيع ،المدرسة العمرية بدمشق ،دار الفكر المعاصر , ص٥١
(٢٢) بن بدران ،المصدر السباق ،ط٢
(٢٣) محمد علي كردي ، المصدر السابق ،ص٢٦٧
(٢٤) محمد علي كردي ،المصدر السابق ،ص٣٩٨
(٢٥) محمد علي كردي ، المصدر السابق ، ص٣٦١
(٢٦) الحمصي ، المصدر السابق , ص ٤١
(٢٧) الحمصي ، المصدر السابق , ص٤٢
(٢٨)ابن بدران ،المصدر السباق ،ص١٢٤
(٢٩)Ross Burns.Damacsus:Ahitory.Routledge,٢٠٠٥ .
(٣٠) Gerard Degeorge.Syria:Art.Histoire.Architecture.Hermann,١٩٨٣
(٣١)عزة حسن ، المصدر السابق ،ص١٨٨
(٣٢)عزة حسن ، المصدر السابق ،ص ١٨٥
(٣٣) خالدة الرفاعي ، المكتبة الظاهرية "منارة دمشق الثقافية والاقدم في بلاد الشام " ،موقع البيان ،٢٠١٠

المصادر والمراجع:

أولًا: القران الكريم
١– سورة يونس– الآية ٥.
ثانيًا: الكتب

المدرسة الظاهرية في دمشق (دراسة تاريخية)

١ –ابن بدران ، عبد القادر بن احمد بن مصطفى بن محمد ، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، المكتبة الاسلامية ١٩٦٠.
٢ – الحنبلي ، ابي الفلاح عبد الحي ابن العماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، عام ١٠٨٩هـ مكتبة القدسي في القاهرة عام ١٣٥١هـ.
٣ –الشيخ عبد الرزاق البيطار، حيلة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦١–١٩٦٢.
٤ – النعيمي ،عبد القادر بن محمود ،الدارس في تاريخ المدارس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٤٨–١٩٥١.
٥– الحمصي، اسماء ، المدرسة الظاهرية ، دار الكتب الوطنية.
٦–الحافظ ،محمد مطيع، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ، دمشق دار الفكر
٧–محمد كرد علي ،خطط الشام ، عام ١٩٢٥

ثالثًا: المجلات

١–عزة حسن ، المدرسة الظاهرية بدمشق (دار الكتب الظاهرية) ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلد ٨٢
HTTPS ://arabacademy.gov.sy
٢–نرمين علي ،المدارس القديمة في دمشق "الظاهرية مثالها الحي "٢٠١٩
HTTPS://independen tarabia.com

رابعًا: المواقع

١–الرفاعي ،خالدة ،المكتبة الظاهرية "منارة دمشق الثقافية والاقدم في بلاد الشام"، البيان HTTPS://www.abayan.ae
٢– موقع واي باك مشين، ٢٠١٧.Alforqaan.net
٢–موقع مجمع اللغة العربية بدمشق HTTPS://www.arabacademy.gov.sy ٣–موقع وزارة الاوقاف بدمشق HTTPS://www.habous.gov.ma
٤–سارة رضا، "المدرسة الظاهرية تحف اقدم عواصم التاريخ ،٢٠١٨ HTTPS://www.almajalla.Zenit'e.me
٥– Gerard Degeorge Damas: des Origines aux Mamluk Lharmattan,1997
٦– Gerard Degeorge Syria: Art Histoire Architecture Hermann,1983.
٧– Ross Burns Damacsus:Ahitory Routledge,2005 .

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن
دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

م.م. عبير حسن خزعل البدري أ.م.د. أركان رحيم جبر العتابي
جامعة بغداد/كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:
إنّ الفوائد العلمية لدراسة علم التفسير والبحث فيه؛ تتأتى من مدى أهميّة الكتاب المفسَّر وهو القرآن الكريم، حيث يعمُد البحث إلى إظهار الفوائد والمقاصد التي تحصل من دراسة علم التفسير في ضوء دراسة تحقيقية لمخطوط: "زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن" لمحمّد بن محمود الطَّبَسي(كان حيًّا في ١٠٨٧هـ)، فقد أكَّد المؤلّف على أنَّ علم التفسير من أعظم العلوم شرفًا ومقدارًا، مبيّنًا بعد ذلك سبب نيله هذه المرتبة الشريفة، فقال بأنّه: "رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها".
وقد ذكر المؤلِّفُ فوائد لعلم التفسير، تمثّلت في:
١. إنَّ القرآن الكريم هو البحر المحيط ومنه ينشعب علم الأولين والآخرين.
٢. إنَّ بيان أهمية القرآن الكريم ودراسته تتضح فيما ورد عن النبيّﷺ بحديث طويل –ذُكِرَ في طيّات البحث– يوصي به سلمان المحمدي بقراءة القرآن الكريم، وبيان ثواب تلاوته وأنَّه ليس بعد تعلُّم العلم أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن، وأكرم العبّاد هم الأنبياء والعلماء وحملة القرآن، وفي حديث آخر بيَّن فضل من يتلو القرآن الكريم ويتدارسه مع الآخرين.
٣. إنَّ القرآن الكريم قُسِمَ على أربعة أقسامٍ، هي:
أ. قسم في ذكر فضائل النبيّ وأهل بيته الطاهرين.
ب. قسم في ذكر قبائح الشيطان وأتباعه.
ت. قسم في الشريعة الإسلامية من أحكام وتعاليم.
ث. قسم في القصص والأمثال، مثّل الجهد الأكبر للمؤلِّف حيث أشار في نهاية المقدِّمة أنَّه لم يعثر على من تخصص بالقسم الرابع(القصص القرآني) متخصصًا بذكر الآيات الخاصة بكل قصة وشرحها منفردة، وأشار إلى أنَّ هذه الدراسة للتسهيل على طالب العلم.

الكلمات مفتاحية:فوائد، مقاصد، علمية، علم التفسير، الطَّبَسي.

Abstract:
The scientific benefits of studying the science of interpretation and research in it come from the importance of the interpreted book, which is the Qur'an, where the research deliberately shows the benefits and purposes that occur from the study of the science of interpretation in the light of an investigative study of the manuscript: "The essence of the statement in explaining the verses of the stories of the Qur'an" by Muhammad bin Mahmoud Al-Tabsi (was alive in 1087 AH), the author stressed that the science of interpretation is one of the greatest sciences of honor and ability, indicating then the reason for obtaining this honorable rank, he said that: "The head and head of religious sciences and the building and foundation of the rules of Sharia."
The author mentioned the benefits of the science of interpretation, which were:
4.The Qur'an is the ocean sea and from it the knowledge of the first and the others diverges.
5. The statement of the importance of the Qur'an and its study is evident in what was reported from the Prophet, may God bless him and grant him peace, with a long hadith – mentioned in the folds of the research – rec-

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

ommended by Salman Al-Muhammadi to read the Holy Qur'an, and to explain the reward for reciting it and that it is not after learning science is more beloved to God Almighty than reading the Qur'an, and the most honorable servants are the prophets, scholars and holders of the Qur'an, and in another hadith between the virtue of reciting the Holy Qur'an and studying it with others.

6. The Qur'an is divided into four sections:

a. An oath in mentioning the virtues of the Prophet and his pure family.

b. An oath in mentioning the ugliness of Satan and his followers.

c. A section in Islamic law of rulings and teachings.

d. A section in stories and proverbs, such as the greatest effort of the author, as he indicated at the end of the introduction that he did not find anyone who specialized in the fourth section (Quranic stories) specialized in mentioning the verses of each story and explaining them individually, and pointed out that this study is to facilitate the student of knowledge.

Key words: (benefits, purposes, scientific, science of interpretation, Al-Tabsi).

المُقَدِّمة:

الحمدُ للهِ المنعمِ على عبادِهِ، المبدعِ في خلقِهِ الذي عَلا بحولِه وقوته، تجلَّت في السمواتِ والأرضِ قدرتُه، وهو القاهرُ فوق كل شيء، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِه المبلِّغِ رسالاتِه، والدليلِ على صِراطِه شفيعنا الأمجد، أبي القاسم محمَّد، وعلى آلِهِ مصابيح الهدى في الليل المظلم، منقذي الأمم، تتمة النِّعم...

أما بعد..

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هو المعجزةُ الخالدةُ، ومصدر التشريع الإسلامي، والنظامُ الأكملُ لصلاحِ البشريةِ وسعادتِها، ولذلك لم يترك العلماء من المفكرين والمفسرين دراسة القرآن الكريم وتحليل عباراته وتسليط الضوء على أدقّ التفاصيل.

فقد قام العالم المفسر محمَّد بن محمود الطَّبَسي(١)، وهو من علماء القرن الحادي عشر للهجرة الشريفة، بتأليف كتابه الموسوم بـ(زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن)(٢)، والذي تناول فيه القصص القرآني، وقد قام بجمع الآيات الخاصة بكل قصة من قصص الأنبياء والأمم والأقوام، ومن ثمّ دراستها دراسة تحليلية، فقام ببيان الوجوه الإعرابية وبيان الأوجه البلاغية للألفاظ القرآنية، وببيان القراءات ووجوه الاختلاف بين القرّاء، وبيان معاني الكلمات، وقام بإيراد الأقوال والآراء التفسيرية لأهم المفسرين كالطبري والطوسي والطبرسي والزمخشري والرازي والبيضاوي وغيرهم، وقام أيضا بتفسير الآيات تفسيراً روائياً بنقل تراثنا الإسلامي المرويّ عن النبي(صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين وصحبه المنتجبين.

إنَّ هذا البحث يتكلّم عن فوائد ومقاصد علم التفسير وبيان مكانته بين العلوم الإنسانية، وهذا ما افتتح به المؤلِّف كتابه (زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن) فقد ذكر أهم المقاصد والأهداف للسور والآيات القرآنية وأوجزها في أربع نقاط، وهي:

١. التّعريف بالله تعالى ببيان الآيات الدّالّة على توحيد الذات الإلهية والصفات والأفعال.

٢. التّعريف بالصّراط المستقيم وبيان وجوب سلوكه من خلال الالتزام بالتّكاليف الشّرعية من العبادات والمعاملات والأحكام.

٣. التّعريف بِيوْم القيامة من خلال ذِكر الأدلة القرآنية الدّالة على الحشر والحساب والجنّة والنّار، وقد أشار المؤلِّف إلى أنَّ الغرضَ من هذا المَقْصد هو التّشويق والتّرغيب.

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

٤. التّعريف بعاقبة من خالف التّعاليم السّماوية وكيف هي عاقبتهم وخزيهم في الآخرة، وقد أشار المؤلّف إلى أنَّ الغرض من هذا المقصد هو والتّرهيب والتّحذير.

النص المحقق:

وَبه ثقتي..

الحمد(٣). لله الّذي أنزل الكتاب على عبده، وجعله لكلِّ شيءٍ تبيانًا(٤)، وصَيّره لتصديق نبوّته، وتأييد رسالته، حجةً وبرهانًا، ونَزّلَهُ عليه(٥). على حسب المصالح والحاجة، ليكونَ للعالمينَ نذيرًا وفرقانًا فتَحَدّى بأقصر سورةٍ من سُوَرِه، فصحاء عدنان (٦)، وبلغاء قحطان(٧)، فلم يجد به قديرًا وإيتانًا(٨)، وأبكمَ(٩) بمعارضتهِ مصاقع(١٠). الخطباء من العرب العربا(١١)، حتى عجزوا عن المعارضة إيتانَ ثمّ بيّن للناس ما نزل إليهم، ليتدبروا آياته(١٢)، وليتبيّن لهم الأحكام تبيانًا وكشف(١٣). قناع الإنغلاق عن آياتِ المحكمات والمتشابهات(١٤). تأويلًا وتفسيرًا(١٥)، وبيانًا وعصمَ من تمسكَ به(١٦)، وبالعترة الطاهرة، وتشبّثَ بهما(١٧). زيغًا(١٨)، وطغيانًا(١٩)، ووعدَ على التمسّكِ بهما الفوزَ برضاه، والخلود جنانًا.

والصّلاة على أشرف الكائنات، وأفضل المخلوقات، محمّد(صلى الله عليه وآله)، المبشّر للنّاس من النّار براءة وأمانًا وعلى آله المعصومين وعترته الطاهرين، كنوز العلم ورُعاتِه، ووُلاة الحق سُبحانًا، عليهم من الله ألف تحيّة ورضوانًا.وبعد(٢٠)...

فيقول الفقير إلى الله الغنيّ، محمّد بن محمود الطّبسيّ، إنّ فضيلة العلم وارتفاع درجته، وعلوّ شأنه ومرتبته، أمر لا يخفى على من له أدنى مُسْكَة(٢١)، والقرآن والسّنة والإعتبار العقلي مشحون ببيان ذلك(٢٢)، وقد استقصاها(٢٣). فخر الرازي(٢٤). في تفسيره الكبير عندَ قولهِ تعالى:(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)[البقرة: من الآية ٣١]، إلا أنّ انتظامه في سلك الضرورة والبداهة، كفانا مؤنة الاهتمام بذكر ذلك.

ثمّ إنَّ عِلْمَ التّفسير من أعظم العلوم شرفًا ومقدارًا، لأنه رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشّرع وأساسها، لا يليق للتعرّض والتكلّم فيه إلّا من برَعَ في العلوم الدّينية، والصناعات العربيّة، والفنون الأدبية، وقد انتصب جَمٌّ غفير(٢٥)، وجمع كثير من عظماء الصحابة والتابعين، ثمّ من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين، في كلِّ عصر وأوان، للخوضِ في تيّار بحارِه، والكشفِ عن أسرارِه، والفحص عن غرابيه(٢٦)، والاطلاع عن رغابيه(٢٧)، عقلًا ونقلًا واجتهادًا، فكتبوا ما كتبوا من التفاسير، وبالغوا فيما تيسّر لهم من التحقيق والتدقيق، فشكر الله مساعيهم الجميلة، وأجزل من جوده مثوباتهم الحميدة.

وحيث كان من فضل الله عليَّ أن أهّلَني لاقتفاء آثارهم، والتمييز بين نقدهم وتزييفهم، أحببت الأُسْوة بهم، ورجوتُ الدّخول في زمرتهم، فأردتُ تفسيرَ شيءٍ من آيات القرآن مع قلّة البضاعة، وقصور البال، وتشوّش الأفكار من الدّهر الغدّار، فنظرت إلى الحديث المرّوي من طرق العامة والخاصة، من النّبي والأئمة، في تقسيم القرآن إلى أربعة أرباع، إلى آخر ما سيجيء ذكره في ذيل الفوائد، فشرعت في تفسير ربع الرابع، وهو ذكر القصص والأمثال، ثمّ بعد الإتمام سميّته:

بزبدة البيان في شرح قصص القرآن(٢٨)، وأكملتُه بذكر نُبَذٍ(٢٩). من أحوالِ نبيّنا(صلى الله عليه وآله)،، وأئمة الأنام عليهم الصلاة والسلام، سائلًا من الله تعالى الإستعانة والتوفيق، وأنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يقرّبني به إلى الأنبياء والمرسلين، الّذين خصصّناهم بالذكر في هذا الكتاب، خصوصًا خاتم النبيّين محمّد(صلى الله عليه وآله)،، وعترته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

ولنُقدِم على الشروع في المقصود.

ذكر فوائد لا بُدَّ من الإشارة إليها:

الفائدة الأولى: في بيان أنّ القرآن هو البحر المحيط، ومنه ينشعب علم الأوّلين والآخرين، كما ينشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها.

واعلم أنّ سرّ القرآن ولبابه، [ومقصده](٣٠). الأقصى دعوة العباد إلى الجبار الأعلى، ربّ الآخرة والأولى، ونسبة الكتب [الإلهية](٣١). إلى الأنبياء، كنسبة تذكرةٍ يكتبها الخلفاء العظماء لولاتهم، بتفصيل ما تعمله وتأتيه، وتذره وتتركه مع رعيته،

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

فلذلك انحصرت مقاصد سور القرآن وآياته في أربعة أنواع:

أحدها: تعريف المدعوّ إليه، وهو الله تعالى، بالآيات الدالة على الذّات، والصّفات، والأفعال.

وثانيها: تعريف الصّراط المستقيم، التي يجب(٣٢). السلوك عليها، وكيفية أخذ الزاد والأهُبّة(٣٣)، والاستعداد حتى يصل إلى ما هو الغرض، وذلك بالآيات الدّالة على تشريع الشرائع من العبادات والمعاملات والإيقاعات والأحكام.

ثالثها: تعريف حال السالك والمجيبين للدّعوة والعاملين بما يجب عليه عند الوصول إلى الله بالموت، بالآيات الدّالة على أحوال أهل الجنّة، وذكر الرّوح، والريحان، والنعيم الّذي يلقاه الواصلون.

رابعها: تعريف أحوال الناكبين(٣٤). عن الإجابة، والجاحدين للأنبياء، وكيفية قمع الله لهم، وتنكيله، بذكر الآيات الدالة على الخزي والعذاب والنكال(٣٥). الذي يلقاه المحجوبون عنه، بإهمال السلوك، وكشف فضائحهم.

والغرض من الثالث: التشويق والترغيب.

ومن الرابع: الترهيب والاعتبار(٣٦)، والتحذير والشفير(٣٧).

فشرح (٣٨). القرآن، تعريف الذات، والصفات، والأفعال، بما ذكرنا من الآيات الدالة على ذلك، وقانون العبادات والمعاملات والاختصاص بالأموال بآيات العبادات وآيات المبايعات والمداينات وقسمة المواريث والغنائم، والزكوات والأخماس وقدر النفقات إلى غير ذلك من الأحكام المسمات بالحلال والحرام، وشرح أحوال السالكين والمجيبين للدعوة، بذكر قصص الأنبياء، وأحوال الناكبين والجاحدين، بذكر قصص عاد وثمود وقوم لوط وفرعون.

فهذه مجامع ما ينطوي عليه سور القرآن وآياتها، وإنْ جُمِعت الأنواع مع شعبها وتوابعها في سلك واحد، ألفيتَها ثمانية أنواع: ذكر الذات، وذكر الصفات، وذكر الأفعال، وذكر المعاد، وذكر الصراط المستقيم المتناول للتزكية(٣٩)، والتخلية(٤٠)، وحدود الأحكام والشرائع، وذكر أحوال الأولياء، وذكر أحوال الأعداء، وذكر محاجّة(٤١). الكفّار.

ومن النوع الأول ينشعب علم الكلام ويتكفل به المتكلمون.

ومن الثاني ينشعب علم [الحدود](٤٢). الموضوعة للاختصاصات بالأموال والمزاوجات لبقاء النفس والنسل، ويتكفل بذلك العلم الفقهاء، وهذا علم تعمّ الحاجة إليه، لتعلقه بصلاح الدنيا أولا، ثم بواسطته بصلاح الآخرة.

ولذلك يتميّز صاحب هذا العلم بمزيد الاشتهار والتوقير والتقديم على غيره من القصّاص والوعّاظ.

كما ينشعب من الثالث والرابع: معرفة قصص القرآن، وما يتعلق بالأنبياء وبالجاحدين والأعداء ويتكفل بهذا العلم القصّاص والوعّاظ.

وهناك علوم أُخر تنشعب(٤٣). من القرآن: كعلم الطب، والهيئة(٤٤)، والنجوم، وتشريح أعضاء الحيوان والإنسان إلى غير ذلك.

لكن لمّا لم يتوقف السلوك والسّفر إلى الله على هذه العلوم، لم نتعرض لها، إذ لا يتوقف على معرفتها صلاح المعاش والمعاد، لكن يتولد من علم القرآن والحديث علم آخر يسمّى أصول الفقه، إذ به يتم الاستدلال على الأحكام الشرعية، وعلم آخر يسمّى المنطق لِما ذُكر، ويتوقف معرفتهما على علم العربية بأجمعها

ثُمّ لا يخفى أنّ رتبة القُصّاص والوعّاظ دون رتبة الفقهاء والمتكلمين ما داموا مقتصرين على مجرد القصص.

ودرجة الفقيه والمتكلم تتقارب، لكن الحاجة إلى الفقيه أعم وأشد، وإلى المتكلم أندر وأسدّ، ويحتاج إلى كلاهما لمصالح الدّين والدّنيا.أمّا الفقيه فلحفظ الأحكام والاختصاصات بالأموال والمناكح، وأمّا المتكلّم فلدفع ضرر المبتدعة بالمحاجّة كيلا يستطير شررهم، ولا يعمّ ضررهم.

أمّا نسبتهم إلى الطريق والمقصد، فنسبة الفقهاء نسبته عُمّار [الرباطات](٤٥). [والمصالح](٤٦). في طريق مكة إلى الحجّاج، ونسبة المتكلمين كنسبة بدرقة(٤٧) طريق الحج وحارسه إلى الحجّاج، فهؤلاء إن أضافوا إلى صناعتهم سلوك الطريق بقطع عقبات النّفس، والنزوع عن الدّنيا، والإقبال على الله تعالى، ففضلهم على غيرهم كفضل القمر على سائر النّجوم.

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

هذا وإن شئت تفصيل ما ذكرنا مشروحًا، فارجع إلى كتاب جواهر القرآن للغَزَّالي(٤٨)، ويتلخص ممّا ذكرنا شرح الحديث الذي سيجيء من أنّ القرآن أربعة أرباع إذ يُفهم منه، أن الآيات الدالة على الذات، والدالة على الصفات والأفعال، والواردة في المعاد، والواردة في الفرائض والأحكام يجيء ربع القرآن، بل أزيد من الربع، وإنّ الآيات الواردة في وصف الرسول، وبيان أحواله بخصوصه، وذكر غزواته، وذكر أوصيائه، وخلفائه وأصحابه ومن آمن به، وذكر الرَّوح والريحان والنعيم الذي يلقاه التابعون له، والواردة في أعدائه، وأعداء أوصيائه والتابعين لهم من الخزي والهوان والعذاب والتنكيل والتشديد والتهويل يجيء نصف القرآن، وهو الربعان اللذان أشار(عليه السلام)بقوله: "رُبُعٌ فِينَا وَ رُبُعٌ فِي عَدُوِّنَا"(٤٩)، إذ ليس نصف القرآن في خصوص أحوال الأئمة وأعدائهم، وهو ظاهر ولكن يتم ذلك(٥٠). بانضمام النبي (صلى الله عليه وآله)، إليهم مع انضمام ما أمره تعالى به، وما نهاه عنه وما أخبره به من أحوال أوليائه وأحوال أعدائه، وأن الآيات الواردة في أحوال أنبياء الماضين وأممهم يجيء ربع آخر، فيصح كون القرآن أربعة(٥١). أجزاء ومقاصد، وإن لم يكن الأجزاء والمقاصد متساوية بحسب المقدار هذا.

الفائدة الثانية: قد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وأئمة الهدى(عليهم السلام)، أخبار كثيرة في فضيلة القرآن ودراسته وقراءته، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لسلمان الفارسي: يا سلمان، عليك بقراءة القرآن، فإن قراءته كفارة للذنوب، وستر من النار، وأمان من العذاب، ويكتب لمن قرأ بكل آية ثواب مائة شهيد ويعطى بكل سورة ثواب نبي وينزل على صاحبه الرحمة ويستغفر له الملائكة، واشتاقت إليه الجنة ورضي عنه المولى، وإن المؤمن إذا قرأ القرآن نظر الله إليه بالرحمة وأعطاه بكل آية ألف حوراء، وأعطاه بكل حرف نورا على الصراط، فإذا ختم القرآن أعطاه الله تعالى ثواب ثلاثمائة وثلاثة عشر نبيا بلّغوا رسالات ربهم(٥٢)، وكأنما قرأ كل كتاب أنزل الله على أنبيائه، وحرم الله جسده على النّار، ولا [يقوم](٥٣).

من مقامه حتى يغفر الله له ولأبويه، وأعطاه الله بكل سورة في القرآن مدينة في جنة الفردوس، كل مدينة من درة خضراء، في جوف كل مدينة ألف دار، في كل دار، ألف حُجرة، في كل حُجرة مائة ألف بيت من نور، على كل بيت مائة ألف باب من الرحمة، على كل باب مائة ألف بوّاب، بيد كل بوّاب هدية من لون آخر، وفي كل بيت مائة ألف دكان، وفوق كل دكان مائة ألف سرير، وعلى كل سرير مائة ألف فراش، وفوق كل فراش حوراء عيناء وعليها مائة ألف حلّة، يُرى مخ ساقها من وراء تلك الحلل، وعلى رأسها تاج من العنبر مكلل بالدّر والياقوت، وعلى رأسها ستون ألف ذوابة من المسك والغالية، وفي أذنيها قرطان وشنقان، وفي عنقها ألف قلادة من الجوهر، وبين يدي كل حوراء ألف خادم، بيد كل خادم كأس من الذهب، في كل كأس مائة ألف لون من الشراب لايشبه بعضه بعضا، وفي كل بيت ألف مائدة، في كل مائدة ألف قصعة، وفي كل قصعة ألف لون من الطعام، يجد ولي الله من كل لون مائة لذّة، يا سلمان، المؤمن إذا قرأ القرآن فتح الله عليه أبواب (٥٤). الرحمة، وخلق الله بكل حرف يخرج من فيه ملكًا يسبح الله(٥٥). له إلى يوم القيامة، فإنه ليس بعد تعلّم العلم أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن، وأنَّ أكرم العباد إلى الله تعالى بعد الأنبياء العلماء، ثمّ حملة القرآن يخرجون من الدّنيا كما يخرج الأنبياء، ويحشرون من القبور مع الأنبياء، ويمرون على الصراط معهم، ويأخذون ثوابهم، فطوبى لطالب العلم وحملة القرآن وما لهم عند الله من الكرامة والشرف(٥٦).

وقال (صلى الله عليه وآله)،: ((فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ))(٥٧).

وقال (صلى الله عليه وآله)،:(إِنْ أَرَدْتُمْ عَيْشَ السُّعَدَاءِ وَمَوْتَ الشُّهَدَاءِ وَالنَّجَاةَ من النّارِ، والهِدَايَةَ مِنَ الضَّلَالَةِ فَادْرُسُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ كَلَامُ الرَّحْمَنِ وَحِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُجْحَانٌ فِي الْمِيزَانِ)(٥٨).

وقال (صلى الله عليه وآله)،: ما اجتمعَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ مِنْ مساجِدِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وغَشيتهم الرَّحْمَة وحفَّتْ بِهِمُ الملائكة"(٥٩).

وفي تفسير العسكري عليه السلام في فضل فاتحة الكتاب: "ألا فمن قرأها معتقدا بموالات محمد وآل محمد ومنقاداً لأمرهم

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

مؤمنا بظاهرهم وباطنهم، أعطاه الله تعالى بكل حرف منها حسنة، كل حسنة أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها... الحديث(٦٠)(٦١).

وقال(صلى الله عليه وآله)،: "من استظهر القرآن وحفظه وأحل حلاله وحرّم حرامه أحله الله تعالى به الجنة وشفَّعهُ في عشرةٍ من أهلِ بيتهِ كلّهم قد وجبتْ له النار"(٦٢).

وقال(صلى الله عليه وآله)،: "أقرؤا القرآن واستظهروا به، فإن الله تعالى لا يعذب قلبًا هو وعاء القرآن"(٦٣).

وقال(صلى الله عليه وآله)،: "من قرأ القرآن فرأى أنَّ أحدًا أُعطيَ أفضل ممّا أُعطي فقد حقَّر ما عظَّمه الله، وعظّم ما حقَّرهُ الله"(٦٤).

وقال أمير المؤمنين(عليه السلام): " مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ طَائِعاً وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَتَا دِينَارٍ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ مُنِعَ فِي الدُّنْيَا أَخَذَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَافِيَةً أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا"(٦٥).

وهذه الأخبار يسير من كثير، وغيض من فيض(٦٦)، ونزر(٦٧) من غمر، اقتصرنا عليها إيثارا للاختصار.

الفائدة الثالثة: أنّه قد ورد عن الأئمة عليهم السلام، إنّ القرآن أربعة أرباع:

"ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع في فرائض وأحكام، وربع قصص وأمثال"(٦٨)، والمشهور بين الفقهاء أنّ الآيات المبحوث عنها في الأحكام نحوًا من خمسمائة تقريبا، فورد ههنا سؤال: وهو أن القرآن ستة آلاف آية وستمائة وست وستون آية، فكيف يكون خمس مائة أو أقل ربعه؟ والجواب عنه من وجوه:

الأول: إنَّه ليس المراد الربع حقيقة، وهو جزء(٦٩). من أجزاء متساوية في المقدار، بل الجزء مطلقا، كبابٍ من الأبواب، وفصل من الفصول، فلا يلزم أنْ يكون الأرباع متساوية في المقدار.

الثاني: إنَّ آيات الأحكام يمكن أنْ تكون أكثر من خمسمائة، حتى يبلغ الربع حقيقة، كما ورد به الخبر، لكن ما ضبطه الأصحاب واستنبطوا منه على حسب جهدهم وطاقتهم يبلغ قريبا من خمسمائة، ولا ينافي ذلك اشتمال القرآن على آيات كثيرة يمكن استنباط الأحكام منها، لكن لم يشعروا بها، لقصور مداركهم وأذهانهم عنه، والقرآن بحر عميق، وكل أحد أخذ عنه بقدر ما أفاض الله عليه، فما استفاده الفقهاء ليس كما استفاده المؤَيَدون بالعصمة.

والثالث: إنَّ المراد بالربع: الربع بحسب المعنى والألفاظ، لا بحسب عدد الآيات، مثلًا آية الوضوء واحدة، يمكن أن يكون بمقدار عشر آيات من نحو:(مُدْهَامَّتَانِ)[الرحمن: ٦٤].

والرابع: وهو الصحيح، والحق الصريح أنَّ الفرائض والأحكام قد تكون فقهية، وقد تكون أصولية، والآيات المذكورة المبحوث عنها في الفقه، فقهية لا غير، فجاز كون تمام الربع في الأحكام الأصولية.

وقد مرّ فيما سبق ما يُفهم منه شرح الحديث وصحته. فتذكّر! هذا...

والآيات المبحوث عنها في الفقه قد أفرزها العلماء من العامة والخاصة كقطب الراوندي(٧٠)(٧١) والمقداد(٧٢)(٧٣)، وغيرهما، والآيات المبحوث عنها في أُصول الكلامية أيضاً قد أفرزها(٧٤). البعض(٧٥)، وإليها أشار الغزالي(٧٦).

في كتابه المسمى بجواهر القرآن بقوله: النمط الأوّل في جواهر القرآن(٧٧)، وهي سبعمائة وثلاثة وخمسون آية: أولها فاتحة الكتاب(٧٨)،(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣). مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧))، ومن سورة البقرة أربع عشر آية(٧٩)،(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[البقرة: ٢٢]،(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[البقرة: ٢٩]،(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[البقرة: ٣٢]، وهكذا إلى آخر القرآن، حتى يتم العدد المذكور.

ولما أفرُز هذا الربع كما علمت، وأفرَز الربع الذي فيهم والربع الذي في عدوهم كما رأيته في كتاب على حدة صنفه علي

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

بن سيف بن منصور(٨٠)، وسماه تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة(٨١)، وصنّف أيضا أبو بكر محمد بن مؤمن الشيرازي(٨٢)، كتابًا سمّاه بكتاب ما نزلَ في علي(عليه السلام)وأولاده من القرآن، وغيرهما.

ولم أعثر على إفراز الربع الذي في القصص والأمثال، وإن ذكروا(٨٣). في السير والقصص أحوال الأنبياء ومخالفيهم، ولكن لم يتعرضوا لذكر الآيات وشرحها منفردًا، أردتُ أن أفرز هذا القسم أيضا ليتميز كل واحد من الأربا ع الأربعة عن البواقي بالتعيين والتفسير، ليسهل على الطالب.

الهوامش:

(١) نسبةً إلى مدينة طبس وهي مدينة واقعة بين نيسابور وأصبهان وكرمان. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٠/٤٢.

(٢) كتاب في تواريخ الأنبياء. ينظر: معجم مورخي الشيعة، الصائب، ٣٢٧/٢، (رقم الترجمة: ١٣٧٩).

(٣) ورد في النسخة ج: (الفرق بين الحمد والشكر إن الحمد نقيضه الذم، والشكر نقيضه الكفر. كشّاف). ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر(ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، لبنان–بيروت، ١٤٠٧هـ، ط٣، ٩/١.

وورد في حاشية النسخة: ج: (قوله الحمد، وهو والمدح إخوان والثناء والنداء على الجميل من نعمةٍ وغيرها، تقول حمدت الله على إنعامه، إذا مدحته، وعلى حسبه وانعامه، وأمّا الشكر، فعلى النّعمة خاصة، وهو بالقلب واللسان والجوارح، والحمد لا يكون إلّا باللسان فقط. كشّاف). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٨/١.

(٤) ورد في النسخة ج: (التّبيان مصدر، فالقياس فتح التاء).

"العرب تقول: بَيَّنْت الشيءَ تَبْييناً وتِبْياناً، بكسر التاء، وتِفْعالٌ بكسر التاء يكون اسماً، فأما المصدر فإنه يجيء على تَفْعال بفتح التاء، مثل التَّكْذاب والتَّصْداق". لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم(ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ، ط٣، ٦٨/١٣، (مادة: بين).

(٥) ورد في النسخة ج: (أي: على عبده).

(٦) ورد في النسخة ج: (قبيلة من العرب وهم مشهورون بالفصاحة).

(٧) عدنان وقحطان: هما الأصلان الأساسيان لقبائل العرب، فضلًا عن قضاعة، فتارة ينسب العرب إلى عدنان، وأُخرى ينسب إلى قحطان أو قضاعة، فنسب العرب محصور في هؤلاء الثلاثة. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٨هـ، ط١، ص١.

(٨) "اليَتْنُ: الوِلادُ المَنْكُوسُ، فالوَلَدُ مُوْتَنٌ، وأَيْتَنَتِ المَرْأَةُ تُوْتِنُ إِيْتاناً". المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد(ت:٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، لبنان–بيروت، ١٤١٤هـ، ط١، ٤٦٥/٩، بابُ الثُّلاثِيِّ المُعْتَل، (مادة: يتن).

ترى الباحثة: إنَّ المقصود هو عدم إيجاد ولّاد تصدر منه القوة والقدرة الفكرية لمواجهة وتحدي الإعجاز القرآني.

(٩) ورد في النسخة ج: (أي: أخرس وأبكم).

"الأَبْكَمُ: الأخرس الذي لا يتكلم، وإذا امتنع الرجل من الكلام جهلا أو تعمدا فقد بَكِمَ عنه". كتاب العين، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي–إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران–قم، ١٤٠٩هـ، ط٢، ٣٨٧/٥، (مادة: بكم).

(١٠) ورد في النسخة ج: (جمع مصقع).

"مِصْقَع: بليغ... والجمع: الأَصْقُع... وأَصَاقِع". كتاب العين، الفراهيدي، ١٢٩/١، (مادة: صقع).

(١١) "العَرَبُ العَارِبَةُ والعَرْباءُ: الخُلَّصُ". المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٣١/٢، باب: العين والراء والباء، (مادة: عرب).

(١٢) ورد في النسخة: ج: (أي: آيات القرآن).

(١٣) ورد في النسخة: ج: (أي أظهر وأبرز).

(١٤) "الْمُحْكَمُ: ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى"، "والْمُتَشَابِهُ من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللّفظ، أو من حيث المعنى، ... والْمُتَشَابِهُ: ما لا ينبئ ظاهره عن مراده". مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداؤدي، الدار الشامية، لبنان–بيروت، ١٤١٢هـ، ط١، ص٢٥١ و٤٤٣.

(١٥) التفسير: الإظهار والكشف، أي هو كشف المغلق من المراد بلفظه، وكشف المراد عن اللفظ المشكل، وأما التأويل من الأول، فتأويل الكلام عاقبته، وورد أنَّ هناك فرقٌ بينهما وقيل لا فرق، فالتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، وردّ أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر، والتأويل هو كشف ما انغلق من المعنى. ينظر: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، الآملي، حيدر بن علي (ت: ٧٨٢هـ)، تحقيق: محسن الموسوي التبريزي، مكتبة نور على نور، إيران– قم، ١٤٢٢هـ، ط٣، ٢٣٨/١. وينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: جمال حمدي وإبراهيم عبد الله ويوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، لبنان–بيروت، ١٤١٠هـ،

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

ط١، ٢/٢٨٤–٢٨٥.

(١٦) ورد في النسخة: ج: (أي: بالقرآن).

(١٧) ورد في النسخة: ج: (أي: بالعترة والقرآن).

(١٨) "الزَّيْغُ: الميل والتَّزَايُغُ: التمايل". كتاب العين، الفراهيدي، ٤/٤٣٤، باب الغين والزاي، (مادة: زيغ)، و"إنَّ الزيغ مطلقا لا يكون إلّا الميل عن الحق". الفروق في اللغة، العسكري، أبو هلال حسن بن عبد الله (ت: ٣٩٥هـ)، دار الآفاق الجديدة، لبنان–بيروت، ١٤٠٠هـ، ط١، ص٢٠٧.

(١٩) "الطُّغْيَانُ: من الطَّغْوَى، وكل شيء يجاوز القدر فقد طَغَى. كتاب العين، الفراهيدي، ٤/٤٣٥، باب الغين والطاء، (مادة: طغو، ظغي).

(٢٠) ورد في النسخة ج: (أي: بعد الحمد والصلاة).

(٢١) "رجل ذو مُسْكة، ومُسْك، أي: رأي وعقل يُرْجع إليه". المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان–بيروت، ١٤٢١هـ، ط١، ٦/٧٣٥، باب: الكاف والسين والميم، (مادة: مسك).

(٢٢) ورد في النسخة ج: (أي: مقر من بيانه ذلك).

(٢٣) ورد في النسخة ج: (أي: القرآن والسنة، والاعتبار العقلي). ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، إعداد وتحقيق ونشر: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، لبنان–بيروت، ١٤٢٠هـ، ط٣، ٢/٣٩٧–٤٢٤.

(٢٤) ورد في حاشية النسخة ج ترجمة لحياة الرازي: (قوله: فخر الدّين الرازي، وهو أبو عبد الله محمد ابن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري، الطبرستاني الأصل، الرازي المؤلد، الملّقب فخر الدّين المعروف بابن خطيب، الفقيه، شافعيّ المذهب، له تصانيف كثيرة، من جملتها: التفسير الكبير، وشرح سورة الفاتحة في مجلّد واحد، وهو في كل العلوم أستاذ، وله في علم المعقولات: نهاية المعقول، وله مشيخة من النّظم، فمن... قوله:

نهـــاية إدراك العقول عقـــال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعيـن وزالوا

هذا ما اختصرناه منها، وكانت ولادته في الخامس والعشرين من شهر رمضان، في سنة أربعة وأربعين وخمسمائة، في الري، وقوله: ووبال، الوبال: الشدة والثقل. انتهى). ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الدمشقي، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد(ت:١٠٨٩هـ)، تحقيق وتعليق: أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، تصحيح: عبد القادر أرناؤوط، دار ابن كثير، لبنان–بيروت، ١٤٠٦هـ، ط١، ٧/٤١–٤٢.

(٢٥) "جَمَ الشيءُ واسْتَجَمَ أي كثُر، جَمَمْتُ المكيال جَمّا، والجَمَّاء الغَفِير: الجماعة من الناس. كتاب العين، الفراهيدي، ٦/٢٧–٢٨، باب الجيم مع الميم، (مادة: جم).

(٢٦) "تكلّم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول: فلان يُعرِب كلامَه ويُغْرِب فيه، وفي كلامه غرابة، وغَرُب كلامُه، وقد غَرُبَتْ هذه الكلمة أي غَمُضت فهي غريبة". أساس البلاغة، الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر(ت: ٥٣٨هـ)، دار صادر، لبنان–بيروت، ١٩٧٩م، ط١، ص٤٤٧، باب الغين، (مادة: غرب).

(٢٧) يقال رجلٌ رَغِيبُ الجَوْف: إذا كان أَكولًا، وَوَادٍ رغيبٌ: أي واسع، وحَوْضٌ رَغِيبٌ. ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، أبو المنصور محمد بن أحمد (ت:٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان–بيروت، ١٤٢١هـ، ط١، ٨/١٢٢، (مادة: رغب).

(٢٨) هذه التسمية من النسخة ج؛ لأنَّ المقدمة مفقودة من النسخة أكما بيّنت ذلك في وصف النسخة أ، أما تسمية الكتاب من قِبل المؤلّف فقد وجدتها في خاتمة النسخة أ، حيث قال فيها: "تم كتاب زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن على يد مؤلفه العبد المفتقر إلى عفو الله ورحمته وشفاعة نبيه وأئمته، محمد بن محمود بن مولانا علي الطّبسي عامله الله بلطفه الخفي والجلي في منتصف شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية على مشرّفها ألف من التحية بعد ما كان الشروع فيه في شهر رمضان من السنة السابقة فكان مجموع أوقات الإشتغال به سنة واحدة وأشهرا قلايل والحمد لله رب العالمين". ينقل الى المقدمة والقسم الدراسي..

(٢٩) "النَّبْلُ والنَّبْلَةُ: الشَّيْءُ اليَسِيرُ، وجَمْعُه أنبَاذٌ". المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ١٠/٨٧–٨٨، (مادة: نبذ).

(٣٠) وردت في النسخة ج: (مقصد).

(٣١) وردت في النسخة ج: (الالهى).

(٣٢) كل ما سبق من النسخة ج، ومفقود من النسختين: أ – ب.

(٣٣) "الأُهْبَةُ: العُدَّةُ، تَأَهَّبَ: اسْتَعَدَّ... وأُهْبَةُ الحَرْبِ: عُدَّتُها، والجمع أُهَبٌ". لسان العرب، ابن منظور، ١/٢١٧، فصل الهمزة، (مادة: أهب).

(٣٤) النَّكَبُ: شبه ميل، وإنه لَمِنْكَابٌ عن الحق، أي: مائل عنه، ينظر: كتاب العين، الفراهيدي، ٥/٣٨٥، باب الكاف والنون والباء معهما، (مادة: نكب).

(٣٥) النِّكْلُ والنَّكَلُ: ضرب من اللجم والقيود". كتاب العين، الفراهيدي، ٥/٣٧١، باب الكاف واللام والنون معهما، (مادة: نكل).

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

(٣٦) (الاعْتِبَارُ) يَكُونُ بِمَعنَى الاختِبَارِ وَالامتِحَانِ مِثلُ (اعْتَبَرْتُ) الدَّرَاهِمَ فَوَجَدتُهَا أَلفاً وَيَكُونُ بِمَعنى الاتِّعَاظِ نَحوُ قَولِهِ تَعَالَى: (فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ) و(الْعِبْرَةُ) اسْمٌ مِنْهُ...(الْعِبرَةُ وَالاعْتِبَارُ) بِمَعْنَى الاعْتِدَادِ بِالشَّيْءِ فِي تَرَتُّبِ الْحُكْمِ نَحْوُ وَ(الْعِبْرَةُ) بِالعَقِبِ أَيْ وَالاعْتِدَادُ فِي التَّقَدُّمِ بِالْعَقِب". المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي(ت:٧٧٠هـ)، مؤسسة دار الهجرة، إيران–قم، ١٤١٤هـ، ط٢، ٢/٣٩٠، (مادة: عبر).

(٣٧) "التَّشْفِير: قلة النفقة، وعَيْشٌ مُشَفِّرٌ: قليلٌ ضَيِّقٌ". لسان العرب، ابن منظور، ٤/٤٢٠، فصل الشين المعجمة، (مادة: شفر).
وهي كلمة زائدة لم أقف عليها في كتب التفسير والشروحات عليها، ولم ترد في المصدر المشار إليه من قبل المؤلف. ينظر: جواهر القرآن ودرره، الغَزَّالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد(ت: ٥٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان–بيروت، ١٤٠٩هـ، ط١، ص١٠–٢٨، الفصل الأول في أن القرآن هو البحر المحيط وينطوي على أصناف الجواهر والنفائس.

(٣٨) النص (السلوك ... فشرح) من النسخة: ب، ص٥، ومن النسخة: ج.

(٣٩) "التزكية: هي نفي النقائص عنها، وإثبات الكمالات لها". جامع السعادات، مهدى بن أبي ذر النراقي(ت: ١٢٠٩هـ)، تصحيح: محمد كلانتر، كاتب المقدمة: محمد رضا المظفر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، د.ت، د.ط، ١/٤٠١.
وأيضاً هي الطاعة لله تعالى والإخلاص له. ينظر: موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان–بيروت، ١٤٢١هـ، ط١، ص١٦٣.

(٤٠) التخلية: هي التطهير من الرذائل، أي: التنزه عن أخلاق البهائم والشياطين. ينظر: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، محمد الكسنزاني، دار المحبة، سوريا–دمشق، ١٤٢٦هـ، ط١٦/٢٤٤.
وهي في الأصل زوال الموانع. ينظر: موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان–بيروت، ١٤١٨هـ، ط١، ١/٣٠٢.

(٤١) الْمُحَاجَّةُ: أن يطلب كلّ واحد أن يردّ الآخر عن حجّته ومحجّته، قال تعالى: وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ: أَ تُحاجُّونِّي فِي اللَّهِ [الأنعام/٨٠]. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الإصفهاني، ص٢١٩، كتاب الحاء، (مادة: حج).

(٤٢) عبارة: [الحدود] من مصدر التوثيق، ولم ترد في جميع النسخ. ينظر: جواهر القرآن ودرره، الغزَّالي، ص٢٦.

(٤٣) وردت في النسختين ب–ج: (ينشعب).

(٤٤) علم الهيئة يعرف فيه حال أجزاء العالم في أشكالها وأوضاع بعضها عند بعض ومقاديرها وأبعاد ما بينها وحال الحركات التي للأفلاك وللكواكب، وعلم الهيئة اسم قديم لعلم الفلك. ينظر: موسوعة مصطلحات ابن سينا، جيرار جهامي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان–بيروت، ١٤٢٥هـ، ط١، ص٧٨٧–٧٨٨. وينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الحفني، عبد المنعم، مكتبة مدبولي، مصر–القاهرة، ١٤٢٠هـ، ط٣، ص٩١١.

(٤٥) العبارة: [الرباطات] من مصدر التوثيق، ووردت في النسختين ب–ج: (الرباط). ينظر: جواهر القرآن ودرره، الغزَّالي، ص٢٧.

(٤٦) العبارة: [والمصالح] من مصدر التوثيق، ووردت في النسختين ب–ج: (والمصانع).

(٤٧) "الدَّرَقُ: ضَرْبٌ من التِّرَسَة، الواحدة دَرَقَةٌ، وَمْعُه أدراقٌ، يتَّخَذُ من جُلُودٍ، والدَّوْرَقُ: مِكْيَالٌ لِمَا يُشْرَبُ...والدَّرْقَاءُ: السَّحَابُ". المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٥/٣٤٦، باب القاف والدال والراء، (مادة: درق).

(٤٨) جواهر القرآن ودرره، الغَزَّالي، ص١٠–٢٨، الفصل الأول في أن القرآن هو البحر المحيط وينطوي على أصناف الجواهر والنفائس.

(٤٩) الرواية عَنْ الإمام أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام، قَالَ: "نَزَلَ الْقُرْآنُ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ رُبُعٌ فِينَا وَرُبُعٌ فِي عَدُوِّنَا وَرُبُعٌ سُنَنٌ وَأَمْثَالٌ وَرُبُعٌ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ". ينظر: الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح: غفاري، علي أكبر وآخوندي، محمد، دار الكتب الإسلامية، إيران–طهران، ١٤٠٧هـ، ط٤، كتاب فضل القرآن/باب النوادر، (رقم الحديث: ٤)، ٢/٦٢٨.

(٥٠) ورد في حاشية النسخة ج: (ويمكن تأويل الربعين اللذَين فيهم وفي عدوهم بما يفهمه، ممّا رواه الشيخ الطوسي بسنده الى الفضل بن شاذان عن داود بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله، وأنتم الزكاة وأنتم الصيام وأنتم الحج؟ فقال: يا داود، نحن الصلاة في كتاب الله عزّ وجلّ، ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله ونحن وجه الله، وعدوّنا في كتاب الله، الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام..الحديث*، وهو طويل، فيفهم منه: أنّه الآيات الواردة في الأشياء الحسنة الممدوحة داخلة في الربع الذي فيهم، والآيات الواردة في المنكرات داخلة في الربع الذي في عدوّهم، فيصح بهذا الإعتبار، كون النصف فيهم وفي عدوّهم، ويؤيد أيضا ما رواه عن الصادق عليه السلام أنّه قال: "نحن أصل كلّ خير، ومن فروعنا كلّ بر، ومن البر التوحيد والصلاة والصيام.. الى آخر ما عدّه(عليه السلام)، وعدوّنا أصل كلّ شر، ومن فروعهم كلّ قبيح وفاحشة، منها الكذب"**.. الى آخر ما عدّه عليه السلام).

* تكملة الحديث: "وَالْأَصْنامُ وَالْأَوْثانُ وَالْجِبْتُ وَالطَّاغُوتُ وَالْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ يَا دَاوُدُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَكْرَمَ خَلْقَنَا وَفَضَّلَنَا وَجَعَلَنَا أُمَنَاءَهُ وَحَفَظَتَهُ وَخُزَّانَهُ عَلَى مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ لَنَا أَضْدَاداً وَأَعْدَاءً فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ وَكَنَّى عَنْ أَسْمَائِنَا بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِ تَكْنِيَةً عَنِ الْعَدُوِّ وَسَمَّى أَضْدَادَنَا وَأَعْدَاءَنَا فِي كِتَابِهِ وَكَنَّى عَنْ أَسْمَائِهِمْ وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ فِي كِتَابِهِ فِي أَبْغَضِ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ وَإِلَى عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ".

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

ينظر: تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، الإسترابادي، شرف الدين علي بن منصور الغروي(ت: ٩٤٠هـ)، تحقيق: حسين ولي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران–قم، ١٤٠٩هـ، ط١، ص٢١–٢٢.

** تكملة الحديث: "وَكَظْمُ الْغَيْظِ وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُسِيءِ وَرَحْمَةُ الْفَقِيرِ وَتَعَهُّدُ الْجَارِ وَالْإِقْرَارُ بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهِ وَعَدُوُّنَا أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ وَمِنْ فُرُوعِهِمْ كُلُّ قَبِيحٍ وَفَاحِشَةٍ فَمِنْهُمُ الْكَذِبُ وَالْبُخْلُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْقَطِيعَةُ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقِّهِ وَتَعَدِّي الْحُدُودِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ وَرُكُوبُ الْفَوَاحِشِ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ، وَالزِّنَا وَالسَّرِقَةُ وَكُلُّ مَا وَافَقَ ذَلِكَ مِنَ الْقَبِيحِ فَكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفُرُوعِ غَيْرِنَا"، ينظر: الكافي، الكليني، ٢٤٣/٨–٢٤٢، كتاب الروضة، حديث القباب، (رقم الحديث: ٣٣٦).

(٥١) ورد في حاشية النسخة ج: (أربا ع، أي أربعة).

(٥٢) النص: (والوعاظ .... رسالات ربهم) من النسخة: ب، ص٦، ومن النسخة: ج.

(٥٣) العبارة: [يقوم] من مصدر التوثيق، ووردت في جميع النسخ: (تقوم).

(٥٤) وردت في النسخة ب: (أبواب)، وفي النسخة ج: (ثواب)

(٥٥) لفظ الجلالة (الله) من النسخة ج، ولم يرد في النسخة ب.

(٥٦) أورده المؤلف مع اختلاف بسيط، حيث جاء بعد عبارة: حَوْرَاءُ عَيْنَاءُ، "اسْتِدَارَةُ عَجِيزَتِهَا أَلْفُ ذِرَاعٍ". ينظر: جامع الأخبار، الشعيري، محمد بن محمد(من علماء القرن ٦هـ)، المطبعة الحيدرية، العراق–النجف الأشرف، ط١، الفصل الحادي والعشرون في القرآن، ص٣٩–٤٠.

(٥٧) ينظر: جامع الأخبار، الشعيري، ص٤٠.

(٥٨) أورده المؤلف مع اختلاف في اللفظ: "إِنْ أَرَدْتُمْ عَيْشَ السُّعَدَاءِ وَمَوْتَ الشُّهَدَاءِ وَالنَّجَاةَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالظِّلَّ يَوْمَ الْحَرُورِ وَالْهُدَى يَوْمَ الضَّلَالَةِ فَادْرُسُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ كَلَامُ الرَّحْمَنِ وَحِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُجْحَانٌ فِي الْمِيزَانِ"، ينظر: جامع الأخبار، الشعيري، الفصل الحادي والعشرون في القرآن، ص٤١.

(٥٩) أورده المؤلف مع اختلاف في اللفظ: "مَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ". ينظر: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن أبي الجمهور، محمد بن زين الدين(حي في ٩٠١هـ)، تحقيق وتصحيح: العراقي، مجتبى، دار سيد الشهداء للنشر، إيران–قم، ١٤٠٥هـ، ط١، (الباب الأول في الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه غير المرتبة بترتيب أبوابه/ المسلك الثاني في أحاديث تتعلق بمصالح الدين رواها جمال المحققين في بعض كتبه بالطريق التي له إلى روايتها/حديث رقم:٩٧)، ٣٧٥/١.

(٦٠) تكملة الحديث: "مَنِ اسْتَمَعَ قَارِئاً يَقْرَؤُهَا–كَانَ لَهُ قَدْرُ ثُلُثِ مَا لِلْقَارِئِ، فَلْيَسْتَكْثِرْ أَحَدُكُمْ مِنْ هَذَا الْخَيْرِ الْمُعْرَضِ لَكُمْ، فَإِنَّهُ غَنِيمَةٌ لَا يَذْهَبَنَّ أَوَانُهُ، فَتَبْقَى فِي قُلُوبِكُمُ الْحَسْرَةُ". ينظر: التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، الحسن بن علي(عليهما السلام)، الإمام الحادي عشر(ت:٢٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح ونشر: مدرسة الإمام المهدي(عليه السلام)، إيران–قم، ١٤٠٩ هـ، ط١، ص٢٩.

(٦١) النص (وقال عليه السلام ما اجتمع .... الحديث) لم يرد في النسخة ب؛ لتلف حاشية الورقة ٩.

(٦٢) أخرجه أحمد بن حنبل بسنده عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: "مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ". ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ابن حنبل، أحمد بن محمد(ت:٢٤١هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، لبنان– بيروت، ١٤١٦هـ، ط١، ٤٢٠/٢، مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، رقم الحديث: ١٢٧٨. وينظر: مناهج الأخيار في شرح الاستبصار، العلوي العاملي، أحمد بن زين العابدين(ت:١٠٥٧هـ)، مؤسسة إسماعيليان، إيران– قم، ١٣٩٩هـ، ط١، ٣/١.

(٦٣) أخرجه الدارمي، ولفظه: "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ". ينظر: مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن(ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: الداراني، حسين سليم، دار المغني، المملكة العربية السعودية–الرياض، ١٤٢١هـ، ط١، ٢٠٩٢/٤، كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ/ بَابُ فَضْلِ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، رقم الحديث: ٣٣٦٣.

وينظر: أمالي المرتضى(غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى، علي بن الحسين(ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر–القاهرة، ١٤١٨هـ، ط١، ٤٢٦/١.

(٦٤) أورده المؤلف مع اختلاف في اللفظ، فجاء في اللئالي: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ". ينظر: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن أبي الجمهور، ١١٢/٤–١١١، باب الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه، (رقم الحديث: ١٧٠).

(٦٥) ينظر: الخصال، ابن بابويه الصدوق، محمد بن علي(ت:٣٨١ هـ)، تحقيق وتصحيح: غفاري، علي أكبر، الناشر: جماعة المدرسين، إيران– قم، ١٤٠٣هـ، ط١، ٦٠٢/٢، باب الواحد إلى المئة/ من حفظ القرآن فله في كل سنة مائتا دينار في بيت المال. (أورده المؤلف مع اختلاف بكلمة واحدة (ظاهرا) بعد كلمة (القرآن)).

(٦٦) "ماؤها فَيْض وغَيْض، الفَيْض: الكثير، والغيض: القليل"، كتاب العين، الفراهيدي، ٦٥/٧، باب الضاد والفاء و(و–أ– ي–ء) معهما، (مادة: فيض).

(٦٧) "نَزُرَ الشيءُ يَنْزُرُ نَزَارَةً ونَزْراً فهو نَزْرٌ، وعطاء مَنْزُورٌ: قليل، وامرأة نَزُورٌ: قليلة الولد"، كتاب العين، الفراهيدي، ٣٥٩/٧، باب الزاي والراء والنون معهما، (مادة: نزر).

(٦٨) ينظر: الكافي، الكليني، ٦٢٨/٢، كتاب فضل القرآن/ باب: النوادر، (رقم الحديث: ٤). وينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحسكاني، عبيد الله بن عبدالله (ت:٤٩٠هـ)، تحقيق وتصحيح: محمودي، محمد باقر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران–طهران، ١٤١١هـ، ط١، ٥٧/١، (رقم الحديث: ٥٨). (أورده المؤلف مع اختلاف في بعض الألفاظ).

(٦٩) النص (من الجوهر... وهو جزء) من النسخة: ب، ص ٩، ومن النسخة: ج.

(٧٠) الشيخ قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، فقيه محدث متكلم بصير بالاخبار شاعر، وكان تلميذ تلامذة شيخنا المفيد، ولد بأصفهان توفي عام ٥٧٣هـ، له مصنفات منها: قصص الأنبياء(عليهم السلام)، ومنهاج البراعة، والاغراب في الاعراب وشرح العوامل المائة –العوامل للجرجاني–، وكتاب فقه القرآن، وشرح آيات الأحكام، وشرح مشكلات النهاية، ولباب الأخبار، ورسالة الناسخ والمنسوخ، والخرائج والجرائح. ينظر: تعليقة أمل الآمل، الأفندي، عبد الله بن عيسى بيكا(ت: ١١٣٠هـ)، المؤلف: الحر العاملي، محمد بن الحسن، المتوفى سنة ١١٠٤هـ، تحقيق: أحمد الحسيني الإشكوري، المكتبة العامة لآية الله المرعشي النجفي، إيران–قم، ١٤١٠هـ، ط١، ١٥٥–١٥٨، (٣٥٦).

(٧١) ينظر: فقه القرآن، القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني الإشكوري، ومحمود المرعشي، المكتبة العامة لآية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران–قم، ١٤٠٥هـ، ط٢.

(٧٢) ينظر: كنز العرفان في فقه القرآن، الفاضل المقداد، المقداد بن عبد الله السيوري (ت: ٨٢٦هـ)، تصحيح: محمد باقر شريف زاده، ومحمد باقر البهبودي، مكتبة مرتضوي، إيران– طهران، ١٤١٤هـ، ط١.

(٧٣) المقداد السيوري: شرف الدين أبو عبد الله بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد الحلي الأسدي المشهدي النجفي، توفي عام ٨٧٦هـ، من أشهر مؤلفاته: اللوامع الالهية ونضد القواعد في ترتيب القواعد الشهيدي، والأنوار الجلالية للفصول النصيرية، وشرح نهج المسترشدين، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، كنز العرفان في فقه القرآن. ينظر: تكملة أمل الآمل، الصدر، حسن(ت: ١٣٥٤هـ)، تحقيق: محفوظ، حسين علي، والدباغ، عدنان، والدباغ، عبد الكريم، دار المؤرخ العربي، لبنان–بيروت، ١٤٢٩هـ، ط١، ٦٨/٦.

(٧٤) النص: (من أجزاء متساوية...قد أفرزها) لم يرد في النسخة: ب.

(٧٥) نُقل عن الأزهري أنّ النّحويّين أجازوا إدخال الألف واللام في بعض وكلّ، وقد أباه الأصمعيّ وأنّما أباه الأصمعيّ؛ لأنّ مذهب العرب عدم جواز دخول الألف واللام عليهما، لأنّهما معرفتان فلا تدخلهما الألف واللّام ولأنّها مضافان دائما، إمّا ظاهرا وإمّا مضمرا. ينظر: الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية، المدني، علي خان بن أحمد(ت: ١١٢٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أبو الفضل السجادي، مكتبة ذوي القربى، إيران– قم، د.ت، ط١، ص٥٥٨.

(٧٦) الغَزّالي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، فيلسوف، متصوف وعالم كبير، له نحو مائتي مصنف، لازم الجويني في نيسابور، كان عالما في الأصول والخلاف والمنطق، ودرس الحكمة والفلسفة، وفهم كلام أرباب هذا العلم، وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها، منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، ومحك النظر، ومعارج القدس في أحوال النفس، والفرق بين الصالح وغير الصالح، توفي عام ٥٠٥هـ. ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي(ت: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان–بيروت، ١٤١٧هـ، ط١، ٢٧/٢١، (٢٩). وينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير الجزري(ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق ونشر: دار صادر، لبنان–بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣، ٣٧٩/٢.

(٧٧) ورد في حاشية النسخة ج: (أراد بالجواهر الآيات الدالة على الذات والصفات والأفعال والمعاد). ينظر: جواهر القرآن ودرره، الغزّالي، الفصل الثالث في شرح مقاصد القرآن/القسم الأول في تعريف المدعو إليه، ص١٣ وما بعدها.

(٧٨) ورد في جميع النسخ: (أولها فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم إلى آخرها) وأوردتها كاملة تيمناً بها وإتماما للمعنى.

(٧٩) ذكر مطلع الآية فقط، وجئت بها كاملة؛ للإفادة.

(٨٠) الشيخ علي بن سيف بن منصور: فاضل، عالم، جليل، هو من العلماء المتأخرين من تآليفه: تأويل الآيات، وكنز الفوائد، وتحفة الابرار، وكان حيّا سنة ٩٣٧هـ. ينظر: مرآة الكتب، ثقة الإسلام التبريزي، علي بن موسى(ت: ١٣٣٠هـ)، تحقيق: الحائري، محمد علي، المكتبة العامة لآية الله المرعشي، إيران– قم، ١٤١٤هـ، ط١، ٢٦٧/٣.

(٨١) ينظر: تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، الإسترابادي، ص٢١.

(٨٢) أبو بكر محمد بن مؤمن الشيرازي: هو عبد الله بن محمد بن علي، كراميٌّ له مصنف كتاب نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين ، وأن له تفسير القرآن استخرجه من اثني عشر تفسيرا، ولكنّ ابن شهر آشوب نفسه ذكره في مقدّمة كتابه: مناقب آل أبي طالب، باسم: ما نزل من القرآن في علي، وهو من أعلام القرن الرابع أو أدرك مطلع القرن الخامس. ينظر: أمل الآمل في علماء جبل عامل، الحر العاملي، محمد بن الحسن(ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني الإشكوري، مكتبة الأندلس، العراق–بغداد، ط١، ٢٩٦/٢. وينظر: طبقات أعلام الشيعة،

فوائد ومقاصد علمية في دراسة علم تفسير القرآن دراسة وتحقيق في زبدة البيان في شرح آيات قصص القرآن"للشيخ محمَّد بن محمود الطَّبَسي"

آقا بزرگ الطهراني، محمد محسن(ت:١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ١٤٣٠هـ، ط١، ٢١٢/٣. وينظر: أهل البيت (عليهم السلام)في المكتبة العربية، الطباطبائي، عبد العزيز، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران-قم، ١٤١٧هـ، ط١، ص٤٥٢-٤٥٤.

(٨٣) ورد في حاشية النسخة ب توضيح: (أي: العلماء).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. أساس البلاغة، الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر(ت: ٥٣٨هـ)، دار صادر، لبنان-بيروت، ١٩٧٩م، ط١.

٢. أمالي المرتضى(غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى، علي بن الحسين(ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر-القاهرة، ١٤١٨هـ، ط١.

٣. أمل الآمل في علماء جبل عامل، الحر العاملي، محمد بن الحسن(ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني الإشكوري، مكتبة الأندلس، العراق-بغداد، ط١.

٤. أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العربية، الطباطبائي، عبد العزيز، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران-قم، ١٤١٧هـ، ط١.

٥. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: جمال حمدي وإبراهيم عبد الله ويوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، لبنان-بيروت، ١٤١٠هـ، ط١.

٦. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي(ت: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان-بيروت، ١٤١٧هـ، ط١.

٧. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، الإسترابادي، شرف الدين علي بن منصور الغروي(ت: ٩٤٠هـ)، تحقيق: حسين ولي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران-قم، ١٤٠٩هـ، ط١.

٨. تعليقة أمل الآمل، الأفندي، عبد الله بن عيسى بيكَ(ت: ١١٣٠هـ)، المؤلف: الحر العاملي، محمد بن الحسن، المتوفى سنة ١١٠٤هـ، تحقيق: أحمد الحسيني الإشكوري، المكتبة العامة لآية الله المرعشي النجفي، إيران-قم، ١٤١٠هـ، ط١.

٩. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، محمد بن عمر(ت: ٦٠٦هـ)، إعداد وتحقيق ونشر: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ١٤٢٠هـ، ط٣.

١٠. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، الآملي، حيدر بن علي (ت: ٧٨٢هـ)، تحقيق: محسن الموسوي التبريزي، مكتبة نور على نور، إيران- قم، ١٤٢٢هـ.

١١. التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، الحسن بن علي(عليهما السلام)، الإمام الحادي عشر(ت: ٢٤٠هـ)، تحقيق وتصحيح ونشر: مدرسة الإمام المهدي(عليه السلام)، إيران-قم، ١٤٠٩ هـ، ط١.

١٢. تكملة أمل الآمل، الصدر، حسن(ت: ١٣٥٤هـ)، تحقيق: محفوظ، حسين علي، والدباغ، عدنان، والدباغ، عبد الكريم، دار المؤرخ العربي، لبنان-بيروت، ١٤٢٩هـ، ط١.

١٣. تهذيب اللغة، الأزهري، أبو المنصور محمد بن أحمد (ت:٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ١٤٢١هـ، ط١.

١٤. جامع الأخبار، الشعيري، محمد بن محمد(من علماء القرن ٦هـ)، المطبعة الحيدرية، العراق-النجف الأشرف، د.ت، ط١.

١٥. جامع السعادات، مهدى بن أبي ذر النراقي(ت: ١٢٠٩هـ)، تصحيح: محمد كلانتر، كاتب المقدمة: محمد رضا المظفر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، د.ت، د.ط.

١٦. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٨هـ، ط١.

١٧. جواهر القرآن ودرره، الغَزَّالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد(ت: ٥٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان-بيروت، ١٤٠٩هـ، ط١.

١٨. الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية، المدني، علي خان بن أحمد(ت: ١١٢٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أبو الفضل السجادي، مكتبة ذوي القربى، إيران- قم، د.ت، ط١.

١٩. الخصال، ابن بابويه الصدوق، محمد بن علي(ت:٣٨١ هـ)، تحقيق وتصحيح: غفاري، علي أكبر، الناشر: جماعة المدرسين، إيران- قم،

١٤٠٣هـ، ط١.
٢٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الدمشقي، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد(ت:١٠٨٩هـ)، تحقيق وتعليق: أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، تصحيح: عبد القادر أرناؤوط، دار ابن كثير، لبنان–بيروت، ١٤٠٦هـ، ط١.
٢١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحسكاني، عبيد الله بن عبدالله (ت: ٤٩٠هـ)، تحقيق وتصحيح: محمودي، محمد باقر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران–طهران، ١٤١١هـ، ط١.
٢٢. طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرگ الطهراني، محمد محسن(ت:١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان–بيروت، ١٤٣٠هـ، ط١.
٢٣. عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن أبي الجمهور، محمد بن زين الدين(حي في ٩٠١هـ)، تحقيق وتصحيح: العراقي، مجتبى، دار سيد الشهداء للنشر، إيران–قم، ١٤٠٥هـ، ط١.
٢٤. الفروق في اللغة، العسكري، أبو هلال حسن بن عبد الله، دار الآفاق الجديدة، لبنان–بيروت، ١٤٠٠هـ، ط١، ص٢٠٧.
٢٥. فقه القرآن، القطب الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني الإشكوري، ومحمود المرعشي، المكتبة العامة لآية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران–قم، ١٤٠٥هـ، ط٢.
٢٦. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح: غفاري، علي أكبر وآخوندي، محمد، دار الكتب الإسلامية، إيران–طهران، ١٤٠٧هـ، ط٤.
٢٧. كتاب العين، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي–إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران–قم، ١٤٠٩هـ، ط٢.
٢٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر(ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، لبنان–بيروت، ١٤٠٧هـ، ط٣.
٢٩. كنز العرفان في فقه القرآن، الفاضل المقداد، المقداد بن عبد الله السيوري (ت: ٨٢٦هـ)، تصحيح: محمد باقر شريف زاده، ومحمد باقر البهبودي، مكتبة مرتضوي، إيران– طهران، ١٤١٤هـ، ط١.
٣٠. اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير الجزري(ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق ونشر: دار صادر، لبنان–بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣.
٣١. لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم(ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ، ط٣.
٣٢. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان–بيروت، ١٤٢١هـ، ط١.
٣٣. المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد(ت:٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، لبنان–بيروت، ١٤١٤هـ، ط١.
٣٤. مرآة الكتب، ثقة الإسلام التبريزي، علي بن موسى(ت: ١٣٣٠هـ)، تحقيق: الحائري، محمد علي، المكتبة العامة لآية الله المرعشي، إيران– قم، ١٤١٤هـ، ط١.
٣٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل ابن حنبل، أحمد بن محمد(ت:٢٤١هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، لبنان– بيروت، ١٤١٦هـ، ط١.
٣٦. مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمان(ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: الداراني، حسين سليم، دار المغني، المملكة العربية السعودية–الرياض، ١٤٢١هـ، ط١.
٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي(ت:٧٧٠هـ)، مؤسسة دار الهجرة، إيران–قم، ١٤١٤هـ، ط٢.
٣٨. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الحفني، عبد المنعم، مكتبة مدبولي، مصر–القاهرة، ١٤٢٠هـ، ط٣.
٣٩. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداؤدي، الدار الشامية، لبنان–بيروت، ١٤١٢هـ، ط١.
٤٠. مناهج الأخيار في شرح الاستبصار، العلوي العاملي، أحمد بن زين العابدين(ت:١٠٥٧هـ)، مؤسسة إسماعيليان، إيران– قم، ١٣٩٩هـ، ط١.
٤١. موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، محمد الكسنزاني، دار المحبة، سوريا–دمشق، ١٤٢٦هـ، ط١.
٤٢. موسوعة مصطلحات ابن سينا، جيرار جهامي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان–بيروت، ١٤٢٥هـ، ط١.
٤٣. موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان–بيروت، ١٤٢١هـ، ط١.
٤٤. موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان–بيروت، ١٤١٨هـ، ط١.

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

م.م. باسم محمد ناصر
الجامعة المستنصرية /كلية التربية الأساسية

المستخلص:
تعد الرواية منبراً حراً لكل ما نعيشه من تجارب وظواهر إنسانية واجتماعية أو طبيعية ، فالرواية بوصفها عملاً سردياً تلامس بتقنياتها وطرائقها كل ماهو موجود وشاغل لقلب الكاتب وعقله ، وفيها يستطيع ان يخلق صورا معينه يعبر بها عما في داخله ، وبما ان الرواية جنس أدبي له ميزته الخاصة فهي تقترب كثيرا من بعض فنون القول ، معتمدة على ما تحمله من ابداع وقوة في الخيال ، ومن بين فنون القول الذي تعالقت معه الرواية هو التاريخ لانه يحوي كما هائلا من المعرفة والمادة الموثقة وساهمت الرواية العراقية في تكوين هوية الانسان وثقافته ، فقدكانت وما تزال تزخر بالصور الدلالية المعبرة عن الهوية الثقافية والحضارية ، وقدكانت رواية باب الطباشير لأحمد سعداوي أحدى النصوص الروائية التي اشتغلت على الهوية وبينت أهمية السرد في صياغة عناصرها .إذ تعد رواية باب الطباشير من الروايات المهمة التي تمثل مرحلة مهمة من المراحل التي مر بها العراق، وهي أيضا من الروايات النادرة التي جمعت بين ما هو فلسفي وما هو واقعي من خلال تصوير الواقع العراقي المظلم في فترة معينة من الفترات التي عاشها العراق وهو ما دفع بالبطل الى التطلع لتحقيق حلم العدالة الاجتماعية .تنتمي الرواية إلى أدبيات مابعد الحداثة، وتنماز بعجائبيتها الأخاذة، ولغتها المتوهجة ، وجماليات التضاد في وجهات النظر المتعددة لشخصياتها غير الناجزة، لتحقق عبر بوليفونيتها تعدد أصواتها شعرية الروائي أحمد سعداوي. وتُعنى دراستنا بابتغاء الجدة في التأصل النقدي للرواية، من خلال الكشف عن شعرية أحمد سعداوي المتمثلة ببوليفونية الرواية عبر تشكلها السردي ، إذ يشتغل البحث على فرضية مفادها أنَّ الرواية تمتلك تبئيرا بوليفونيا(موضوعياً، وسردياً) لثيمة(التحول) بوصفها (علامة سيميائية– سردية)، وظفت لتبئير الموضوعات الأخرى المشكلة لأسلوبية الرواية، على نحو يغذي العلامة السيميائية ويصب في خدمتها. إذ يمثل الانتقال ما بين العوالم السبعة تحولا موضوعيا مشكلا للبوليوفونية الفكرية، في حين يجسد تعدد الرواة عبر مايسترو الراوي العليم (المؤلف) علامة للتحولات السردية في الرواية.

الكلمات المفتاحية: الرواية، السردية، التضاد، التأصيل.

Abstract:
The novel is a free platform for all the human, social or natural experiences and phenomena we live in. The novel as a narrative work touches with its techniques and methods everything that exists and preoccupies the writer's heart and mind, and in it he can create specific images that express what is inside him, and since the novel is a literary genre that has its own advantage It is very close to some of the arts of saying, relying on what it carries of creativity and power of imaginationAnd among the arts of saying with which the novel is associated is history because it contains a huge amount of knowledge and documented material, and the Iraqi novel contributed to the formation of human identity and culture, as it was and still is replete with semantic images expressing cultural and civilizational identity, and the novel Bab Al-Chalk by Ahmed Saadawi was one of Narrative texts that worked on identity and showed the importance of narration in formulating its elements. The Bab Al-Chalk novel is one of the important novels that represent an important stage of the stages that Iraq went through, and it is also one of the rare novels that combined what is philosophical and what is realistic by depicting the dark Iraqi reality in a certain period of the periods that Iraq lived, which prompted Champion to aspire to achieve the dream of social justice. The novel belongs

to the literature of postmodernism, and is characterized by its amazing wonders, its glowing language, and the aesthetics of contrast in the multiple viewpoints of its incomplete characters, to achieve through its polyphony the multiplicity of its poetic voices, the novelist Ahmed Saadawi. Our study is concerned with the desire for novelty in the critical origin of the novel, by revealing the poetics of Ahmed Saadawi represented by the polyphony of the novel through its narrative formation. The research operates on the hypothesis that.

Keywords: novel, narrative, contrast, rooting.

مفهوم المتخيل المحكي :

المتخيل :

المتَخيَّل اسم مفعول من تخيّل، وهو مشتق من مادة (خ، ي، ل)، جاء في لسان العرب: "خال الشيءَ يخالُ خيْلاً وخيلَة وخَيْلَة وخالاً وخِيلاً..: ظنّه، وفي المثل من يسمعْ يَخَلْ، أي يظنّ.. وخيّلَ عليه: شبَّهَ. وأَخَالَ الشيءُ اشتبه.. والسحابة المُخَيَّلُ والمُخَيَّلَةُ والمُخِيلَةُ: التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة"(١)، ونستخلص منه التصاق مادة (خ، ي، ل) بمعاني الوهم والظنّ والشبه أو المحاكاة. والمتخيِّلة "هي القوّة التي تتصرّف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئيّة المنتزعة منها وتصرّفها فيها بالتركيب تارة والتفصيل أخرى" (٢) .

وتستخدم كلمة متخيّل ترجمة لكلمة (Imaginaire)، وهي تعود في الأصل إلى الكلمة اللاتينيّة (Imaginarius) ويقصد بها الشيء الذي لا وجود له في الواقع، أو ذاك الذي لا وجود له إلاّ في ذهن الإنسان، فهو عبارة عن صورة ذهنيّة. إلاّ أنّ استعمال هذه الكلمة عرف تحوّلا انطلاقا من القرن التاسع عشر ليدلّ على مجال الخيال ويتحوّل تدريجيّا إلى مفهوم إجرائي معتمد في دراسة الظواهر الاجتماعيّة والطبيعيّة والأعمال الأدبيّة والأساطير والأديان.. مع كلّ من باشلار (Gaston Bachelard) وكاستورياديس (Cornelius Castoriadis) وجيلبار ديران (Gilbert Durand).. فالمتخيّل أضحى حصيلة ما تفرزه عمليّة التخيّل أو القوّة التخييليّة. فـ"المتخيّل هو موضوع التخيّل وموضوع الخيال أيضا، وهو نتاجهما، أو ناتجهما، أيضا.. المتخيّل هو موضوع التخييل في حالة ما إذا كانت علاقاتنا بالمتخيّل أكثر حرّيّة، وهو كذلك موضوع الخيال في حالة ما إذا كانت علاقتنا بالمتخيّل أكثر انضباطا وتحديدًا وتبلورًا، والمتخيّل قد يكون فرديًّا وقد يكون جماعيًّا، وقد يكون متعلّقًا بحالة سويّة أو مرضيّة" (٣).

المحكي :

يُعَدُّ مصطلح المحكيّ récit من المصطلحات المُلتبِسة التي أشْكل على علماء السّرد الغربيين تحديد مفهومها؛ فقد أشار جيرار جينيت، في دراسته لـ"خطاب المحكيّ"(٤)، إلى أنّ تعريف هذا المصطلح يتضمن ثلاثة تصوُّرات مختلفة، هي الحكاية والخطاب والسّرد، ذلك أنّ المحكيَّ قد يعني جملة الوقائع والأخبار، وقد يدلّ على الكلام الذي تُصاغ به تلك الوقائع والأخبار، وقد يحيل إلى تلفُّظ ذلك الكلام الذي به تتحقّق الحكاية. وممّا لا ريب فيه أنّ هذه التصوّرات الثلاثة، على الرّغم من تبايُنها الظّاهر، هي مُركّبات المحكيّ ومُشكِّلاته؛ فقد انتبه جينيت إلى أنّ ثمّة علاقة حثيثة تربط بين هذه العناصر جميعًا، بحيث لا يُمكن تحليل الخطاب أو الكلام أو الملفوظ أو الدّال أو النّص، الذي اهتمّ عالِم السّرد بمُقارَبته، دون الإلماح إلى الحكاية والسّرد.

والمحكيّ، بهذا التّعريف التّوفيقي الذي يخلص إليه جينيت، ينطبق، في رأينا، على النصوص الأدبيّة كلّها؛ قديمها وحديثها، شفهيّها ومكتوبها، شعبيّها ورسميّها؛ فالمحكيّ أعمّ من السّرد والشّعر والدراما وأشمل؛ فهو يحتويها جميعًا. إنّه ليس جنسًا ولا نوعًا ولا شكلاً ولا نمطًا أدبيًا. إنّه وسْمٌ لكلّ نصٍّ يتّصف بالسرديّة narrativité، وإن كان وصفيًا أو تمثيليًا، أو نصًّا

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

غير أدبيّ، نظيرَ الفيلم والكتابة الصحفية والإشهار والقانون...؛ فالمحكي، الذي يتألّف من الحكاية **histoire** والخطاب **discours** والسّرد **narration**، تصوُّرٌ جامعٌ لكلّ ما هو مرويّ، سواء أكان فطريًا وشعبيًا تستهجنه المُؤسَّسة الرّسمية وتُنكِره، أم فصيحًا ونخبويًا تستملحه تلك المُؤسَّسة وتُجيزُه. بهذا الشّكل، يُمكِن الحديث عن المحكيّ العجائبي **récit fantastique** والمحكيّ الأسطوري **récit mythique**، كما يُمكِن الحديث عن المحكيّ القصصي (نسبةً إلى القصّة **nouvelle**) والمحكيّ الروائي والمحكيّ الشّعري **récit poétique** والمحكيّ المسرحي والمحكيّ المُصوَّر **récit pictural** والمحكيّ القانوني **récit juridique**... (٥).

الهوية السردية :

ساهمت الرواية في تكوين هوية الانسان وثقافته، فقد كانت وما تزال تزخر بالصور الدلالية المعبرة عن الهوية الثقافية والحضارية، وقد كانت رواية باب الطباشير لـ أحمد سعداوي احدى النصوص الروائية التي اشتغلت على الهوية وبينت اهمية السرد في صياغة عناصرها .

اذ تعد رواية باب الطباشير من الروايات المهمة التي تمثل مرحلة من المراحل التي مر بها العراق ، وهي أيضاً من الروايات النادرة التي جمعت بين ما هو فلسفي وما هو واقعي من خلال تصوير الواقع العراقي المظلم في فترة معينة من الفترات التي عاشها الشعب العراقي وهو ما دفع بالبطل الى التطلع لتحقيق حلم العدالة الاجتماعية

وقد حاولنا من خلال هذا المبحث ان نسلط الضوء على الهوية وأبعادها وتجلياتها في خطاب أحمد سعداوي وقد تطلب ذلك تقسيم المبحث إلى :

أولاً : مدخل الى مفهوم الهوية :

ثانياً: الهوية السياسية .

ثالثاً : الهوية الثقافية .

رابعاً : الهوية الدينية .

أولاً : مدخل الى مفهوم الهوية :

يتميز الانسان عن سائر الكائنات بالمحافظة على هويته ، فالهوية جزء لا يتجزأ من حياة الفرد منذ ولادته حتى مماته ، وتعرف الهوية على أنها " مجموعة من الخصائص والمميزات الأساسية الاجتماعية ، الفلسفية، التي تدل بوضوح على حقيقة أو كيان قوم، تجمعهم هذه الخصائص فتميزهم عن الآخرين ، فهوية الانسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها "(٦)، أي أن هوية الأمم تتحدد بصفاتها التي تميزها عن غيرها ، وبذلك فإن مفهوم الهوية يتداخل معناه مع عدة مدلولات أهمها الخصائص والميزات التي تميّز الفرد أو الجماعة أو الأمة (٧) .

و تعرف الهوية أيضاً بأنها " مركب مبني ومعترف به جماعياً ، وذلك من دلالات الذات الممتدة " (٨)، من عضوية الفرد كالطبقة والعرق واللغة، أي أن الانسان يعيد إنتاج وعيه وشخصيته من خلال الطبقة والعرق واللغة. ولعل مما يميز الهوية الإنسانية أنها متغيرة وليست ثابتة ، فهي ليست " موضوعاً ثابتاً أو حقيقة "(٩). واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية ، وهي في الوقت نفسه نتاج التاريخ والثقافة ومتغيرات الواقع ذلك أن " رؤية ما بعد الحداثة تصدر عن اعتقاد بأن الطبيعة والبشر والهويات والأحداث والظواهر والأفكار لا تتشكل مرة واحدة والى الأبد ، بل كلها نتاج لحظة تاريخية وسياقات ثقافية تعطي لهذه الأشياء خصوصيتها التي لا يمكن تجاهلها كما لا يمكن تجريدها منها " (١٠)، وهذه الحقيقة أكدها (ستيوارت هال)عندها ذهب الى القول أن الهوية الانسانية " ليست هوية ثابتة ولا هوية دائمة وتفترض هويات مختلفة في أزمنة مختلفة) (١١)، أي أن هوية الانسان تكتسب مع مرور الزمن واستمرار الحياة فلا توجد صورة نهائية للهوية بل صور متعددة لا شك أن كلمة الهوية تتداخل مع عدد من المفاهيم التي قد تساعد في جلاء المعنى أحياناً أو تعقيده أحياناً أخرى سواء كانت نفسية أواجتماعية أو فلسفية أو ثقافية أو سياسية أو غيرها ، فهي"ليست معطى نولد به ؛ إنما لها جذورها في مراحل مبكرة من عمر الانسان تعطيه

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

احساساً داخلياً بالوحدة والانسجام والانتماء(١٢)، الأمر الذي يقتضي منا أن نبحث عن حذر لغوي لكلمة الهوية التي وردت في المعجم الوجيز بمعنى الذات ، وفي المعجم الوسيط تعني " حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره "(١٣)، وقد ساهم الفلاسفة أكثر من اللغويين في تفسير الهوية (بضم الهاء) وهي منسوبة الى (هو) وتقابل الآخر أو الغيرية " (١٤)، فالهوية التي تدل على ذات الشيء من حيث كونه الشيء هو نفسه إذا كان كلياً كماهية الإنسان ، وهوية إذا كان جزئياً كحقيقة زيد(١٥)، أما في كتاب التعريفات للجرجاني فالهوية تعني " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق (١٦). بمعنى أن هوية الشيء أو الشخص تمثل خصوصيته التي لا يشترك فيها مع أحد والتي تميزه عن غيره. أما على صعيد الواقع فيرى البعض صعوبة تحديد وتعيين الهوية وعدّها مصطلحاً ايديولوجياً أكثر منه علمياً ، وذلك لأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال الدين أو اللغة أو الوطنية أو القومية، وكل هذه خصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها ، لذلك يمكن لمجتمع واحد أن يبدل هويته حسب المراحل المختلفة تاريخياً ووفقاً للظروف الحاكمة. لتعلقه من خلال ما تقدم لا يسعنا إلا أن نقول بصعوبة تحديد مصطلح الهوية ، وذلك ! بمجالات معرفية متعددة سواء كانت سياسية أو نفسية أو فلسفية أو اجتماعية أو غيرها، لكنها تبقى محمل السمات أو الخصائص التي تميز فرد عن غيره .

ثانياً : الهوية السياسية :

إن علاقة السياسة بالهوية علاقة ترابط وتماسك ، فالنظام السياسي يمارس سلطته في الحياة السياسية اليومية على الجماعات والافراد والهويات من خلال تصنيفهم وتعيين هوياتهم وفرض القواعد القانونية عليهم وبالتالي تصبح الهوية سياسية نتيجة لعلاقة الانسان او الفرد بالسلطة وإذا كانت الرواية تنظر الى الهوية على أنها " مسار تكويني يصاغ بفن سردي وبحركة تفاعلية بين الأنا والآخر تأسيساً للوجود "(١٧)، فإن الهوية عند اهل السياسة يُنظر لها على انها مجموعة من السمات المشتركة لجماعة بشرية ، وهي المكون الأساسي لبنية الدولة الفكرية والسياسية . وتتجلى علاقة السياسة في تكوين هوية الأفراد واضحة في رواية باب الطباشير لأحمد سعداوي من خلال بيان أثر الأزمة السياسية في تكوين هوية بطل الرواية (علي)، إذ خلفت الأزمة السياسية لديه معاناة نفسية تمثلت بالشتم والصراخ على غير المعتاد ، إذ يقول : : "كانت الأزمة السياسية على حالها ، ولا يبدو أن هناك اتفاقاً على تحديد اسم رئيس وزراء جديد بديلاً عن المنتهية ولايته المتشبث بحقه الدستوري ، كما يرى، في شغل هذا المنصب لولاية ثالثة . القصة كلها لا تستحق من علي ان يتابعها ، الخراب يتناسل ، هكذا ظل يكرر على مسامع أخيه ، هو كان يشتم كنوع من الصراخ وطلب النجدة من المجهول أو أي سلطة خارج القوانين الصلبة التي تتحكم برقبة العالم من حولنا ، والتي قادت الى هذا الخراب المتناسل "(١٨).

ويغدو الواقع أحياناً أقوى من إرادة الشخصية الساعية للتغيير. وبالتالي ينتقم الواقع من المسعى، ويكون الثمن رضوضاً نفسية، وإحباطاً معنوياً، وحيرة عقلية، وانكفاء على الذات ، وهذا ما نلمسه في شخصية (عمار) الذي تعرض الى خسائر مادية كبيرة الأمر الذي ترك أثره على سلوكه وتصرفاته ، يقول : "كان عمّار يولول في صالة بيته . لديه أموال كان يفترض أن يسحبها من المصرف اليوم، وهناك طلبيات على بضائع تدخل شاحناتها الى بغداد في اليوم التالي . كان يثرثر بكلام كثير ، ولم ترد عليه زوجته ولا اطفاله بشيء ، خشية ان يتحوّل غضبه باتجاههم " (١٩).

وثمة شخصيات تحاول الهرب إلى ملاذات لا تعرف عنها شيئاً. وفي أحايين كثيرة هي لا تعرف على وجه التحديد ماذا تريد .. هنا يمكننا التكلم عن فقدان الاتجاه والتيه . ولأن أرضيتنا الاجتماعية والسياسية دائمة التعرض لزلازل وانهيارات يصبح خلق شخصية تجد خلاصها في نهاية المطاف، وتنعم بالاستقرار والسلام، ضرباً من التضليل والتلفيق، إذ سنجد أن شخصية البطل في الرواية (علي تتأرجح بين الثبات وعدم والاستقرار بسبب التحولات السياسية والاجتماعية التي حلت بالعراق ، فنراه في البدء يبحث عن هويته التي تتجسد من خلال الشعور بالانتماء الى جماعة تتوافق إنسانياً وتتلاقى ضمن منظومتهم من القيم والتوجهات وتتسم بالتمرد بهويتها الانسانية ، مؤسسين ما يعرف بجمعية المنتحرين ، يقول : "كان يفترض وحسب الموعد الذي ضربه مع أصدقائه السبعة عشر في جمعية المنتحرين ، أن يحضروا ها هنا في هذه الساعة تحديداً ، سيكون

ثمانية عشر منتحراً ينفذون غطسة جماعية وأخيرة مع ضربات الساعة الأولى في القرن الجديد"(٢٠). ثم بعد ذلك نرى شخصية(علي)مع جمعية المنتحرين وبسبب الأحداث والتحولات السياسية تتمرد وتتأرجح في هويتها ، وكلاً منهم سار في اتجاه مغاير يقول:" لماذا يبدو ، بعد أكثر من عقد على "جمعية المنتحرين" وكأنه ما زال هناك في فقاعة الحس العدمي التي صنعها هو واصدقاؤه معة . وعاشوا فيها سنوات طويلة ، كانت مبررة بسبب انغلاق الأفق وندرة إمكانيات التغيير المتاحة أمامهم ، وأيضاً بسبب ضعف التجربة وصغر سنهم، إلا إن عقد جماعته الأولى انفرط ، وكل انشغل بنفسه مع التيار الجارف والصاخب للأحداث ما بعد ٢٠٠٣ . صارت تحدث في شهر واحد أشياء أكثر مما في سنة من سنوات الحصار"(٢١)، ولعل من آثار التحولات السياسية التي انعكست ايضاً على الهوية الانسانية أننا نجد أن هوية بطل رواية باب الطباشير(علي) تتأرجح بين الثبات والاستقرار حتى في المهنة التي تمارسها ، في بعد أن كان علي يمارس مهنة المذيع أو مقدم البرامج تحوّل الى مهنة المستشار في المجلس العسكري ، يقول : " هو اذن في العمق لا يمانع هذا التحوّل الذي سيحصل في حياته ، من مذيع ومقدم برامج مغمور إلى مستشار في المجلس العسكري، يمرتب كبير وربما حمايات وامتيازات كثيرة أخرى "(٢٢).

ثالثاً : الهوية الثقافية :

إن الحديث عن الهوية لا ينفصل عن الحديث عن الثقافة ، فهما وجهان لعملة واحدة ذلك أن " للثقافة أهمية باعتبارها تبعاً يغذي الهوية الفردية والجماعية وبالتالية تتحول الهوية الى استراتيجية تستخدم الثقافة وتغيرها لتصبح مختلفة عما كانت عليه وتستخدم من أجل الصراع ونفي الآخر، ومفهوم الهوية الثقافية يعني أن " لكل مجتمع ثقافة ، ولكل ثقافة هويتها الخاصة التي تنطلق منها وتخضع لها في جميع نتائجها ، وتتمثل فيما يمكن أن نسميه نسق القيم الإنسانية " (٢٣)، وهو أيضاً يعني " أننا أفراد تنتمي الى جماعات لغوية محلية ، أو إقليمية أو وطنية ، بما لها من قيم أخلاقية ، وجمالية تميزها ، ويتضمن ذلك أيضاً الأسلوب الذي تستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها ، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية ، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعاً من المعادلة الأساسية التي تقرر – بطريقة سلبية أو إيجابية – الطريقة التي تنتسب بها الى جماعتنا والعالم بصفة عامة " (٢٤)إذن لكل مجتمع هويته الثقافية الخاصة به والتي تميزه عن المجتمعات الأخرى ، وهي تمثل القيم والعادات والتقاليد التي يشترك بها مجموعة من الأفراد، وتؤثر في ذات الوقت في تكوين الفرد بوصفه عضواً في المجتمع . إن الحديث عن الهوية الثقافية يقتضي منا أن نعرج على مفهوم الثقافة ، لاسيما ان العلاقة بينهما قائمة على التأثر والتأثير المتبادل ، فالثقافة تشير الى " ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والتقاليد وأي قدرات وعادات أخرى يتعلمها الإنسان كعضو في المجتمع " (٢٥)، وهنا نجد أن . مفهوم الثقافة يتبلور من مجموعة من المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي يحصل عليها الفرد من المجتمع حتى يشعر بالانتماء إليه .

ولو تتبعنا مسار ظهور الثقافة في المجتمعات الانسانية نجد أن هناك علاقة وثيقة بين الثقافة واللغة ، فالثقافة لم تعرف " إلا عندما عرف الانسان كيف يشير الى الأشياء والعلاقات وإذا كانت كلمة الثقافة تنشد في كتابات الانثربولوجيين الى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما ، فإن هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة والثقافة ، أي أن اللغة أداة تواصل وحفظ للمكتسبات الإنسانية من أفكار وعلوم وبالتالي فهي أداة ضرورية في إنتاج ثقافة ما ومنه فإن الثقافة لا تكون إلا عبر وعاء يضمن استمرارينها وتطورها وهذا الوعاء هو اللغة " (٢٦).

يطرح أحمد سعداوي في روايته (باب الطباشير) الهوية الثقافية من خلال ابراز جمعا من العادات والأعراف في المجتمع العراقي ، وتمثل الألعاب التقليدية وجهاً من أوجه الهوية الثقافية ، إذ تشكل مناسبة لالتقاء الناس فيما بينهم ، يقول : "كنتُ قد حصلت على فرصة للعمل في الأردن المظاهر، حين كنتُ أرى أمير يخوض نقاشات كثيرة مع شباب من منطقتنا السكنية ، زملاء الطفولة والدراسة الابتدائية والثانوية وآخرين غيرهم، يجتمعون على لعبة كرة قدم مثلاً ، أو يشربون الشاي في المقاهي ، ويطلبون من أمير ألا يلعب الدومينو أو الطاولي والشطرنج لأنها ألعاب شيطانية محرمة " (٢٧). فقد استطاعت لعبة كرة القدم ان تجمع أبناء المنطقة السكنية الواحدة على الرغم من اختلافاتهم الفكرية والمرجعية، ومن تخيلات الهوية الثقافية ايضاً

التراث الفكري والقولي، كما عرفه محمد رياض وتار عندما قال: " الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي ، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي ، الذي وصل الينا من الماضي البعيد والقريب " (٢٨).

ومن بين عناصر التراث القولية الموظفة في الرواية اللهجة العامية التي تحمل مخزوناً ثقافياً مهماً ، إذ جاء توظيف اللهجة العامية العراقية بشكل بارز على لسان شخصيات الرواية مثل شخصية العجوز (فتاح) والدكتور (واصف) اللذان كانا يتبادلان الحوار باللهجة العراقية ، يقول : "

إنهم في عمر رومانسي ، والانتحار فكرة رومانسية

يعني ... هو ليس . جاداً ؟ سيترك الموضوع ، هل تريد قول ذلك ؟

سأل فتاح بقلق ، فرد دكتور واصف :

لا أعرف. ولكن البشر لا يقومون غالباً بالأعمال الحكيمة . ثلاثة أرباع أفعال البشر إما غير واقعية ومتهورة ، أو أعمال رومانسية في جوهرها

لا تتفلسف علي دكتور الله يخليك أني خايف من الموضوع. هذا الولد بس هو عندي، وإذا مات ما أعرف شراح أسوي لن يموت أنا أعدك بذلك " (٢٩).

لقد كان اختيار الكاتب للهجة العامية على لسان الشخصية (العجوز فتاح) اختياراً موفقاً، لأسباب أهمها أن استخدام العامية أسهم في بناء المستوى البيئي والثقافي للشخصية ، كما ساهمت اللهجة العامية أيضاً في إيصال الصورة (صورة الإنسان البسيط) بشكل أقرب الى المتلقي. وتتكئ الرواية على رافد ثقافي آخر وهو اللباس، الذي يرتبط في شكله ولونه وحجمه وطريقة ارتدائه بثقافة معينة، إذ ظهرت في المجتمع العراقي وبسبب المشاحنات الطائفية جماعة من الناس يرتدون ملابس معينة ترمز الى طبيعة الديانة التي ينتمون اليه ، يقول : " ثم لفتت انتباه علي حركة في شارع الرشيد ، مجموعة من عشرين الى ثلاثين شخصاً ، من حليقي الرأس ، ترتدي ملابس صفراء ويسيرون بهدوء وصمت خلف بعضهم البعض الآخر – إنهم البوذيون العراقيون، يذهبون كل يوم للصلاة في الموقع الذي يطالبون بتحويله الى معبد " (٣٠).

رابعاً: الهوية الدينية :

يعد الدين من أبرز المقومات التي تنبني عليها الهوية الانسانية ، فمن خلال الدين والتاريخ واللغة وغيرها من العناصر الأخرى التي تساهم في تكوين الهوية ، يتم تعزيز الهوية الثقافية للأشخاص ، فالدين يمثل " الحالة النفسية والعقلية والوحدانية، التي يتصف بها شخص معين، ونسميها التدين، أو هو مجموعة من المبادئ والقيم التي تدين بها أمة أو جماعة اعتقاداً أو عملاً ، وتظهر في الكتب والمراجع والروايات، وتتمثل في عادات خارجية أو آثار اجتماعية " (٣١)، وكلما زاد الالتزام الديني للفرد ازدادت قوة هويته الثقافية .

على الرغم من صعوبة الوقوف على تعريف واضح وشامل للدين ؛ بسبب تعدد الديانات واختلافها لكن يبقى الدين عنصراً مهماً من عناصر تشكل الهوية الانسانية ، لأنه هوا الذي يحدد اختلاف الهويات " إذ تذوب في الحروب الهويات المتعددة العناصر ، وتصبح الهوية الأكثر معنى السائدة ، وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين و " (٣٢)، و " تبدو أهميته في بالنسبة للصراع هي تشكيل فكر الناس وسلوكهم في انه دعوة لا تخاطب عقلية الانسان فقط وانما تخاطب أيضاً ضميره ووجدانه ، لذلك فليس غريباً أن يكون الدين أو المذهب الديني عنصراً أساسياً في تكوين الطابع القومي ، ذلك لأن الدين يولد نوعاً من الوحدة في شعور الأفراد الذين ينتمون اليه ويثير في نفوسهم بعض العواطف والنزعات الخاصة التي تؤثر في أعمالهم ، فالدين من هذه الوجهة من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الافراد بعضهم ببعض " (٣٣).

تحمل رواية (باب الطباشير)لـ أحمد سعداوي إشكاليات عديدة ، فيما يخص الصراعات الطائفية والدينية التي عاشها الشعب العراقي ، مما أدى الى نشوب اختلافات وصراعات جذرية تارة وعميقة تارة أخرى بين أفراد الشعب الواحد والى إحداث القطيعة بينهم . وقد تجسدت احدى صور هذه الصراعات في حديث (عبد العظيم) لصديقه بطل الرواية (علي)

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

، يقول : "كانت المعارك مصممة ، بما أنه صراع طائفي مباشر وصريح على وفق حكايات منتزعة من التاريخ ، حكايات ذات طابع طائفي، او يمكن القول بأنها الحكايات التي تؤجج دائماً الصراع الطائفي . واقعة الطف ، الشمر او عمر بن سعد بمواجهة الحسين والعباس. المختار الثقفي بمواجهة عمر بن سعد أو عبيد الله ابن زياد. معاوية بمواجهة علي بن أبي طالب وفي نسخة أخرى عمرو بن العاص بمواجهة على بن أبي طالب(عليه السلام)، أو مواجهة مع عمار بن ياسر أو مالك الأشتر، صلاح الدين الأيوبي بمواجهة قائد فاطمي " (٣٤).

بهذه الصورة التي يرصدها لنا(عبد العظيم) عن المجتمع العراقي ، يتبين لنا بذور الاختلاف والتباين في المذهب الديني (السنة والشيعة) ، وعجز افراده عن بناء حاضر متماسك يحتل الانسان فيه مكانة مرموقة.

وفي صورة أخرى من صور الاختلاف والتباين الموجود بين أبناء الشعب العراقي ، يتجلى لنا ذلك في تعدد وتنوع الديانات ،كما تتجلى شخصية الفرد العراقي غير المتعصب لدينه في صورة أخ علي (عمار) الذي يعلن عن استعداده بالاتصال والاحتكاك بكل الديانات التي تصل الانسان بربه ، هـ ، وهذا ما يتجسد في قوله : " صرت مثل المجنون في الصلاة ، ولم تفعل حقنة الخلايا الجذعية شيئاً . ربما كانت مجرد خدعة ومقلب . وكثرة الدعاء قادتني الى نتيجة محددة ؛ ربما أنا لست الشخص المؤهل للدعاء بشكل قوي وفعال بحيث يخترق دعائي حجب السماء ويصل الى مسامع الرب . اتصلت بأحد الأصدقاء ومن خلاله جلب رجل دين شيعياً ذا ملامح وادعة وصوت خفيض جاء ووقف عند رأسك في غرفتك بالمستشفى وأمسك بيدك اليمنى وصار يقرأ آيات من القرآن وأدعية من الصحيفة السجادية غادر الشيخ البليغ ذو الصوت المؤثر ، ولم يحدث شيء بعدها ، لا يبدو أن الله اهتم كثيرا لهذا الشيخ اللطيف " (٣٥). ولعل أشد ما يبرز هذا الانفتاح الديني بعدها . لا يبدو أن الله اهتم كثيراً لهذا الشيخ استعانته برجال من الديانات الأخرى : " جاءني محمد سدخان برجل دين كلداني ظل يقرأ من الإنجيل ، ثم صابتي وضع أغصان آس تحت إبطيك وردد آيات بالآرامية من الـ "كنز ربه" المقدس. تجاوبت مع ما قام به ولم اعترض" (٣٦)، وفي استعانته برجل من الديانة اليزيدية دلالة على هذا الانفتاح الديني، كما تتضح هذه النظرة جلية في المقطع التالي:" ومن أحد النازحين من الموصل جلب صديق تاجر قنينة صغيرة قال أنها تحوي الماء المقدس عند الإيزيدية، وهو يؤخذ من عين ماء تسمى "كاني يسبي" وطلب مني أ أن استخدمها " (٣٧).لقد عبرت هذه الشخصية (عمار) من خلال انفتاحها الديني عن أن العلاقة بين الأديان هي علاقة تقوم على المغايرة وليست الضدية .

ومن مظاهر التمرد على الدين تحوّل بعض العراقيين الى البوذية كرد فعل على الأوضاع المشحونة بالنزاعات الطائفية ، وهذا ما يتضح في قول الدكتور(واصف) في حواره مع البطل (علي): " أنتلا تعرف ربما أن لدينا مشكلة تتعلق بالبوذيين العراقيين. هناك حوالي مليوني عراقي تحوّل الى البوذية منذ سنوات ،كردة فعل كما أفسر على جو المشاحنات الطائفية. ولكني لم أكن اتوقع أن يأخذوا عقيدتهم الجديدة على محمل الجد، تصوّر هم الآن بصدد إنشاء معبد بوذي في مكان قريب من هنا ، في شارع الرشيد ، يقولون أنه كان يحوي خاناً لمنام المسافرين في أواخر العصر العباسي ، وكان مقراً لزيارات سنوية قام بها تاجر صيني يجلب الورق الى بغداد، وهو في الوقت نفسه عالم ومتصوّف بوذي كبير نسيت اسمه " (٣٨)، وهنا إشارة الى ذلك الصراع الطائفي بين الأديان وتحوّل العراق في فترة من الفترات الزمنية الى ساحة صراع بين الطوائف الدينية ، الأمر الذي أدى بالبعض الى ترك الدين الذي يعتنقه والتحوّل الى ديانة أخرى غير معروفة في العراق .

المتخيل السردي والاستغراق الواقعي :

إن فكرة تأسيس بنيات ذات سيرورة مشتركة ومبنية على جملة اشتغالات تصديرية عتباتية، تحيلنا إلى علاقة متطورة من استدعاءات المساحة الدلالية الواصلة بين دليل العتبة وشروط الجمل من واقعة المدخلية في روابط وأواخر الإجرائية السردية الكامنة في ممارسة الأنا الراوية وما تتبعها من تلفظات في غاية النوعية الوقائعية المفتونة في الاستبعاد والتقريب في محددات هوية التماثل واللاتماثل في مواضعات المتخيل الروائي. أن حضور ثنائية (الوهم التخييل) في مناصات المشروع العتباتي من مفتتح رواية (باب الطباشير) ما هي بدورها إلا حدودا في إحالات الممارسة السردية في المحتوى الروائي إلى علاقات

مكملة في حقيقة وحدات ومرسلات السرد. فعندما نطالع نصيات الحركة والزمن والخطاب في حدوثات التقاطع بين عتبة وأخرى، تدلنا العلامة الانطولوجية للمناصات إلى إن هناك جملة وظائف تخص ملفوظات ذلك المحتوى في مواطن ووقائع المتن السردي (٣٩).

الراوي: الشاهد، يستأثر بأناه الجمعية كوحدة سردية:

يرى سعيد يقطين أن الرائي هو الذي يرى الحلم وهو في حالة نوم، أما الراوي فهو الذي يقوم بـ رواية مرئية وهو في اليقظة (٤٠). يتعرف القارىء إلى الشخصية الروائية عبر مؤثرات أفعال وأقوال ما يخبرنا به الفصل الأول الموسوم بـ (الميت الحي) من على لسان حال السارد الداخلي الذي ينشغل باستبطان الدوافع والنوازع التي هي بين (الرائي . الراوي) وقد يمزج في هذا الفصل بين ما هو فيزيقي ونفسي إلى جانب العلاقة الخارج المتن، تعلقا بدوافع إحالات العتبات الأولى من النص. عموما لا يبدو ما جاء في مسار هذا الفصل إلا كشفا عن دوافع وغايات (الراوي . التوالد الذهني . الاسترجاعية . المستذكر) إذ تظل علاقة هذا السارد في زنزانته الزمنية كبوصلة مرجحة في الكشف والبحث عن ذوات الآخرين من السجناء دون وجودا فعليا في ارتدادات صوته عبر أصداء المكان. غير أن عملية الوقوف حول مرويات هذه (الشخصية الساردة) قد لا تمنحنا سوى ذلك التحقيق في علاقة زمن النص بزمن الخطاب، كما هو الحال عليه في الصورة المنعقدة على الجدار التي تشكل بذاتها: (بابا مرسوما بالطباشير على الحائط، كان قد رسمه، كما بدا لي، سجين سابق مر من هنا قبل أن ينجح في فتحة (٤١). إنها الصورة النمطية التي تكشف عن دلالة الإستحالة في تجاوز هذا السجن كحالة أنغلاقية مطلقة، سوف توضحها هذه الجملة من المباحث الآتية.

الأوضاع الفضائية في مسرود المحكي :

يشكل الفضاء المغلق حالة إشكالية مخالفة في مرويات السارد المشارك في حدود مجال إنتاجه إلى هيئة الجمع المرسل إليه غيابا، وإن يكن هذا الراوي يشكل جزءا من استرجاعية وقائع تم سردها من خلاله إلى مجموعة من السجناء عبر راصدة متصلة بالضمير الجمعي غيابا، أو هو ما يراه بمفرده كقيمة ملتقطة تستلزم في ذاتها المحجوبة، طرائقا وأشكالا عصية للكشف عن نفسه وعن عوالمه المتحققة في وجودها عبر ملكة التخيل واسترجاع الذاكرة: (كان ذلك قبل أن تأتوا وتتكدسوا هنا يا زملاء هذه الزنزانة العفنة: يا أصدقائي النشالين والمزورين والقتلة وسارقي اسطوانات الغاز المنزلية، وشاتمي الرئيس في غفلة وسورة انفعال، أو المروجين للنكات البذيئة عنه وعن عائلته وقيادته القطرية. أن المروي المتخيل هنا يحيل بالكشف عن عوالم مستودعة في التصورات والتخييل، لأنها جاءت ضمن (فضاء:مغلق . معزول . حياة معقودة . كوابيس وهذيانات . الذات واستيهاماتها) ليست الصلة ها هنا مباشرة بين كلمات الأنا المتكلمة و وجود تلك الحشود من السجناء تحديداً، بل تحقق وجودهم ضمن رؤية الضمير الآنوي إلى وجودهم اللامرئي واللامتعين تشخيصا، وهو ما يراه بمفرده الفاعل الذاتي كتفاعلا بينه وبين المعطى المتخيل في زمن ومرجعية الواقعة المغلقة.

الأواصر المتصلة بين فضاء الخارج ونص الروائي :

تتعدد أساليب الفضاء السردي في منحى رواية (باب الطباشير) عبر فصلها الأول، فتارة تنفتح على الخارج الواقعي، وتارة تنفتح نحو الحلم وفراديس القيمة الاسترجاعية ذات العلاقة المرجعية بواقع الأنا الساردة أو الناظمة، كما وهناك علاقة تربط الفضاء الروائي بفضاء التشخيص نحو لغة إيهامية بالواقع: (أنظروا لي كما لو أنني كاهن أو قس يقوم بغسل أرواحكم قبل مغادرتها هذا العالم. . بغسلكم بيده من أدران الحياة الطينية الثقيلة، حتى تذهبوا أنقياء خفيفي الأرواح (٤٢). السارد هنا ضمن ضميري (المتكلم . الغائب) يستعيد لنفسه مميزات تجعله قادرا على منح الـ (فضاء المغلق) ذلك المعطى النابع من الروح والجسد. وهذه الوسيلة بذاتها تعبر عن أدران وعيوب الذات . الجسد، وتجعله طاهرا في زمن محمل بأستدراجات الحكي نحو نقطة الاستجابة للخط العام من موضوعة حكاية الشخصية الساردة واسترجاعاتها الحميمة من فضاءات خارجة عن المكان المغلق والفضاء المبأر في مفازات المتخيل المتوغل في المحكي الروائي خارج الفضاء المعزول (٤٣).

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

ذاكرة الفاعل الذاتي ومؤطرات الرؤية السردية :

فضاء التأطير تحولا في الجزيئيات والمكونات:يبدأ المتكلم الفاعل بتأطير فضاء المستذكر الأساسي في منحى رؤياه ومكوناتها الجزئية والكلية: (علينا التنجيم والحفر في أرواحنا وذاكرتنا لاستخراج اللحظات الجيدة. . علينا أن نسترجع صورها بصبر ونجلوها لتكون لامعة وبراقة. وبدءا بتأطير مكونات السارد المشارك، نعاين صيغة الحكي تتحرك نحو (منزل الطفولة؟) بوصف معالم بيت الطفولة وصفا متنقلا نحو مجال المكان الذي تتحرك من خلاله الشخوص، وتبني كل واحد من جهة (المتكلم . المبئر) تكوينها الذاتي وكينونتها المستقلة، التي تكفل لها نوعا من المعايشة والتشكل في مجال الرؤية الخاصة بوصلات التأطير الفضائي: (كنت أعود من المدرسة، ولأن أمي متعبة أو مريضة أحيانا، أو لأنني كنت متحمسا لتجربة الأشياء والحصول على المديح بسبب اتقاني لها، كنت أركض إلى المطبخ لأقشر حبات البطاطا الكبيرة وأعد طعام الغداء لنفسي. الفاعل الذاتي ينقل لنا آلية الحكي عبر صيغة خاصة من المسرود المعتمد على الصوت المهيمن إلى صيغة الخطاب المعروض والأخباري والتقريري والممسرح، وبذلك يكون الفاعل ذاته قد مارس هيمنته المطلقة على باقي الشواهد من أحداث الرؤية السردية في الرواية عبر مشغل فصلها الأول، إذ إننا نعاين في الآن نفسه، مدى وضوح منقولات الفاعل على وفق رؤيته الشخصانية، حيث تدرك المشاهد والأحداث والأفضية المكانية من خلاله، كحال هذه الوحدات من المقتبس النصي نفسه: (أول مرة أنزل فيها إلى النهر/أول مرة أسمع فيها صوت ببغاء/ أتذكر القبلة الأولى، كانت من فتاة أكبر مني ببضع سنوات/نجلس عند فتحة باب الغرفة وصارت تقبلني قبلات عميقة/الفتاة تدرسني كتاب الرياضيات، وضعتني في حجرها ذات نهار/أما المرة الأولى التي ألمس فيها جسد امرأة عارية وأتحسسها بيدي، فجاءت متأخرة (٤٤). ومن خلال هذه الوحدات المعروضة تنتقل صيغة الخطاب من حاضر المبأر (نقطة:الفضاء المغلق = الزنزانة) استرجاعا إلى أحداث الرؤية السردية التي اتخذت عبر مسار أزمنة النص سردا طرديا، فهو يرى معها وبها، ويصور من خلال تشوفاته للحكي مجالا بالشكل الإطاري كصوت سردي يقوم بدور السارد المشارك والمبئر (٤٥).

حكاية الشخصية في كوميديا التهكم والسخرية اللاذعة :

إذا كان من الممكن علينا أن نغفل المحصلة الأخيرة من حياة علي ناجي في مسيرة إقامته مع سجناء هم من الفراغ والظلام واللاإحصاء لعددهم وملامحهم وحقيقة قضاياهم، فلا يمكننا إغفال ذلك البرنامج الذي يبث من خلال إذاعة الموقف والذي يقوم على تقديم مادته المتكونة من اللغط والسب والعويل بالشتائم طيلة منتصف الليل. في الواقع أن طبيعة هذه الإذاعة كما تشير لنا الرواية : (هذه الإذاعة سوى واجهة لنشاطات أخرى لمالكها، وأنه ربما أخذ بسببها أموالا وتبرعات من منظمات أمريكية ودولية تدعم مشاريع التثقيف بالديمقراطية. لقد كان سبب اندلا ع أوجه المساجلات بين علي ناجي والمخرج كانت على ما يبدو من بداهات هذه الكوميديا السوداء، وحتى تتحقق شروط ديمقراطية الدستور الضعيف للعراق الجديد، ظل علي ناجي ينقل وجهات نظره الضحلة بآراء حول ساسة ومسؤولين في التيارات السياسية الحاكمة، كما ولا يقتصر الأمر لدى ناجي في طرح الفضائح والفسادات الأدارية حول أولئك الحثالة من الطبقة السياسية، إنما كان يعززها بتذييلات مطعمة بأنواع متفردة من الشتائم والكلمات الرخيصة: (حتى أكثر الأشخاص احتراما في حياته وتأثيرا عليه، الدكتور واصف عبد المحي، عالم الآثار والسومريات المتقاعد، حينما كان يتصل به وينصحه، لم يكن ليؤثر عليه. . كان يقول له بأنها وسيلتي الوحيدة لعمل شيء، فيرد الدكتور واصف بأسف بأنه كان يعول عليه كثيرا. في الواقع تذكرنا وحدات فصول رواية سعداوي في أنماط وأساليب شخوصها بروايات (الميتافكشن) حيث مواقع الشخوص تبدو رازحة تحت أعباء مأزومية الأوضاع المادية والبطالة والتطفل إلى حد الابتذال أو العبثية المدقعة. لقد أصبحت روايات الميتافكشن إلى أقصى درجة في تصوير تعرية الفرد من كل شرائط وموضعات وجوده التي تتكلف بأن يكون انسانا واع، لذا أصبح الحال ذاته مع علي ناجي بوصفه بؤرة وعلامة إشكالية وتناقضية في وجوده المحاكي بأدوار من السلب والاستلاب لوجوده الحقيقي (٤٦).

الدفتر السومري المقدس: تعاويذ وطلاسم للخروج نحو عالم آخر :

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

تتراوح محكيات السرد في الفصول الأولى من رواية (باب الطباشير) بما يلوح في أن تكون الوحدات السردية ذات أبعاد متخيلة بإفراط، أو امتدادا في الأبعاد النفسية الممكنة في واقع الأحوال الشخوصية في الرواية. وقبل الولوج إلى ملامح أبعاد السرد والإحالة بما هو حاصل من جراء إعطاء علي ناجي ذلك الدفتر السومري الموشح بغلاف أسمر، حيث اقنعه الدكتور واصف وهو على فراش الموت بأخذ هذا الدفتر ليكون له دليلا في حياته الروحانية والإعلامية، غير أن الأخير صار بدلا من بث الشتائم والتعليقات الساخرة في برنامجه، أضحى يقدم لمتابعيه مجموعة من الرقيات والطلاسم التنجيمية: (سخرت اتصالات المستمعين من كلامه، وقال أحدهم:أنت حولت البرنامج السياسي إلى برنامج للسحر والتنجيم، وفي اتصال آخر قالت سيدة ما بأنها مهتمة بهذه التعاويذ السحرية (٤٧).

البعد العجائبي في طلاسم العبور المفترض :

يتكفل السارد بنقل وجهات النظر من خلال دراية (المؤلف الضمني) المبثوثة في ثنايا المتن الحكائي، ومن حقيقة الأشياء التي اظهرتها هذه التعاويذ والطلاسم في حدوث اتصال جاء في اللحظات الأخيرة من برنامج الشخصية علي ناجي. كان الاتصال يحمل في نبرات صوته الأنثوي ما جاء هنا قاب قوسين.صرت تبحث عن أبواب للعبور من هذا العالم. لماذا لا تحصل على فيزا وتفض السالفة؟ أترك هذا البلد وسافر. دون شك كانت هي ليلى حميد ذاتها، تلك الفتاة الحجاجية والمنافسة له في الأمس وظهورا لها في مستقبله حددته اللقاءات والمواعيد، وحتى سماعه خبر فصله من الاذاعة، بعد سخط مدير ومالك الاذاعة عليه بعد تحويل برنامجه من التعليق السياسي المتهكم إلى تعاويذ وطلاسم، ورغم عثوره الأخير على ليلى، إلا أنها غادرته مجددا، وحتى مرحلة أخيرة من الفصلان في الرواية التي يغتال فيها رميا بالرصاص من خلال شخص قام بتصويب فوهة مسدسه نحوه وبإطلاق رصاصة نحو موضع رأس علي ناجي نفسه: ها هو يريد الموت الذي ظل، يقصد أو دون قصد ينتظره وينادي عليه ثلاثة عشر عاماً يصل إليه الآن (٤٨).

من خلال ما أطلعنا عليه عبر المواضع الأولى من الرواية، تحدد لدينا الحكي والحكاية والزمان والخطاب المسرود وكيفية تواصل الأحداث في الرواية بعد موت الشخصية ناجي. بإيجاز شديد أقول سوف يتولى السارد العليم مهام السرد، وزمام متواليات الأزمنة التي عاشها ناجي، لذا ستبدو زمنية القراءة لأحوال وحالات والمبئرات في المواقف الماقبل والمابعد إلى جانب توافر مستوى من اللعب السردي في تقانات زمن الحكاية والخطاب المعلن والضمني وبدرجة أو بأخرى من أحكام البناء الفني في محكيات وتوالدات المحاور المتماثلة واللامتماثلة .

تقنية العوالم السبعة في باب الطباشير:

مرة أخرى، يضعنا السعداوي، في بداية روايته، أمام أبواب طبشورية سبعة تظهر فجأة كمعجزةٍ يبوح بها الدكتور واصف المختص بعلم الآثار لصديقه الإعلامي علي ناجي، كنتاج لتعويذات سومرية حفظت في جرّة في المتحف العراقي. ومن هنا، يرفل العمل الروائي بمحاولات عبثية للهروب من واقعٍ عراقي مرير، أو أحداث مأساوية تنهي حياة البعض، كإصابة علي ناجي برصاصة في رأسه، لكن تلك الأبواب تمكنه من تغيير نهايته الحتمية «والقفز في حفرة أرنب» (٤٩)، وكأن العمل ينقلك إلى عالم أليس في بلاد العجائب... إلى عالم ميتافيزيقي يتمازج ما بين عوالم سبعة. فإحدى الشخصيات (خالد) توجد في العوالم السبعة بالقيمة الوجودية ذاتها؛ لدينا سبعة «خوالد» منفصلة، في كل عالم يتحرّك خالد بوحي من عقله الواعي، فضلاً عن ذاكرة أوهامه. لينتقل بذلك العمل الروائي الأخير بعيداً عن مواجع العراق نحو تأزم الهوية، إذ «تظن بأنك في مهمة كونية، سعياً وراء الحقيقة. تنفق ثلاثة أرباع عمرك باحثاً في غابة الأساطير والأكاذيب والأوهام الجمعية عن الحقيقة» (٥٠). إذ إن كل ما يقع من أحداث في الرواية هو نتاج لما تحدده الشخوص المحورية من أوهام راغبة في الوقوع بين ثناياها، وبمفهوم قد يخالف الواقع، بناءً على الذاكرة وما تختزنها من أحداث وأوهام، يصفها السعداوي في «باب الطباشير» بأنها: «ذلك السائل الخيالي اللزج الذي يتخلل في كل ذكرياتك، ويعيد سبكها في وعاء الاستذكار وإعادة التحليق والخلط»، بفكرة أخّاذة تشي باقتراب كل الأسوياء، بالأخص الطبقة المثقفة المعترضة على الواقع المعاش، إلى حافة الجنون. إذ يغرق

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

علي ناجي في عالم سديمي أشبه بعالم للمنفى الذي تقذف إليه الأرواح المغتربة، من دون أن يستوعب إن كان ذلك منفى فعلياً أو جنة يتحرك فيها في أي مكان يشاء، ويستعيد فيها محبوبته ليلى التي يعجز عن الحصول عليها نتيجة إخفاقات حياتية. وكأن مفهوم الوصول إلى الجنة ما هو إلا الحصول على قبسٍ من الحرية والهروب من الواقع. ولا تتحقق الحياة المثالية التي يحلم بها إلا عبر «باب الطباشير». وحتى إن تحققت، تكتشف فيما بعد أنها كابوس من طراز آخر. ويظهر من خلال كتابات سعداوي إمعانه في تصوير مرارة الواقع، ومحاولة التمرد عليه من خلال مزيج من الاستسلام ومحاولة الغوص في المواجع والتلذذ باستشعارها، بثيمات شبيهة لأعماله ليس فقط الروائية، وإنما الشعرية، كما في مجموعته «صورتي وأنا أحلم» : (٥١)"

كي يخرج من عزلته

ها هو ذا..

يعلّم الآخرين

الدخول إليه

ويظهر التوجه ذاته في أعماله الروائية الأخرى، كرواية «إنه يحلم أو يلعب أو يموت»، التي نشرت في عام ٢٠٠٨، في تطرقها لسوداوية الواقع العراقي المعاش، عبر رقصة حزن جماعية، وبافتراضات كثيرة، وإن لم تتلقَ أعماله التي سبقت فوزه البوكري الاهتمام ذاته الذي وصلت إليه الأعمال الأخيرة. ويتضح نزوح أعمال سعداوي الروائية التدريجي نحو الرمزية، لتتجلى بشكل واضح من خلال عمله «فرانكشتاين في بغداد»، باختلاقه شخصية «الشسمة» الأسطورية، التي ينعتها عمل صحافي في الرواية بمسمى «فرانكشتاين البغدادي»، وهو نتاج بقايا جثث تنضح بمواجع العراقيين، التصقت ببعضها ودبّت فيها الروح، سعياً لتحقيق عدالة وهمية تقتص من كل المجرمين.

ويرزح العمل الروائي الأخير تحت عبء العمل البوكري السابق، وإن كان ذلك لا ينفي حمل «باب الطباشير» لفكرة متفردة تشي بتوجه عبثي يرفل بالحس الوجودي. ما بين أشخاص مدللين يحاولون فلسفة فشل النظام الحياتي في العراق بتوجهات يسارية لا تحمل جدية في محاولاتها، بما هو أشبه بمسرحية هزلية لأشخاص يعيشون بعيداً عن أزمات بغداد، إذ استبدلوها بالغرق في آلامهم الداخلية، ومحاولة تحقيق رغباتهم بانهزامية عتيدة: «لن نكون موجودين في التاريخ بأي حال من الأحوال... أفعالنا وأعمالنا وما قلناه وأنجزناه؛ كل ذلك سيتعرض لإعادة تفسير وتأويل وتشكيل، وسيغدو ملكاً للآخرين، يمثلهم أكثر مما يمثلنا».

وتبدو رواية «باب الطباشير» أشبه بوقوف على عتبة الباب الطبشوري، دون غرق في الأحداث التي تجري داخل عوالمه، إذ لا يبدو تأزم الشخصيات فعلياً، وإنما أشبه بمحاولات نزقة للاستسلام لما يحدث من حولها، من دون محاولة لتغيير الواقع المعاش. ليست هناك محاولات فعلية لإقناع الحبيبة بجدوى استمرارية العلاقة. حتى محاولات تكوين جمعية للمنتحرين تنتهي بالتقهقر. لا وجود لواقع العراق في النسخ المتعددة من العوالم التي يدخلها علي ناجي من خلال أبواب سومرية وهمية. حتى الآلام تغدو مجرد احتمال يقع ضحية التشكك في كونه واقعاً معاشاً، أو مجرد نسخة بعيدة عن الحقيقة لفرضية غير حقيقية. وذلك في نهج مغاير لرواية «فرانكشتاين في بغداد»، التي تجسّد كل تفاصيل أحداثها وشخوصها واقعاً دموياً موجعاً، وإن كان من الإجحاف بحق رواية «باب الطباشير»(٥٢). مقارنتها بالعمل السابق، إذ إن ظروف العالم المتخيل وأنماط الشخصيات مختلفة في كل من العملين الروائيين، وإن تميزت الرواية البوكرية بأحداث أكثر كثافة وتسلسلاً، من دون وجود تفاصيل قد تشعر القارئ بثقلها وبطئها. المفارقة تكمن في قدرة أحمد سعداوي على خلق عوالم روائية مختلفة بأفكار متجددة تشي بإمكانياته على إنتاج أعمال روائية أخرى تمازج ما بين الفكرة الخلاّقة والسرد المتقن.

بوليفونية العوالم السبعة :

"سبع تعاويذ سومرية للخلاص من هذا العالم" .. هي العبارة التي جاءت أسفل عنوان "باب الطباشير"(٥٣)، رواية

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

العراقي أحمد سعداوي الجديدة، الصادرة عن منشورات الجمل، والتي شكلت مدخلاً مهماً لقراءة الرواية على مستوى البنية، والتركيب، والمضامين، والحكايات السردية المتشابكة في إطار فنتازي تميّز به سعداوي، وبرز جلياً في روايته السابقة "فرانكشتاين في بغداد" الفائزة بالجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) ٢٠١٤، وتكرس في "باب الطباشير" (٢٠١٧) .

والرقم سبعة هو رقم سومري مقدس، ولهذا يجد القارئ أنه حاضر بقوة في الرواية، فهناك سبعة عوالم ندخل اليها من سبعة أبواب، وهناك سبع شخصيات أساسية في الرواية، مع سبع منولوجات، وفصول الرواية هي ٢١ فصلاً، اي ثلاث سبعات.. عالم الرواية يحوي سبعة فصول منها، وكل فصل مقسم الى سبع فقرات .. ورغم ان الرواية تتحدث عن سبعة عوالم، لكننا سنجد أن الرواية تمر بشكل مختزل على خمسة عوالم ومنها، ويتم التفصيل بثلاثة عوالم: عالمنا هذا، وعالمين آخرين؛ عالم الانقلاب العسكري، وعالم اتحاد الشركات.

وتدور احداث الرواية في العراق، وبالتحديد في تسعينيات القرن الماضي حتى ٢٠١٢ الى ٢٠١٣، اي بدءاً من الفترة التي تلت احتلال العراق للكويت، وانعكاسات ذلك على الشارع العراقي، ثم فترة الحصار والعقوبات الاقتصادية، وحالات الانتحار التي ارتفعت وتيرتها بشكل ملحوظ في ذلك الوقت.

علي ناجي هو الشخصية المحورية في "باب الطباشير"، يعمل مقدم برامج في اذاعة محلية (الموقف)، وكان يتعمّد في برنامجه شتم وسبّ الساسة، بما وفر له متابعين كثر قبل ان يبدأ عمله في الاذاعة كان تائهاً محبطاً كبقية أبناء جيله من الشباب في تسعينيات القرن الماضي، ما وصل به إلى حد التفكير بتشكيل مجموعة حملت اسم "جمعية المنتحرين"(٥٤)، وهي التي خطط أعضاؤها، أو المنتسبين إليها، إلى انتحار جماعي مع الثواني الأولى من العام ٢٠٠٠، ولكن الجميع يتراجع في اخر لحظة إلا علي، الذي ينقذه الدكتور واصف ويقنعه أخيراً بالعدول عن فكرته، في حين ينجح عضو الجمعية أمير بالانتحار شنقاً، ليكتشف القارئ لاحقاً أن شقيق أمير هو من أطلق النار باتجاه علي مؤسس الجمعية، وكاد أن يقتله، إلا أنه دخل في غيبوبة لعدة أسابيع، وبالتحديد سبعة.

أما عالم الاثار الدكتور واصف عبد المحيي، فيقع بين يديه دفتراً حول تفاصيل الابواب السومرية، يقدمه لعلي في الوقت التي تقرر فيه ادارة الاذاعة توجيه لفت نظر له حول فحوى برنامجه، لعله يتوقف عن الشتم، فيقرر قراءة التعويذات السومرية في برنامجه على مسامع المستمعين للخروج من دوامة الشتائم، وما ان يخرج من الاذاعة حتى يتعرض لاطلاق نار من مركبة مجهولة تلوذ بالفرار، حيث يدخل على اثر ذلك في غيبوبة، يتبرع خلالها احد الممرضين (محمد سدخان) بالجلوس بجانبه يوميا، والتحدث اليه طوال فترة غيبوبته.

ولأن من يقرأ هذه التعاويذ ينتقل عبر أبواب طباشيرية سومرية من عالم الى عالم ومن حياة الى حياة، وفي كل عالم حكايات مختلفة ينسجها خيال قارئي التعويذات، خلال النوم أو الغيبوبة، فإننا ندخل هنا برفقة علي إلى عوالم مختلفة، في كل منها رؤية فنتازية كفيلة بتغيير تاريخ العراق بأكلمه، وكأنها انعكاس لأحلام يقظة بواقع كان يتمناه العراقي علي، شخصية الرواية المحورية، أو الروائي أحمد سعداوي نفسه، كباقي العراقين، واقع أفضل من المعاش اليوم، وهو ما تحمل فنتازيات رواية تغرق في تفاصيل الواقع العراقي، وتدفع بالقارئ للتعمق بعض الشيء في هذه التفاصيل، لمواكبة أحداث الرواية، والتفريق بين الواقع والمتخيل.

ويقول سعداوي لـ"أيام الثقافة": هناك ثلاثة جوانب في ما يتعلق بالتعويذات: جانب تاريخي، فالعراقي القديم كان في علاقة معقدة مع "الآلهة"، فهو يحسدها واحياناً يكرهها لأنها احتازت الخلود وتركته للفناء، على خلاف العقائد الفرعونية مثلاً، وحتى مسعى الخلود المتجسد في الأدب الرافديني العراقي القديم، ومنها ملحمة كلكامش، فهو مسعى بشري لحيازة شي إلهي؛ أي الخلود.

وأضاف: غالباً ما كان عالم "الآلهة" لا يختلف بشيء عن عالم البشر، سوى أنه اكثر طمأنينة واستقراراً، بالقياس الى حياة البشر (العراقي القديم) المليئة بالاضطراب وعدم الطمأنينة. العراقي من هذه الناحية يستخدم الرقى والتعاويذ لخرق ما بين

المتخيل المحكي في رواية باب الطباشير لاحمد سعداوي

العالمين، وللانتقال الى عالم أفضل، أي عالم الآلهة، أو عالم البشر الذي احتازوا صفة الآلهة لمجرد أنهم مرتاحون مطمئنون، وهناك أيضاً جانب معاصر؛ ففي الثقافة الشعبية العراقية يستخدمون الرقي والتعاويذ، بل إن البعض يتعاطى مهع الأدعية الدينية بصفتها تعاويذ لدرء الموت وجلب الاحبة سالمين (٥٥).

وشدد سعداوي: نحن نلجأ الى التعاويذ بشكل مستمر كي تحقق لنا خرقاً ما في المتوقع، كي يعود الأبن والزوج من لجة النيران سالمين، أما الجانب الثالث فهو جانب نفسي اجتماعي؛ فكثيراً ما نحاول تذكير أنفسنا، كنوع من الوقاية النفسية، بمقولات وحكم وخلاصات معرفية، وعملية التذكير هذه صارت وكأنها استدعاء لطاقة ما في هذه المقولات.

الفصل الاول كان بعنوان "الميت الحي"، وفي خط سردي متواصل حتى الفصل الرابع المعنون بـ"المتجول بين العوالم"، تجري الاحداث في العالم الواقعي، وفي نهاية يدخل علي في غيبوبته.

ولكن الفصل الرابع على عكس الثلاثة الأوائل يتراوح ما بين الواقع والمتخيل، فالممرض المسن محمد سدخان، يسعى إلى تحفيز العقل الباطني لعلي الغارق في غيبوبته، عبر حكاية تلو الأخرى تجري في عوالم مختلفة شكلت مشوار حياة هذا المسن أو ذاكرته أو مخياله، ومنها حكاية "فالح الاكتع"، الذي بات رئيساً لوزراء العراق حسب ما يمكن وصفه بهلوسات أو تخيلات سدخان، والتي "شطحت" باتجاه الحديث عن تنحي صدام حسين وتولي ابنة قصي الحكم، قبل أن يصدم الغائب عن الوعي بإخباره "أما انت يا علي، فقد تسلمت منصب مدير اذاعة بغداد"، قبل أن يحدثه ايضا عما يصفه بـ"العالم الثالث" (٥٦)، وفيه يقتل علي في منتصف العام ١٩٩٦، في الحرب الاهلية الطاحنة، التي كانت في تلك الفترة تشبه كثيراً الحرب الأهلية في لبنان، حيث القتل على الهوية الدينية والمذهبية والطائفية، وليس كذلك فحسب، بل إن الممرض المسن سرد أحداثاً تبدو ضرباً من ضروب الجنون، وكأنه يهرب بعليّ من الواقع الاليم الذي يعيشه كما العراق، الى افتراضات او ربما حلول يتنماها، أو بات يتمناها كل عراقي، أو غالبية العراقيين، لعله يستفيق من غيبوبته إذا ما علم بشيء من هذه السيناريوهات المختلفة أو المختلقة (٥٧).

وما بين الفصل الخامس (حياة أخرى)، والفصل العاشر (ما يقوله التاريخ)، يأخذنا علي معه عبر باب من ابواب طباشيرية جديدة، بعد التعافي المفترض أو الملتبس ما بين حقيقة وخيال من جراحه، حيث يحل البرلمان ومجلس الرئاسة والوزارات والهيئات المستقلة، وتحجز الاملاك والاموال بعد انقلاب عسكري بقيادة عبد العظيم صديق علي في فترة الدراسة الجامعية وما تلاها، حيث يختاره مستشاراً مقرباً منه هو الذي كان يعرف بـ"الفيلسوفط، فيما يستمر علي الى جانب عبد العظيم، ويعمل على حمايته، الى ان تنفجر بالموكب الرئاسي سيارة مفخخة تودي بحياة "الزعيم" عبد العظيم فيما يصاب علي بجروح وحروق.

واللافت أن عبد العظيم هذا، يطل بين فترة وأخرى من بين فصول الرواية، ليلعب في كل مرة دوراً متخيلاً، فتارة يكون الرئيس المنقلب، هو الضابط في الجيش العراقي أساساً، وبالوراثة، وتارة أخرى يظهر بثوب زوج ليلى معشوقة علي .. ليلى التي كانت تدرس معه في ذات الجامعة، وافترقا لاكثر من عشرة سنوات، حيث تزوجت وانجبت ولدان، في حين بقي علي يتذكرها من فترة إلى أخرى، حتى التقاها في بيت صديقه الدكتور واصف، وكان برفقتهم صديقهم المشترك عبد العظيم .. ولا ندري إن كان هذا ما حدث فعلاً، أو أنه ضرب من ضروب الخيال أيضاً.

وما بين الفصل الثاني عشر (في المصحة) والفصل السادس عشر (المنتحر) يدخلنا سعداوي برفقة علي إلى عالم رابع، يكون فيه "بطل الرواية" مدمناً في مصحة على عقار يبدو متخيلاً أيضاً يحمل اسم "الثيلكسود"، وهناك، أي في المصحة، يعالج علي لعله يشفى من ادمانه على "الثيلكسود"، حيث يظهر هنا متزوج وله ولد رضيع، مات ووالدته في حادث سير أصيب على إثره علي بصدمة عصبية، ومن ثم يتذكر علي نفسه انه اصيب في انفجار مع عبد العظيم الذي فقد حياته.

يبقى علي حبيس المصحة بينما تعم البلاد فوضى كبيرة عقب مقتل الزعيم والقائد الاعلى لمجلس الضباط الانقلابين، لتختفي التركيبة السياسية التي ادامت النظام السياسي منذ العام ٢٠٠٣ الى اليوم .. في هذه الاثناء كانت ليلى تزوره بين فترة واخرى بعدما قتل زوجها الضابط أو الزعيم، وترك لها طفلين يتيمين، أما الدكتور واصف فلم يعد يقيم في بغداد منذ

الاحداث الطائفية، وهاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية، ليؤسس متحفاً عراقياً بديلاً للآثار هناك، قبل أن تنتهي حكاية علي في الفصل الحادي والعشرون والأخير (عالم سابع) بنهاية غير متوقعة تتأرجح كبقية الرواية ما بين واقع ومتخيل، وكأن حكاية العراق كلها تبدو ضرباً من ضروب الجنون (٥٨).

وختم سعداوي حديثه لـ"أيام الثقافة" بالقول: القارئ المتعجل قد يفقد الحدود وتختلط عليه العوالم، ولكن القراءة المتأنية ستريه فصلاً واضحاً وسلاسة في الانتقال بينها. . بالتأكيد هذه الرواية فيها بعد تجريبي، وابتكار، وهي قد تخيّب أمل القارئ الذي يبحث عن بطل شعبي وقصة مطاردة مثيرة كما هو الحال مع "فرانكشتاين في بغداد"، ولكنها سترضي من يبحث لدى أحمد سعداوي عن تجربة مختلفة وجديدة، ويريد منه أن لا يكرر تجاربه وعوالمه الكتابية.. أرى أن من مهمات الكاتب الذي يحقق نسبة عالية من المتابعة وقاعدة قرّاء جيدة، أن لا يستجيب الى المتوقع، وأن لا يغازل وعي القراءة الكسول، وأن يحاول دائماً الموازنة ما بين ضرورة التواصل الفعال مع قاعدة قرائه، وايضاً ان يعمل على رفع الذائقة الأدبية، وسط الانحدار الرهيب الحاصل حالياً (٥٩).

الخاتمة:

في ختام بحثنا يمكن أن نوجز أهم ما توصلنا له على النحو الأتي :

بعد هذه الرحلة مع رواية (باب الطباشير) لأحمد سعداوي ، يمكن أن نورد أهم نتائج البحث :

١– باب الطباشير رواية بوليفونية ذات حمولة شعرية عالية ، قائمة على فكرة تعدد (الأصوات / الشخصيات) بتعدد أنماط الوعي المعبرة عنه ، فضلا عن تعدد الصوت داخل الصوت نفسه مما أسميته ب(تشظي الصوت) ، اذ ان كل شخصية من شخصيات الرواية تمثل وعيا أيديلوجيا خاصا .

٢– استطاع الروائي أن ينقل صورة واضحة عن المجتمع العراقي وما كان يمر به في مدة معينة من الزمن .

٣– استطاع الروائي توظيف أدوات السرد ، الحوار ، والوصف بشكل مميز في رسم وتقديم الشخصيات للمتلقي ، فكان متمكنا من أدواته في تقديم الشخصيات داخل الرواية .

٤– كانت شخصيات الرواية مراة ناطقة لشخصيات مقتبسة من الواقع الاجتماعي ، أراد الروائي عن طريق روايته تسلط الضوء عليها والوقوف عند بعض القضايا التي يعاني منها المجتمع العراقي .

٥– اهتم الروائي برسم الشخصيات في روايته وابراز الملامح الخارجية والداخلية لهذه الشخصيات .

٦– لم يكن وعي الشخصيات خاضعا لمنظومة الثبات ، وانما بدا متغيرا في الشخصية ذاتها ، يظهر من خلال تحولاتها في العوالم الأفتراضية السبعة ، مما أفضى الى مضاعفة مفهوم الحوارية الباختينية .

٧– تعد الهوية من الموضوعات النقدية التي تتعلق بالمناهج الثقافية القادرة على رصد صور التفاعل الثقافي والايديولوجي الذي تمثله اشكالية الهوية.

٨– تتمحور الهوية في رواية (باب الطباشير (في ثلاثة أبعاد : البعد السياسي ، والبعد الثقافي والبعد الديني ، وقد برزت هذه الأبعاد من خلال تفاعل الأحداث والشخصيات في تصوير قضايا الواقع السياسي والثقافي وغيرها .

٩– لقد استطاع احمد سعداوي ان يجسد فقدان الفرد العراقي لهويته وسط عالم مليء بالصراعات والتحولات السياسية كما رصد كيفية البحث عن هذه الهوية الضائعة .

١٠– لقد عالجت رواية (باب الطباشير) صورة الفرد العراقي الايجابية والسلبية ، كما كانت الصورة السلبية في الرواية هي الغالبة من خلال الصراع الطائفي بين الأديان والثقافات المختلفة والتمرد على الواقع المعاش والشعور بضياع الهوية الشخصية .

١١– أعاد أحمد سعداوي إحياء التراث العراقي (ألعاب ، لهجة) لخدمة الفن الروائي من جهة ، وللدلالة على أنها أصل من أصول المجتمع العراقي ، يصعب التخلي عنها أو نسيانها ؛ لأنها ستظل أداة موجهة ضد التغييب و التهميش الذي

تمارسه بعض الأنساق الثقافية المتعالية في الواقع من جهة أخرى .

الهوامش:

١– ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٦٥ .

٢– ينظر : معجم التعريفات ، الجرجاني، علي بن محمّد ، (محمّد صدّيق المنشاوي، تحقيق ودراسة). القاهرة: دار الفضيلة ، ٢٠٠٤ ، ص٣٤ .

٣– عبد الحميد، شاكر. (٢٠٠٩، فبراير). الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي. ضمن سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٦٠. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٤– ينظر : السّرد والمصطلح؛ عشر قراءات في المصطلح السّردي وترجمته ، سيدي محمَّد بن مالك: ، دار ميم للنشر، الجزائر، ط. ١، ٢٠١٥، ص ١٠٩.

٥– يُنظَر: المُشترَك السّردي في السرديّات الغربيّة والعربيّة في "السرديات والتّرجمة العربية ، سيدي محمَّد بن مالك، كتابٌ جماعيٌ، تنسيق: سيدي محمَّد بن مالك، تقديم: عبد الحميد بورايو، دار ميم للنشر، الجزائر، ط. ١، ٢٠١٧، ص ٩٧.

٦– ينظر : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، محمد عمارة ، دار النهضة ، ط١، مصر ، ١٩٩٩ ، ص ٦ .

٧– ينظر : المصدر نفسه ، ص٧ .

٨– ينظر : مفاهيم عالمية للهوية ، العظمة وآخرون ، عزيز، وآخرون ، الدار البيضاء ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٥،ص٦٧ .

٩– ينظر : المصدر نفسه ، ص٦٨

١٠– ينظر : الهوية ، حنفي ، حسن ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١، القاهرة ، ٢٠١٢ ص ٢٣ .

١١– ينظر : الاستشراق ، سعيد ، سعيد ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط٥، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٥١ .

١٢– ينظر : الايدلوجيا والهوية ، لارين ، جورج ، تر : فريال حسن خليفة ، مكتبة مدبولي ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٢، ص ٢٥١ – ٢٦٧

١٣– ينظر : اشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية ،كركوش ، د. فتحية ، دراسة تحليلية نقدية ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد ١٦ ، سبتمبر ، ٢٠١٤ ، ص ٧ .

١٤– ينظر : معجم الوجيز ، هارون ، نبيل عبد السلام ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص ٦٥٤.

١٥– ينظر : المصدر نفسه ، ص٦٥٥ .

١٦– ينظر : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، صليبا ، جميل ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ج٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٥٣٠ .

١٧– ينظر : الهوية والسرد ، ريكور ، بول ، دار التنوير ، تونس ، ٢٠٠٩ ص٦.

١٨– رواية باب الطباشير ، احمد سعداوي ، منشورات الجمل ،فلسطين ، ٢٠١٧ ، ص ١٣١.

١٩– المصدر نفسه : ١٣٣ .

٢٠– المصدر نفسه : ٤٧.

٢١– المصدر نفسه : ١٠٨–١٠٩ .

٢٢– المصدر نفسه : ١٦٢ .

٢٣– ينظر : قضايا اللسان والهوية ، ولد خليفة ، محمد العربي ، دار قالة ، الأبيار ، الجزائر ، ٢٠٠٧ ،ص ١٠٥ .

٢٤– ينظر : الثقافة والعولمة بين التكيف والتفاعل ، زعيمي، مراد ، منشورات جامعة قسنطينة ، الجزائر ،٢٠٠١ ،ص ١٢٠ .

٢٥– ينظر : الهوية والثقافة ، السيف ، ناصر بن سعيد بن سيف ، دار كتاب للنشر والتوزيع، الأمارات ، ٢٠١٨ ، ص٢٠ .

٢٦– ينظر : الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية ، الذوادي ، محمد ، دار الكتاب الجديدة المتحف ، ط١، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٦ ، ص٤٤ .

٢٧– ينظر : إشكالية الهوية في الرواية العربية المعاصرة – رواية اليهودي الحالي ، عوار و عيش ، سمية وصونية ، ل علي للمقري النموذجاً ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل – ، الجزائر ، ٢٠١٨ ، ص ٢٥ .

٢٨– ينظر : توظيف التراث الشعبي في الرواية العربية المعاصرة ، محمد رياض ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢ ص ٢١ .

٢٩– رواية باب الطباشير ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

٣٠– المصدر نفسه : ص٢٨٢ .

٣١– ينظر : وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه ، الزحيلي ، محمد ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، ١٩٩٩ ، ص١٨ .

٣٢– ينظر : العولمة وللمواطنة والهوية ، ، كاظم ، ثائر رحيم ، مجلة جامعة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، العراق ، المجلد / العدد : ٨.ع١ , ٢٠٠٩ ، ص ٢٥٩ .

٣٣– ينظر : التعليم وأزمة الهوية الثقافية ، عطية ، محمد عبد الرؤوف ، مؤسسة طيبة ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٤٥.

٣٤– رواية باب الطباشير ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧–٢٦٨ .

٣٥– المصدر نفسه ، ص ٣١ .

٣٦– المصدر نفسه : ص ٣٠٥–٣٠٤ .

٣٧– المصدر نفسه ص ٣٣ .

٣٨– رواية باب الطباشير ، المصدر السابق ، ص٣٤٣ .

٣٩– ينظر : بلاغة السرد في الرواية العربية ، ادريس الكريوي ، دار الأمان ، الرباط ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ،ط١ ، ٢٠١٤، ص٣٤ .

٤٠– ينظر : السرد العربي مفاهيم الروائي وتجليات ، سيعد يقطين: ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، ٢٠١٢ ، ص٢٤١.

٤١– باب الطباشير ، المصدر السابق ، ص١٩٠ .

٤٢– باب الطباشير ، المصدر السابق ، ص١٩١ .

٤٣– ينظر : بلاغة السرد ، محمد عبد المطلب ، الهيأة العامة لقصور الثقافة ، ط٢ ،٢٠١٣، ص٤٥ .

٤٤– ينظر أسلوبية الراوية : حميد لحمداني ، منشورات دراسات سال ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م ، ص ٨٨ .

٤٥– ينظر : المصدر نفسه ، ص٨٩ .

٤٦– رواية باب الطباشير : المصدر السابق ، ص٥٤ .

٤٧– المصدر السابق ، ص٣٣ .

٤٨– المصدر السابق ، ص٣٤ .

٤٩– رواية باب الطباشير ، ص١٥ .

٥٠– المصدر نفسه ، ص١٥ .

٥١– المصدر نفسه ، ص١٨ .

٥٢– المصدر نفسه ، ص١٢٧ .

٥٣– ينظر : شعرية البوليفونية : قراءة في رواية ارهابيس لعز الدين ميهوبي ، الطالبة وردية الجاصة ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب واللغات ، جامعة محمد لمين دباغين – سطيف ٢٠١٥ ، ص٤٣ .

٥٤– المصدر السابق ، ص٤٤ .

٥٥– المصدر السابق ، ص٣٣ .

٥٦– المصدر السابق ، ص٤٥ .

٥٧– باب الطباشير ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

٥٨– المصدر السابق ، ص٥٥ .

٥٩– المصدر السابق ، ص٥٦ .

المصادر :

القرأن الكريم .

١– الرواية تجيب عن أسئلة الحياة الكبرى ، أحمد سعداوي: ". جريدة القبس ، ١٥ يناير ، ٢٠١٩ .

٢–كائن العزلة يربكه الضوء والجوائز " الروائي العراقي أحمد سعداوي:. جريدة القبس.

٣– تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية ، اثير عادل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، فلسطين ، ٢٠٠٩ .

٤– مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، محمد عمارة ، دار النهضة ، ط١، مصر ، ١٩٩٩ .

٥– مفاهيم عالمية للهوية ، العظمة وآخرون ، عزيز، وآخرون ، الدار البيضاء ، ط١ ، بيروت .

٦– الهوية، حنفي، حسن ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١، القاهرة ، ٢٠١٢ .
٧– الاستشراق ، سعيد ، سعيد ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط٥، بيروت ، ٢٠٠١ .
٨– الايدلوجيا والهوية ، لارين ، جورج ، تر : فريال حسن خليفة ، مكتبة مدبولي ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
٩– اشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية ، كركوش ، د. فتحية ، دراسة تحليلية نقدية ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد ١٦ ، سبتمبر ، ٢٠١٤ .
١٠– معجم الوجيز ، هارون ، نبيل عبد السلام ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
١١– المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، صليبا ، جميل ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ج٢ ، ١٩٨٢ ..
١٢– الهوية والسرد ، ريكور ، بول ، دار التنوير ، تونس ، ٢٠٠٩.
١٣– رواية باب الطباشير ، سعداوي ، أحمد ، منشورات الجمل ،فلسطين ، ٢٠١٧ .
١٤– قضايا اللسان والهوية ، ولد خليفة ، محمد العربي ، دار قالة ، الأبيار ، الجزائر ، ٢٠٠٧ .
١٥– الثقافة والعولمة بين التكيف والتفاعل ، زعيمي، مراد ، منشورات جامعة قسنطينة ، الجزائر ،٢٠٠١ .
١٦– الهوية والثقافة ، السيف ، ناصر بن سعيد بن سيف ، دار كتاب للنشر والتوزيع، الأمارات ، ٢٠١٨ .
١٧– الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية ، الذوادي ، محمد ، دار الكتاب الجديدة المتحف ، ط١، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٦ .
١٨– إشكالية الهوية في الرواية العربية المعاصرة – رواية اليهودي الحالي ، عوار و عيش ، سمية وصونية ، ل علي للمقري النموذجاً ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل – ، الجزائر ، ٢٠١٨
١٩– توظيف التراث الشعبي في الرواية العربية المعاصرة ، محمد رياض ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢ .
٢٠– وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه ، الزحيلي ، محمد ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، ١٩٩٩ .
٢١– العولمة وللمواطنة والهوية ، ، كاظم ، ثائر رحيم ، مجلة جامعة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، العراق ، المجلد / العدد : ٨.ع١ , ٢٠٠٩ .
٢٢– التعليم وأزمة الهوية الثقافية ، عطية ، محمد عبد الرؤوف ، مؤسسة طيبة ، القاهرة ، ٢٠٠٩ .
٢٣– بلاغة السرد في الرواية العربية ، ادريس الكريوي ، دار الأمان ، الرباط ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ،ط١ ، ٢٠١٤ .
٢٤– السرد العربي مفاهيم الروائي وتجليات ، سيعد يقطين: ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، ٢٠١٢ .
٢٥– بلاغة السرد ، محمد عبد المطلب ، الهيأة العامة لقصور الثقافة ، ط٢ ،٢٠١٣.
٢٦– أسلوبية الراوية : حميد لحمداني ، منشورات دراسات سال ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .
٢٧– شعرية البوليفونية : قراءة في رواية ارهابيس لعز الدين ميهوبي ، الطالبة وردية الجاصة ، رسالة ماجستير ،كلية الاداب واللغات ، جامعة محمد لمين دباغين – سطيف ٢٠١٥ .
٢٨– فيلم عن "فرانكشتاين في بغداد"". جريدة الراية. ٨ يوليو ٢٠١٧ ٢٠٢١ .
٢٩– نت، العراق (٢٣ مايو ٢٠١٨). "احمد سعداوي ثالثا في جائزة البوكر العالمية للرواية". العراق نت.
٣٠– لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ .
٣١– عبد الحميد، شاكر. (٢٠٠٩، فبراير). الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي. ضمن سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٦٠. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
٣٢– معجم التعريفات ، الجرجاني، علي بن محمّد ، (محمّد صدّيق المنشاوي، تحقيق ودراسة). القاهرة: دار الفضيلة ، ٢٠٠٤ .
٣٣– السّرد والمصطلح؛ عشر قراءات في المصطلح السّردي وترجمته ، سيدي محمَّد بن مالك: ، دار ميم للنشر، الجزائر، ط. ١، ٢٠١٥ .
المُشترَك السّردي في السرديّات الغربيّة والعربيّة في "السرديات والتّرجمة العربية ، سيدي محمَّد بن مالك، كتابٌ جماعيٌ، تنسيق: سيدي محمَّد بن مالك، تقديم: عبد الحميد بورايو، دار ميم للنشر، الجزائر، ط. ١، ٢٠١٧.

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

م.م نور فوزي كاظم
الجامعة التقنية الوسطى/ معهد الفنون التطبيقية

المستخلص:
اما موضوع الحضارة وفلسفتها في فكر غوستاف لو بون من الموضوعات المهمة التي لها مساس كبير بحياة الانسان ولا معنى لدراسة الحضارة بعيد عن المصدر الاساسي فمفهوم الحضارة لديه قد يختلف مع البعض وقد يتوافق مع البعض الاخر فالحضارة عند لو بون لا تقابل البداوة او الوحشية بل هي مرحلة متطورة من مراحل تطور الانسان، فان لو بون يبين ان ليس هناك بلد وشعب متحضر وبلد وشعب غير متحضر بل لكل بلد وشعب حيز من الحضارة.
تأثر لو بون بالحضارة العربية تأثراً كبيراً دفعه الى القول "وبالعرب بدأت وسبب ذلك ان حضارتهم من الحضارات التي اطلعت عليها في رحلاتي الكثيرة احسن مما اطلعت على غيرها من الحضارات "حيث نجد ان دراسة لو بون للحضارة العربية دراسة منصفة لا ينتابها اي غبار ويرى لو بون ان تأثير العرب بالغرب تأثير عظيم، وان اوروبا مدينة للعرب بحضارتها ولم يكتفي لو بون بمدح الحضارة العربية فحسب بل دافع عنها ضد منتقديها حيث رد على انتقادات ارنست رينان للعرب في كتابه "حضارة العرب".
ومن الجوانب المهمة في فلسفة الحضارة عند لو بون هو الجانب العرقي واهميته والتأكيد عليه حيث عرفه في كتابه "حضارة العرب" "بأنه يدل على جماعات ذات اخلاق مشتركة تنتقل انتقالاً منظماً" ويذكر ايضاً في كتابه "السنن النفسية لتطور الامم" "والامم وهي لا كبير تأثير للعقل فيها، مسيرة بأخلاق عرقها" ويقسم لو بون العروق الى قسمين العروق الخالصة والتي تكون خالية من الاختلاط وهي نقية لدى لو بون والعروق التاريخية وهي التي نشأت عن طريق الهجرة والفتوح والاختلاط عن لو بون.
اما دائرة اللاشعور عند لو بون فهي ضرب من ضروب النشاط النفسي النشاط النفسي فيعرفه لو بون بانه "بروح الاجداد المتكاثفة" حيث غوستاف لو بون كان سابقاً لفرويد في توظيف مصطلح اللاشعور لفهم طبيعة الجمهور النفسي وان اللاشعور عند لو بون مرتبط ارتباط وثيق بالعرق فاللاشعور هو اساس موروث الفرد من العرق الذي ينتمي اليه، فالعرق هو الخزان التحتي الذي تصدر عنه الروح الجماعية للجماهير.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، العرق، لو بون

Abstract:
As for the subject of civilization and its philosophy in Gustave Le Bon's thought, it is one of the important topics that have a great impact on human life and there is no meaning in studying civilization far from the main source. Developed from the stages of human development, Le Bon shows that there is no civilized country and people, and uncivilized country and people, but every country and people has a space of civi-lization.Le Bon was greatly influenced by the Arab civilization, which led him to say, "With the Arabs, I began, and the reason for this is that their civilization is one of the civilizations that I have seen in my many travels, better than I have seen other civilizations." The influence of the Arabs on the West is great, and that Europe owes its civilization to the Arabs. Le Bon not only praised the Arab civilization, but defended it against its critics, as he responded to Ernest Renan's criticisms of the

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

Arabs in his book "The Civilization of the Arabs".
One of the important aspects of Le Bon's philosophy of civilization is the ethnic aspect, its importance and emphasis on it, as he defined it in his book "The Civilization of the Arabs" as "indicating groups with common morals that move in an orderly transition." An influence of the mind in her, a march in the morals of her race." Le Bon divides the veins into two parts: pure races, which are free from mixing and are pure for Le Bon, and historical races, which arose through immigration, conquest and mixing from Le Bon.As for the circle of the unconscious according to Le Bon, it is a kind of psychological activity, psychological activity, which Le Bon defines as "the condensed spirit of the ancestors." Gustave Le Bon was a predecessor to Freud in employing the term un-conscious to understand the nature of the psychological public, and that the unconscious in Le Bon is closely related to race, so the unconscious is the basis The inheritance of the individual is from the race to which he belongs. Ethnicity is the basement reservoir from which the collective spirit of the masses emanates.

Keywords: ((civilization / race / Le Bon))

المقدمة:

إن موضوع الحضارة وفلسفتها في فكر غوستاف لو بون من الموضوعات المهمة التي لها مساس كبير بحياة الانسان ولا معنى لدراسة الحضارة بعيداً عن المصدر الاساس لقيام الحضارات.

ان لغوستاف لو بون اثر عميق في هذا المجال حيث نجد ان لو بون وبحثه في فلسفة الحضارة يتناول الحضارة من زاوية اساسية وهي زاوية تخصصه النفسي والانثروبولوجي بالإضافة الى جميع الاختصاصات التي تناولها فلم يختص بمجال واحد ففي بحثه في الحضارات لم يتناول الجانب الحضاري فقط بل تناول جميع المجالات والعلوم في الحضارات التي بحث فيها من الامور الرئيسية التي تناولها لو بون في بحثه في الحضارات هي اسباب نجاح الحضارات واسباب انحطاطهم حيث ركز لو بون على عوامل نجاح الحضارات وخصوصا في كتابه "السنن النفسية "وحضارة العرب "واسباب انحطاطهم معتمداً على منهج علمي متحرر من كل ميل وفكر ومعتقد.

اما مفهوم الحضارة عنده لو بون فهو قد يختلف مع البعض وقد يتوافق مع الاخر فان الحضارة لديه هي لا تقابل البداوة او الوحشية بل هي مرحله متطورة من مراحل تطور الانسان فان لو بون يبين ان ليس هناك بلد متحضر وليس لديه شعب متحضر وشعب غير متحضر بل ان لكل بلد او شعب حيز من الحضارة.

ومن الجوانب المهمة في فلسفة الحضارة عند لو بون هو الجانب العرقي واهميته والتأكيد عليه حيث عرفه في كتابه "حضارة العرب" "بأنه يدل على جماعات ذات اخلاق مشتركة تنتقل انتقالاً منظماً" ويذكر ايضاً في كتابه "السنن النفسية لتطور الامم" "والامم وهي لا كبير تأثير للعقل فيها، مسيرة بأخلاق عرقها" ويقسم لو بون العروق الى قسمين العروق الخالصة والتي تكون خالية من الاختلاط وهي نقية لدى لو بون والعروق التاريخية وهي التي نشأت عن طريق الهجرة والفتوح

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

والاختلاط عن لو بون.

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

المقصد الأول: نبذة مختصرة عن سيرة غوستاف لو بون وأهم أعماله

ولد غوستاف لو بون **Gustav le bone** في مقاطعه نوجان لي رو ترو بمنطقة النور ماندي في فرنسا في (٧مايو ١٨٤١م) توفي لو بون في عام ١٩٣١م في فرنسا في ولاية مارينا وهو من عائله برجوازية صغيره وكان والده يشغل وظيفة محافظ الرهن العقاري درس الثانوية في مدينة تور ثم درس في كلية طب باريس، وفي عام ١٨٦٦م ظهر أول أعماله الرئيسية ((الموت الظاهر والدفن المبكر)) توجه بعدها بسنوات عده من مجال الطب الى مجال الأنثروبولوجيا وعكف على دراسات علم النفس وتعاون لو بون من عام ١٨٦٢م الى ١٨٦٩ مع العديد من الدوريات حيث تظهر له دراسات حول وفيات الرضع، وادمان الكحول، ودخان التبغ، وعلاج الكوليرا، وعلاج الاختناق وما الى ذلك من هذه الاعمال التي اكسبته الحق في أن ينتخب عضواً في جمعية الطب العالمي أنتخب نائباً للرئيس في عام ١٨٧٩م ورئيساً في عام ١٨٨٠م دون أن يتوقف عن العمل الإرشادي الطبي، وتميز بتنوع مجال أبحاثه، وأنشاء مختبرا في شقته بباريس، وتعلم الكيمياء والفيزياء والبصريات(١) حيث وقف نفسه على خدمة العلم وتقرير حقائقه حتى تجاوز عمره الثمانين(٢).

وفي سنة ١٨٨٤م سافر الى الهند مكلفاً من الحكومة بمهمة درس هندسة الأثار البوذية وساح في افكار أخرى منها هذا الشرق الإنساني ورغم أن غوستاف لو بون طبيباً الا أنه عني بالتاريخ للحضارة الشرقية(٣).

ويعتبر الطبيب الفرنسي غوستاف لو بون احد اشهر المستشرقين والمؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا الذين اولو اهتماماً بالغاً بدراسة الحضارات الشرقية على وجه العموم والعربية والإسلامية منها خاصة، حيث منحته جولاته التي قام بها في أوربا وأسيا وشمال افريقيا الفرصة لاكتشاف هذه الحضارات الموغلة في القدم(٤).

ولو بون هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمه العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لو بون على نهج معظم مؤرخي أوربا حيث اعتقد بوجود فضل للحضارة العربية على العالم الغربي(٥).

اهتم بعلم الحضارات بشكل عام، وكان من أوائل المؤرخين الأوربيين الذين اعترفوا بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي أهتم بالطب النفسي وخصوصاً السلوك الجماعي، مما مكنه من اصدار العديد من الأبحاث في هذا المجال الى ان كتب كتابه المهم ((سيكولوجية الجماهير)) الذي حقق له سمعة علمية عالية وكان الاسبق فيه ولذا يعد لو بون مؤسس علم نفسية الجماهير انجز ما يفوق ٦٠ كتاباً وبحثاً تناولت اعماله مجالات الطب والحضارة والتاريخ والأثار والمجتمع ولقد امتد حينئذ تأثيره الفكري ايضاً على السياسيين البارزين، مثل موسو ليني وهتلر وتشرشل وروزفلت وديغول وغيرهم(٦).

اهم اعماله:

١– الأنسان والجماعات الف سنة ١٨٧٧م
٢– حضارة العرب الفه سنة ١٨٨٣–١٨٨٤
٣– الحضارات الاولى الفة سنة ١٨٨٨–١٨٨٩
٤– حضارات الهند الفة سنة ١٨٨٧
٥– رحلة الى جبال تتراس
٦– رحلة الى نبال
٧– اثار الهند الفة سنة ١٨٩١
٨– الثورة الفرنسية وروح الثورات
٩– النتائج الاولى للحرب

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

١٠– التعاليم النفسية للحرب الأوربية
١١– سر تطور الامم الفة سنة ١٨٩٤
١٢– روح الجماعات الفة سنة ١٨٩٥
١٣– روح الاشتراكية الفة سنة ١٨٩٨
١٤– روح السياسة الفة سنة ١٩١٠
١٥– روح التربية
١٦– جوامع الكلم العصرية
١٧– امس وغدا
١٨– حياة الحقائق(٧)
١٩– دخان التبغ (بحث)(٧)

المقصد الثاني:– مفهوم الحضارة والعرق لغةً واصطلاحاً

أولاً: مفهوم الحضارة لغةً

تكتسب الحضارة قيمتها باعتبارها الهدف الاسمى في تطور المجتمعات الانسانية والمحير ان المفهوم ذاته مازال غامضاً، فما هو مفهوم الحضارة؟ وهي ايضاً تختلف باختلاف الزمان والمكان الذي يطرح فيه هذا السؤال وقبل ان نتدرج في تعريفات الحضارة لابد من معرفة معنى الحضارة في اللغة، ثم نتعرف عليها في الاصطلاح بعد ذلك(٨) فأن مفهوم الحضارة بهذا المعنى كان يعرف في التراث العربي القديم بمعنى حضر وفي لسان العرب لأبن منظور (١٢٣٢–١٣١١م) تشير الى معاني عدة من بينها الإقامة في الحضر في مقابل الإقامة البدوية(٩).

واستمر هذا المعنى يتردد في الفكر العربي فعند ابن خلدون (١٣٣٢–١٤٠٦م) والذي جاء بعد أبن منظور فكانت الحضارة عنده مرحلة تتقدمها البداوة يقول: الحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً وتتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد (١٠) فان اول من اطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هو ابن خلدون ففرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل اجيال البدو والحضر طبيعية في الوجود. فالبداوة اصل الحضارة، والبدو اقدم الحضر لانهم يقتصرون على انتحال الزراعة والقيام على الحيوان لتحصيل ما هو ضروري لمعاشهم، اما الحضر فأن انتحالهم للصنائع والنجارة يجعل مكاسبهم اكثر من مكاسب اهل البدو واحوالهم في معاشهم زائدة على الضروري منه، واذا كانت البداوة اصل الحضارات، فأن الحضارة غاية البداوة ونهاية العمران(١١).

اما في اللغات الأوربية المشتقة من اللاتينية أو التي لها علاقة معها فنجد أن كلمة حضارة (civilization) هي مشتقة من كلمة فرنسية يعود تاريخه الى القرن السادس عشر وكلمة "حضارة "مأخوذة من الكلمة اللاتينية" "مدني" المتعلقة ب civil "مواطن" وcivitas دولة او مدينة "city"(٦)(١٢)

اما مفهوم الحضارة في موسوعة لا لاند فتعرف الحضارة اصطلاحاً: أ ماهي مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة، ذات طبيعة قابلة للتناقل، تتسم بسمة دينية اخلاقية جمالية فنية، او علمية ومشتركة بين كل الاجزاء في مجتمع عريض او في عدة مجتمعات مترابطة(١٣).

ثانياً: مفهوم العرق لغةً واصطلاحاً

يعرف ابن منظور في لسان العرب، تحت مادة (عرق) يجمع معاني كثيرة فرجل عرق اي كثير التعرق، وعرق الحائط اي اصبح

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

ندي، ولبن عرق اي لبن فاسد والعرق هو الثواب، لأن العرب تقول: اتخذت عنده يداً بيضاء واخرى خضراء فما نلت منه عرقاً اي ثواباً. ورجل عريق اي كريم، وغلام عريق اي نحيف الجسم خفيف الروح، والعرق عند ابن منظور كذلك يشير الى نبات اصفر يصبغ به، وهو ايضاً الارض المالحة التي لا تنبت(١٤).

ثم يدرج معاني اخرى للعرق يمكن على اساسها الحكم بأنه كان يدرك ان له علاقة بالنسب والدم والتوالد حيث نجد ان مفهوم العرق يعرف عند التهانوي العرف بأنه بفتح العين والراء في اللغة خوي، وهو فضلة مائية للدم خالطها صديد مراري مندفعة من المسام لحرارة جاذبة او لضعف الماسكة او لاستيلاء الطبيعة على مادة البدن او المرض كما في البحارين. ويطلق العرق ايضاً على شيء يتخذ من الشراب او ثقلة ودردية بطريق القرع او الانيق.

اما العرق المدني هو ان يحدث على البدن بثرة فينتفخ ثم يتنفط ثم يتثقب فيخرج منها شيء شبيه بالعرق لايزال يطول، وربما كان له حركة كدودة تحت الجلد. قال القرشي: هذا في الحقيقة ليس بعرق وانما هو حيوان يتولد في البدن كما يتولد باقي اصناف الدود وفارسيه رشته(١٥).

اما في اللغة الاجنبية فيعرف بأنه "هو تجمع بشري يرتبط فيما بينهم بروابط معينة منها الثقافة اللغة القيم الفن الأدب والدين والحياة العائلية والعرق الى حد كبير يستند الى حقائق ملموسة من الاعتقاد الذي يرتبط بين الأفراد وما اعتادوا على الأيمان به ويستبعد الذين لا يؤمنون بنفس الأيمان بين الافراد(١٦).

اما العرق كمصطلح وبعيداً عن الاشتقاق اللغوي فيأخذ معنى اوسع واعمق انه حيث يعرفه لا لاند في موسوعته الفلسفية بأنه بالمعنى البيولوجي، رتبه تأتي مباشرة تحت الجنس، مرادفة ل "تنوع" "تشكيلة" مثلاً، في الجنس البشري: العرق الابيض، العرق الاصفر. وبمعنى اضيق: جماعة افراد، اقل شمولاً من التنوع، تتواصل عندهم، بالوراثة، وبمعزل عن تأثير البيئة الراهن، مجموعة سمات حياتية نفسانية او اجتماعية، تميزهم من افراد ينتمون الى جماعات اخرى مجاورة(١٧).

المقصد الثالث:– مفهوم الحضارة وعوامل نجاحها وعناصر انحطاطها عند غوستاف لو بون

اولاً: مفهوم الحضارة عند غوستاف لو بون

ان مفهوم الحضارة عند لو بون يختلف احياناً عن غيره فالحضارة عنده هي التمدين وكذلك هي لا تعني خلاف البدو او خلاف البادية بل هي تطور اي تطور الانسان حيث يقول "فالتمدين اذن قبس تزايد نوره من عصر الى عصر، وقد مرت به الامم على اختلاف أنواعها".

فان الحضارة عند لو بون هي تطور منظم حيث ان الحضارات المتقدمة والمدن المتطورة هي نتاج الحضارات القديمة فيذهب لو بون الى القول: "ان درس المدنيات يدلنا على سلسلة الترقي التي خرج بها شأن الجمعيات المنظمة على تعقيده من حالة الوحشية التي طال بها عيش الأولين وكيف كانت جذور افكارنا وعواطفنا ونظمنا ومعتقداتنا في العصور الاولى للإنسانية، فبدلاً من ان نرى تلك الهوة السحيقة بين الشعوب التي كانت تأكل الشيوخ المعقدين من أقاربها وبين التي تعتني بهم في شيخوختهم وتبكيهم بعد مماتهم. او بين من كانوا يعتبرون النساء كالحيوانات الدنيا ملكاً لرجال القبيلة كافة ومن احترموهن واحاطوهن بصنوف الرعاية او بين من كانوا يعدمون العجزة من الاطفال ومن يسكنون المجانين وذوي العاهات في الملاجئ. تتضح لنا الروابط الوثيقة التي ارتبطت بها على مر الدهر الافكار والنظم والمعتقدات المختلفة فتعترف بأن الحضارات الحالية خرجت بتمامها من الحضارات القديمة وتضمنت جراثيم المدنيات المقبلة كافة وان تطور الافكار والاديان والصناعات والفنون وكل العناصر التي تدخل تركيب اية مدنية امر حتم كمثله في الاشكال المختلفة ف بالسلسلة الحيوانية سواءً بسواء(١٨).

ثانياً: عوامل نجاح الحضارات وتفاوتها عند غوستاف لو بون

يذهب لو بون الى ان عناصر نجاح الحضارة متفاوتة بين حضارة واخرى وهذا يرجع الى الظروف المتاحة لدى حضارة واخرى

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

حيث يقول لو بون "العناصر التي تتألف منها الحضارة هي لغات ونظم وافكار ومعتقدات ومشاعر وفنون وآداب، مظهراً خارجياً لروح الذين ابدعوها بيد ان اهمية هذه العناصر تبدو متفاوتة الى الغاية بتفاوت الازمات والعروق.

اما اهم العناصر التي لدى لو بون تعبر عن روح الأمة هي الاثار الفنية حيث يعبر لو بون عنها بقوله "واليوم لا تجد كتاباً باحثاً في الاثار الفنية من غير ان يبدي هذا الاثار ترجماناً صادقاً لأفكار الأمم ومعبراً مهماً عن حضارتها".

فيضرب لو بون مثلاً عن المصريين حيث يقول "وانظر الى المصريين، قبل كل شيء، ترا الآداب عندهم ضعيفة جداً في كل وقت، وترى فن التصوير عندهم هزيلاً جداً، وترى فن البناء وصنع التماثيل اسفر عندهم عن انفس الاثار فلا تزال مبانيهم تثير اعجابنا ويصلح ما تركوه لنا من التماثيل كتماثيل الكاتب وشيخ البلد وراحوتب، ونفرت آري وغير ذلك، ان يتخذ نماذج حتى في زمننا، وما استطاع الأغارقة ان يجاوزوا مستوى تلك التماثيل الا لوقت قصير.

اما الرومان من وجهة نظر لو بون فعناصر الحضارة لديهم تختلف عن المصريين وهذا يدل على تفاوت عناصر نجاح الحضارة حيث يقول "ان امة الرومان العظيمة، المتأخرة في الفنون كثيراً، اوجبت نهوض ثلاث عناصر اخرى من عناصر الحضارة؛ فقد كانت عندها من النظم الحربية ما سيطرت به على العالم، وكان لديهم من النظم السياسية، والقضائية ما لاتزال نسير على غراره حتى اليوم، وكان لها من الادب المبتكر ما استوحيناه في قرون كثيرة".

وأذن ترى تفاوت في نشوء عناصر الحضارة لدى كل أمة واخرى لا جدال في ثقافتها وليس هناك مقياس ثابت يقاس فيه الحضارات حيث كل امة تحمل عنصر مهم من عناصر الحضارة هذا ما بينه لو بون من خلال امثلته عن الحضارة المصرية والرومانية ويختمها بقوله "وجدنا الفنون لدى المصريين مبتكرة ممتازة الى الغاية مع استثناء التصوير ووجدنا الآداب لديهم هزيلة، ووجدنا الفنون عند الرومان هزيلة عاطلة من اي ابداع كان، ووجدنا الآداب عندهم رائعة ووجدنا النظم السياسية والحربية عندهم من الطراز الاول(١٩).

اما المعتقدات فهي لدى لو بون من اهم عناصر الحضارة وهي التي توجه الحضارة حيث يقول "تجد المبادئ من اهم المبادئ التي توجه الحضارة وعن مختلف المعتقدات الدينية نشأة على وجه مباشر، معظم الحوادث التاريخية، وقد اقترن تاريخ البشرية بتاريخ الهتها، وكان ظهور الهة جديدة دليلاً على فجر حضارة جديدة في كل وقت".

اما دور النظم من وجهة نظر لو بون فهي دور ضعيف في تطور الأمم حيث يذهب لو بون بالقول "ومما اعتقده "توكفيل" وغيره من المفكرين المشهورين وجود سبب تطور الأمم في نظمها، وتراني ارى العكس فأرجوا ان اثبت ان للنظم في تطور الحضارات تأثير ضعيفا الى الغاية، فالنظم معلولات في الغالب وهي قلما تكون عللاً. أما قوة الامه وتطورها وثباتها ناتج عن وحدة مشاعرها وافكارها ومعتقداتها ما بينه غوستاف لو بون بقوله "ووحدة المشاعر، والأفكار والمعتقدات، والمصالح التي هي وليدة رواسب بطيئة موروثة، تمنح مزاج الأمه النفسي تجانسا، وثباتا عظيمين، وهي تمن على هذه الأمه بقوة كبيرة، وفيها سر عظمة الأمم".

اما قوة الامة وتطورها وثباتها ناتج عن وحدة مشاعرها وافكارها ومعتقداتها هذا ما بينه لو بون بقوله "ووحدة المشاعر والافكار والمعتقدات والمصالح، التي هي وليدة رواسب بطيئة موروثة تمنح مزاج الامة النفسي تجانساً وثباتاً عظيمين، وهي تمن على هذه الامة بقوة كبيرة، وفيها سر عظمة الامم" وننتهي الى ان عناصر الحضارة بالنظر الى تنوعها وتفاوتها بين امة واخرى فهي تقوم على اساس مهم هو وحدة تلك العناصر هي سر نجاح وتماسك الحضارة وهذا ما يراه لو بون حيث يجد ان سر نجاح الحضارة هو انسجام المزاج النفسي للأمة وهذا الانسجام ناتج عن وحدة العناصر المهمة لنجاح الحضارة وتطورها وان كانت متفاوتة بين امة واخرى وينتهي لو بون بقوله "وتلك الشبكة من المشاعر والافكار والتقاليد والمعتقدات الموروثة التي تتألف منها روح الزمرة قد وجدت، دائماً، لدى جميع الامم على درجة متفاوتة لاريب، غير ان نموها التدريجي وقع بأقصى البطوء، ولم تشمل روح الزمرة جميع سكان البلد الا مؤخراً بعد ان كانت مقصورة على الاسرة في البداءة ٢٤،

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

فامتدت بالتدريج الى القرية، فألى المدينة، فألى الاقليم وهنالك فقط، ظهرت فكرة الوطن وفق ما ندركها به اليوم"(٤).
بالإضافة الى العنصر المهم لدى لو بون الذي تحدثنا عنه وهو عامل وحدة العناصر والتي تثمر عن ثبات الحضارة وانسجام المزاج النفسي يذهب لو بون الى عنصر اخر من اهم العناصر وهو عنصر الاخلاق فأن ثبات الحضارة وتطورها وتقدمها ناتج عن تماسك اخلاق عروقها، فأن للأخلاق دور مهم حتى تغير المزاج النفسي هو ناتج عن انحلال الاخلاق(٢٠).

ثالثاً: عوامل انحطاط الحضارات عند غوستاف لو بون

ويذكر لو بون قولاً عن كيفية انحلال الحضارات "ونحن اذا ما بحثنا في الاسباب التي ادت بالتتابع الى انهيار الامم وهي التي حفظ التاريخ لنا خبرها وجدنا ان العامل الاساسي في سقوطها هو تغيير مزاجها النفسي تغييراً نشأ عن انحطاط اخلاقها، ولست ارى امة واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها ووجه الانحلال واحد في جميع الحضارات الغابرة وهو الطغيان والغور في الظلم"(٢١) وسقوط الحضارة عند لو بون ليس له علاقة بالعوامل الخارجية وانما سببه هو فقدان الصفات النفسية الموروثة، التي كان يتمتع بها العرق المبدع، فهذه الصفات هي التي تتحكم في ما يصدر عن افراد العرق من اعمال، وهي الدعامة الحقيقية للأمة ويذهب لو بون الى في قوله "ونحن اذا ما بحثنا في الاسباب التي ادت بالتتابع الى انهيار الأمم، وهي التي حفظ التاريخ لنا خبرها كالفرس والرومان وغيرهم وجدنا ان العامل الاساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيراً عن انحطاط اخلاقها، ولست ارى امة واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها"(٢٢) يقول "امكننا ان نقول ان اسوأ حال تصاب به امة هو ان تبلغ هذه الأمة درجة عالية من الذكاء والثقافة فالأمم تهلك عندما الصفات الخلقية التي هي لحمة روحها في الفساد، وهذه الصفات تفسد عندما تنمو حضارة هذه الامة وذكاؤها"(٢٣)

ان عوامل نجاح الحضارة عند لو بون متفاوتة بخلاف عوامل الانحلال فهي واحدة حيث يقول "ووجه الانحلال واحد في جميع الحضارات"(٢٤) اما دور البيئة فهي مهمة لدى لو بون وتغير البيئة يؤدي الى التخريب في العروق خصوصاً اذا كانت البيئة متكاملة وموهيئة لمراحل نمو الانسان حيث يقول لو بون "ولا يؤدي تغيير البيئة الى غير التخريب في العروق التي لم يقض التوالد على ثبات اخلاقها. واهون على العرق القديم ان يهلك من ان يخضع لتحولات تستلزمها ملائمة بيئات جديدة"(٢٥).

فنجد ان لو بون يضرب مثلاً لعامل البيئة وتأثيره على انحلال المجتمعات ومنهم اليهود والسبب يعود الى ان اليهود ابتعدوا عن عرقهم وبيئتهم الاصل واتصالهم الطويل بأمم ارقى منهم كثيراً حيث يقول لو بون في كتابه اليهود في تاريخ الحضارة "ان ساميي الشمال ابتعدوا عن مثال عرقهم الاصلي، لاتصالهم الطويل بأمم ارقى منهم كثيراً، وتثبت قصة الثورات، اثار المعتقدات الكلدانية الواضحة، الكوني المقتبس من بابل ان تلك الامم التي اقام ساميو الشمال بينها هي الامم السومرية والاكادية، اي الأراميون الذين استقروا منذ القدم بسهول الفرات الادنى"(٢٦).

ونستنتج من كل ما ذكر الى ان هناك عناصر مهمة لانحلال الحضارة منها تغيير المزاج النفسي والانحطاط الاخلاقي ودرجة الذكاء العالية، والتغيير البيئي كما بينها لو بون سابقاً حيث ينتهي بالقول "يصاف الى الفات النفسية الثابتة الموروثة التي يتألف من اجتماعها مزاج العرق النفسي عناصر ثانوية ناشئة عن مختلف تغيرات البيئات، وذلك كما يحدث لدى جميع الانواع التشريحية، وتتجدد تلك العناصر الثانوية بلا انقطاع، فيكون للعرق بذلك تغير ظاهر على شيء من الاشباع"(٢٧).

المقصد الرابع:– مفهوم العرق وانواعه عند غوستاف لو بون

اولاً: مفهوم العرق عند غوستاف لو بون

ادرك لو بون انه أمام مصطلح جديد، فكان يحرص على توضيحه في مقدمة كتبه فقال في كتابه حضارة العرب "يمكن تعريف العرق او النوع البشري بأنه يدل على جماعات ذات اخلاق مشتركة تنتقل بالوراثة انتقالاً منتظماً".

وقال في كتابه "حضارات العرب" تقسم الجماعات البشرية المنتشرة في مختلف اقطار الارض الى عروق ويجب ان كلمة العرق

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

"العرق" بالنسبة الى الانسان معادلة لكلمة "جنس" بالنسبة الى الحيوان وتفترق العروق البشرية في اخلاقها، افتراق انواع الحيوانات المتقاربة، ومن خواص هذه الاخلاق الاساسية انها تنتقل بالوراثة انتقالاً ثابتاً(٢٨).

وقال في كتابه "السنن النفسية لتطور الامم": "والامم وهي لا كبير تأثير للعقل فيها – مسيرة بأخلاق عرقها، اي بمجموع المشاعر والاحتياجات والعادات والرغبات التي هي دعائم روحها الاساسية، وتمن هذه الروح القومية على الامم بثبات دائم مع تقلبات الحوادث على الدوام"(٢٩).

ويذهب لو بون الى ان القوى الخفية التي توجه مجرى التاريخ هو العرق حيث يقول لو بون في كتابه "السنن النفسية لتطور الامم" "والعرق بالحقيقة هو الذي يعين الوجه الذي تسير به الامم بفعل الحوادث وتقلبات البيئة"

ويذهب لو بون الى ان روح العروق تهيمن على الامم وتحل الغاز التاريخ حيث يقول لو بون في معرض كلامه عن اهمية روح العرق ويقول "وتهيمن روح العروق على مقادير الامم حين تسيطر على النظم والقوانين وعلى عزائم الطغاة وتعين معرفة روح العرق بأسباب العظمة والانحطاط، وبالعلة في نماذج امم وعجز امم عن ذلك، والعرق هو حجر الزاوية الذي يقوم عليه توازن الامم، والعرق هو الذي يعين الحد النفسي لطموح الفاتحين ولما يبتدعونه من اخيلة العظمة والتصدر"(٣٠).

ثانياً: انواع العروق عند غوستاف لو بون

١– العروق الطبيعية الخالصة

العروق الخالصة عند لو بون هي العروق التي تكون خالية من شائبة الاختلاط وهي نقية ولا تنتابها اي شائبة ولها صفات نفسية مشتركة تتصف بها ولها مبدأ ثابت وهي ليست وليدة انصهارات مختلفة نشأت عن طريق الهجرة والاختلاط بل هي وليدة سلسلة تعبر عن ماضي وتراث الاباء والاجداد حيث تتألف تلك العروق الخلاصة من صفات خلقية وذهنية وهي عنوان لخلاصة ماضية وتراث اجداده وعوامل سيرة ولها كذلك بيئة خاصة بها وهي التي حافظت على مبادئها ومعتقداتها وافكارها وعاداتها وتجانسها ومشاعرها، وما يسميه لو بون بالعروق الخالصة هي تلك العروق التي تنتهي الى عرق واحد، ويشير عنده الى تجمع بشري ينحدر جميع افراده من جد مشترك ويتميز عن غيره بصفات مهمة والعروق الخالصة عند لو بون "عروق متجانسة تستقر فيها اخلاق واحدة وصفات جثمانية واحدة بفعل البيئة والتوالد والوراثة"(٣١) ويرجع لو بون سبب الصراع الاوربي الحاصل الى ادعاء احدى الامم بالصدارة في خلاصة عرقها لا للنظريين الذين يحاولون انكار روح العروق، ومصدر هذا الاصطراع الرئيس بالحقيقة هو ادعاء احدى الامم بالصدارة لما اقترضته من خصال عرقها فاعتقدت انها مدعوة الى السيطرة على العالم" ويضرب لو بون مثلاً عن اوهام المؤرخين الالمان حول تصرفهم الخاطئ في فهم مبدأ العروق وينسب سبب هذا الفهم الى نقص المعارف الانثروبولوجيا حيث يقول "وينشأ ذلك الاصطراع، بوجه خاص عن الأوهام التي نبتت في روح مؤرخي الالمان ومؤلفيهم بفعل تصورهم لمبدأ العرق تصوراً خاطئاً، ووقع ذلك التصور في زمن كان نقص المعارف الانثروبولوجيا فيه يؤدي الى الظن بأن بعض العروق في اوربا ظل خالصاً من شائبة الاختلاط مع تعاقب القرون"

وللعروق الخالصة الطبيعية عند لو بون مراتب حيث يقول "حين انظر الى ما في العروق البشرية من الصفات النفسية العامة فقط، ارى امكان تقسيم هذه العروق الى اربعة اقسام، العروق الابتدائية، والعروق الدنيا، والعروق الوسطى، والعروق العليا:

١– العروق الابتدائية: فقد وصفها لو بون بقوله "هي التي لا تجد فيها اي اثر للثقافة، وهي التي ظلت في الدور القريب من الحيوانية والذي جاوز اهل عصر الحجر المنحوت من اجدادهم

٢– العروق الدنيا: حيث يصفها بأنها "هي التي يعد الزنوج عنواناً لها على الخصوص، وفي هذه الروق تجد بصيص حضارة فقط، وهذه العروق لم تجاوز قط وجود الحضارة الغليظ

٣– العروق الوسطى: أما العروق الوسطى كالصينيين واليابانيين والمغول والامم السامية، فالعرب والاشوريون والمغول،

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

والصينيون، واليابانيون، ابدعوا نماذج حضارات راقية

٤– العروق العليا: فهي عند لو بون تشمل الامم الهندية على الخصوص حيث يقول "وهذه الامم هي التي اثبتت قدرتها على الاختراعات العظيمة في الفنون والعلوم والصناعة؛ سواء في عصر اليونان والرومان القديم، ام في الازمنة الحديثة، ولهذه العروق ترى الحضارة مدينة بما انتهت اليه اليوم من المستوى العالي، ومن هذه العروق خرج البخار والكهرباء واقل هذه العروق ارتقاء، كالهندوس على الخصوص، قد بلغ في الفنون والآداب والفلسفة درجة لم يصل اليها المغول والصينيون والساميون قط.

وينتهي لو بون الى موقف حاسم حول عروق آروبا بقوله "والحق ان ما أدت اليه الانثروبولوجيا الدقيقة من ملاحظات يثبت عدم وجود عروق خالصة لدى الامم المتمدنة، اجل لايزال كثير من بقاع افريقيا واسيا مشتملاً على عروق خالصة، غير ان آروبا لا تحتوي سوى ما سميته بالعروق التاريخية"(٣٢).

٢– العروق التاريخية

تجمع الناس في مكان تاريخي معين، تحت نظام سياسي وباشتراكهم في بعض العوامل مثل اللغة والدين والتاريخ، قد يؤدي لظهور امة، لكن هذه الشروط غير كافية لظهور العرق التاريخي(٣٣).

يقول غوستاف لو بون عن العرق التاريخي بأنه هو "وليدة انصهارات مختلفة نشأت عن مصادفات الهجرة والفتوح واذا كانت صفات هذه العروق النفسية الموروثة قد عدت كثيرة الثبات فلأن حواصل مثل تلك الانصهارات قد خضعت في قرون كثيرة لحياة جامعة منطوية على نظم مشتركة، وعلى مصالح مشتركة بوجه خاص"(٣٤).

ويقول لو بون "انه يمكن للعروق التي تتألف امة منها بفعل الاحوال السياسية، ان تصهر في عرق واحد مع الزمن، وذكرت انه تلك العروق تنتهي الى عرق واحد عندما تؤدي البيئة والتوالد والوراثة في غضون القرون، الى اكتسابها صفات جثمانية واخلاقية وعقلية واحدة "ونجده في هذا النص قد جمع اهم العناصر التي تساهم في تكوين الاعراق التاريخية دون الاشارة الى العوامل التي تكون الامم(٣٥).

ويذهب لو بون في كتابه "السنن النفسية لتطور الامم" "ولا تكفي تقلبات البيئة ولا الفتوح لتغيير روح الشعب الا بالتوالد المكرر، وما كانت الارض ولا النظم ولا الديانة لتغيير روح العرق"(٣٦).

وكان التوالد هو اول هذه العوامل، لان امتزاج الاعراق عن طريق المصاهرة، يؤدي الى ظهور اجيال مولدة، تحمل صفات لم تكن في اسلافها ويرى لو بون ان بإمكان الجماعات البشرية المختلفة ان تنضوي الى قوانين واحدة، وكذلك الى ديانة واحدة ولغة واحدة وصفات جثمانية واحدة.

وفي موضع اهتمام لو بون بهذا الجانب يقول "اجل من الجائز ان تنضوي جماعات بشرية كثيرة على قوانين واحدة، وان تتكلم بلغة واحدة، ولكنها لا يتألف منها عرق متجانس الا بعد ان تستقر فيها اخلاق واحدة وصفات جثمانية واحدة بفعل البيئة والتوالد، والوراثة، وتتطلب كسب هذه الاخلاق والصفات زمناً طويلاً جداً، والصفات الموروثة اذا كانت لا تستقر الا ببوطئ"، فيرى لو بون ان الوراثة اقوى من البيئة من حيث التراكم الاخلاقي الذي توجده والباعث الزمني الطويل والتوالد المتكرر وما للبيئة من اثر الا على العروق التاريخية الحديثة التي تتكون من مختلف الامم وتختلط فيها عروق مختلفة ذات صفات متباينة والسبب هو انحلال عامل الوراثة وتراجعه حيث يرى لو بون "ويعدون البيئة في الغالب، من العوامل التي تستطيع تحويل صفات العرق وأثباتها، ولكن الوراثة التي تتراكم بها اخلاق العرق وسجاياه، وترسب مع الزمن اقوى من البيئة واعظم اثراً، فقد دلت حوادث التاريخ على ان العرق اذا ما استقر اخلاقه وسجاياه بالوراثة وبلغ من الكبر عتياً، عجزت البيئة عن التأثير فيه"، وفي موضع اخر يرى لو بون "وانما تؤثر البيئة على العروق الحديثة، اي العروق التي تنشأ عن توالد مختلف الامم ذات الصفات المتباينة، فإذا ما قبلت الوراثة وانحلت بذلك مقومات الماضي القديمة الموروثة بفعل

الوراثة الجديدة"(٣٧).

ثالثاً: صفات العروق النفسية واثرها على تطور الحضارة عند غوستاف لو بون

يعرض غوستاف لو بون في كتابه "السنن النفسية لتطور الامم "عرضاً مهماً لأثر العرق ويبين ان للعرق صفات ولكل عرق مزاج نفسي ثابت ووجود نسب بين المزاج النفسي وعرض لو بون عن اراء الطبيعيون في تقسيمهم للأنواع الى مشاهداتهم بعض الصفات التشريحية التي تظهر منتظمة ثابتة بالوراثة، واليوم نعلم ان هذه الصفات تتحول بتبدلات غير محسوسة تتراكم وراثة هذا من جهة عرضه لآراء الطبيعيون وقولهم بأن الصفات التشريحية منتظمة وثابتة اما عرضه علينا من منظور علم النفس حيث ذهب لو بون بالقول "وعلم النفس هذا يدل على انه يوجد خلف نظم كل امة وفنونها ومعتقداتها وانقلاباتها السياسية ما يصدر عنه تطور هذه الامة من صفات خلقية وذهنية، ومن مجموع هذه الصفات يتألف ما يسمى روح العروق" وان هذه الصفات الخلقية الذهنية هي تعبير عن ماضي وتراث الاباء والاجداد وعوامل مهمة لسير الشعوب كما ذهب لو بون بقوله "والصفات الخلقية والذهنية التي يتألف من اقترانها روح الشعب هي عنوان لخلاصة ماضيه وتراث اجداده وعوامل سيرة، وفي بعض الاحيان تلوح تلك الصفات أول وهلة كثيرة التقلب لدى افراد العرق الواحد، غير ان البحث الدقيق يدل على اتصاف معظم افراد هذا العرق في كل وقت بصفات نفسية مشتركة ثابتة ثبات الصفات التشريحية التي تتخذ في تقسيم الانواع، والصفات النفسية كالصفات التشريحية تنتقل بالوراثة انتقالاً منتظماً مستمراً.

فيستنتج لو بون مما ذكر تسمية الخلق القومي الذي يعبر عنه لو بون حيث نجد ان هذه التسمية جامعة للصفات النفسية المشتركة لدى افراد العرق الواحد حسب رأي لو بون وان القياس الذي تقاس به العروق لا تقوم لدى لو بون على صفات النفسية لفرد واحد بل تقوم على الصفات النفسية المشتركة لدى افراد العرق الواحد لأي شعب فقياس اي شعب قائم على صفات مشتركة.

وفي موضع اخر يرى لو بون "ونحن اذا زرنا شعباً غريباً ابصرنا ان الصفات الوحيدة التي يمكن ان تقف نظرنا هي الصفات المشتركة بين جميع سكان البلد المطاف فيه لتكرارها باستمرار" ويذهب لو بون الى ابعد من ذلك حيث يقول "ولذلك التماثل في المزاج النفسي عند معظم افراد العرق الواحد اسباب فيزيولوجية بسيطة جداً، وبيان الامر ان كل انسان لا يمثل بالحقيقة ثمرة ابائه القريبين فقط، بل يمثل ثمرة عرقه ايضاً اي جميع سلسلة اجداده".

اما المؤثرات التي تؤثر على الفرد وعلى توجه وسيرة من وجهة نظر لو بون فهي ثلاث مؤثرات حيث يقول "فالنوع الاول وهو اهمها لاريب، هو تأثير الاجداد والنوع الثاني هو تأثير الاباء الاقربين، والنوع الثالث، وهو الذي يعتقد انه اقوى العوامل مع انه اضعفها على العموم، وهو تأثير البيئات".

حيث يشبه لو بون العرق بمجموعة الخليات التي يتألف منها الجسم وان لتلك الخليات حياة شخصية وحياة مشتركة في الجسم الذي تركب منها ولكل جسم حياة قصيرة وحياة مشتركة طويلة وهذه الحياة المشتركة هي الصفات النفسية المشتركة ويرى لو بون في قوله "ويمكن تشبيه العرق بمجموعة الخليات التي يتألف منها ذو الحياة، ووجه الشبه هو ان حياة مليارات الخليات التي يتألف منها هذه قصير جداً، وان حياة الجسم الذي يتكون من اجتماعها طويلة الى الغاية اذا ما قيست بتلك الحياة، وان لتلك الخليات حياة شخصية وحياة مشتركة في الجسم الذي يتركب منها، وان لكل فرد في العرق الواحد ايضاً حياة قصيرة جداً وحياة مشتركة طويلة الى الغاية، فهذه الحياة الطويلة هي حياة العرق الذي ولد منه ذلك الفرد فيساعد على دوامه وهو تابع له على الدوام".

وفي موضع اخر يرى لو بون ان العرق موجود دائماً محرراً من الزمان ولا يتركب هذا الموجود الدائم من الافراد الاحياء الذين يتألف منهم في زمن معين فقط بل يتركب ايضاً من سلسلة الاموات الذين كانوا اجداداً له".

حيث يجعل لو بون دائرة الاموات مسيطرة على دائرة اللاشعور وهي التي تسير الشعوب وهنا قد يلوح للقارئ ماذا يعني لو بون بالأموات حيث اجد ان لو بون يقصد بالأموات هو الجانب الفكري الذي يخص عرق اجدادنا وآبائنا الذين اوجدوا

مفهوم الحضارة والعرق عند غوستاف لو بون

افكارنا وسير شعوبنا حيث ان الفكر لا يموت بل يبقى حيث وضح لو بون هذا الجانب حيث قسم حياة الفرد الى قسمين حياة شخصية وحياة مشتركة في العرق الذي ينتمي اليه حيث يقول لو بون "ولابد من الامتداد الى العرق في الماضي وفي المستقبل معاً لأدراك معناه الحقيقي واذا كان الأموات اكثر من الاحياء بما لا يحصى فأنهم اقوى من الاحياء بما لا يحصى والأموات يسيطرون على دائرة اللاشعور الواسعة؛ تلك المنطقة الخفية التي يصدر عنها جميع مظاهر الذكاء والاخلاق، والشعب مسير بأمواته اكثر مما بأحيائه، وبالأموات وحدهم يقوم العرق، والأموات في القرن بعد القرن هم الذين اوجدوا افكارنا ومشاعرنا، ومن ثم جميع عوامل سيرنا، والاجيال الغابرة تفرض علينا افكارها فضلاً عن مزاجها الجثماني، والأموات وحدهم هم سادة الاحياء بلا جدال، ونحن نحمل وزر خطايا الأموات ونقتطف ثمرة فضائلهم"(٣٨).

الخاتمة:

الحضارة فتكتسب الحضارة قيمتها باعتبارها الهدف الأسمى في تطور المجتمعات الانسانية وان كان المفهوم ذاته يحتوي على الكثير من التعريفات فأن الحضارة مرحلة متطورة لمجتمع من المجتمعات او لشعب من الشعوب فلا تتعارض الشعوب المتحضرة عن الشعوب المتوحشة الا بتفوق علمها وثقافتها ونضجها ولطابع العقلاني لتنظيمها الاجتماعي واخلاقها وعاداتها ومبادئها وتقدمها الادبي والفني التي تنتقل من جيل الى جيل في مجتمع واحد وهي مرحله تطور الانسان ولا يمكن ان نعد الحضارة هي صفه لفئه من البشر دون فئه اخرى فأن الارض لا يمن وصفها بأنها تسكنها فئه متحضرة وفئه غير متحضرة ولكن يجب ان نقول ان لكل فئه من البشر او شعب نصيبها من الحضارة اي ان لكل شعب قدراً معيناً من التنظيم الداخلي لحياته ومدى الفهم لهذه الحياة على نحوا يرتفع به عم مصاف الحيوان، اما الآراء المتباينة لمفهوم الحضارة فهناك عدة اراء ومنهم من يرى ان مفهوم الحضارة مفهوم قديم بدأ مع الانسان ومنهم من ذهب الى انه مفهوم حديث نسبياً بدأ عندما تكلم فلسفه التاريخ عن الحضارات وبين هذين الرأيين المتباينين وهناك اراء متعددة تناولناها فنجد ان مفهوم الحضارة لا يعد مفهوم حديث كما ذهب اليه البعض انما هو مفهوم قديم منذ تاريخ وجود الانسان على هذه الارض اذ لا حضارة بدون انسان ولا انسان بدون تاريخ ولا وجود لحضارة لا تنتمي الى تاريخ حيث ان الحضارة جزء من التاريخ وبما ان لكل أمه حضارتها الخاصة بها وان الحضارة ليست وليدة امة لوحدها بل هي وليدة امم وشعوب ولكل حضارة تاريخها المحدد ولكل شعب نصيب من الحضارة كما ان الحضارة الوجه الأخر للإنسان.

ان مفهوم الحضارة من وجهة نظر لو بون يختلف احياناً عن البعض ممن تناول هذا المفهوم ويتقارب مع البعض الاخر فالحضارة عند لو بون لا تعني انها تقابل البداوة او الوحشية بل هي مرحله تطورية منظمة حيث ان الحضارات والمدن المتطورة هي نتاج الحضارات القديمة وان الحضارات الحالية خرجت بتمامها من الحضارات القديم

كان من اسباب كتابه لو بون عن الحضارات وخصوصاً حضارة العرب وبقية الحضارات هو اندهاشه بالحضارة العربية وبدأ بها حيث يقول "وبالعرب بدأت، وسبب ذلك ان حضارتهم، ان حضارتهم من الحضارات التي أطلعت عليها في رحلاتي الكثيرة أحسن مما أطلعت على غيرها من الحضارات التي كمل دورها"

ومن النقاط المهمة التي استنتجتها من لو بون هو تأكيده على الجانب العرقي واهميته والتأكيد على توضيحه حيث عرفه في كتابه "حضارة العرب" بانه يدل على جماعات ذات اخلاق مشتركه تنتقل انتقالاً منتظماً "ويقول كذلك" في كتابه "السنن النفسية "والامم وهي لا كبير تأثير للعقل فيها، مسيرة بأخلاق عرقها،" حيث يقسم لو بو العروق الى قسمين رئيسيين:

الأول– العروق الخالصة التاريخية: وهي العروق الخالية من اي اختلاط وهي نقيه لدى لو بون

تانياً– العروق التاريخية: وهي العروق التي نشأت عن طريق الهجرة والفتوح والاختلاط وامتزاج الاعراق

الهوامش:

١– فايز بن علي الشهري: غوستاف لو بون، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٩، ص٢٢–٢٣

٢– غوستاف لو بون: روح السياسة، ترجمة عادل زعيتر، الرافدين للطباعة والنشر، لبنان بيروت، ط١، ٢٠٢٠م ص٣٤٣.

٣– عبد العزيز عبد المطلب السيد، أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب، غوستاف لو بون نموذجاً، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط١، ٢٠١٤، ص٢٢.

٤– غوستاف لو بون المستشرق الذي انصف العرب، صحيفة العرب، الاحد ٩ نوفمبر ٢٠١٤م متاح على الموقع الإلكتروني .www alarab.com

٥– الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوربا القرون الوسطى: نهاد عباس زينل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ب ط، ١٩٧١، ص٤٠٢

٦– فايز بن علي الشهري: غوستاف لو بون، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٩، ص٢٢–٢٣

٧– غوستاف لو بون: مقدمة الحضارات الأولى، ترجمة محمد صادق رستم، الرافدين، بيروت لبنان، ط٢، ص٩–١٠

٨– عبد الرزاق سليمان محمد احمد: قرأءة في مغزى التاريخ والحضارة، ورقة بحث، ص١٦.

٩– ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، المجلد ١، ١٩٧٠م ص ٦٨٥.

١٠– عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، تحقيق كاتر مير، المجلد الاول، مكتبة لبنان، ط باريس، ١٨٥٨، ص٢٢٣.

١١– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، جزء الاول، ط ١، دار ذوي القربى للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ، ص٤٧٥.

١٢– فيصل عبد الله، عبد مرعي: المدخل الى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق، ب ط، ١٩٩٤، ص٧.

١٣– Sullivan, larry E. (٢٠٠٩). the SAGE Glossary of the social and Behavioral Sciences. SAGE Publications.p ٧٣.

١٤– أندرية لا لاند:موسوعة لا لاند الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، المجلد الاول، ط٢، ٢٠٠١م، ص١٧٢–١٧٣.

١٥– ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، المجلد ١، ١٩٧٠م ص ٦٨٥

١٦– التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص١١٧٩.

١٧– chandra,kanchan(٢٠١٢)constructivist theories of ethnic politics.oxford university press.pp ٦٩–٧٠. isbn ٩٧٨–٠–١٩–٩٨٩٣١٥–٧.oclc٨٢٩٦٧٨٤٤٠.

١٨– اندرية لا لاند: الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل، المجلد الثالث، ص١١٥٧

١٩– غوستاف لو بون: الحضارات الاولى، ترجمة محمد صادق رستم، ص١٨–٢٤

٢٠– غوستاف لو بون: السنن النفسية لتطور الامم، ترجمة عادل زعيتر، ص ٩٤_٩٥–٩٦

٢١– المصدر نفسه، ص٣٤–٤٧.

٢٢– المصدر نفسه، ص١٢٩–١٠٧.

٢٣– المصدر نفسه، ص٢٢٠.

٢٤– المصدر نفسه، ص٢٢١.

٢٥– المصدر نفسه، ص٢٢١.

٢٦– المصدر نفسه، ص٢٨.

٢٧– المصدر نفسه، ص٢٣٦.

٢٨– غوستاف لو بون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص٥٨.

٢٩– ٢٩–غوستاف لو بون: السنن النفسية لتطور الامم، ترجمة عادل زعيتر، ص١٦.

٣٠– نفسه، ص١٧.

٣١– غوستاف لو بون: حضارة العرب، ص٥٨.

٣٢– غوستاف لو بون: السنن النفسية لتطور الامم، ص١٦.

٣٣– نبيل مسيعد: البعد النفسي في فلسفة الحضارة عند غوستاف لو بون، رسالة ماجستير، جامعة الحاج الاخضر، الجزائر، ٢٠١١–٢٠١٢، ص٥١.

٣٤– غوستاف لو بون: سنن النفسية لتطور الامم، ترجمة عادل زعيتر، ص ١٧–١٨.

٣٥– غوستاف لو بون: السنن النفسية لتطور الامم، ترجمة عادل زعيتر، ص ٥٣.

٣٦– غوستاف لو بون: السنن النفسية لتطور الامم، ترجمة عادل زعي ص٢٢.

٣٧– ٣٧–غوستاف لو بون: حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتر، ص٥٩.

٣٨– غوستاف لو بون: السنن النفسية لتطور الامم، ترجمة عادل زعيتر، ص ٤١ – ٤٤.

٣٩– غوستاف لو بون: حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتر، ص٥٩.

المصادر والمراجع:

١– ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، المجلد ١، ١٩٧٠م.

الأنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوربا القرون الوسطى: نهاد عباس زينل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ب ط، ١٩٧١.

٢– اندرية لا لاند: الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل، المجلد الثالث.

٣– التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم.

٤– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، جزء الاول، ط ١، دار ذوي القربى للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ،

٥– فيصل عبد الله، عبد مرعي: المدخل الى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق، ب ط، ١٩٩٤.

٦– عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، تحقيق كاتر مير، المجلد الاول، مكتبة لبنان، ط باريس، ١٨٥٨.

٧– عبد الرزاق سليمان محمد احمد: قرأءة في مغزى التاريخ والحضارة، ورقة بحث.

٨– عبد العزيز عبد المطلب السيد، أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب، غوستاف لو بون نموذجاً، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط١، ٢٠١٤.

٩– غوستاف لو بون: السنن النفسية لتطور الامم.

١٠– غوستاف لو بون: روح السياسة، ترجمة عادل زعيتر، الرافدين للطباعة والنشر، لبنان بيروت، ط١، ٢٠٢٠م.

١١– غوستاف لو بون: مقدمة الحضارات الأولى، ترجمة محمد صادق رستم، الرافدين، بيروت لبنان، ط٢.

١٢– غوستاف لو بون المستشرق الذي انصف العرب، صحيفة العرب، الاحد ٩ نوفمبر ٢٠١٤م متاح على الموقع الإلكتروني .www alarab.com

١٣– فايز بن علي الشهري: غوستاف لو بون، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٩.

١٤– فايز بن علي الشهري: غوستاف لو بون، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٩.

١٥– نبيل مسيعد: البعد النفسي في فلسفة الحضارة عند غوستاف لو بون، رسالة ماجستير، جامعة الحاج الاخضر، الجزائر، ٢٠١١–٢٠١٢.

المصادر الاجنبية:

٤٠– constructivist theories of ethnic politics.oxford university(٢٠١٢)chandra,kanchan .oclc٨٢٩٦٧٨٤٤٠.٧–٩٨٩٣١٥–١٩–٠–٩٧٨ isbn.٧٠–٦٩.press.pp

٤١– Sullivan, larry E .(٢٠٠٩) .the SAGE Glossary of the social and Behavioral ٧٣.Sciences.SAGE Publications.p

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

م. م. هيثم نعمة زغير
وزارة التربية/ المديرية العامة للتعليم المهني

المستخلص:
تعد البطالة في صفوف الخريجين ظاهرة اصبحت خطيرة في وقتنا الحاضر لما لها من تأثيرات على الدول والمجتمع كله وان القضاء عليها اصبح حاجة ملحة، ويهدف هذا البحث ان يكون صورة حقيقية عن الواقع السياحي في العراق ومستوى التعليم السياحي (الاكاديمي والعلمي) في المعاهد السياحية.
فالمعاهد السياحية لها دور اساسي في تطوير القطاع السياحي في العراق لما له دور في كافة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية،وتزهر المعاهد العراقية بخريجين من المستوى العالي للثقافة السياحية وكيفية العمل في المرافق السياحية وفنادق الدرجة الاولى حيث تعلم وتدرب طالب معهد السياحة على مدار ثلاث سنوات من خلال الاقسام الموجودة في المعهد وهي كالاتي:
المكتب الامامي، التدبير الفندقي، الضيافة، انتاج الاطعمة حيث ان الطالب اصبح جاهزاً للعمل في المرافق السياحية وفنادق الدرجة الاولى ويعكس الحالة المهنية التي تلقاها في المعهد ويتم تطبيقها في المرافق السياحية والفنادق والمطاعم بشكل حضاري وسياحي متقدم.

الكلمات المفتاحية: البطالة، الواقع السياحي، المرافق السياحية.

Abstract:
Unemployment among graduates is a phenomenon that has become serious nowadays because of its effects on countries and society as a whole, and eliminating it has become an urgent need. This research aims to be a true picture of the tourism reality in Iraq and the level of tourism education (academic and scientific) in tourism institutes.
Tourism institutes have an essential role in developing the tourism sector in Iraq because of its role in all social, economic and political aspects. Iraqi institutes flourish with graduates of the high level of tourism culture and how to work in tourist facilities and first-class hotels, where students of the Tourism Institute learned and trained over a period of three years through the departments in the institute, which are as follows:
Front office, hotel management, hospitality, food production, as the student is ready to work in tourist facilities and first-class hotels and reflects the professional status he received at the institute and is applied in tourist facilities, hotels and restaurants in an advanced civilized and touristic manner.

Keywords: unemployment, tourism reality, tourist facilities.

المقدمة:
ان القطاع السياحي مهم جداً مما دفع الدول المتقدمة ان تولي اهتماما كبيراً بالتعليم السياحي لدوره الكبير في بناء وتكوين رأسمال بشري مكتسب للمهارات الاساسية والمعارف والخبرات وبما يؤدي الى زيادة فرص العمل والتقليل من البطالة اذ تعد مشكلة البطالة من اهم و اخطر المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.
ان المعاهد السياحية هي مؤسسات تربوية مهنية تهدف الى أعداد ملاكات وسطى تعمل في القطاع السياحي وخاصة

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

بالمهن الفندقية واهدافها النهوض بمواقع الخدمات السياحية في جميع المرافق السياحية والارتقاء بالمستويات العالمية في تقديم الخدمة.

إن أهمية تنمية وتطوير المهارات الموارد البشرية المتخصصة في المجال السياحي من اختصاص المؤسسات التعليمية والتدريسية والسياحية وذلك لمساندة القطاع السياحي نحو النمو والازدهار حيث ان المؤسسات دور مهم في تهيئة وتدريب الايدي العاملة التي تساهم في دفع عجلة التنمية السياحية وتسريعها وابراز دور العراق بأبهى صورة، ان من ضرورة النهوض بمخرجات المؤسسات التعليمية بما يتوافق مع الاحتياجات الفعلية والمستقبلية للمؤسسات السياحية فقد اولت الدولة الاهتمام الكبير بالجانب التعليمي والتدريبي للكوادر السياحية العاملة بالسياحة وايضا كوادر جديدة لدفع المرافق السياحية المنتشرة للبلد بالعاملين ذو كفاءة عالية في المجال السياحي فأنشأت المعاهد والكليات السياحية لدفع القطاع السياحي بخبرات مهنية.

المبحث الاول: الاقسام في المعهد السياحي

الاقسام التي توجد في المعاهد السياحية وهي أربعة أقسام رئيسية وذلك لتغطية احتياجات الزبائن في الفنادق والمرافق السياحية (مطاعم، موتيلات، اماكن ترفيهية ومدن والعاب)

١. المكتب الامامي
٢. التدبير الفندقي
٣. انتاج الاطعمة
٤. الضيافة

١) قسم المكتب الامامي: وهو من الاقسام المهمة في المعهد حيث يقوم هذا القسم باستقبال الزبائن وارشادهم الى الغرف الفندقية والتي تم حجزها مسبقا او عند حضورهم الى الفندق. وكذلك حجز الغرف للأفواج السياحية القادمة من خارج القطر او للأشخاص او للشركات على مختلف انواعها. فالمعاهد السياحية تدرب الطالب في المعهد وتعلمه انواع الحجوزات وانواع الغرف وكذلك توجد مختبرات للغات الاجنبية وان يكون ملم فيها وعلى دراية بالقسم وكيفية التعامل مع النزلاء وارشادهم بالمؤتمرات الفنية والثقافية التي تحدث داخل البلاد وكذلك ارشادهم بطرق النقل وخارطة عن المدينة والاجابة عن استفسارات النزلاء فالمعاهد السياحية ترفد القطاع السياحي من خريجي هذه المعاهد ليكونوا الواجهة الاساسية في الفندق او المرفق السياحي اي ان الوظيفة الاساسية الى المكتب الامامي الحجز الاستقبال، البريد الالكتروني الانترنت، حمالو الحقائب، امناء الصناديق.

٢) قسم التدبير الفندقي: هي مجموعة من الخدمات الادارية التي يقدمها الفندق الى الضيوف على طول ٢٤ ساعة لتأمين راحته ورفاهيته حيث يمارس هذا القسم مهام وواجبات متعددة ومن اهمها.

– تنظيف غرف الضيوف ومكاتب الموظفين وترتيب الطوابق
– تنظيف جميع الاماكن العامة في الفندق مثل القاعات والصالات والممرات والمطاعم
– خدمات الغسيل وكي البياضات الغرف والمطاعم وملابس النزلاء والموظفين
– تغيير الشراشف المتسخة واستبدالها بشراشف نظيفة

هذا القسم المهم الحيوي يتم تدريب الطلبة على انواع الشراشف الخاصة بالغرف وشراشف الطاولات للمطاعم وكيفية تغيير هذه الشراشف وطرق كي هذه الشراشف كل هذه الامور تحدث في المعاهد السياحية من قبل مدرسين اختصاص لغرض رفد القطاع السياحي بموظفي او خريجي المعاهد السياحية.

٣) قسم الانتاج الاطعمة: ويقصد بهذا القسم هو عملية تحويل المواد الغذائية الى مأكولات ومشروبات وحلويات وذلك بعملية طهو الطعام بطرق فنية جميلة وتقديمها الى الزبائن بصورة ترضي كافة الاذواق وبكلف مدروسة كذلك يقدم هذا

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

القسم ادارة وتنظيم العمل في كافة اقسام انتاج الاطعمة وتحضير الطعام وطهيه حسب الاصول الفنية العميقة واعداد الطلبيات ودراسة الكميات والسعرات الحرارية الضرورية للغذاء وتحديد الكلف وسعر البيع للوجبات الغذائية المقدمة للزبائن يتدرب الطالب لمدة ثلاث سنوات يتلقى فيها الطالب الدروس النظرية والعملية وتتم اسبوع نظري تلقى فيها الطالب الدروس النظرية اسبوع واحد وكذلك الاسبوع الثاني الدروس العملية يتلقى فيها الطالب الدروس المهنية من كيفية الطبخ للأكلات الشرقية والغربية وكيفية عمل السلطات الباردة وايضا تقطيع اللحوم الحمراء والبيضاء وهناك سنة تطبيقية في الفنادق لمدة سنة يرفد المعهد القطاع السياحي من المطاعم والفنادق وبخريجي هذه المعاهد(١).

٤) قسم الضيافة: وهو من الاقسام المهمة التي تكون في تماس مع الزبون فهي خدمات ادارية وعملية لتقديم الطعام والشراب للطلبات التي يرغب فيها الزبائن وبيعها وفق افضل طرق الخدمة ومن الاعمال ايضاً ادارة وتنظيم العمل في قسم الاطعمة والمشروبات والتعرف على الاصول والانواع والطرائق الفنية للخدمة العالمية وكذلك ترتيب وتنظيم قاعات المطاعم ومعرفة انواع الحفلات وحسب مناسباتها وما تتطلبه من تنظيم واستعداد العاملين وتسويق وترويج ووجبات الطعام بما يتناسب سياسة الغلاف ورغبات الزبائن والعمل بموجب تبعيد المواد الغذائية واعداد التقارير ورغبات الزبائن ويتلاقى الطلاب في المعهد دروس نظرية وعملية سنتين دراسيتين في المعهد وتكون الدراسة بالتناوب حيث يكون بالأسبوع الاول اسلوب نظري يدرس فيه الطالب دروس نظرية والاسبوع الاخر يدرس فيه دروس عملية تطبيقية عن كيفية الخدمة وانواعها بالطرق الحضارية المتجددة وكذلك يتلاقى الطالب دروس عن الحفلات الكبرى والولائم التي تحدث في المرفق السياحي. ويرفد المعهد القطاع السياحي بخريجي من هذا القسم لكي يؤدوا ادوارهم في تقديم الطعام والشراب في المرافق السياحية والمطاعم والفنادق.

ومما تقدم ان الاقسام معظمها اقسام عملية تحتاج التدريب والخبرة لإنجاز كافة هذه الاعمال حيث تقوم المعاهد السياحية بتدريب الطلبة كلا حسب قسمه الذي ينتمي والمخصص له تدريب نظريا وعمليا وفق مناهج اعدت لذلك من قبل خبراء وأساتذة متخصصين في المجال السياحي والفندقي وأيضاً مناهج عامة ليكون الطالب ملماً ومثقفاً بالجوانب العلمية.

ان المعاهد السياحية هي مؤسسات تربوية مهنية تهدف الى اعداد ملاكات وسطى تعمل في القطاع السياحي وخاصة بالمهن الفندقية وأهدافها هي النهوض بواقع الخدمات السياحية في جميع المرافق السياحية والارتقاء الى المستويات العالمية في تقديم الخدمة.

إن أهمية تنمية وتطوير المهارات الموارد البشرية المتخصصة في المجال السياحي من اختصاص المؤسسات التربوية والتعليمية والتدريبية السياحية وذلك لمساندة القطاع السياحي نحو النمو والازدهار. حيث ان المؤسسات التعليمية دوراً مهماً في تهيئة وتدريب الايدي العاملة التي تساهم في دفع عجلة التنمية السياحية وتشريعها وإبراز دور العراق بأبهى صورة، ان من ضرورة النهوض بمخرجات المؤسسات التعليمية بما يتوافق من الاحتياجات الفعلية والمستقبلية للمؤسسات السياحية(٢).

المبحث الثاني: دور المعاهد في تنشيط القطاع السياحي

تستوعب صناعة السياحة اعداد كبيرة من العمالة لان معظم خدماتها لا يمكن ان تؤدي الامن خلال العنصر البشري لذلك تعاني هذه الخدمات من نقص في العمالة الماهرة ويختلف اثر السياحة على العمالة وفقا للأهمية البينية المعطاة للسياحة في الدخل القومي ومن الاهمية بمكان ان قطاع السياحة بينهم في تشغيل نسبة كبيرة من الايدي العاملة، وممكن اجهزة التدريب في الدولة المساهمة بنصيب وافر في اعداد عدد من العاملين في الحقل السياحي الى مختلف الاسواق السياحية الخارجية للعمل في مختلف مجالاتها وخصوصا في مجال الفنادق وكما ان صناعة السياحة تقضي على مشكلة بطالة الشباب المتعلم لقدرتها على استيعاب اعداد ضخمة وكبيرة منهم في عمل بقطاع السياحة، وخصوصا في الفنادق والقرى السياحية وطبقا لتقديرات السياحة العالمية المتعلقة بالعمل فان انجاز سورين يؤدي الى خلق فرصة عمل واحدة مباشرة وثلاث فرص عمل غير مباشرة المتعلقة بالنشاطات الاخرى.

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

إن توفر الموارد البشرية مع تراكم تراث الحضارة وتنامي علاقات التبادل الاقتصادي والثقافي الذي اسهم في اغناء وتراكم الخدمات ولاسيما في مجال التعامل مع الاخرين ولدعم هذا الجانب احدثت مراكز مهنية وعلمية للتدريب السياحي والفندقي والمدارس المشخص لتهيئة الاخر البشرية للعمل في مشاريع الاستثمار السياحي فضلا عن ان درجة التوظف ومستوى التوظف والكفاءة في القطاع السياحي ضرورية جدا في مجالات متعددة فبعضها يحتاج الى اعداد كبيرة من العمال غير الماهرة وغير المدربة وفي مجالات الخدمات والنقل. في حين تستوعب مجالات الاداء والسياحين وموظفي الاستقبال في الفنادق الممتازة عماله متدربه وماهره ولها خبرة في استخدام العديد من اللغات والتكنيك والمهارة واللباقة وبالقدرة على المتحدث باللغة الاجنبية والعربية، وتتعاظم العمالة في المجالات السياحية في موسم الاصطياف تنوعت تلك الفرص ما بين عامل ودليل سياحي ومستثمر وموظف في القطاع السياحي العام والخاص مما يؤدي الى رفع القوى الشرائية للدولة ورفع متوسط دخل الاسرة فضلا عن زيادة متوسط دخل الفرد السنوي لأشخاص العاملين من المواطنين وغير المواطنين وهذا يعني ضعف معدلات البطالة نتيجة ارتفاع حركة القدوم السياحي فظلا عن تأثير السياحة في زيادة فرص العمل في المنشآت الانتاجية والاقتصادية التي تكون موجودة ضمن المناطق السياحية المتمثلة في مجالات انتاج الاغذية اضافة الى ذلك الادوات الاستهلاكية والسلع الاخرى كالهدايا التذكارية والتراثية التي ينبغي للحصول عليها السائح كذكرى من المناطق التي زارها(٣).

المبحث الثالث: تحليل النص في المعاهد السياحية

١) حاجة القطاع السياحي الى ايدي عاملة معينة:يعد العنصر البشري في المرافق السياحية والفنادق واحد من العناصر والتي تساعد على ادامة النشاط السياحي والفندقي لذا. فهو حاجة مهمه في المناطق السياحية لذا ازدادت الحاجة الى الايدي العاملة في الفنادق السياحية نتيجة الطلب الحاصل من قبل السياح على الفنادق مما يشكل ضغط كبير على اصحاب الفنادق على الطلب الايدي العاملة لسد حاجة الفندق من العاملة فيزداد الحاجة على ملاك سياحي مهني متدرب لإدارة تلك المشاريع الفندقية مما يؤدي الى خلق فرص عمل كبيرة لهم وحاصة خريجي المعاهد السياحية وهذا الطلب يتم خلال مواسم محددة (٤).

٢) ارتفاع مستوى الفرص السياحية من خلال وجود اعداد كبيرة من الفنادق وخاصة اماكن المزارات الدينية مما ادى الى خلق العديد من فرص العمل لخريجي المعاهد السياحية انعكست الزيارات المليونية التي تحدث في محافظة كربلاء المقدسة والنجف الاشرف على المستثمرين العراقيين والأجانب على بناء العديد من الفنادق السياحية هناك فقد تم بناء العديد منها في تلك المحافظات حيث زادت اعداد الفنادق في كربلاء المقدسة ومحافظة النجف الاشرف مما زاد عدد العاملين وهذا انعكس ايجابيا على زيادة الطلب على الخريجين من المعاهد السياحية وان هذه الفنادق تحتاج الى الايدي العاملة ذات الاختصاص لإدارة تلك المشاريع الاستراتيجية والحفاظ على ديمومة العمل فيها(٥).

٣) الانفتاح الذي شهدته القطاع الفندقي الثقافي وخاصة السياحة الدينية شهد في الآونة الأخيرة انفتاحاً كبيراً للسياحة وخاصه السياحة الدينية في العراق فقد قامت الحكومة خلال موسم الزيارات المليونية بعدة تسهيلات للزائرين القادمين للعراق من الخارج للتشجيع على زياره الاماكن المقدسة في العراق من خلال فرض رسوم زهيدة للزائرين الى العراق ووصل اعداد الزائرين الى الملايين خلال موسم الزيارة وخاصة في مدينة كربلاء المقدسة وهذا يؤدي الى الحاجة الى بناء فنادق كبيرة ذات سعة كبيرة لاستيعاب تلك الاعداد الكبيرة وهذا يعكس ايجابيا على خريجي معاهد السياحة وتزداد الحاجة لهم يوما بعد يوم لان هناك فنادق في جزء البناء والانفتاح وقل هذا يحتاج الى تلك العمالة الماهرة لإدارة تلك المشاريع(٦).

التهديدات التي تواجه المعاهد السياحية للعمل في القطاع السياحي

١ . عدم تعاون القطاع الخاص مع المعاهد السياحية ان المعاهد السياحية تعاني من عدم التعاون بينها وبين القطاع الخاص والمتمثلة في اصحاب الفنادق وخاصه في مجال التدريب للصفوف المنتهية في الصف الثالث من الدراسة في المعهد حيث

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

ان اصحاب تلك الفنادق يستقبلوا عدد ضئيلا منهم والسبب في ذلك انهم يدفعون لهم مخصصات مثل التي تمنحها الى العاملين في المرافق السياحية. ان تلك الفنادق التابعة الى القطاع الخاص لا تعين هؤلاء الخريجين بحجة عدم وجود لديهم الخبرة الكافية للعمل وان عملوا سوف يعملون بأجور زهيدة

٢. صعوبة وجود عمل للخريجين مما يدفعهم للعمل في غير القطاع السياحي ان اهم تهديدات الذي يواجه خريج معهد السياحة هو عدم وجود فرصه عمل له بعد التخرج ما يدفعه الى العمل في مكانات غير مكان عمله. ان ليس جميع الخريجين هؤلاء يعملون في القطاع السياحي ولكن نسبه قليلة يعملون في هذا القطاع

٣. غياب العقلية الادارية الفندقية تعتمد العقلية الحديثة على استقطاب الايدي العاملة ذات الخبرة الواسعة والطويلة في المجال السياحي والفندق ولكن نحن فب حاله يغلب عليها الجانب المالي حيث تعتمد بعض الفنادق على تربح تلك العمالة الماهرة، واستبدالها بعماله غير ماهرة والسبب يعود الى ان العمالة الماهرة ذات اجور عالية والثانية باجور منخفضة مما يؤدي الى تتربح العديد من العمالة ويشجعون نحو قطاعات اخرى غير القطاع السياحي(٧).

طبيعة المعاهد السياحية بالنسبة للمحافظات ودورها في تنشيط السياحة

تعد صناعه السياحة هي طريق متميز للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وبشكل خاص الدول التي تعتمد على صوره اقتصادي واحد قد يتعرض اي وقت الى التراجع او التوقف مما يخلق الضرر المالي والمادي باقتصادها الوطني ويدفع لها للبحث عن مورد متميز اخر ينافس يكمل المورد الناضب فالسياحة مورد دائم اذا احسن استغلاله ان القطاع السياحي مهم جدا مما دفع الدول المتقدمة ان تولي اهتماما كبير بالتعليم السياحي لدورة الكبير في بناء وتكوين اسمال بشري مكتب للمهارات الاساسية والمعارف والخبرات وبما يؤدي الى زيادة فرص العمل والتقليل من البطالة اذ تعد مشكلة البطالة من اهم واخطر المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تواجه اقتصاديات ومجتمعات الدول المتقدمة والنامية على حد سواء لأسباب عديدة وتختلف من دوله الى اخرى ومن مجتمع الى اخر حيث تناولها المعنيون بالدراسة والتحليل كما اصبح تفشي البطالة ولاسيما بين ظاهرة عالمية والاشد وقعا وايلاما في بطالة الشباب هم حملة الشهادات، والمعطيات المتوفرة الان عن مشكلة البطالة في العراق تشير الى ان المشكلة اخذت بالتناوب والاستماع سنة بعد اخرى، ولم تنفع معها سياسات التجاهل والتغاضي السابقة، ان مقدمة البحث تحاول تسليط الضوء على السياحة وانواعها وعن الفوائد والاثار المترتبة على السياحة وعن البطالة في صفوف الخريجين ولاسيما خريجي المعاهد السياحية وعلى اهم التوجهات التي تؤدي الى تطوير القطاع السياحي في العراق والتي بدورها تحمل العديد من المشاكل والمعوقات التي تقع امام الخريجين وخاصه خريجي المعاهد السياحية والذين يعبرون من المهمة في عملية تطوير وتنمية القطاع السياحي ولجئت بعض المحافظات لاستثناء المعاهد السياحية وحسب المحافظة. فالمعاهد السياحية هي مؤسسات تربوية مهنية تهدف الى اعداد كوادر تعمل في القطاع السياحي وخاصة بالمهن الفندقية واهدافها النهوض بواقع الخدمات السياحية في جميع المرافق السياحية والارتقاء الى المستويات العالمية في تقديم خدمة لذا لجئت بعض المحافظات الى انشاء معاهد سياحية وحسب السياحة في المحافظة(٨)، وهي كالاتي

١. معهد بغداد للسياحة والفندقية
٢. معهد نينوى للسياحة والفندقية
٣. معهد النجف للسياحة والفندقية
٤. معهد كربلاء للسياحة والفندقية
٥. معهد البصرة للسياحة والفندقية
٦. معهد بغداد للسياحة المسائية
٧. معهد بغداد الكرخ

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

٨. معهد ذي قار

٩. معهد المثنى

١– معهد بغداد للسياحة والفندقة الدراسة الصباحية

يعتبر معهد بغداد للسياحة والفندقة من اولى المعاهد السياحية والذي تأسس عام ١٩٧٢ وهو يعد اول معهد للشرق الاوسط وقد تخرجت اول دفعة في عام ١٩٧٤ وكان المعهد يدعم من منظمة العمل الدولية. وعمل المعهد بتخريج طلبة لكي يوفر المرافق السياحية بالكوادر الكفؤة والقادرة على تشغيل المعالم والفنادق والكافتريات وتحتوي على الاقسام المكتب/امامي/التأثير الفندقي/انتاج الاطعمة/الضيافة)

٢– معهد نينوى للسياحة والفندقة

يعتبر معهد نينوى للسياحة والفندقة ثاني معهد سياحي في العراق بعد معهد بغداد وظهرت الحاجة لهذا المعهد لرقد اقليم كردستان ومدينة الموصل الحدباء بالكوادر السياحية وايضت لغرض استيعاب طلبة المناطق الشمالية وتأسيس فرص العمل لهم ضمن مناطقهم التي تمتاز بوفرة المناطق السياحية حيث تم افتتاح المعهد سنة ١٩٨٨ او يعمل المعهد نفس نطاق معهد بغداد ويحتوي على الاقسام الأربعة

٣– معهد النجف للسياحة والفندقة:

ان الدور الذي تلعبه محافظة النجف الاشرف فهي تعتبر قبلة للزوار من كافة الدول العالم الاسلامي لما فيهازمن مراقد الائمة الاطهار والشواخص الاسلامية موجودة لحد وقتنا الحاضر فلابد من وجود كادر سياحي لرفد المحافظة بكوادر سياحية متخصصة فأخذت الحاجة الى وجود معهد سياحي وقد يمر افتتاح معهد لنجف للسياحة والفندقة عام ٢٠١٠ ليكون المعهد الثالث في العراق وايضا يكون المغذي للمنطقة الجنوبية للكوادر السياحية والفندقية.

٤– تعتبر مدينة كربلاء المقدسة من اهم المحافظات العراقية حيث تحتضن المرقدين الشريفين الحسين واخوه العباس(عليهما السلام)حيث اعداد الزائرين يصل الى ٢٢ مليون او أكثر في المناسبات الدينية حيث يحتاج هذا العدد الهائل من الزوار الى خدمات هائلة من خدمات الابداء والطعام فلذا ارتأت هيئة السياحة بفتح معهد السياحة لرفد المحافظة. بكوادر سياحية تغطي جزء ما الاحتياجات من اليد العاملة الماهرة المتخصصة وذات مهنية عالية في مجال السياحة والفندقة وكذلك لرفد الفنادق والمطاعم بالكوادر السياحية المتخصصة في مجال الضيافة وأنتاج الاطعمة لما يمتلكون خريجي المعاهد السياحية من الخبرة والعمل السياحي المتقن تأسس هذا المعهد سنة ٢٠١٢.

٥– معهد البصرة للسياحة الفندقية:

تعتبر محافظة البصرة رافدا اساسيا للكوادر السياحية لما تحتويه من مرافق سياحية واثارية مهمة حيث تم افتتاح معهد البصرة للسياحة والفندقية من قبل هيئة السياحة بالتعاون مع مجلس محافظة البصرة لرفد المطاعم والفنادق و الكافتريات والدوائر الحكومية بالكوادر السياحية المؤهلة للعمل في القطاع السياحي المهم وتوجد في محافظة البصرة شركات نفطية تساهم في اخراج النفط من باطن الارض و لهذه الشركات عمالة وتحتوي على مطاعم و كافتريات للعمالة حيث يتم رفد هذه الشركات بالكوادر السياحية المتخصصة بأنتاج الطعام وتقديم الطعام وتنظيف الغرف تم افتتاح المعهد سنة ٢٠١٢

٦– معهد بغداد للسياحة والفندقة المسائي:

يعتبر هذا المعهد البديل لكافة المعاهد كونه يستقطب الطلبة الذين لم يحالفهم الحظ في اكمال دراستهم في المعاهد الصباحية وكذلك اعمارهم الكبيرة حيث ان بعض الطلبة يعملون في القطاع السياحي لكنهم لم يكملوا شهاداتهم من المعاهد الا في المعهد المسائي وهذه تعتبر فرصة كبيرة لاكتساب الموظفين في القطاع السياحي التعليم والخبرة تم افتتاح هذا المعهد سنة ٢٠١٣

٧– معهد الكرخ للسياحة والفندقة:

نظرا للأقبال على المعاهد السياحية ولعدم استيعاب هذه المعاهد وبعد المسافة بين جانبي الرصافة والكرخ للتخفيف من

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

معاناتهم وتخرج اكبر عدد من الخريجين في القطاع تم افتتاح هذا المعهد سنة ٢٠١٤

٨– معهد ذي قار للسياحة والفندقة:

تعتبر محافظة ذي قار من أهم المدن التاريخية والاثارية في العالم اجمع وفي هذه المحافظة عرف الانسان الكتابة ونشأة اولى الحضارات في التاريخ وتعاقبت الحضارات الواحدة تلو الاخرى مثل حضارة اور وسومر واكد وقد احتوت على اثار متوغلة في القدم ولحد الان شاخصة من بقايا ومن اشهرها زقورة اور الاثارية فقد قامت هيئة السياحة بالتعاون مع محلين محافظة ذي قار بأنشاء معهد السياحة لتطوير وتنشيط القطاع السياحي في المحافظة وتخريج كادر سياحي متخصص في مجال السياحة والفندقة حيث تعاني المناطق الجنوبية من نقص حاد بالكوادر السياحية ويرفد المعهد بالكوادر المتخصصة في المجال السياحي من فنادق ومطاعم وتم افتتاح العهد سنة ٢٠١٤

٩– معهد المثنى للسياحة والفندقة

افتتح المعهد عام ٢٠١٤ حيث تعتبر محافظة المثنى من المدن المهمة في العراق ومدينة العمادة خير اهد على ذلك لما تحتويه من اثار تاريخية ومدن حيوية فمدينة الوركاء القديمة وعين ساوة المنتجع السياحي الشهير في العراق لو استغل لاصبح اهم معلم سياحي واضافة الى ذلك فأن محافظة المثنى هي المدينة التي تربطها قوافل الحجاج فقد قامت هيئة السياحة بالتعاون مع مجلس المحافظة على افتتاح معهد المثنى وذلك لأعداد كوادر سياحية مؤهلة للعمل في القطاع السياحي وسد حاجة المحافظة من العاملين في هذا القطاع.

خلاصة الحديث ان المعاهد السياحية هي الرافد الاساسي للفنادق والمطاعم والكافتريات السياحية لما تملكه من خبرة ونشاط سياحي متعدد وتبدأ ثقافة كل بلد من العاملين في القطاع السياحي حيث ان الخريجين من المعاهد السياحية هي الواجهة الاساسية لثقافة البلد.

كيفية اختيار الطلبة في المعاهد السياحية لدعم القطاع السياحي

يتم القبول في المعاهد السياحية عن طريق استمارة خاصة اعدت لهذا الغرض حيث يتم الحصول على الاستمارة الخاصة بالقبول في المعاهد السياحية وفقط الشروط التالية

– ان يكون المتقدم خريج الدراسة المتوسطة
– ان لا يتجاوز عمر المتقدم عن ٢١ للذكور و٢٥ للإناث
– ان يكون سالما من الامراض السارية والعاهات الجسمانية وسلامة النطق
– ان لا يقل معدل الطالب عن ٦٠٪ وان لا تقل درجته باللغة الإنجليزية عن ٦٥٪ للذكور و ٦٠ للإناث
– ان يكون قبول الطالب في أحد الاقسام التي تحددها لجنة القبول

مدة الدراسة في المعاهد السياحية

لقد حدد القانون ان مدة الدراسة في المعاهد السياحية ثلاث سنوات وكلاتي

أ– سنتين دراسيتين في المعهد وتكون فيها الدراسة بالتناوب حيث يكون بالاسبوع الاول اسلوب نظري يدرس فيه الطالب دروس نظرية والاسبوع الاخر يدرس فيه دراسة تطبيقية (عملي).

ب– السنة الثالثة تكون لمدة ١٢ شهر يكون فيها التدريب عملي في الفنادق والمرافق السياحية حيث يقوم الاساتذة بتقسيم المتدربين وفق استمارة اعدت لهذا الغرض حيث يتدرب المتدرب في تخصصه الذي تخصص به ويخضع للتقسيم من قبلهم(٩).

المناهج الدراسية

يدرس الطالب في المعهد في السنتين الاولى والثانية وهي مناهج نظرية وعملية وقد اخذت من قبل المديرية العامة للتعليم والاشراف عليها

أ– المناهج النظرية وهي

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

اللغة العربية، التربية الاسلامية، اللغة الانكليزية، اللغة الفرنسية، العلاقات العامة، التغذية، المحاسبة الفندقية، الجغرافية السياحية، حقوق الانسان، الحاسبات.

ب– المناهج العلمية الاختصاص العلمي

– الضيافة فيها ملازم تدريسية تدرس فيها اصول الخدمة وهي كيفية تقديم الطعام والشراب ولوائح التقديم منيو، الكارت، لوائح مختلفة

– انتاج الاطعمة وفيها ملازم تدريسية تدرس فيها انتاج الاطعمة المختلفة الشرقية والغربية (الحار)، انتاج وتصنيع المقبلات التركية والغربية (الباردة)، القصابة وهي كيفية تشريح انواع اللحوم وتهيئة اللحوم بكافة اصنافها وعرضها في لوائح الطعام، الحلويات وتصنيع كافة الشرقية والغربية

– المكتب الامامي فيه ملازم تدريسية تدرس فيها المصطلحات الاجنبية تمص المكتب الامامي من حجوزات للافراد والشركات من الغرب الموجودة داخل الفندق، الاستعلامات وهي الاجابة عن عن الاسئلة من قبل زبائن الفندق، وكذلك اسعار الغرف وحساب الزبائن الى غرفهم وحمل الحقائب الخاصة بالزبائن

– التدبير الفندقي فيها ملازم تدريسية تدرس فيها ان اع الغرف الموجودة داخل الفندق وكيفية الوصول الى هذه الغرف (المفردة) و(الزوجية) والترقيم الخاص بالغرف ومعرفة الممرات وكذلك تنظيف الغرف والشراشف المتصلة من قبل الزبون وكيفية تفيدها، اللوندري وهو ثم يقوم بغسل الشراشف المتسخة وشراشف المطاعم والزي الخاص بالعاملين في الفندق وكذلك الملابس الخاصة بالزبائن ١

الخاتمة:

القطاع السياحي قطاع خدمي وصناعي بنفس الوقت أي هو صناعة بدون دخان. وان الطلبة بالمعاهد السياحية درسوا وتدربوا لأجل العمل في القطاع السياحي وليس الجلوس خلف المكاتب والعمل كموظفين اداريين. بل لأجل العمل كلا حسب اختصاصه العملي الذي درس به لمدة ثلاث سنوات حيث ازداد عدد الخريجين في الاعوام الاخيرة بسبب اعداد المتقدمين للمعاهد السياحية

ان المعاهد السياحية تخرج كادرا سياحي وسطي له القدرة على العمل في القطاع السياحي وتنشيطه وجعله في المرتبة الاولى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ومواكبة التطور الحاصل في صناعة السياحة والفندقة.

الهوامش:

(١)عباس عبد الزهرة منهاج بحث بحث لنيل شهادة الدبلوم العالي التخطيط الاستراتيجي (٢٠١٥) تطوير القطاع السياحي ص ٣٠
(٢) عباس عبد الزهرة نفس المصدر السابق
(٣) عباس عبد الزهرة منهاج بحث لنيل شهادة الدبلوم العالي (٢٠١٥) ص ٣٢
(٤) د. حميد عبد الطائي، واقع الإقامة، مجلة الإدارة والاقتصاد، بغداد ١٩٨٩ ص ٣٢١
(٥)د. حميد عبد الطائي، واقع الإقامة، مجلة الإدارة والاقتصاد، بغداد ١٩٨٩ ص ٣٢٢
(٦)د. حميد عبد الطائي، واقع الإقامة، مجلة الإدارة والاقتصاد، بغداد ١٩٨٩ ص ٣٢٢
(٧)إدارة الفنادق والمطاعم، منهاج المرحلة الثانية تجاري اختصاص سياحة ص ١٠٠ طالب عبد علي ٢٠١٤
(٨)كتاب إدارة الفنادق الصف الثاني تجاري اختصاص سياحة ٢٠١٤ طالب عبد علي
(٩) المديرية العاملة للمرافق السياحية، قسم التعليم والتطوير السياحي، ٢٠١٥
(١٠) المديرية العاملة للمرافق السياحية، قسم التعليم والتطوير السياحي، ٢٠١٥

المصادر:

– عباس عبد الزهرة منهاج بحث لنيل شهادة الدبلوم العالي التخطيط الاستراتيجي (٢٠١٥) ص٢٩ ص ٣٠ ص ٣١
– د. حميد عبد الطائي واقع الإقامة مجلة الإدارة والاقتصاد بغداد ١٩٨٩ الصفحات ص ٣٢١ ص ٣٢٢ ص ٣٢٢
– كتاب إدارة الفنادق والمطاعم منهاج المرحلة الثانية تجاري اختصاص سياحة طالب عبد علي الصفحات ١٠٠, ١٠١
– المديرية العامة للمرافق السياحية، قسم التعليم والتطوير السياحي ٢٠١٥

دور المعاهد السياحية في تطوير القطاع السياحي

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٠) السنة الثالثة شعبان ١٤٤٥ هـ –آذار ٢٠٢٤ م

Al-Thakawat Al-Biedh Magazine

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٠) السنة الثالثة شعبان ١٤٤٥ هـ –آذار ٢٠٢٤ م

general supervisor

Alaa Abdul Hussein Jawad Al–Qassam

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al–Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al–Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al–Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al–Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al–Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al–Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al–Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al–Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon